الملحمة الكونيّة الكبرى

أو

السيرة العربية الخالدة

خالد محمد حمد

باحث في العرب والإسلام

الملحمة الكونية الكبرى

أو

السيرة العربية الخالدة

دار العرّاب

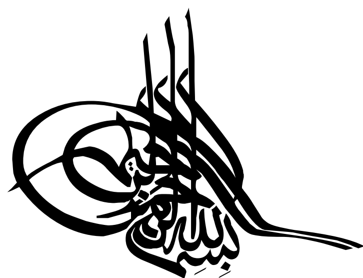
العنوان : الملحمة الكونيّة الكبرى أو السيرة العربية الخالدة

المؤلف: خالد محمد حمد

عدد النسخ: ١٠٠٠

سنة الطبع : ٢٠١٧

دار العرَّاب للدراسات والنشر والتوزيع
هاتف ٢٣١٢٥٠٩ ص ب ٤٩٤٥ دمشق الجمهورية العربية السورية



المقدمة

القرآن العظيم يؤكِّد على الدوام أنَّ (الأنبياء) المرسلين من الله تعالى، جميعهم سلسلة واحدة وذريةً بعضهم من بعض، فالذرية بالنسبة للأنبياء هم الأتباع على المدى القريب والبعيد[1]، وكانوا (الأنبياء) صلوات الله تعالى عليهم، جميعهم يمتاحون من معينٍ واحد، فهُم في جميع العصور قد حملوا كتاباً واحداً (القرآن العظيم) وقد بلَّغوا للناس نفس الرسالة، وهي (الإسلام الحنيف) وقد بدأها (آدم) وقد ختمها (محمد) مروراً بجميع الأنبياء عليهم أفضل السلام، الذين كانوا جميعهم يمتاحون من معينٍ واحد، وأسماؤهم هي الطرق والمناهج الربانية الأساسية التي شُرِّعت للناس، وقد طُلب منهم جميعاً (الأنبياء) أولاً سلوكها واتباعها (الرسالة)، ليكونوا أئمة وشهداء على الناس، قال تعالى: (إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ {٤٥}) آل عمران، قال تعالى: (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً {٧}) مريم، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ {٦}الصف، بينما استلهم الناس ـ أكثرهم ـ الأقوال والمعلومات الدينية والتاريخية غير المنطقية، التي حُشيَّتْ بهارؤوسَهم ومُلِئَتْ بها أفئدتهم - عبر التاريخ-...وقد أَلِفوْها واعتادوا عليها، وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من وجودهم، كل ذلك مما سمي

---

١ - إذ ليس المقصود من قوله تعالى (ذرية واحدةً) ليس المقصود منها الموضوع العرقي أو السلالات العرقية كما يظن البعض أبداً؛ بل المقصود منها هو أنهم جميعاً (الأنبياء) كانوا قد بعثوا برسالة واحدةٍ موحَّدةٍ ، وأنهم جميعاً صلوات الله عليهم كانوا على خطٍ واحد وطريقٍ واحدة ومنهاجٍ واحدٍ، مؤمنون بالله تعالى، مسلمون له عزَّ وجل، عَرَباً ويتكلمون بلسانٍ عربيٍ مبين، اللسان الرباني المبين، ويمتاحون من معينٍ واحد، ولديهم نفس الرسالة (رسالة الإسلام العظيم) لقد كانوا جميعاً عرباً ومسلمون لله تعالى، قال تعالى: (هو الذي سماكم المسلمين) الحج ٧٨)

بـ (الكتب الدينية) وقد أسبغوا عليها القداسة، والتي هي بالواقع كانت مجرد كتبٍ كتبها الناس؛ وليس هنالك كتاب قد نزل من السماء سوى القرآن المجيد[1].

١ – لقد تميز العرب المسلمون بكل أطيافهم ونحلهم ومستوياتهم، خلال القرن العشرين، بأنهم كانوا يتحركون، يعملون يأكلون يسافرون ويتأثرون، يقرؤون ويكتبون ويناقشون ويفكرون من الذاكرة؛ يستجرون ويجترُّون كل الأشياء، ويجترحون السلوك من الذاكرة أيضاً؛ فالجديد لديهم، كان أوعيةً جديدةً للذاكرة؛ ولا شيء يُذكر عن نشاطهم في هذه الحياة إلَّا ما كان قد صَدَرَ عن الذاكرة، وكان بفعل من الذاكرة، فما وافق تلك الذاكرة كان صحيحاً لديهم، والخطأ عندهم ما خالف الذاكرة، وقد تخيلوا وخلطوا بين ما كان من الذاكرة وبين ما كان من الذكر الحكيم، كلام الله سبحانه وتعالى، والذي وحده لا يحولُ ولا يزولُ، وغابَ عن بالهم أن القرآن المجيد هو كتاب رب العالمين، وأنه هو الكتاب الكوني، الكتاب المحفوظ، الذي وحده لا يأتيه الباطل أبداً، وأنَّ هذا فقط ما يجب عليهم الثقة به والغوص فيه والتركيز عليه أولاً؛ وهو ما يجب على العرب والمسلمين التعويل عليه أساساً لا على غيره؛ وأن عليهم الآن محاولة فهمه فهماً صحيحاً عربياً خالصاً، لا ما نصت عليه الأفكار والأفهام والآراء والشروحات والتأويلات والتفسيرات المقوقعة والمدونة بحسب المعارف القديمة، والتي لا شك أنَّ بعضها يُعد من النفائس، وأنَّ بعضها الآخر قد أصبح بالياً.

وهكذا أصبح أكثر الناس من العرب المسلمين، مطلع القرن العشرين منقلبين من الشعور بالعلياء إلى (أركوزات) تعمل بخيوط الذاكرة، وتتأثر بالذاكرة، والناجح فيهم كان صاحب الذاكرة الحافظة! والمحترم منهم من تمتعتْ أفكاره بالصبغة المُسْبقة الصنع، وكانت أحكامه مسبَّقَة ومعلوماته قديمةً وضِعَتْ قبل مئات السنين؛ وهو يحافظ عليها بأخلاطها، ويركن ويطمئن لما طرأ عليها من تحوُّلٍ ومن انحرافٍ؛ تحت أشكالٍ من الادعاءات، والصيغ المتعددة، لا يقبل عنها بديلاً، حتى أصبح عندهم هذا النموذج هو منتهى العلم؛ وهو يحافظ على التقعيدات، والتفنيدات، والتخريجات الفقهية التي أرساها أشخاص عاشوا قبل ١٢٠٠ سنة، فمنذ ذلك الحين هبط العرب المسلمون من عليائهم من كونهم أناس دينٍ وقضية، وتحولوا إلى أناس عيش يدبون على الأرض كما تدب الدواب البُهُم، ينعمون في حالة من غياب العقل! وصارت حياة العرب منذ ذلك الحين جعجعة بلا طحن، عبارة عن صوت وصورة دون أي نتيجة؛ وذلك على الصعيد الديني والدنيوي؛ فهل أصبح العرب اليوم مثل فقراء اليهود،... لا دين ولا دنيا؟!

كذلك أُحيط بالعرب المسلمين في نهاية القرن العشرين، من فرَّ منهم من أسر الجمود في الماضي ليقع فريسة في أحضان الحديث المستحدث التافه المتفَّه الخاوي، وليتحولوا فيه إلى عبيد لغرائزهم التي أُطلقت قصداً وتفلتتْ عمداً، وفي كل اتجاه؛ من خلال الإعلام والدعاية اليهودية الطاغية والمسلطة على العرب المسلمين، من أجل إهلاكهم وإغراقهم، ووضعهم في الاستهلاك والعَوَز، والحاجة الملِحّة، واستمرار الاحتياج والعجز الدائم، بعد أن مورست عليهم ضروب الحصار المصنَّع، والحرمان المصنَّع والتجويع المصنَّع والحروب المصنّعة، حتى صار، على أثره، العرب المسلمون في جميع معاطنهم، يأكلون الحنظل، ويشربون الماء العَكر، فيستطعمون طعم العسل! لذلك فإنّ المطلوب من الباحثين العرب المسلمين الآن أن يتحرروا من العبودية للنصوص القديمة والحديثة على السواء؛ وصار المطلوب منهم أيضاً إعمال العقل وتحرير الفهم ورفع مستوى الوعي، وتعميم وتعميق المنطق، وتطبيقه على كلٍ من النصوص القديمة والحديثة، إن البعضَ ممن يرفضون القديم

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو (القرآن يمشي على الأرض) وهذا أبلغ تعبير وُصِفَتْ به سيرةُ، أو مسار رسول الله تعالى، فحياة الرسول كانت البيان العملي لما جاء في القرآن العظيم، كتاب الله تعالى، وسيرته عليه الصلاة والسلام يجب فهمها واستيعابها أساساً من القرآن العظيم، لا من غيره؛

إذاً فالتاريخ بمفهومه الحق، ليس سرداً للماضي المحض، وهو ليس مجرد حسابٍ للشهور والأيام ليتوقف في الحقبة المحددة عند ذكر ما كان في العالم من والوقائع؛ ليكون تراجماً لبعض الشخصيّات من الناس، يتعرض لسنوات الميلاد والوفاة، ولكنه (التاريخ الحق) وهو الغاية والمآل والمصير لكل إمةٍ عظيمةٍ، و(التاريخ) هو إثبات الأمر والتأكيد عليه؛ مما هو مفيدٌ وبنَّاءٌ في المستقبل، ويقوم على الإنسان العالي (العوالي من الناس) وتحمله وترفعه فوق مناكبها الرجال ، ومسائِلُهُ قوامها أحوال الإنسان والزمان، ولهذا السبب كانت كتب السيرة والمغازي والأنساب تدخل في عداد الكتب التاريخيَّة، وذلك قبل أن يتطور مفهوم (التاريخ) فيصبحَ مجرد سجلاتٍ و(الحوليات)، ولذلك فلقد كان يُقال فلانٌ تاريخُ قومهِ

ما يلبثوا أن يقعوا فريسة في أحضان الحديث؛ وربما كان الحديث من صنع اليهود أيضاً؛ إن رئيس مجلس كتابة التاريخ العالمي، يهودي!

هكذا خدعوا أنفسهم، وخدعوا العرب والمسلمين، عندما طرحوا أفكاراً حالمة، واهمة غير صحيحة، وهي أساساً كانت دخيلة، ولم تكن مطلوبة دينياً إسلامياً ولم يكن الإسلام مصدراً لها، بل هي تاريخياً أفهام بعض الفقهاء والعلماء والشخصيات، ولم تكن نابعةً من حقيقة الدين الحنيف (الإسلام) أبداً، بل أضيفت عليه من خارجه، وهي أفكارٌ وتنظيرات لم تكن صحيحةً حين توهمها العقل العربي الإسلامي غير الواعي والمغيَّب! والذي طفى عليه ما تعلق بالتفاسير والتأويلات وكتب تدوين التاريخ، لما قبل الإسلام وعصر الرسالة المعظمة وصدر الإسلام، أو ما كان قد تشكَّلَ في عصور الانحطاط والجمود، بجماع أفكار الشعوبيين أو العرب المسلمين المغيبين المحاصرين في رؤاهم وتجاربهم.

في الجود، أي أنه هو الذي انتهى إليه مركز الجود والكرم، وللتاريخ علاقةٌ بالزمن، فالتاريخ من جوانبهٍ هو وقتٌ وتوقيت، وموعدٌ يجري، وهو غائيٌ وهادف[1].

لذلك فقد صار مطلوبٌ من الباحثين العرب المسلمين الآن، أن يتحرروا من العبودية للنصوص القديمة والحديثة على السواء؛ وصار المطلوب منهم أيضاً إعمال العقل وتحرير الفهم ورفع مستوى الوعي، وتعميم وتعميق المنطق، وتطبيقه على كلٍ من النصوص القديمة والحديثة، إن البعضَ ممن يرفضون القديم ما يلبثوا أن يقعوا فريسة في أحضان الحديث؛ وربما كان الحديث من صنع اليهود أيضاً؛ إن رئيس مجلس كتابة التاريخ العالمي، يهودي!

ولذلك كانت (السيرة النبوية) بمفهومها الواسع، هي الوقائع الأولى كما كانت، وكما جرت، والسيرةُ ذات نتائج عُظمى؛ فليس هنالك سيرةٌ للأشخاص أو للأمور عديمة الجدوى، والأساس أنَّ السيرة وهي (حُسنُ الأُحدوثة) ويجب أن لا يُذكرَ فيها إلا ما كان مُفيداً للناس، رافعاً لهم، والعربُ تقول: إنَّه لحَسَنُ السيرةِ، والسيرة عَدِيْدُ الشمائلِ وكثرةُ

١ - فالتاريخ ليس مجرد تأريخ تقريري لما يجري من الأمور، وهو ليس كتابةً ولا تسجيلاً للوقائع كما جرت؛ أو المتخَيَّلَة والمُتَصَوَّرَة كيفيَّاً وبحسب الرغبة، ولكنه (التاريخ) هو الجهاد والنضال والكفاح والعمل الدؤوب للوصول إلى النجاح، والغرض منه تحقيق النصر، وهو الحركة الإيجابية المنتجة البناءة، كل ذلك محمولاً على كواهل الأحرار والأفذاذ، أصحاب الهمة الأعلون، الطليعة ممن يبذلون الجهود المضنية، في الوقت الذي يُبْطِئُ فيه الآخرون، لذلك فهو (التاريخ) مهم وخطير؛ فإذا كانت زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم عددها لم يُحدد في القرآن العظيم، فلماذا تمَّ تحديده في (سيرة ابن هشام) وما هي الفائدة من تعداد أعمامه وأخواله؟ وماهي الجدوى من تعداد (الأصنام) التي كانت للعرب قبل الإسلام، وذلك بدقة متناهية، بينما تم تجاهل عبادة (الآلهة الوثنيَّة) عند الإغريق والفرس والرومان والهنود والأحباش؛ أليس الإسلام للعالمين؟ لماذا لم تُذكر السلبيات التي كانت عند الأقوام أو الجهات الأخرى (للعالمين)؟

ولماذا يُصرُّ (ابن هشام عن ابن اسحاق) ومن بعده (كتاب السِيَر) على التأكيد أنَّ العصر الذي سبق الوحي كان عصراً جاهليّاً؟ ووصفوه بالعصر الجاهلي هل هو كذلك فعلاً؛ أم أن يد الغدر قد عبثت هنا؟ فهل كان الفرس والروم واليونان جاهلون أيضاً؟ لماذا لم يتم التأكيد على ذلك في السيرة النبوية؟ لماذا نُصِّبَتْ قريش والعرب (في سيرة ابن هشام) وحدهم عدواً للإسلام والمسلمين؟ من الذي كانت له المصلحة في ذلك التصور كُلَهُ؟

الفضائلِ، و(السيرة) هي السُّنّة، والسيرة هي الطريقةُ، وهي المثال الذي يُحتذى، وقد سَرَتْ وهي تسري بين الناس على مرِّ الزمان، نبع عطاءٍ مستمر يتدفق، والسيرة: الهيئة وهي العلم، قال تعالى: (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى){٢١} طه ٢١، بينما (القصص) يعني اتباع الأثر، قال تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) {١١}القصص، و(السيرة) الأساس أنها ذكرٌ للمناقب والآثار الإيجابية البناءة، وهي خاصة بالمبدعين، ولمن هم قدوةٌ وأعلامٍ نبلاء في أقوامهم وفي الناس أجمعين، وليس هنالك سيرة لغيرهم من الخاملين المعدومين ذوي العطالة؛ ولذلك فهي (السيرة) مخصَّصَةٌ لذكر العالي والعوالي والرفيع من السلوكيات والأخلاق، والغرض منها، ومن عرضها التاريخي هو الترغيب بالإتباع، لا الصَّدَّ والتنفير (صَدُّ الأجيال العربيَّة المسلمة وتنفيرها عن العروبة والإسلام؛)! فما هي الفائدة مثلاً من ذكر عدد زوجات النبي، وعدد أولاده صلى الله عليه وسلم، وذكر أسماء أقربائه وأصحابه؛ وما هي الفائدة من ذكر (حادثة الإفك) وتكرار ذكرها في الكتب وعلى المنابر، وعلى مسامع الأطفال، ومن هو المستفيد من كلِّ ذلك!؟ وهل تشويه صورة السيدة عائشة (أم المؤمنين) وإثارة الشبهات حولها، والصاق التهمة بها علناً، والتأكيد عليه؛ يعتبر من التاريخ؟ علماً أنَّ (سورة التوبة) في القرآن العظيم لا علاقة لها بالسيدة عائشة أطلاقاً! لا من قريب ولا من بعيد (لم ليرد اسم السيدة عائشة في القرآن أبداً، فمن الذي كان يُصِّرُّ على تشويه سمعة أم المؤمنين، من هو صاحب المصلحة في ذلك؟

وبالتالي ما هي الفائدة من ذكر حوادث السقيفة؛ وما جرى في السقيفة، من التلفيق على الصحابة الكرام، وما تم من التشويه لسيرتهم النبيلة واثارة الشبهات حولهم وحول دورهم العظيم (جميعهم) في صدر الإسلام، وهل أنتم متأكدون فعلاً من أن الخبر عن

(سقيفة بني ساعدة) والذي أورده، أو الذي دسّه (ابن اسحاق) منذ البداية (ابن اسحاق وحده الذي أورد في سيرته أخبار السقيفة (لم يرد لدى أحد غيره) ليتلقفه الطبري فيما بعد ويعمل على نشره في تاريخه! فهل هو خبر صحيح أو أنه موضوع؟ هل أنتم متأكدون أنه غير موضوع؟!؛[١]

١ – إن قارئ كتاب تاريخ الطبري سيلاحظ تأكيد الطبري، عند روايته للفتوحات الإسلامية علىٰ موضوعي الجزية والخِراج، وكأن الفتوحات الإسلامية، كان لا همّ لها إِلَّا الجزية والخِرَاج، وسقط المتاع وحطام الدنيا، هل هذا صحيح؟ هل هذه هي الحقيقة؟ وصار الصحابة الأعلام والعظماء والنجوم الأبطال والذين المفروض أنهم النجوم المتلألئة التي أنارت وكانت لنا وللعالم منبع الهدىٰ والهداية والعلم والحكمة، صاروا علىٰ يدي الطبري وغيره من المؤرخين، مجرد أبطال فلم كاوبوي، تحكمهم الأنانية والأثرة والدوافع والغريزة والسياسة ألا ساء ما يتخيلون، الأمر الذي أسهم في عملية إجهاض نهوض الأجيال العربية، وكرس خمولها ردحاً طويلاً من الزمن، كذلك تركيزه علىٰ المَقَاتِل، مقاتل الخلفاء ومقاتل الرجالات، بحيث أخرج لنا تاريخاً ملئاً بالفواجع والمؤامرات والدسائس، لم يدع شكلاً من أشكال الجريمة إِلَّا ووصفها ولصقها ، ولا طريقة من الطرق ولا فناً من فنون التعذيب، إِلَّا أحصاها ووصفها وألصقها وشملها وضمها إلىٰ كتابه، قطع رؤوس وسمل عيون وبقر بطون، بشكل يجعل القارئ يشمئز من العرب والمسلمين، وأمرائهم وأبطالهم ورموزهم، ويضع الكثير من إشارات الاستفهام في ذهن القارئ، حول العرب والإسلام.

لقد تحول فيه الصحابة الكرام، والتابعون العظام، هؤلاء الأفذاذ الذين لامسوا العلياء أصبحوا في كثيرٍ من الأحيان عند الطبري أطفالاً يلعبون ويتشاكسون ويتحاسدون ويتباغضون ويتعادون، ويبحثون عن سقط المتاع، كغيرهم، تسيرهم غرائزهم، تارة جبناء، وتارة أغبياء، لقد أصبحوا أمثلةً لا تحتذىٰ..

أهذا هو الهدف من كتابة التاريخ؟ بينما الحقيقة كانت غير ذلك، لقد كان الهدف من الفتح الإسلامي العمل علىٰ نشر الدين الإسلامي الإلهي التوحيدي الأساسي، ومبادئه وأخلاقه وقيمه ومُثُلِهِ، وإقام العدل ورفع الظلم وإحقاق الحق، كانت الجيوش والمجاهدين في خدمة الدين، ولرفع رايته السامية، فهل تشكل كتب الطبري، أو الكتب التي نهجت نهجه في التفسير والتأريخ فهماً صحيحاً للقرآن، أو هي التاريخ الحقيقي للعرب والمسلمين؟ إن الكتب التي جاءت بعده تنقل عنه حرفاً بحرف وجملة جملة كانت تحذوا حذوه بثقة مطلقة، فهل نحن مضطرون إلىٰ ذلك؟.

أبداً إن أقل ما يمكن أن يقال، إن كتب الطبري والكتب المماثلة ليست سوىٰ تصنيفات موسوعية كبيرة، عامة وشاملة وواسعة، فيها الكثير من الحكايات والشواهد الأدبية، والحكم والأمثال والأقوال والأشعار التي لا يخفىٰ علىٰ القارئ النبيه، أهميتها وفائدتها، ولكنها لم تكن فيه موظفة توظيفاً يخدم العروبة ولا الإسلام بالشكل الصحيح، إن محمد بن جرير الطبري رحمه الله كان مصنفاً للمعلومات بشكل لم يخدم العرب ولا الإسلام، خدمة حقيقية، وأكثر من ذلك، فإن قارئ كتب الطبري سيخرج في النتيجة بانطباع سيئ للغاية، عن كل تلك الشعوب والأقوام والأشخاص، الذين أرخ لهم الطبري، والذين نفذوا هذه الأدوار في تاريخ الطبري، الذي تحول فيه الصحابة الكرام والتابعون العظام، هؤلاء الذين لا مسوا العلياء بمجدهم وسؤددهم،

فهل فكرتم أيها السادة في حجم الدمار الدائم والمستدام الذي سببه ذلك الخبر، وما تركه من انطباعٍ سلبيٍ في فكر العرب المسلمين، وأنه لا يُمحى على مر الزمن، هل أدركتم أيها السادة أن ذلك الخبر الخطيرُ هو سببُ الهُزال المزمن والتخلف الشديد والانقسام الذي يعاني منه ـ على الدوام ـ العرب المسلمون، وأنه لا غربة في ذلك، لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام المسلمين، وسيرةُ الرسول العربي الكريم تُشكل عقل العربي المسلم ونبراسه، لذلك فإنَّ تشويه سيرة الرسول الأعظم، سيكون تشويهاً وضياعاً للعقل البشري قاطبةً، وخصوصاً العقل العربي المسلم، وهذا ما فعله ابليس، أو ما كانت تفعله الشياطين عند تشويهها لسير الأنبياء والصالحين.

من أجل ذلك فقد نوَّهنا في هذا الكتاب، إلى أنَّ العلماء في الماضي كانت تنهى الناس عن قراءة (سيرة ابن هشام عن أبن اسحاق) فقالوا ثلاثة كتب يجب أن يمتنع المسلمون عن النظر فيها وهي (سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق) و(الفتوحات للواقدي) و(الطبقات لأبن سعد)،[1] ذلك لأنَّ السيرة يجب أن تكون إيجابيةً بناءةً منتجةً ومُفَعِّلةً دائماً. فكيف أصبحت في هذه الأيام (سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق) من أمهات الكتب؛ وينصح بقراءتها العلماءُ لتلامذتهم ومريديهم ؟

لقد أصبحوا عند الطبري وفي كثيرٍ من الأحيان مجرد أطفالٍ يلعبون بمصير الدين والأمة؛ ويتشاكسون ويتصارعون ويتحاسدون ويتباغضون؛ ويبحثون عن سقط المتاع كغيرهم تسيِّرهم غرائزهم تارة وتارة جبناء وتارة أغبياء لقد أصبحوا عند الطبري أمثلةً لا تُحتذىٰ، إن لم نقل، إنّ قارئ كتاب الطبري، بالنتيجة سيصل إلىٰ مرحلة، سييأس فيها من نهوض العرب والمسلمين، إن لم يحقد عليهم، أو يصنفهم مع الأوغاد الغادرين، فهل كان هذا هو مراد الطبري، ومدرسته التأريخية والتفسيرية، أهذا هو الهدف من كتابة التاريخ، وهل من الواجب علينا الوقوف عنده، وهل هو من المحرم علينا نقد حكاياته أو تجاوزها، يقول الطبري، حدثني فلان وحدثني فلان، ولكن من هو فلان؟ هل دقق أحدٌ في مستندات الطبري أو في وثائقه أو في رواياته أو في معلوماته أو في ترجيحاته إذا كانت صحيحة أم لا لا أحد يعرف.

١ – كتاب أغاليط المؤرخين، الدكتور أبو اليسر عابدين، مكتبة الغزالي بدمشق، ١٩٦٨

و(القَصُّ) هو الإخبار، وتتبع الخبر وهو الإعلام، و(السيرة النبوية المُعظَّمَةُ) هي الترجمة الغائيّة الكبرى لحياة رسول الله تعالى المبعوث رحمةً للعالمين، مُعلم الناس جميعاً الخير، وجامع شمل العرب المسلمين، ومُجَدِّد حياتهم السياسيّة والتشريعيّة العُظمى، (الهادفة دائماً) الذي وضع لهم الأهداف، سيدُنا محمد خاتم النبيين المرسلين، عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام .

ومفهوم (الرسول) عند العرب، وفي اللسان العربي المُبين، فإنَّ من الأهميّة بمكان معرفَتَهُ وإدراكَهُ، لأنَّ مدلول لفظة (رسول) في اللسان العربي المبين، لها أبعادٌ واسعة، أوسع بكثير من الحالة المعجميّة الأعجميّة الضيّقة والمُغلقة، قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {١٥}الحجرات، وطبعاً (بالله ورسوله) أي بالله تعالى وبما جاء به الرسول الكريم، قال تعالى:{ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٤} إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ {٥}المجادلة، فمن خلال تلك الآيات والعديد من الآيات الكريمة في القرآن العظيم يُفهم أنَّ لفظة (الرسول) إنما تعني ما جاء به الرسول؛ أي القرآن العظيم، لأنَّ لفظة (الرسول) في اللسان العربي، إنما هي صفةٌ لحامل الرسالة، فهو صلى الله عليه وسلم رسولٌ لأنه حاملٌ للرسالة، فإذا أدى المهمة وأبلغ الرسالة، فإنَّ الرسالةَ تصبحُ هي الرسول، قال في المعجم: والرَّسول: معناه في اللغة الذي يُتابع أَخبار الذي بعثه أَخذاً من قولهم جاءت الإِبل رَسَلاً أَي متتابعة. وقال أَبو إِسحق النحوي في قوله عز وجل حكاية عن موسى وأَخيه: فقُولا إِنَّا رسول رب العالمين؛ معناه إِنا رِسالة رَبّ العالمين أَي ذَوَا رِسالة رب

العالمين؛)[1] والقول الشهير لسيدنا أبي بكر الصديق يوم وفاة النبي ﷺ **معلومٌ ، وهو قوله: «من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد اللهَ فإنَّ اللهَ حيٌ لا يموت»**.

وكذلك فإنَّ (أسماء الله الحسنى) تعني الطرق العُظمى أو المناهج الموصلة لله تعالى، والتي على الناس المؤمنين منهم، سلوكها والسَيْرَ عبرها، وصولاً إلى مرضاة الله تعالى، قال تعالى:{ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ {٧٨}الرحمن، قال تعالى:{ وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {١٨٠}الأعراف، وأدعوه بها أي اسلكوا الطريق بها، لتصلوا إلى رضى الله تعالى.

ومع أنَّ سيرة رسول الله سبحانه وتعالى (محمد صلى الله عليه وسلم) كانت قد كُتِبَتْ مِراراً وتكراراً، منذ عصر ابن اسحاق (١٠٠ – ١٥١هـ ، ٧١٨ – ٧٦٨ م) غير أنَّ تدوينها في عصرنا الحاضر، وبأسلوبٍ خالٍ من الحشوِّ والتعقيد، مع نقد مواطن الوهن والوهم التي داخلتها؛ قد أصبح ضرورةً دينيّة ووطنيّةً هامة جداً، وضرورة مُلِحَّةً، وهي في هذه المرحلة بالذات؛ لا ينبغي تجاوزها مطلقاً، وخصوصاً للباحثين الحريصين على نجاح الأمة العربية المسلمة في مستقبلها المنشود، الآتي لامحالة، لأنَّ حياة الرسول الكريم العظيمةُ في أهدافها، كانت وستبقى على الدوام، نبراساً لكل عربي مسلم في العالمين، فهي المثالُ الذي يجب أن يُحتذى دائماً، وهي دائماً هي للمستقبل، وليست (السيرة) تقريراً عن الماضي

---

١ – وسُمِّي الرَّسول رسولاً لأَنه ذو رَسُول أَي ذو رِسالة. والرَّسول: اسم من أَرسلت وكذلك الرِّسالة. ويقال: جاءت الإِبل أَرسالاً إِذا جاء منها رَسَلٌ بعد رَسَل. والإِبل إِذا وَرَدت الماء وهي كثيرة فإِن القَيِّم بها يوردها الحوض رَسَلاً بعد رَسَل، ولا يوردها جملة فتزدحم على الحوض ولا تَرْوَى. وأَرسلت فلاناً في رِسالة، فهو مُرْسَل ورَسول. وقوله عز وجل: وقومَ نوح لما كَذَّبوا الرُّسُل أَغرقناهم؛ قال الزجاج: يَدُلُّ هذا اللفظ على أَن قوم نوح قد كَذَّبوا غير نوح، عليه السلام، بقوله الرُّسُل، ويجوز أَن يُعْنى به نوح وحده لأَن من كَذَّب بنبيٍّ فقد كَذَّب بجميع الأَنبياء، لأَنه مخالف للأَنبياء لأَن الأَنبياء، عليهم السلام، يؤمنون بالله وبجميع رسله، ويجوز أَن يكون يعني به الواحد ويذكر لفظ الجنس كقولك: أَنت ممن يُنْفِق الدراهم أَي ممن نَفَقَتُه من هذا الجنس؛ وقول الهذلي: حُبًّا لغيرك ما أَتاها أَرْسُلي لسان العرب، لأبن منظور.

كما يظن البعض؛ وذلك لكي تكوِّن السيرة النبويّة العطرة المُعَظَّمَةُ منهاجاً عربياً منيراً وهَّاجاً منتجاً ايجابيّاً عظيماً وبَنَّاءً لدى كل عربيٍ مؤمن.

إنَّ الحقيقة ليست كما يعتقد الملحدون والمشركون الذين جعلوا من منبع النهر مصبّاً ونهايةً له، الذين جعلوا من الملحمة العربية الكبرى (سيرة الرسول المعظمة) وكما هو شائعٌ، فقد جعلوا منها مجرد رواية من الروايات المؤثِّرة؛ أو حكايةً من الحكايات تروى للأطفال ما قبل النوم، لتؤنسهم وتؤنس وحشتهم، هذا مما يروجون له من الأساطير والأوهام، أنها (السيرة النبوية المُعظَّمة) فهي على العكس من ذلك تماماً، إنَّها مثالٌ ربانيٌ ليصنع الناس وجوديَّاً في حياتهم، شخصياتهم على منوالها، فيصنعون كما صنع الرسول، ويفعلون كما فعل الرسول.

بينما ما فعله ـ كتَّاب السيرة ـ تاريخياً وعلى مر الزمان ... وبالنتيجة هو إجهاض الهدف وتوهين العزيمة؛ التي كانت تصبو إليه (الهدف) بحيث جعلوا لدى كل عربي، يمكن أن يتكون لديه في حياته هدف عظيم يسعى إليه، وحسٌ وأهمية للحق وإحقاقه، وكانت لديّه حميّة للحق وأهْلِهِ، ورغبةً في أهمية النضال والكفاح والثورة من أجل إحقاق الحق، وتجسيده وتوقيعه، والانعتاق من القيود والأغلال، من أجل الوصول إلى الحريّة الحقّة؛.[1]

١ – والواقع فإن الروايات العديدة للسيرة النبوية المعظمة في جميع المصادر المتوفرة وكلها ترجع إلى رواية أبن إسحاق لأن ابن إسحاق كان أول من جمع السيرة النبوية ورواها وكان شعوبياً حاقداً كارهاً للعرب، لذلك فإن رواياته تحتاج إلى مراجعة وإلى إعادة تدقيق ومقابلتها مع صريح القرآن الكريم وبالصحيح من الحديث والمأثور من الأقوال والأنساب والمشهور من سنن الأوائل وحكمة الحكماء لإزالة المتناقضات غير المنطقية عند جمعها للأضداد من الصفات والمواقف للكثير من عظماء الشخصيات العربية التي كان الله سبحانه وتعالى قد هيأها وأعدها لقبول رسالته فلم تكن ولم تجري الأمور ولا التحولات صدفة من غير ميعاد قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ الأنعام، بل إن العصر الأول للإسلام، فيه تلاقت

أنْ جعلوه (الانسان العربي المسلم) يتلاشَ لديه الاندفاع لتحقيق كل ذلك؛ بحيث تتبدد همته وتبرد عاطفته وتتبخر إرادته، ويتحول إلى أهدافٍ أخر.[1]

كما ويجب أن يُعتَبَر القرآن العظيم المصدر الأول والأساسي والرئيسي للسيرة النبويّة العطرَةُ، لذلك يجب العمل – على الدوام – من أجل تخليص السيرة المُعظَّمة، مما رفدها من الروافد الغريبة، وما داخلها من المُدخلات الباطلة، بل هي من الأساطير القديمة، أو من الشبهات والمفتريات الشعوبيّة أو من الإضافات التي استحسنها وأضافها النُسّاخ عبر العصور[2]

السماء مع الأرض في زمان محدد ومكان محدد فكانت الشخصيات في صدر الإسلام جميعها كانت مرسومةً منذ الأزل لتكون معدناً ومادة حاملة للإسلام وأمثلة تحتذى وشهداء.

[1] – وشَبَّهَ عليه: خَلَّطَ عليه الأَمْرَ حتى اشْتَبه بغيره. وفيه مَشابهُ من فلان أَي أَشْباهٌ مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بعضاً؛ وقوله تعالى: وما يُبْدئُ الباطِلُ وما يُعِيدُ. قال الزجاج: ما في موضع نصب أَيْ أَيَّا شيءٍ يُبْدِئُ الباطلُ وأَيَّ شيءٍ يُعِيدُ، وتكونُ ما نَفْياً والباطلُ هنا إِبْلِيسُ، فسيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ليست بريئة من الباطل والافتراء والكذب ولا هي ليست بعيدةً عن التهمة. وفيها بهتان.

[2] – وجاء في المعجم أنَّ الإِمَّعةُ والإِمَّعُ، بكسر الهمزة وتشديد الميم: الذي لا رأْي له ولا عَزْم فهو يتابع كل أَحد على رأْيِه ولا يثبت على شيء، والهاء فيه للمبالغة. وفي الحديث: اغْدُ عالماً أَو مُتعلِّماً ولا تكن إِمَّعةً، ولا نظير إلا رجل إِمَّرٌ، وهو الأَحمق؛ قال الأَزهري: وكذلك الإِمَّرةُ وهو الذي يوافق كل إنسان على ما يُريده؛ وروى عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: كنا في الجاهلية نَعُدُّ الإمَّعَةَ الذي يتْبَع الناسَ إِلى الطعام من غير أَن يُدْعى، وإِنَّ الإِمَّعةَ فيكم اليوم الْمحْقِبُ الناسِ دِينَه؛ قال أَبو عبيد: والمعنى الأَوَّلُ يرجع إِلى هذا. الليث: رجل إِمّعةٌ يقول لكل أَحد أَنا معك، ورجل إِمّع وإِمّعة للذي يكون لضَعْف رأْيه مع كل أَحد؛ ومنه قول ابن مسعود أَيضاً: لا يَكُونَنَّ أَحدُكم إِمَّعَةً، قيل: وما الإِمَّعَةُ؟ قال: الذي بقول أَنا مع الناس. قال ابن بري: أَراد ابن مسعود بالإِمَّعَة الذي يَتْبع كل أَحد على دِينِه، والدليل على أَنَّ الهمزة أَصل أَن إِفْعَلاً لا يكون في الصِّفات، وأَما إِيَّل فاختلف في وَزْنه فقيل فِعَّل، وقيل فِعْيَل، وقال ابن بري: ولم يجعلوه إِفْعَلاً لئلا تكون الفاء والعين من موضع واحد، ولم يجئ منه إِلا كَوْكَبٌ ودَدَنٌ، وقول من قول امرأَة إِمَّعة غلط، لا يقال للنساء ذلك. وقد حكي عن أَبي عبيد: قد تأَمَّعَ واسْتَأْمَعَ. والإِمّعَةُ: المُتردّد في غير ما صَنْعة، والذي لا يَثْبُت إِخاؤه. ورجال إِمّعون، ولا يجمع بالأَلف والتاء.

قال تعالى في سورة الشورى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾: قوله تعالى: (وشرع لكم) لكم أي للناس جميعاً من أراد منهم الحق، والدخول في كيان الحق (من الدين) أي من النظام ومن المنهاج الفطري الطبيعي العربي الرباني؛ وطلب منكم أن تُنَفِّذُوهُ، وأن تعملوا على تحقيقه في الحياة الدنيا، الدين الواحد؛ وهو تماماً ما كان قد نَزَلَ على نوحٍ (بداية الوحي) والذي أُنزل إليك (خاتمة الوحي) وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى (ما بين البداية والخاتمة)، فكلُّ هذا الدين الواحد العظيم، فحواه (الهدف منه) أن أقيموه؛ أقيموا الدين الواحد العظيم الفطري الطبيعي الرباني الذي ارتضاه لكم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (آل عمران)، وهو تعالى يؤكد عليكم أن لا تتفرقوا فيه؛ ولا تفرقوه إلى شعبٍ وفرق وشراذم؛ وأنَّ التفرق في الدين الإلهي إلى شُعبٍ وإلى فرق؛ والتشرذم فيه؛ إنما هو أمرٌ خاطئ جداً ومريب، وأنَّ وحدة الدين الحنيف هو ما يجب أن تستمروا فيه، وتعملوا على تحقيقه، إنَّ دعوة المشركين إلى الإيمان بالله تعالى يشكل لهم مأزقاً شديداً وحَرَجاً؛ وهذا أمرٌ مفهومٌ ومدركٌ ومعلومٌ عنهم، وذلك أنهم يتخيلون ويتصورون أنَّ الإيمان سوف ينزع عنهم أوضاعاً ومزايا لا يقبلون التخلي عنها؛ لكنَّ الله تعالى يجتبي أي يختار إلى جنبه أي إلى جنب الحق وهو تعالى يهدي إليه؛ أي يدل عليه أي إلى طريق الحق كلُّ إنسانٍ ينيب، كلُّ إنسانٍ يوكل وينيب الله تعالى في أمرهِ، فالله تعالى كفيلٌ في هداية هذا الذي ينيب، وفي حمايته وكفالته وضمانه وتأمينه وإيصاله إلى الأمن والأمان. قال تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا

جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ ﴾: إنَّ الناس ـ المشركين منهم ـ فإنهم ما تفرقوا وما فسقوا عن أمر الله تعالى، إلا من بعد ما أنزل الله تعالى من السماء على الناس (الحق)، إلا من بعد ما أوصى به، وأوصاهم على الوحدة فيه؛ وعدم التفرقة فيه؛ لكنهم لما كانوا معاندين ومفارقين للحق؛ وكانوا تبعاً للمترفين منهم، وقد أصروا على عنادهم وفسقهم؛ فقد تفرقوا فيه؛ وجعلوه فرقاً وشيعاً، لقد نزعوا إلى الفرقة والتشرذم وإلى طرائق وجماعات، وذلك بغياً واعتداءً بينهم، الغني على الفقير والقويُّ على الضعيف وصاحب السلطة والجاه على من لا مال له ولا جاه؛ ولولا أنَّ الله تعالى قد وضع منهاجاً وخطَّةً محكمةً ؛ وقد اتخذ قراره عزّ وجل منذ البدايةِ، على أن هذه الحياة لها هدف وأنها تسير لتحقيقه، وأنه يقتضي أن يكون هنالك يومٌ للجمع واجراء الحساب، ولولا ذلك لعجَّل الله تعالى بالقيامة ولكن أجله إلى أجلٍ مُسمى، ﴿ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الحجر).

ولذلك ومن أجل ذلك، فإنَّ من جاء بعدهم (من بعد الذين اختلفوا وتفرقوا في الكتاب ((من أهل الكتاب)) لقد أصبحوا في شكٍ منه مريب أي مخيف مرعب كونه في حالٍ من الضياع، وفقدان القدرة على معرفة الصح، (وإنَّ الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شكٍ منه مريب) لذلك كانت صناعة الاختلاف والتفرقة بين الناس، على ما جاء في الكتاب، عملٌ خطير جداً وهو من الكبائر، لأنه يتعدى الإفساد الذاتي ويتجاوز فيه التأثير

على الفرد، وهو في هذه الحالة يؤثر على المجتمع وعلى الأمة كلها؛ وعلى الأجيال القادمة كلها؛ إنها بسبب ذلك، قد تنحرف (الأمة والأجيال القادمة) عن الحق وتنزاح إلى الباطل؛

قال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن الدنيا الصالحات وأ لأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾: الحجة هي محاولة الغلبة بالرهان؛ ويقول المثل العربي (لجَّ فحجَّ)؛ ولذلك قيل هذا رجلٌ حجَّاج أي جَدِلٌ يحب الجدل، فلذلك ومن أجل ذلك ، أنت أيها النبي، والخطاب إلى كل إنسان صالح؛ فإنه يجب عليك أن تدعوا الناس، أن يستمروا في دعوتهم إلى الحق، (فلذلك فادعُ) أي للكتاب والقرآن، و(لتنذر أم القرى وما حولها) أم القرى أي مركز كل القرى، وهذا النداء معنوي ومادي (وهي هنا مكة المكرمة)، والمقصود فيها الأساس وهي دعوة سيدنا ابراهيم وهي ملة ابراهيم الحنيف المسلم قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ

رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (آل عمران).

وفي اللسان العربي المُبين الإيمان يعني التصديق، والحسنة تعني الصدقة، والعزيز هو الذي لا يستطيع أحدٌ الوصول إليه ولا التأثير عليه، والتحول يجب أن يتم عن القليل إلى الكثير وعن الدقيق إلى الكبير ومن الضعف إلى القوة، ومن الاعوجاج إلى الاستقامة ومن الخفة إلى الثقل والتؤدة، ومن الباطل إلى الحق، إنه الحمل بعد الإجهاض (والتحية أساسها الإحياء، والسلام تعني التسليم بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وبأفعال الآخرة).

والواقع أنَّ كل نبيٍّ هو علمٌ لا يحتاج إلى تعريف، لأنه بذاته علامة تدل على الطريق، وهو مُعَلِّمٌ للخير ويَدلُّ عليه، على السراط المستقيم، إمامٌ وقدوةٌ ومعَلِّمٌ ومنذرٌ، يُستَدَلُّ بهِ، فهو بذاته عنوانٌ قائمٌ للناس على مر الزمن، وقد أصبح في نظر الناس جميعاً كالمكان الثابت الذي لا يزول؛ معروفٌ ومُرسلٌ بالمعروف، لذلك فأسماء الأنبياء كلها معرفةٌ أعلام.

والنبي عريفٌ على أمته، يُعرفون به، وهو قرنٌ لهم، وهم مقترنون به، وسيكون يوم القيامة شاهداً ونقيباً عليهم، من منزلةٍ رفيعة، فهو العريف وهو الصافُّ والمُوْقِفُ لهم والمُرشد، وأتباع كل نبيٍّ يعرفهم ويعرفونه، وهو سينظرهم على الأعراف، ليعرِّف بهم، علمٌ لمن جاء بعدهم، على نهجه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ {٧٥} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ {٧٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {٧٨} سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {٧٩} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٠} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {٨١} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ {٨٢} وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ {٨٣} إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {٨٤} ﴾

والأنبياء: هم الذين تنبؤوا لأممهم وبشروهم وأنذروهم، ودعوهم إلى الإيمان بالله تعالى رب العالمين، وكانوا لأممهم وللناس من بعدهم السراج المنير، أرسلهم الله تعالى رحمةً للعامين، ليكونوا أمناءً على الوحي لأممهم وكانوا شهوداً على تلك الأمم، وكل نبيٍّ علمٌ لا يحتاج إلى تعريف، لأنه بذاته علامة تدل على الطريق، وهو مُعَلِّمٌ للخير ويَدلُّ عليه، على السراط المستقيم، إمامٌ وقدوةٌ ومعَلِّمٌ ومنذرٌ، يُستَدَلُّ بهِ، فهو بذاته عنوانٌ قائمٌ للناس على مر الزمن، وقد أصبح في نظر الناس جميعاً كالمكان الثابت الذي لا يزول؛ معروفٌ ومُرسلٌ بالمعروف، لذلك فأسماء الأنبياء كلها معرفةٌ أعلام.

والأنبياء هم الطرق الواضحةً والمذاهب التي على الناس أن يذهبوا فيها، لأنها جميعاً توصل على الحق، وهم جميعاً مع الحق ضدّ الباطل، وهم مكلفون ومرسلون من الله تعالى، ومتنبئ أي على يقين، وهو بذاته آيةٌ لله تعالى وهو ليس لا عباً ولا لا هياً ودائماً يأخذ على عاتقه أمر حماية الناس والإحسان إليهم، وإنقاذهم من الشيطان [1].

---

[1] - وردت لفظة (الشيطان) في القرآن الكريم ٦٨ مرة، وكانت ذات مدلول واحد، فقد أشار بها رب العالمين جَلَّ جَلالُه، إلى إبليس اللعين، بأنه كان شيطاناً، في تمرده عن أمر ربه، وفي عدائه للإنسان، عندما عمل على إخراج سيدنا آدم مع زوجه من الجنة، وهو يتابع عداءه للإنسان على الأرض؛ الشيطان، والشياط، والشيط هي حالةٌ، وصل إليها إبليس وكان سابقاً يصفُّ مع الملائكة، أو أنه كان من الجان، ولكنه فسق عن أمر ربه، وتمرَّدَ، فطُرِدَ من رحمة الله تعالى، فشاط ولم يَعُدْ، قال تعالى: ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٧]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ ﴾ [مريم: ٤٤]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَـٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٦].

وفي لسان العرب لابن منظور (شاط: احترق مع اللصق من زيت ونحوه، وشاط ذَهَبَ بمعنى الضَيَاع والهدر، والشوط الغليان، وشاط بمعنى وزَّعَ، وشاط احترق على النار، واشتاط التهب، للحم والزيت والسمن والصوف والقطن، والإشاطة الإهلاك، وكل ما ذهَبَ فقد شاط، والإشاطة إراقة الدماء، واستشاط: احتدَّ وخفَّ وتحرّقَ، واستشاط فلان، إذا استقتل) أ.هـ، وهذه معاني تدل على التوتر والتوتير الدائم بغير هدى، وعلى القيام بلا قعود وعلى القفز عن الأرض من غير ثباتٍ عليها، وعلى عدم الاستقرار، وتعني الضجيج المستمر بلا تهدئة، ولا هدوء، وتدل على الذهاب بلا عودة ولا رجوع ولا إياب، وعلى احتراق بلا هدف ولا نتيجة ولا معنى، وعلى هلاكٍ وتلف. إنَّ لفظة شيطان صفة للحالة وللمهمَّة التي يُنفذها إبليس، فهو إبليس اللعين، المتمرد على أمر الله تعالى، وقد لَزِمَتْهُ صفة شيطان، وهذه الصفة، له

والنبي دليلٌ يُستدلُّ به، وهو دالةٌ يدلُ على الطريق، وموثوقٌ به، وهو (النبي) من شأنه أن يقوم بالهداية للناس كافة، وله سكينةٌ ووقار في الهيئة والمنظر والشمائل والصفات وسِمَتَهُ يُتَشَبَّهُ بِهِ، وهو يتحرك على الدوام باتجاه الحق، والحق قضيَّتهُ، والنبي بيِّن وواضح وهو إمام ويحثُّ الناس على اتباع الطريق ويدل إلى الحق، فهو الطريق المميز والطريقة المثلى، وهو الإمام المثال لأمته وهو خيارهم، فهو طريق قومه، وهو الطريق للناس جميعاً من أجل وصولهم واتصالهم مع لله تعالى، إنَّ النبي، كلُّ نبيٍّ هو شريف أمته وقائدهم وإمامهم.

ونحن في هذه الدراسة العلميّة لم نشأ أن نجمع شتى الروايات المروية عن سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، جمعاً كميّاً، وذلك مثلما فعلت باقي كتب السيرة؛ ولا أردنا أن نجعل من هذا الكتاب (مجموعة تراجم) على النحو التقليدي المألوف لرجالٍ عظام كانوا ظهروا في عصر الرسول، وإنما ركَّزنا الاهتمام على حياة الرسول الأعظم، وحاولنا تسليط الأضواء على أثرها الفعّال ودورها ومكانتها العظمى في الحياة الإنسانيّة، داحضين ما كانت قد افترته الشعوبية الهدّامة عبر التاريخ، وما سببته من التلفيق والتشويه ومن

ولأعوانه وللمؤتمرين بأمره، صفة لهم أصبحت نعتاً دائماً، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ وهذا دليلٌ واضحٌ على أنَّ مهمة الشيطان (إبليس اللعين) قد تتعدَّى الناس الظاهرين، في هذا العالم، إلى المؤمنين من الجُنَّةِ في العوالم الأخرى، لأنَّ من معاني الناس المستأنسين الأنيسين المكشوفين البينين، الواضحين، الملموسين، وهناك ناس من الجان غير المرئيين، والجان هم ماخفيَ من المخلوقات الذين لايظهرون للبشر، ولا يُرَون أبداً، وهم في عوالم أخرى، ولكن الله سبحانه وتعالى يراهم، وفيهم المؤمنون وفيهم من يتأثر بأفاعيل وبرامج الشيطان فهو يؤثر فيهم في العالمين على حدٍ سواء، ويوسوس لهم، والله تعالى أعلم.

الافتراء، خصوصاً في كلامهم عن العرب قبل الإسلام ومقارنته بأوضاعهم بعد الإسلام، الطريقة الخاطئة التي أتقنتها الشعوبية وقدمتها عن عمدٍ، كحقٍ أريد منه باطل؛

المدخل

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الحديد: وهذه هي المقدمة الأساسية الضرورية للفكر الإنساني، فالسماوات والأرض (عوالم الغيب وعالم الوجود) وهم صاروا يشكلون (العرش) إنَّ العرش يتكون من عالمي الغيب والشهادة، ومفهوم الاستواء على العرش هو عينُ مفهوم الإرادة، والادارة والقيادة والتحكم والسيطرة والهيمنة والدفع والتفعيل والإمداد والمراقبة، إنه تحقيق الربوبية والمتابعة لما في السماوات والأرض، لذلك فقد سبح لله ما في السماوات والأرض، (الآية الأولى ـ المقدمة) .

فالعرشُ في اللغة هو موقع الملك إذا وجد وحيث يوجد، وهو مقرُّ القيادة، أو كرسي الملك الذي من عليه يحكم البلاد والعباد، فإذا وجد الملك وكان يمارس نشاطه فإنَّ ذلك المقر (الكرسي) يسمى (عرشاً) أما إذا غاب عنه الملك وكان شاغراً فلا يسمى عرش، إنَّ الله سبحانه وتعالى حيٌ لا يموتْ ولذلك فالعالم يعمل على الدوام بمشيئة الله تعالى، وقد سُميَّ (كرسيُّ الملك) عرشاً لأنَّ الملك من عليه يُصْدِرُ جميع أوامره فيطاع، أما إذا كان كرسي الملك شاغراً! فإنه لا يُسمى عرشاً، والله سبحانه وتعالى الذي خلق كل شيء ثمَّ أخضع عز وجل جميع الخلق إلى سلطته وأصبحوا يسبحون بحمده سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: (في ستة أيام) [1] فهو تعالى يأتي بالأنفس التي قرر ولادتها، والتي كانت في عالم الغيب، فإنه يأتي بها إلى الحياة، ويأخذ الأنفس ـ التي جاء أجلها ـ يأخذها من الحياة إلى

---

١ ـ (اليوم) هو مقطعٌ من (الزمن) والمشترك بينهما هو حرف (الميم) والميم إشارة إلى عالم الغيب وإلى التأكيد على احتواء لفظ (اليوم) على ماهية غيبية، إضافة لوجود حرف (القوة) وهو (الواو)، وهو يشير أيضاً إلى المشيئة الإلهية المطلقة غير المحدودة، وكذلك فإن مفهوم (الزمن) الذي يشير إلى احتوائه على غيب خالص، والذي يأتي كاملا من الله عز وجل، و(النون) الحرف النوراني إنه يشير إلى البداية والمنطلق والأساس.

فإذا بدأ اليوم عُدَّ مكتملا و(اليوم) هو (مدة) من الزمن، وليس (فترة) فما معنى (الفترة) ويقال (أن الفترة هي التي تكون بين نبيين) ففي (اليوم): حرف (الياء) يقع في البداية (بداية اللفظ) وهو يشير إلى السعة والاستيعاب والإلمام والاستغراق الكامل للحدث أي أن الوقت (في اليوم) قد استوعِبَ وهو يستوعب كامل الحدث (يوم القيامة) (يوم) (يم) (يافا) (يبرود) و(الواو) دليل وإشارة إلى القوة القاهرة المهيمنة و(الميم) تشير إلى المصدر والمآب وهو عالم الغيب، منه وإليه.

والوقت في المعجم: مقدار من الزمن، وكل شيء قدرت له حينا فهو مؤقت وكذلك فإن ما قدرت له غايته فهو مؤقت وهو نهاية الزمن المفروض للعمل ولذلك لا تكاد تقوله إلا مقيدا والوقت المقدار من الدهر وأكثر ما يستعمل في الماضي والجمع أوقات كالميقات ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [الأعراف] ﴿ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة]، ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء]، أي مفروضا في الأوقات المحددة والميقات الوقت المضروب للفعل والموضع ويقال هذا ميقات أهل الشام للموضع الذين يحرمون منه والهلال ميقات الشهر وتقول وقته فهو موقوت إذا بين للفعل وقتا يفعل فيه وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ ﴾ [المرسلات] ووقت موقوت وموقت أي محدود، والوقت تحديد الأوقات كالتوقيت، ووقته مثل اجلته، والتوقيت و(التأقيت) أن يجعل للشيء وقت يختص به وهو بيان ومقدار المدة، تبيان حدود الوقت قال تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان]، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

[الزمر] ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص] ﴿ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الصافات] ﴿ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يس] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة:١٩] ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣].

وحول العلاقة بين (الفترة) و(الرؤية) و(الرأي) من المحدودية والنهاية القريبة المغلقة نسبيا ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود] ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال]، ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود] ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الكهف] ﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[النمل] النظر والرأي والعلم، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج] ، بينما تقول العرب أنَّ في الولادة بداية العد باتجاه نهاية الحياة أو أنّ فيها بداية الخسارة؛ وقيل أيضاً أنَّ (الدهر) من أسماء الله الحسنى، ويقال أن الدهر هو مدة زمان الدنيا، فالدهر أو الوقت هو ما نقطعه في الحياة أو في الأعمال من الزمان، في اثناء الحركات وهو بين علامتين أو هو مدة زمان الدنيا وقيل أن الدهر هو (الزمان) قل أو كثر وقيل الزمان شهرين إلى ستة أشهر والدهر لا ينقطع أبدا فهما يفترقان وقيل أن الدهر هو الزمان الطويل، وقيل (الدهر) ألف سنة، وقيل أن الدهر في الأصل اسم لمدة العالم من ابتداء وجوده إلى انقضائه، بخلاف الزمان الذي يقع على المدة

عالم الغيب، ذلك أنه هو الملك وله المُلك في جميع العوالم، الغيبيّة والوجود، وهو تعالى قادرٌ على تحقيق كل أمر، وهو تعالى قديرٌ على كل شيء لأ، وهو سبحانه وتعالى الأول بلا بداية وهو الآخر بلا نهاية وهو عالم بالظاهر وهو عالمٌ بالباطن، لأنه إلهٌ وربٌ والمالك، لعام

الكبيرة والقليلة قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الكهف، والدهر يطلق على الأمد ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد] ، وشرط (اليوم) أنه مدَّةٌ من الزمن ترافقها ظروفٌ خاصة تترافق وتتناغم وتتجمع في وقتٍ قد يطول أو يقصر؛ وذلك بهدف إنتاج حالة محددة، لذلك فاليوم هو مرحلةٌ مُحددةٌ تتوالى وتتضافر فيها ظروفٌ وأحوالٌ وعوامل خاصة مترافقة متضافرة ينتج عنها نتائج مؤثرة في كل شيء، الإنسان والحيوان والنبات والسماوات والأرض وما بينهما.

والأيام أساساً هي الظروف الخاصة والشروط التي تتجمع في وقتٍ ما أو في زمنٍ ما، أو في أي وحدة من الوقت! تترافق وتتوافق وتتلازم أو تتالى لتنتج حدثاً ما أو خلقاً جديداً، فالظروف المناسبة هي توافق وترافق مجموعة من العوامل الطبيعيّة التاريخيّة والاجتماعية والنفسيّة والاقتصادية لتنتج حدثاً خاصّاً أو حالة خاصّة أو مجموعة من الأحداث في فترة ما من الزمان طويلة المدى أم قصيرة، فهي إمّا روحٌ وريحان أو عذابٌ بعذاب، وبالتالي أمّا أن تفضي إلى السعادة أو إلى الشقاء قال تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ} فصلت ١٦ وقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق : ٣٨] يعني في ستة مراحل أو في ستة وحدات زمنيّة مختلفة الظروف والعوامل والشروط، مرت بها عوالم السماوات وكذلك الأرض، وذلك حتى نضجت واكتمل خلقها، وصارت جاهزة ليحيا بها الإنسان .

وكذلك فإنَّ اليوم يعني أيضاً تعاقب الليل والنهار ؛ وهو أربعة وعشرين ساعة، وإنما على أنه جديدٌ ومختلف حتماً، وليس هنالك يوم مماثل لسابقه أبداً بشروطه وظروفه والعوامل المتوفرة فيه، فقط البلهاء والجهّال والعُجم والحمقى والذين لا يعقلون يُعدُّون توالي الأيام تكرارٌ لها.

ومن هنا فإنَّ العرب تسمي تعاقب الليل والنهار (يوم) وتسميهما الجديدان أو الحدثان، وذلك بما سيحتويان من الظروف والأحداث الحديثة، وفقط الدواب والجمادات فإنّها بالنسبة لها ليس لديها أوقات ولا زمن وليس احساسٌ بمرور الساعات، إنَّ الزمن والأيام والأوقات والساعات، هي فقط للإنسان الحر الواعي، وهي دائماً بالنسبة له آجالٌ جديدةٌ لا يتماثل فيها غَدُهُ مع أمسِهِ أبداً، إلا إذا أصبح عاجزاً ومسلوب الإرادة وفاقداً للصلاحيّة.

الدنيا (الأرض) وللآخرة (السماء) وذلك تأسيساً على الآيات السبقة في مقدمة السورة الكريمة.

إننا في فهمنا للقرآن العربي يجب أن نحاول الابتعاد عن الأوهام المضللة والمغلقة للعقول، لأنَّ القرآن حقٌّ وعلمٌ ومبين، وهو تعالى الذي خلق وأبدع العوالم جميعها، الغائبة والحاضرة، وذلك في ستة أيام... والأيام هنا (مفهومها) لا علاقة له بالوقت والله أعلم، ولكنها مجالات ووجوه ونوعيات أو أنماط أو مواد أولية أو طبائع ستةً، تألفت منها، وانبثقت عنها السموات والأرض، وولدت من بعضها الأشياء، ثم كانت مراحل طويلة ومتعاقبة، ملايين من السنين، إنها أكبر بكثير من الوقت الذي يمكن أن يتخيله الناس، إنها أكبر وأوسع نطاقاً من التاريخ والتأريخ، كل يومٍ منها عبارة عن مرحلة وماهيّة مختلفة عن سابقتها ولاحقتها، لكنها ذات صلة وارتباطات مختلفة في آن.

ومفهوم (اليوم) يشير إلى وحدة ما ولكن ضمن سلسلةٍ من الوحدات فمفهوم اليوم في القرآن ليس بالضرورة أن يعني تعاقب الليل والنهار، فهو قد يعني حين وقد يعني آن مطلق غير محدود أو دهراً وربما كانت قضية مجالات أو حالات أو أسس مختلفة، فحرف (الياء) في العربية يعني الديمومة والبقاء غير المحدد، و(الواو) هنا حرف القوة المطلقة السرمدية الجبارة، و(الميم) حرف الغيب أو الأشياء الواردة من عالم الغيب ... الماء والملح والسماء والمساء، (ويوم تقوم الساعة) أي عندما تقوم الساعة، و(اليوم الآخر) أي المجال الآخر أو الحدث الآخر، و(يوم القيامة) أي الحدث الذي ستقوم فيه القيامة، أو حين تقوم القيامة أو حين تحدث القيامة، { وفَطَرَهم: أي دلَّهم على الطريق، وأخضع المخلوقات جميعاً لأمره وأصبحت جميعُها تدور في فلكه، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ

وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ وهذا القول يتضمن ضمنه، أي ليس بوسعنا أن نقاتل في هذه الفترة وليس بمقدورنا القتال وليس من شأننا القتال وذلك بتأثير الخوف والرهبة.

المقدمة: الفهم من الله سبحانه وتعالى، وعادةً من تكون أبوابه مؤصدةً في وجه الطغاة المتكبرين والمتجبرين، والمتخاذلين؛ وهو مستحيلٌ عليهم بسبب بعدهم عن (الحق).

والحقُّ هو عكس الباطل؛ يبرُزُ من تلقاء نفسه، فقوته ذاتيَّة، وهو بالنسبة للمؤمنين العقلاء المتفكرين لا يحتاج إلى دليلٍ عليه، لأنَّ الحقَّ يعلو ولا يُعلى عليه، وهو واحد لا يتعدد؛ ولا يتجزأ؛ ولا يتناقض أوله مع آخره، ولا ينفي بعضه بعضاً؛ وليس فيه نسخٌ، وهو ليس بحاجةٍ إلى أسبابٍ لنزوله؛ ولا إلى من يُفسِّرهُ أو لمن يُبينهُ، إنه قائمٌ يقومُ بذاته، لا يحتاج لمن يقوِّمه ولا لمن يعينه، لأنه وهو المُعين، لذلك يجب أن يكون هو الإمام والدليلُ، فالإمام والدليل لا يحتاج إلى من يدَّله؛ أو لمن يُبيِّن له الطريق، بل الحقُ هو من يُبيِّن للناس الطريق، ولأنَّ الإمام إذا احتاج إلى من يدلَّه؛ فلا يعود إماماً، بله حقَّاً؛[1]

والحقُّ عام وشاملٌ، وهو للجميع، في الماضي ولحاضر والمستقبل، وفي الليل والنهار، وفي جميع البقاع، لا يتغيّر ولا يتبدل وهو لا ينتمي لأحد من المخلوقين، والحق هو الله تبارك

---

١ ـ وأسماء الله الحُسنى هي الطرق العملية أو مناهج الوصول إلى الحق، واتباع الحق، وليست مجرد كلامٍ نردده؛ قال تعالى:﴿ إِنْ هِيَ إِلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم:٢٣] إن لفظ (الله أكبر) في الآذان وفي الإقامة يجب أن يكون (الوقوف عليه) ساكنا بالسكون ولا يجوز تحريكها لأنها في اللسان العربي المبين ليست صفة ولا يجوز أن تكون صفة، ولا هي خبر ولا يجوز أن تكون خبراً! فما هي إذا؟ لأن الصفة تتبع الموصوف كما هو معروف، ولكن الوصف يقتضي رؤية الموصوف أيضاً؛ وأنت ترى الموصوف فتصفه، فمن الذي يستطيع رؤية الله تعالى فيصفه، فتعالى الله عم يصفون.

إذاً من الذي يدَّعي أن أسماء الله الحسنى هي صفات له سبحانه وتعالى عمَّا يصفون؟ الله أ في القرآن الكريم لم يقل أنها صفات؛ ولكن قال تعالى: {وَللهِّ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١٨٠] بل ذلك الادعاء هو ما تأولت به الشعوبية العجماء وهو لغوٌ أبعد ما يكون عن اللسان العربي المبين.

وتعالى، ووجوده عز وجل لدى العقلاء والذين يتفكرون، فهو لا يحتاج إلى دليلٍ، لأنه هو الحقُّ، وهو تبارك وتعالى المشرف على العقول، فلا يستطيع واحدٌ من البشر أن يقول، الحقُّ ما ارتأيته أنا، أو ما أفرضه أنا؛ لأنَّ الحقَّ يقوم بذاته؛ ليتبعه جميع العقلاء المتفكرين، أما العوام من الناس، غير المؤمنين، فلا سبيل لإقناعهم بالحق، لذلك غالباً ما يُساقون بالقانون والقواعد الصارمة، وبالأعراف والعادات والتقاليد الثابتة. فالحق حرٌ أشبه بالميزان لا أحد يتدخل به لأنه مصدرٌ رباني محض. واستجداء الحق بأسلوب التسول قضيّة فاشلة غير مجدية، لأنَّ الحق سلطان.[1]

فالقرآن العظيم مولِّد للأفكار ـ آياته ـ يتأتى من ذلك (التفكُّر) من خلال إعادة قراءة الآيات والتأمل فيها، إنَّ من خصائص القرآن العظيم، أنه لا يمكن فهمه؛ إلا إذا كان الدافعُ إلى قراءته وفهمه دافعاً إيجابياً بنَّاءً، وأنه (القرآن العظيم) لا يوصِلُ إلى نتيجةٍ بنّاءَةٍ، إذا كان الدافعُ إلى قراءته دافِعاً سلبياً أو نقدياً هدَّاماً؛ وقد مارسَتْ (الصوفية) و(السلفية) و(الشيعة) على طريق فهم القرآن العظيم أعمالاً تخريبيّة شيطانية مدمِّرة؛ بحيث حَرَفَتْ أفهام الناس ولَوَتْهَا وأَخْرَجَتْها عن الصواب[2].

١ – إن التفكير عمليةٌ فيها ثبات على الحق ودفاعاً عن الواجب، وتنطوي على وجود غاية يتوجب استمرار العمل للوصول إليها، وفيه تعبير عن الضمني ونشرٍ له، إنه بيان للحق واعلانٌ للواجب، ويُعَلِّمُ الإرادة، وهو كُلِّيٌ يوصل الحاضر بالماضي والخلف بالسلف، عن طريق المنطق، دون اهمالٍ أو تفريط، وهو أساساً فرض عينٍ على كل عربي مسلم صغيراً كان أو كبيراً فإنَّ عليه أن يفكر، وليس فرض كفايةً كما يروجون، ولا يجزئ أحدٌ عن احدٍ في واجب التفكير أبداً، في حالة الفرد أو في حالة المجتمع.

٢ – إنَّ (اللسان العربي المبين) والذي هو محض الحق المُبين، فكيف أثَّر (ابن جرير الطبري) به هذا التأثير البالغ؛ بحيثُ صار العرب أنفسهم يقدسون روايات الطبري، ويتخذوها بديلةً عن القرآن الرباني، ولا يقبلون ولا يرضون عنها بديلاً؛ وهم لا يدرون أن (الطبري) وغيره من المفسرين؛ إنما كانوا قد أعادوا كتابة القرآن الذي كان يقوم بذاته وكان مبيناً ومُبيِّناً من قَبْلِ (الطبري) وغيره، ولم يكن القرآن العظيم يحتاج إلى التفاسير، وهم يكررون مقولة (الطبري) وكلهم ثقةً وهم متأكدون

والحقُّ ليس نظرياً فحسب؛ وهو لا يتأتى بالكلام النظري المحرد؛ (الكلم النظري ثرثرة غير مفيدة) بل الحقُّ هو ما كان ممكناً، وقد تجسد بالنشاط والعمل؛ ما كان منتجاً إيجابياً ومجدياً بنَّاءً مفيداً، في كل زمان وكل مكان.

إن الفهم الحقيقي للقرآن العظيم، المنتج والمجدي والبناء، فهو لا يتأتى من خلال البعد عن الله تعالى، وإنما بالقرب منه، والدوام على الاتصال به عزّ وجل؛ إنه (الفهم) يتأتى بعلو النفسِ وقُربِها من الله تعالى وصونها عن الدنايا، والمذلَّات، والتِزامِهَا الفطرةَ السليمة، وارتفاعها وارتِقائها إلى الأعلى.

والتسليم بما فيه (للقرآن العظيم) أنَّ فيه نبأ المستقبل، وأنَّ عمله في المستقبل؛ وليس للماضي، وأنَّ فعله وفاعليته في المستقبل وليس للماضي أبداً، وقد جاء ذكر الماضي فيه للبيان وضرب الأمثلة، ولكنه (القرآن العظيم) جاء ليبين ويشرح الآتي في المستقبل، ولما كان المُرْسِلُ للقرآن العظيم ـ بالنسبة للمؤمن ـ هو الله - الخالق العظيم، لهذا الكون بما فيه، ولما كانت الرسَالةُ هي القرآن العظيم، وهو بالنسبة للمؤمن الإمامُ المُبين – الذي مهمته – أن يُبيِّن للناس، لذلك ليس من الوارد أن يكون الإمام مُبْهَمَاً!

(كالببغاوات) وعششت في ضمائرهم وشكلت عقائدهم، ومع اعترافهم بأنها كانت سبب كل مصائبهم ومنبع كل نكباتهم القديمة والحديثة ألم تكن كتابات الطبري (في التفسير والتاريخ) أساساً ومتكأً ومبرراً لكل التناقضات والخلافات الطائفية والنزعات الانفصالية والمناهضة لوحدة الأمة ألم تكن هي بعينها مرجعاً أساسياً لكل النزعات والمنازعات في الإسلام وطبعاً الطبري كان قد سلَّم الأمانة لمن بعده إلى الذين استسلموا لمقولاته، اولئك المروِّجون للبضاعة الساحرة السالبة المعطلة والمُبددة للطاقات، بحيث أصبح العرب المسلمون في حياتهم هائمون كما قال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الحج:٤٥]، لقد سبقتهم الأمم بعد أن جعلهم الله شهداء على الناس بوصفهم أنَّ الرسول والرسالة كان عليهم شهيداً، لقد قتلهم الطبري وعطل حياتهم دون إراقة أي نقطة دمٍ لقد أبعد التهمة عن نفسه وتم تحويل الناس العرب المسلمين في هذه الدنيا إلى مجرد أرقام، بينما يؤكد القرآن الكريم أن على كل واحد من العرب المسلمين عليه أن يكون الأول، وعليه أن يترك في هذه الحياة بصمَتَهُ ورسمَهُ وخصوصيَّتَهُ الإيجابيةِ الفذة.

والسؤال المهم والأساسي الذي دائماً ما يخطر على البال في هذه الآونة هو: إذا كان القرآن العظيم من عند الله تعالى، كما يعتقد المسلمون، وإذا كان هو الحقُّ وإذا كان للعالمين، ولا شك في ذلك، فهو كلام رب العالمين، لماذا إذاً يُعْرِضُ عنه ـ في هذه المرحلة ـ أكثر الناس العقلاء في العالم؟ وهو الآن يتعرَّض إلى هذا الكم الهائل من المؤامرات، أم أنَّ هذا القرآن العظيم، تنزّل ليكون فقط في المنطقة العربية؟(١)

هذا وإنَّ للفكر والتفكُّر باستمرار غَرَضٌ وغاية، وهو دؤوبٌ في البحث عن الحلول للقضايا والمشكلات والأزمات التي تواجه الإنسان كفرد وكمجتمع، لأنَّ الفكر في ركابه الحق، والفكر سلاح الحق والحق رائده، ومن أهم مهماته (الفكر) إزالة حالة، أو حالات الالتباس

١ ـ إن قارئ القرآن، إذا كان صادقاً في تَدَبّرِهِ للقرآن الكريم، فإن الله سبحانه وتعالى سيُفعّله، وسيجعل منه عالماً، وعالماً كبيراً، وسيفتح عليه وسيمده بالفهم وبالعلم الشامل وبالذكاء والمعرفة والقوة، إن القرآن العظيم مفاعل نووي، بل هو أكبر مفاعل نووي في العالم، يُفَعِلُ مخلوقات الله، يُخرجها من الظلمات إلى النور، إذا عرفنا كيف نفهمه، [يرجع الفضل، جميعه، إلى القرآن الكريم، فلولا القرآن الكريم، لبقي الناسُ في كل المجتمعات، في كل أنحاء العالم، على حالتهم الأولى، ومعروف أن احتكاك أوربة بالمسلمين، والأساس هو القرآن، كان هو الشرارة الأولى التي أشعلت التقدم العلمي والمعرفي عند الغربيين، في كل المجالات، والذي صاروا يرفلون به الآن، ويستعلون به على باقي مخلوقات الله في العالم؛

إن القرآن الكريم هو الذي فتح الباب، وهو الذي أنار في العيون وفي البصائر، لا أديسون، ولولا القرآن، لبقي الرومان روماناً، والبيزنطيون بيزنطيين، بدائيين ليس إلَّا[١]

وقد أُبْعِدَ العرب عن الفهم الحقيقي للقرآن، فلم يتمكنوا إلى الآن من التفاعل، أو التَفَعّل، ولا استطاعوا، إلى الآن، أن يستمدوا الدفقات من كتاب الله عز وجل، القرآن العظيم، ولا يزالون يمضون وقتهم في تجويد وتعلم التجويد.

وبالمناسبة فقد أمرنا ربنا بالتلاوة والترتيل، وليس بالتجويد؛ وكان علم التجويد قد بدأ مع مجموعة من العميان في العصر العباسي، الذين كانوا يبحثون عن عملٍ أو مهنةٍ يتكسبون منها، أو كانوا منها يسترزقون، فكان أن أجادوا فن تجويد القرآن الكريم، ثم نشأت المدارس، وصارَ لهذا الفن معلمون، لتعليم التجويد وقواعد التجويد، وتحول الأمر إلى هدف أساسي! وقبل ذلك لم يكن التجويد موضوعاً مهماً، ولا مطروقاً، ولا هو محبذ في حياة العرب والمسلمين، إذ تكرست حياة المسلمين لهذا الهدف؛ بينما لم يكن قبل ذلك يشكلُ شيئاً أساسياً، ولا يجوز أن يكون التجويد بأي حال بديلاً عن التلاوة والترتيل؛ التلاوة والترتيل الذي أمر به الله سبحانه وتعالى، التلاوة والترتيل الموصل إلى الفهم والذي يساعد على الوصول إلى الفهم.

والتعمية وشرح وتوضيح الأمور والأحداث والدلالة على الحق وبيانه، فالفكر مادة الحق؛ وهو يرمي للوصول إلى النصر والنجاح، والخلاص من الوضع الراهن؛ وتخطيه وتحقيق الانفراجات، وللتخلص من السلبيات والانتقال والارتقاء إلى الأفضل، لأنَّ الالتباس إذا حدث! فإنهُ يؤدي إلى عدم فقه الأشياء أو الأحداث من حولنا، ويحصل فيه انسدادٌ وتعميةٌ على الحواس تسبب الضياع وعدم الاستقرار وعدم فهم حقيقة الأمور؛ وبالتالي ففيه فقدانٌ للطريق الصحيح أو المنهج الواضح، وبعدها يقع الإنسان الفرد والمجتمع في الجدل العقيم[1].

أما الفكر فهو عين الفقه والفعل، وهو القدرة على التفريق بين الحق والباطل، مبنيٌّ على تكرار الفكِّ أي التحليل والتعامل مع كنهٍ الأشياء والمعاني والأهداف والغايات، ثم الربط والتأليف والتكوين والولادة للجديد، أي الابداع والتطوير والتحديث والتقدم إلى الأمام وتحقيق النصر، وليس فكراً ولا يُعدُّ فكراً البقاء أو المراوحة في المكان! (إنَّ المراوحة في المكان مجرد ثرثرة وكركرة ولعي وترداد لمقولات الآخرين ومضيعة للوقت واجترار ليس إلا) الفكر ليس خطفاً من الماضي أو من الغير من الأمم؛ ولكنَّ الفكر الحقيقي والأصيل جهودٌ تنبع من الذات ودائماً تقود إلى الفلاح وغايتها تحقيق النصر، إنه امتطاءٌ للأفكار في بحر الأفكار الصحيحة، ولأنه يعتمد على الفهم والوعي والانتباه والشعور الذاتي، فبعد أن تذوب في بوتقته كل المعطيات بتنوع مصادرها وتعدد اتجاهاتها واختلاف مستوياتها، لكنها بالنتيجة تهدف إلى القوة وإحقاق الحق، كما أنه ذاتيُّ الدفع (بقوة الله تعالى) ومن منبعٍ خاص ليس ولا يقبل الادعاء.

---

(١) ليس هنالك شيئاً اسمه (أن نحصل على كل شيء دون أن نقدّم أيَّ شيء)، إذ لا يمكن أن نحصل على أي شيء دون مقابل، فالشفاء الأكيد في الإيمان الاكيد، وذلك عندما يدرك الإنسان نفسه عندها يستطيع أن يفهم العالم، لأنَّ المفكر العلمي لا يعتبر الأشياء الخارجية مسببات، بل يدرك أنها نتائج؛ إنَّ زيادة المعرفة يجب أن تُفضي إلى الايمان الحق، المثابرة والعزيمة والثقة في النتيجة والنتائج الرائعة، يجب أن نبتهج لنجاح الأخوة والأصدقاء والأقرباء وأن نعتبره نجاحاً لنا، إذ لا بدَّ أن يكون العقل إنتاجياً وعملياته مثمرة، وإلا ضاعت الجهود سدىً.

ليس النضال في بذل الجهود فحسب، بل في صحة المسار وخيرية الطريق، والقدرة على تحقيق الأهداف العظيمة، وهذا يتطلب الصلة القوية بالله تعالى وتوفيقاً من لدنه ﷻ.

ورد لفظ (فكر) في القرآن الكريم في مختلف الصيغ (١٩) تسعة عشر مرة، وجميعها كانت من خلال الحركة، وليس فيها تجريد كما طرحته الفلسفة الغربية؛ وكان دائماً مقرونة بالعمل الإنساني، (الإنسان) الذي سخر الله ﷻ له ما في السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية: ١٣]

أنَّ فهم العقل ذاته قضيةٌ هي من أصعب المهام التي توكل للعقل، إنها محاولة فيها مجازفة ولكنها نبيلة وتعتبر من أرقى الأعمال قاطبةً، فالعقل ليس كتلة ماديةً ليدخل المختبر؛ ولكنه قدرة خفيَّةٌ تدفعنا إلى الربط والتقيّد بالحكم المنشَّأ بداخلنا، وهذا الحكم هو ما يُميزنا عن الحيوانات، إنَّ ما يجب التأكيد عليه بدايةً أنه عملٌ في المعنويات، فالفكرُ الجوهري الحقيقي والأساسي أنْ تَصْنَعَ وأنْ تُقَدِّمَ وأنْ تُعَلِّمَ أفكارك (أن تجعلها علامات) في هذا الوجود، أو أن تُصبح أفكارُكَ علامات في الحياة والواقع وعلى الطريق...، مثل الجبال الشامخات دلالات على الحق المبين، وهو فرقٌ عن الباطل والزائف والزائل، وفرقٌ بين الصح والخطأ وبين المستقيم والمعوج.

بينما الفكر الشكلاني المصنّع ليس بفكر؛ وإنَّ من صفات العقل الأساسيّة الموضوعيّة الاتزان والهدوء، وهو ضامنٌ لهما وكفيل، وبناءً عليه سيتمم ادراك الآخر كوجود أكيد (واقعي)، أو يتضمن أنه المقياس المشترك الذي سيتم فيه أيضاً انكار التناقض والخطأ والخرافة والهستيريا وكل ما يمكن أن ينهار تحت وطأة (تخامين الخيال)

وهذه الخواطر ليس الغرض منها أن تكون بديلاً أو تعويضاً عن الأفكار، التي من المفروض أن تنبعً من داخل كل إنسان عربي مؤمن بالله تعالى ويقرأ كتابه العظيم، ويتخذ من إيمانه قضيّةً له؛ ولكنها (الخواطر) مجردُ نموذجاً من التفكير، وتحريضاً وفاتحةً للبعض؛ من أجل أن يتفكروا أيضاً؛ فالتفكير في آيات الله تعالى واجبٌ على كل مؤمن، وهو فرض عين على كل إنسان يقرأ القرآن العظيم، وليس للبعض دون غيرهم.

فقراءة القرآن العظيم يجب أن تكون منتجةً ومجديةً وتؤدي إلى التحول من الأدنى إلى الأعلى، لأنَّ القرآن العظيم رافعةً إلى الأعلى ودافعةً إلى الأمام، ومحولاً من الخمول والموات والعدم، إلى الجدوى والإيجابية والإنتاجية والحرية، إنَّ القرآن العظيم كتاب الحرية[1].وكانت (الشورى) في محاورة الناس حول شؤونهم، وشؤون حياتهم، وليست، ولم تكن مبررا للإملاءات، ولتكريس وتسويد الظلم عليهم، والرسالات السماوية مهمتها الأساسية كانت في إزالة الحواجز والقيود والعقد والخرافات والأساطير والوثنية والكفر والإلحاد، فالتحرير وإطلاق القدرات والإمكانيات، كان جوهر كل الرسالات السماوية،

١ - والحرُّ هو الإنسان المستعد دائماً وكانت لديه قضيّة نبيلة لا يخاف، ويمتلك الشجاعة والإقدام...، وكان على بيِّنة من أمره، إنما شرطُ الحريِّة الفهم والوعي والإدراك والتفكُّر والتعقُّل، وليس للبهيمة ولا للجاهل ولا للمتخلف ولا للأعجم حريّة ولا خِيار؛ إنَّ الحرية قضيَّةٌ إيجابيَّة ومن لوازمها الوجدان والضمير وفيها تجسيدٌ للقيم والمبادئ والمثُل العُليا وتحقيقٌ لها على الأرض، فالحرية للحرِّ... وليس للعبد حرِّية؛ وهي تؤخذ ولا تعطى، وفيها رفضٌ تامٌ لكلِّ أشكال الخضوع والعبوديّة للآخر، وأنواع (الاستزلام) والهيمنة والتبَعَّيّة الفكريّة أو الثقافية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسيّة، وهي على الدوام طلبٌ وتحقيقٌ للسيادة الشخصيّة والوطنية، (فالسادة عادةً لا تطيق أطواق الحديد... لأنَّ عيش الذُّلِّ والإرهاق أولى بالعبيد)[1]، والحريّة بدايةً هي فهمٌ ووعيٌ وادراكٌ واحساسٌ بالحاجة إلى الخلاص من القيود والأغلال والآصار، كلَّ أشكال القيود الماديّة والمعنوية الداخليّة والخارجيّة.

إنَ الحريّة مفهومٌ إبداعيٌ إيجابيٌ بناء، وحالةٌ رائعةٌ من الإحكام المستمر والتصويب باتجاه الهدف المجدي والمثمر والمنتج والفعّال، ففي الحرية كسرٌ للقيود وتخلُصٌ من الخوف وسيرٌ إلى الأمام وتطلعٌ نحو العُلى، وليس فيها مراوحة في المكان؛ هذا وإنَّ القرآن الكريم هو كتاب الحرية ويجب فهمه على هذا الأساس، والأنبياء جميعُهُم كانت أولى مهامهم في هذا العالم إزالة القيود المادية والمعنوية التي كانت مُقَيِّدَةً للإنسان ومُعيقةً لحركته وفهمه وتحطيم جميع الآصار من على دربه، والعربيُّ مؤمنٌ وحُرٌ بطبعه لا يخاف، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ولكنها تحولت عبر الزمن، على أيدي رجال الدين المتخلفين إلى غطاء سميك يحجب الهواء النقي عن رئتي الإنسان.

وسورة (الزخرف) المباركة، فهي مِثْلُ باقي السور التي في القرآن العظيم، غنيَّةٌ بالأفكار ومليئةٌ بصور الحق المُبين، وفيها ملف الحوارٌ الشاملٌ والواسعٌ والعميقٌ، والمفتوح للناس جميعاً، المنطقي للخارجي الظاهر من الأمور، وللخفي الباطني الداخلي (للنفس ولواعجها)، وهو (هذا الملف) يُقَلِّبُ في برامج المُشركين، الظاهرة والخفية، ويُناقشهم ويناقش أفكارهم، ويُقَلِّب آراءهم جميعها؛ ثم يُبيِّن بالمنطق، بطلانها وبطلان ادعائها؛ وتهافت حججها جميعاً، إلى أن يكشف للمؤمنين بالحوار البناء، غرابة أوضاع المشركين، وتناقضاتها؛ والتي لا تستندُ إلى أي منطق سليم، ولا إلى أي رأي سديد، ولكن إلى ضياع وتشتت وتسيب وعدم، قال تعالى: ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [البقرة: ٦١]، لأن القضية بالنسبة لمن ألقى السمع وهو بصير لا تتعلق فقط بالتاريخ السياسي ولا بإنشاء الأحزاب والتنظيمات وإنما بالثوابت الربانية الطبيعيّة ثم بالقيم والمثل الإنسانية والحضارية.

إذ كيف يُضحون وبإصرار ليس له معنى، بالإسلام، الدين الحنيف، في مقابل الفلكلور واللهجة (اللغة) الأمر المبني على الوهم الكبير ليس إلا! تحت شعار الاستقلال والحرية، معتقدين أنها دعاوى "الانفصال" وأنها لا يمكن تجاوزها أو القفز عليها! قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ [الأحقاف: ١١].

والحل طبعاً ليس بالإقصاء والإلغاء أو بالاستبعاد لأية جهة أبداً، ولكنه يكمن في أن يقوم الجميع باتباع الحق وفي إفساح المجال للجميع في الحياة الحرة وفي تقديم ما ينفع الناس، إنه من المهم أن يكون هنالك تدافع بين الناس قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلا أَنْ

يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[يونس: ٣٥]   قال تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ [القلم: ٣٦]،قال تعالى: ﴿ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧]،

و(سورة الزخرف العظيمة)[1] مثلاً هي سورةٌ قديمةٌ من القرآن القديم، وقد كانت نزلت على الكثير من الأنبياء والرسل السابقين؛ الذين كانوا قد بُعِثوا في ما كان من القرون التي خلت، فهي تطرح القضايا الموجودة في كل عصر؛ و(الزخرف) هو متاع الحياة الدنيا، كل متاع الحياة الدنيا؛ إنه زخرف لأنه زائل حتماً؛ والخيار قائمٌ بين متاع الحياة الدنيا الممكن والقريب، وبين الآخرة المُغيبة والبعيدة شكلياً، وصعوبة الوصول إليها إلا على المؤمن، الذي يأتي الله بقلب سليم، قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾ ﴾ (الشعراء)، فليس الغرضُ من الآيات التي في القرآن العظيم (القصص) ليس الغرض منها رواية الماضي السحيق؛ وإنما التنبؤ بما سيجري في المستقبل القريب، لذلك وعند محاولة فهم القرآن العظيم، يجب توجيه الأنظار نحو المستقبل؛ وليس الانكفاء على النظر في الماضي وحيْثيَّاته، فدراسة التاريخ الحقيقي رؤية في المستقبل الحقيقي.

---

١ ـ الزخرف زينة كل شيء وهو الشيء غير الأساسي؛ والزخرف السمواتِ والأَرض.وزخرف: الزُّخْرُفُ: الزِّينةُ. ابن سيده: الزُّخْرفُ الذهب هذا الأَصل، ثم سُمِّي كل زِينةٍ زُخْرُفاً ثم شبه كلُّ مُمَوَّه مُزَوَّرٍ به. وبيت مُزَخْرفٌ، وزَخْرَفَ البيت زَخْرَفَةً: زَيَّنَه وأَكْمَلَه. وكلُّ ما زُوِّقَ وزُيِّنَ، فقد زُخْرِفَ. والزخرف نُقُوشٌ وتَصاويرُ تُزَيَّنُ بها البيوت والكعبةُ وكانت بالذهب فأَمر الرسول بها حتى حُتّت؛ ومنه قوله تعالى: ولبيوتهم أَبْواباً وسُرراً عليها يتكئُون وزُخْرُفاً؛ قال الفراء: الزخرف الذهب، وقال ابن الأَعرابي في قوله تعالى: زُخْرُفَ القولِ

غُرُوراً، أَي حُسْن القول بتَرْقِيشِ الكذِب، والزُخْرُفُ الذهبُ في غيره. وقوله عز وجل: حتى إذا أَخَذَتِ الأَرضُ زُخْرُفَها أَي زينتها من الأَنْوارِ والزّهْر من بين أَحْمر وأَصفر وأَبيض. وقال ابن أَسلم: الزُّخْرُفُ مَتاعُ البيت. والزخرف في اللغة: الزينة وكمالُ حُسْنِ الشيء. لسان العرب.

إنَّ الأحرف الواردة في مقدمات بعض سور القرآن الكريم ليست مجرد (أحرف أبجديّة) كما يتخيل البعض؛ بل هي برقيات ورسائل ورموز وإشارات، إنها مقدمات لعوالم أو مجالات أو مصادر أو مكونات ولابدّ أن فيها من الإعدادات المُعِدَّة، والتي تُعِدُّ الإنسان، كل إنسان إذا أراد، ومن أجل إيصاله إلى الأهداف المستهدفة في القرآن الكريم عموماً، وهي تهدف إلى بناء منظومة العقل والفكر لدى الإنسان والارتفاع به عن مستوى الدونيّة والانحطاط، وتقع دوماً على الباحثين الرجالات مسؤولية الكشف عن مكنوناتها، واستنباط دلالاتها واستشفاف معانيها العربية المُبينة المكتنزةً الأساس، واكتشاف أسرارها في السورة التي هي مطلعٌ لها؛ ومن الطبيعي أن تُناطَ أمثال هذه الأمور العوالي بأصحاب الهمم العالية! و﴿ حمٓ ۝١ ﴾ وردت في مقدمات مجموعة من السور دعيت بـ (الحواميم) وهذا الأمر ليس اعتباطياً بل مقصوداً وله دلالةً عظيمة يجب البحث عنها، إنَّ جميع هذه السور تتحدث عن الأمر الإلهي والبلاغ والإنذار للناس جميعاً بأنَّ كلَّ أتٍ آت، وأنَّ أمر الله تعالى قادمٌ لا محالة وأنه موجودٌ في نهاية الطريق الذي نحن جميعاً نسير فيه.

إنّ مفهوم (الآية) في (القرآن الكريم) يختلف كثيراً عمّا يعتقده الكثيرون ممن يدعون الفهم أو الاختصاص بتفسير (القرآن الكريم)! فهي لم تكن لتعني الكلمات المعدودة والمحدودة والمحصورة بين إشارتين أو بين رقمين في المصحف الشريف...أبداً (والتي أساس مُختَلفٌ عليها بين العلماء...)؛ و(آيات الكتاب) ليست أو هي لا تعني تلك المُفردات أو الألفاظ أو الجمل التي في المصحف، وإن كانت الكتابة التي في المصحف والنظم الذي فيه، فعلاً مُسَطَّرَةً بشكلٍ عجيب مُعجز...أي لا يستطيع البشر الإتيان بمثله...لأنّ الآيات أساساً كانت في الكتاب (القرآن) وليست في المصحف ... الذي بالنتيجة أو بالنهاية كُتِبَ بأيدي البشر؛ مع أنّ الكتابة فيه تُعتبر توقيفيَّة عن الرسول صلى

الله عليه وسلم ولا شك (طبعاً كانت غير منقطة وغير مشكلة وغير مرقمة وغير ملونة ولا تحكمها قواعد التجويد وليس فيها زخرفة ولا أنواع الخطوط) ولكنَّ مفهوم (الآيات) هو أساساً في ما أُنْزِلَ من السماء من الوحي....أو في ما أوحيَ به من عالم الغيب إلى جميع الرُسل والأنبياء صلى الله عليهم أجمعين وبالتالي إلى الناس من (أمر الله سبحانه وتعالى) الحسيّة والمعنوية، من الأمور الخارقة لطبيعة الأشياء التي أعتاد عليها الناس، إنها (الأمر الإلهي والقدرة الإلهية) التي لا يستطيع الناس الإتيان بمثلها مطلقاً. ..ولكنها كانت هادفة وتهدف إلى رفع قدرة الإنسان العقليّة وإلى النهوض بطاقاته الفكريّة وتوسيع مدركاته الحسيّة وليس مجرد (معجزات كما فهمها الجاهلون) !

هذه الآيات من مثل (طوفان سيدنا نوح) أو (غرق فرعون ونجاة سيدنا موسى وقومه) أو (ولادة سيدنا المسيح من أم بلا أب، وأنه كان يحيي الموتى بإذن الله سبحانه وتعالى) أو (قصة سيدنا يونس والتقام الحوت له ثم نجاته من الغم) أو {انتصار القلة من المؤمنين على الكثرة من المشركين في معركة غير متكافئة، مثل (بدر) و (الأحزاب) وغيرها وغيرها من الآيات...هذه ليست مجرد معجزات كما تصورها الجهلة الخاملون.

إنّ الآية الواحدة نجدُها مذكورةً ومنثورةً وموزَّعةً في رؤى متعددة في المصحف الشريف ضمن عدة سُور وفي عدة مواقع من المصحف ، ولالكثيرون.ها هي عبارة عن آية واحدة، ويجب فهمها على هذا الأساس، وبفاعليّة ولتُفَعِّلَنَا ولتحركنا ولتُحدث فينا الغرض الأساسي من وجودها في حياتنا، (يجب إخراج الآيات (التي في القرآن الكريم) من الحالة أو النظرة النظميّة أو الإنشائية ! فهي أساساً ليست المراد منها النظم والإنشاء؛ وليس المفهوم العربي للآية أنها مجموعة الألفاظ التي بين رقمين أو علامتين كما يظن الكثيرون ... أو أنها كامنة في الألفاظ والعبارات الخاضعة لقواعد اللغة والتعبير وغيرها

من موضوعات البشر. فليست قضية فهم الآيات متعلقةٌ في ترتيب النظم في المصحف ولكن يجب فهمها من عموم ورودها في المصحف الشريف وذكرها وأثرها المعنوي ككل في القرآن العظيم والله تعالى أعلم.

والقرآن العظيم والذي نزل من السماء، أساساً هو خطابٌ للأنفس العاقلة، والتي تعقل المعقولات (الآيات المنتشرةُ في أرجاء هذا الكون العظيم)، والتي لديها استعداد لتفعيل تلك المعقولات (الآيات) ، والتأثر بها في الداخل؛ وتفعيلها وإعادة إنتاجها إلى الخارج، سلوكاً إيجابياً مجدياً منتجاً بناءً، ومن ثم للتفكر، وللعمل على وحدة الذات والارتقاء بها والصعود إلى الأعلى والتقدم إلى الأمام، فالتفكر هو إعادة إنتاج ما دخل إلى إدراكنا من الآيات، أو ما أدركناه من الآيات، ثم عملنا على تفعيلها وإعادة إنتاجها وابداعها جديدة إلى الخارج؛ وكل نشاط ليس فيه إعادة إبداع وتكوين وخلق وإنتاج إيجابي مجدي ومفيد للمجتمع، فإنه لا يُعد تعقلاً ولا تفكراً، ولكنه خداع يخدع فيه الإنسان نفسه؛

القرآن العظيم هو كلام الله تعالى مهمته الأساسية أنه رافعةٌ للأنفس، وهو يتعامل مع الأنفس، وليمدَّها بالقدرة والامكانيّة، والفهم والادراك والوعي، والميزان، ويعمل على تربيتها (الأنفس) ورفع مستواها، وليس ولم يكن (القرآن العظيم) خطاباً للأجساد؛ ولا هو محركٌ للأجساد؛ وهو لم ينزل من السماء لكي يتوجه للأجساد؛ فهي (الأجساد) تستمد حاجاتها من الأرض.

بينما الأنفس مرتبطة بالسماء وتستمد معطياتها من السماء. و(الزخرف): هو تلوين وتمويه الواقع الحق وطمسه، أو محاولة تغييره وزحزحة الأمر والشيء والحدث عن حقيقته، وابراز الباطل مكانه، عن طريق التبرير وإيجاد المسوغات والبدائل من الجماليات والفن، وطلب السلامة والأمان والهدوء والسكينة وإشاعة السعادة والارتياح والاستغراق في

الأوهام، والغرق الطمأنينة ومتاع الحياة الدنيا (الرفاهيّة والرفاه) لتناسي الحق، وهو(الزخرف) غير حقيقي وسيذهب عاجلاً أو آجلاً، وهو الظاهر يعمل على اخفاء الباطن، وعلى كبت الحق ومحو الأساس والجوهر وطمسه واغراقه، وطلاء الظاهر بالمظاهر والألوان والأشكال المختلفة؛ بهدف إبعاد الحق المبين وتبديده ، وذلك لتسويغ قبول الباطل عند الناس بأي طريقة، و(الزخرف) يكون في الحياة وعند من يعشو عن ذكر الرحمن، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشيطان، أو يقترن وجوده بوجود الشيطان .

فليس صحيحاً أنّ معنى التدبّر في القرآن العظيم، منحصرٌ في الحفظ والدراسة والرواية! بل يتعداه إلىٰ التَفَكّر وتفهُّم الخطاب، وأكثرُ من ذلك، أنّ التدبر يعني التَفَعُّل والتفعيل، فالقائد الذي يدبِّر قيادته يفعِّلها، والمدير الذي يدبِّر إدارته، يفعِّلها أيضاً، يجعلها حيوية نشيطة، في حركة دائمة مفيدة ومنتجة، إنّ الله عز وجل الذي يدبِّر الأمر من السماء إلىٰ الأرض، يُفعِّل هذا الكون يُفَعْلِّ مخلوقاته ويمدهم بالحيوية وبالحياة، كل شيء بأمره يديره يفعِّله من السماء إلىٰ الأرض، يمده بالطاقة والحياة (هذا ويعمل المفاعل النووي، أو المفاعل الذرِّي علىٰ تفعيل المادة، وذلك عن طريق رفع حرارتها، إلىٰ درجات عالية وكبيرة جداً، آلاف الدرجات، ولمدد طويلة، بحيث تتحول مباني ذرات المادة، من ذرات لمعادن خسيسة أو رخيصة، مثل الحديد، لتتحول إلىٰ ذراتٍ لمعادن ثمينة، وباهظة مثل الذهب، وأكثر من ذلك فإذا استمر التسخين للمعدن في المفاعل النووي، فإنه بالإمكان تحويل هذا المعدن إلىٰ أشعّة حرارية أو ضوئية؛ ومعروفٌ أن كمية صغيرة من معدن اليورانيوم المخصَّب يمكن أن تأخذ سفينة فضائية إلىٰ القمر، وتعود بها إلىٰ الأرض وأن كمية صغيرة من اليورانيوم كافية لإضاءة مدينة بأكملها) وهذا قريبٌ جداً من معنىٰ التَدَبّر، إن التدبر في المعنى العربي يعني التفعّل، أو أن تَنْفَعِلَ بالقرآن العظيم، أي أن تتحول من كائن عادي إلىٰ أن تكون مشعاً ومضيئاً، وأن

تضيء كل من اقترب منك، أو نظر إليك، أن تمده بالطاقة والحيوية، هكذا كان الرسول ﷺ وهكذا كان الصحابة الكرام، لأن القرآن بالأساس هو الجامع ومنبع الحركة ومركز وبؤرة التفعيل للكون، ولجميع المخلوقات، وهو أشبه بالمولِّد للطاقة وللحيوية وللعلم، والممد لجميع مخلوقات الله ومن خلاله يتم الدفع والتحريك الإيجابي لا السلبي القرآن ليس ورقاتٍ مكتوباً عليها بين دفتين (القرآن ناموس الكون) والفرن العالي، الذي تتجوهر فيه النفوس والأرواح والعقول والأفهام إن من يقرأ القرآن ومن يحمل القرآن، ومن يجمع القرآن، ومن يرتل القرآن، عليه أن يكون مركزاً مشعّاً ومضيئاً ومنيراً ومعلماً رائداً عَلَمَاً ومحط أنظار، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ليؤمكم أقرأكم للقرآن، وأقرأكم يعني أجمعكم، وأجمعكم يعني أوعاكم، وأفهمكم للقرآن، إن قارئ القرآن، إذا كان صادقاً في تَدَبّرِهِ للقرآن الكريم، فإن الله تعالى سيُفعّله، وسيجعل منه عالماً، وعالماً كبيراً، وسيفتح عليه وسيمده بالفهم وبالعلم الشامل وبالذكاء والمعرفة والقوة، إن القرآن العظيم مفاعل نووي، بل هو أكبر مفاعل نووي في العالم، يُفَعِلُ مخلوقات الله يُخرجها من الظلمات إلىٰ النور، إذا عرفنا كيف نفهمه يرجع الفضل، جميعه، إلىٰ القرآن الكريم، فلولا القرآن الكريم لبقي الناسُ في كل المجتمعات، علىٰ حالتهم الأولىٰ، ومعروف أن احتكاك أوربة بالمسلمين، والأساس هو القرآن، كان هو الشرارة الأولىٰ التي أشعلت التقدم العلمي والمعرفي عند الغربيين في كل المجالات، والذين صاروا يرفلون به الآن، ويستعلون به علىٰ باقي مخلوقات الله في العالم؛ إن القرآن الكريم هو الذي فتح الباب، وهو الذي أنار في العيون وفي البصائر، لا أديسون، ولولا القرآن لبقي الرومان روماناً، والبيزنطيون بيزنطيين، بدائيين ليس إِلَّا[1]، وقد أُبعد العرب عن

(١) إن أوربة التي أخذت من العرب المسلمين كل أسباب البناء، واستفادت من العلوم العربية الإسلامية في الطبيعة والكون، إلىٰ أقصىٰ الدرجات، لأن ذلك كان ضرورياً لهم، لبقاء أجسادهم في القسم البارد من الكرة الأرضية، وتوفير

الفهم الحقيقي للقرآن ، فلم يتمكنوا إلىٰ الآن من التفاعل أو التَفَعّل، ولا استطاعوا، إلىٰ الآن، أن يستمدوا الدفقات من كتاب الله، القرآن، ولا يزالون يمضون وقتهم في تجويد وتعلم التجويد؛ وبالمناسبة فقد أمرنا ربنا بالترتيل وليس بالتجويد، وكان علم التجويد قد بدأ مع مجموعة من العميان في العصر العباسي، الذين كانوا يبحثون عن عملٍ أو مهنةٍ، يتكسبون أو كانوا منها يسترزقون، فكان أن أجادوا فن تجويد القرآن الكريم، ثم نشأت المدارس، وصارَ لهذا الفن معلمون لتعليم التجويد وقواعد التجويد، وتحول الأمر إلىٰ هدف أساسي وقبل ذلك لم يكن هذا الموضوع هاماً، ولا مطروقاً، ولا هو محبذ في حياة العرب والمسلمين، إذ تكرست حياة المسلمين لهذا الهدف؛ بينما لم يكن قبل ذلك يشكلُ شيئاً أساسياً، ولا يجوز أن يكون التجويد بأي حال بديلاً عن الترتيل؛ الترتيل الذي أمر به الله الترتيل الموصل إلىٰ الفهم ونذكر هنا أن الترتيل أمرٌ قديم أمر به الله كل الأمم السابقة، ولاتزال آثار وبقايا آثار هذا الأمر الإلهي موجودة لدىٰ النصارىٰ، في الكنائس بشكلٍ ملحوظ، وهي تنبينا عن أنها كان لها أصلٌ في اللسان العربي المبين! وكذلك يمكن ملاحظة الملاحظة نفسها، في عبادات وصلوات العديد من الديانات الأرضية المنتشرة في الهند وبلاد الفرس والصين وحتىٰ (الأنكا) والهنود الحمر، سيلاحظ أنهم جميعاً يرتلون، عند قراءة نصوصهم الدينية؛ إن الترتيل أمرٌ إلهى منذ الأزل، وقد انحرف هذا الأمر عن أصله العربي المبين، مثلما انحرفت باقي الأوامر؛ أشتاتاً أشتاتاً، كان الهدف من الترتيل العربي تعميق أثر المعنى للّفظ، وجعله يملأ الكيان كيان قارئه وكيان سامعه تاركاً أثراً لا يمحى، ومحولاً النفس الإنسانية إلىٰ طاقة إيجابية عاملة وبناءة، لا خاملة؛ ولا بائسة ولا يائسة، ولم يكن الغرض منه تجميل اللفظ أو بعث النشوة أو الغبطة

سعادتهم فيها؛ أما الروح، فإنّ الروح هي في مستوىٰ رفيع جداً لم تتهيّأ أوربة لتفهمه، وتوفيره لنفسها، وذلك من مأدبة القرآن الكريم، ومن سرادق الإسلام، الدين السماوي العظيم، (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين) مرجع سابق.

والسرور، وكذلك لم يكن الأمر أمر قراءة القرآن الكريم، وقفاً علىٰ المناسبات كما يفعل التجويد، إن الترتيل ترتيل القرآن يعني قراءة القرآن كما نزل، كما كان يقرأه الرسول ﷺ كما قرأه جبريل عليه الصلاة والسلام، كما سمعه من الله تعالى إن الترتيل أن يقرأ القرآن وأن يكون القرآن دائماً رطباً كما نزل. إن الترتيل يعمِّق الفهم والوعي العربي للنص العربي.

قال تعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ : إنهم يصفون! يصفون أمراً لم يشهدوه؛ ولم يشهدوا عليه؛ إنهم يشهدون الزور، لذلك فإنَّ كل مؤمن إذ ذاك سيلجأ إلى رب العالمين وسيكون أشدُّ التصاقاً والتزاماً بالحق، وقوله تعالى (سبحان رب السماوات والأرض) استمراراً وفي سياق الآية السابقة قوله تعالى: (قل إن كان للرحمن ولدٌ فأنا أول العابدين، قل ...سبحان رب السماوات والأرض) وقل أي كن من المسبحين ... أي أجعل عملك وسلوكك وفق إرادة الله تعالى، ولا تخرج عن نطاق أمره عزَّ وجل، والتزم أوامره تعالى ونواهيه، ودعك منهم (للمجرمين) حيال كفرهم واشراكهم، فإنَّ على المؤمن أن يلجأ على الدوام إلى الله تعالى، رب السماوات والأرض رب العرش العظيم، رب جميع العوالم، الحضور والغياب، والمتحكم بها جميعاً، لا يغيب عن علمه شيئاً منها، في الأرض ولا في السماء عز وجل، لكي لا تضيع في متاهة المشركين المجرمين فتهلك كما هلكوا،

وأعقبْ هذا الرد المُفحم على المشركين، بلجوئك إلى الله تعالى، وابقى على صِلَتِكَ به، وعهدك معه جلّا وعلى، واعمل على أن تكون باستمرار على مساره تعالى، وخطه الذي لا يَحِيد، ووفق مشيئته سبحانه وتعالى، رب السماوات والأرض رب العرش العظيم، أي استمر بطاعته والخضوع إليه وحده تعالى، لأنه رب السماوات والأرض، فهو خالقهم وهو القيِّم عليهم، وعلى كل ما فيهم، وهو يعلم كل ما فيهم، فهو تعالى رب العرش العظيم،

فهو القائد والمدير والمهيمن وإرادته هي النافذة في هذا الكون الواسع العظيم، ويخضع إليه كلَّ ما فيهم، وهو تعالى منزّهٌ عمّا يصفون، أو يتخيلون، أو يتوهمون، لأنهم إنما يتبجحون دون دليل، فهم يصفون أموراً دون أن يشاهدوها، أو يدركوها... وهذا هو عين الكذب، إنهم يشهدون شهادة الزور؛

فالسيرة النبوية يجب أن لا تضيق لتنبني على الحالة العائليّة للرسول العربي المبين صلى الله عليه وسلم، بل هي يجب أن تكتب لتسليط الأضواء على منجزاته العُظمى العميقة الأثر في حياة الناس وأفكارهم صلى الله عليه وسلم، و(النبأ) هو الخبرُ في المستقبل؛ عما سيحصل في المستقبل، بينما (الخبرُ) عمَّا حصل في الماضي؛ و(سورة النبأ) في مقدمتها تؤكد على أهمية السؤال القوي عن الأنباء القيّمة والعظيمة[١]، وعن الذي هم فيه مختلفون، أي الذي هم يجهلونه ولا يعلمون عن حقيقته شيئاً، ولذلك هم فيه مختلفون؛ لأنهم ضيَّعوه وتجاهلوه وأهملوه، ولكنهم سيعلمونه بعد حين..عندما تتكشف لهم الأمور، بل سيُعرضُ عليهم علمه أولاً في الحياة الدنيا عندما يتقدمون فيها قُدُماً، ويتعرضون للظروف المختلفة والتجارب والفتن والنكبات والمحن والمشاهدات والتأملات، وثانياً... فهم سيعلمونه حتماً، العلم الأكيد، في يوم القيامة، وهم هنالك سيتأكدون بالمشاهدة وباليقين، وسيؤمنون به؛ ولكن بعد فوات الأوان حيث لا عمل هناك بل حساب.

---

١ ـ فالصبر العربي، صبرٌ على الأيام، صبرٌ على ما أمر به الله عز وجل، على ما هو من الله سبحانه وتعالى، على ما هو من أمر الله، الذي لا إله غيره، التكليف والابتلاء على ما هو فتنة من الله للإنسان، صبرٌ عن تحقيق شهوة، أو تلبية دافعٍ من الدوافع الغريزية، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بالجهاد والتناحر مع أعداء الله سبحانه وتعالى وأعدائنا، وأن لا نستكين، وأن نُعَّدَ الإعدادات ؛ ما استطعنا من كل أنواع القوة والوسائط السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وأن يكون العرب والمسلمون المؤمنون دائماً جاهزون للذود والدفاع عن حياض الوطن، وثقتهم بالله العلي العظيم كانت هي مصدر ثقتهم بقدرتهم على هزيمة أعداء الله وأعدائهم، ولا خير على الإطلاق بإنسان لا يوجد لديه حسٌّ بضرورة الجهاد ضد الأعداء، لأن الحرية لا يمكن أن تنال بالسؤال الذليل وإراقة ماء الوجه، والاستجداء والانتظار كالعبيد المقيدين، بل تؤخذ وتُنال بالمناجزة، وبالمصابرة في الثغور، وعلى الحدود، والدفع والاندفاع إلى الجهاد، بشرط الإيمان والوعي والعلم والمعرفة، والتخطيط والإعداد، فما بال العرب المسلمين اليومَ مستموتون لا نبض فيهم؟

والسؤال في القرآن الكريم دائماً يكون بالله تعالى، والأرحام، والذكر وعن يوم القيامة وعن النعيم وعن علم الساعة والجبال والروح وعن الحلال وعن المحيض واليتامى والانفاق وعن الخمر والميسر وعن الشهر الحرام والأهلة والمواقيت.

والقرآن العظيم وهو كلام رب العالمين الأساس أنه للأولى وليس للآخرة، وهذا هو الفرق بين الفهم العربي للقرآن العظيم والفهم غير العربي الصوفي والسلفي والشيعي، الذي أغرب بالقرآن وجعل فهمه من خلال التفاسير أعجمياً بكل معنى الكلمة.

والواقع أنه من أجل فهم القرآن العظيم فهماً حقيقياً صحيحاً ودقيقاً، يجب استبعاد ما سُميَّ بعلمي (الناسخ والمنسوخ) و(أسباب النزول) تلك الأمور التي اخترعها أو تصورها أو تخيلها المشتغلون بالتفسير التقليدي، إنهم لمّا لم يستطيعوا فهم بعض الألفاظ في القرآن العربي المُبين، أولاً توهموا نسخها؛ ثمَّ توهموا لها أسباباً محددة لنزولها؛[1]

مثلاً عندما يسأل الإنسان نفسه أنَّ البناء، أيَّ بناء، ما الذي يُقَوِّمَهُ أو ما الذي يرفَعُهُ؟ فإنَّ من الطبيعي أن يصل بفكرهِ إلى وجود الأساسات من تحتِهِ ! قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ

١ ـ لقد وردت لفظة (أفتنا) و(أفتوني) و(تستفتيان) و(فاْستفتهم) في القرآن الكريم عدة مرات وكانت الفتوى في جميع تلك الصيغ، بمعنى الجواب الشافي والمفيد عن السؤال الذي له علاقة بالأحكام، أو الشرع، أو ما هو على علاقة بعالم الغيب؛ أما الاستفتاء فيعني السؤال نفسه عن التشريع، أو مواضيع بعالم الغيب، مثل تعبير المنام، وفي المعجم: ليس الفتى بمعنى الشاب والحَدَث؛ إنما هو بمعنى الكامل الجَزْل من الرجال، وأفتاه في الأمر: أبانه له، ويقال: أفتيت فلاناً رؤيا رآها إذا عبرتها له، وفي الحديث أنّ قوماً تفاتوا إليه أي تحاكموا إليه وارتفعوا إليه بالفتيا وأفتيته في المسألة: إذا أجبته عنها، والفتيا تبيين المشكل من الأحكام، وأصله من الفتى وهو الشاب الحدث السن، الذي شبَّ وقويَ، فكأنه يُقوِّي ما أشكل ببيانه فيشبُّ ويصير فتياً قوياً (هل هو التجديد!) وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً؛ وفي الحديث: الإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك الناس عنه وأفتوك، أي وإن جعلوا لك فيه رخصة وجوازاً، وعن الهروي: والتفاتي التخاصم، والفتيا، والفُتْوى، والفَتْوى، ما أفتى به الفقيه، الفتح في الفتوى لأهل المدينة، (والمفتي من المكاييل، أوهي اسمٌ للمكيال عند العرب).والله سبحانه وتعالى أعلم. راجع لسان العرب، للعلامة ابن منظور، دار التراث العربي، بيروت

وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ۝٢٠﴾ الكهف.

أما إذا : وظلّ يُعْرِبُ عن اعجابه به وبشكله؛ فإذا بقي في هذه المرحلة قروناً، فلن يكون منتجاً ولا فاعلاً ولا مفيداً، إنه بالطبع سيكون قد خسر عمره دون تحقيق أي شيء، إنَّ طبيعة السؤال تحدد مستوى التفكير.

قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾: عن ماذا يتساءلون فيما بينهم؟ ما هي طبيعة الأسئلة التي يسألونها عادة فيما بينهم؟ إنهم دائماً مهتمون بالأنباء بمجرد الأنباء (فقط المعلومات والأخبار) عن الماضي والحاضر والمستقبل؛ دون أي وعي ولا فهم ولا ادراك؛ وفقط لمجرد التلبية ولمتعة ولذّة المعرفة،... حتى لو كانت غير مثمرة وغير مفيدة، ولا تعكس عليهم بالمحصّلة أية نتيجة إيجابية بناءة، ثمّ إنهم يكذبون بها وهم لا يؤمنون بالحق بل يعرضون عنه؛ ولذلك هم مختلفون حول تلك النتائج وتلك المعلومات، لأنها غير حقيقيّة ولم تكن تهدف إلى الحق بالأساس[1].

والخطاب هُنا يتحدث عن الناس جميعاً، في جميع العصور، فهم ولا شك يتساءلون باستمرار، فالأسئلة مفاتيح العقل والفكر ومن خلالها يلج الإنسان إلى الحق، لذلك هي مشروعة وواجبة ولكن ما هي طبيعة أسئلتهم؟ ويلفت القرآن العظيم أنظار الناس جميعاً إلى ضرورة أن تكون أسئلتهم، الأسئلة الهامة والمنتجة وذات الجدوى، وإلى الطريقة الصحيحة في لسؤال الصحيح والمنتج والمفيد، وليس الأسئلة غير المنتجة وغير المفيدة والتي لا تقدم للإنسان شيئاً على الإطلاق!

قال تعالى:﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ـ: وهل هم يتساءلون عن نبأٍ مهم وعظيم؟ أم أنهم يضيعون أوقاتهم وأعمارهم في أسئلة ليس لها أية نتيجة أو فائدة مرجوة! ويوجِّهُنا رب العزةِ إلى

---

١ ـ إن المقدمات الصحيحة توصل دائما إلى نتيجة واحدة صحيحة، ويلتقي عليها الأخيار، بينما المقدمات الخطأ توصل دائما إلى نتائج عديدة وكلها خطأ ويختلف عليها المتخلفون! فالسفينة التي تفقد الاتجاه الصحيح تصبح جميع الاتجاهات بالنسبة لها خطأ؛ والواقع يؤكد أن العبقرية كلها تتجلى عند صناعة أو بولادة السؤال المنطقي والصحيح، وفي المبادرة إلى طرح السؤال الأساسي للمشكلة، وبعد ذلك فإن الجواب سيأتي في جميع الحالات؛

النبأِ العظيم الذي يجب أن نسأل عنه ويكون محور اهتمام الناس دائماً؛ لكنَّ أعظم نباءٍ يهم الإنسان على الإطلاق هو النبأُ الذي يُنبئ عن الحق وعما سيؤول إليه الأمر في المستقبل، أمره في النهاية ... يوم الفصل، وهل هو ذاهبٌ إلى الجحيم أم إلى النعيم؟

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ ﴾: الناس يختلفون عادةً في ما يجهلونه وفي ما لا يعلمون عنه شيئاً، لأنهم ضيّعوه وأهملوه ونسوه، وسبق أن تولوا عنه، في حين أنهم كان من المفروض أن يهتموا به ويحافظوا عليه ويعتنون بالتنبؤ عنه في كل حين.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾: ولكنهم بعد الزجر والتقريع سيعلمون عنه كل شيء، أولاً في الحياة الدنيا عندما يتقدمون بالعلم والوعي، ويتعرضون للتجارب والظروف والمشاهد والفتن والمحن. فالكبير ليس كالصغير، والعالم ليس كالجاهل.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾: ثمَّ أنهم حتماً سيعلمون في الآخرة يوم القيامة، كلَّ العلم، بل العلم الأكيد واليقين، وسيرونه عياناً وسيؤمنون به الحق المبين، ولكن بعد فوات الأوان، حيث لا عمل بل حساب.

والأنبياء: هم الذين تنبؤوا لأممهم وبشروهم وأنذروهم، ودعوهم إلى الإيمان بالله تعالى رب العالمين، وأنذروهم بوجود الآخرة، وكانوا لأممهم وللناس من بعدهم السراج المنير، أرسلهم الله تعالى رحمةً للعامين، ليكونوا أمناءً على الوحي لأممهم وكانوا شهوداً على تلك الأمم، وكل نبيٍّ علمٌ لا يحتاج إلى تعريف، لأنه بذاته علامة تدل على الطريق، وهو مُعَلِّمٌ للخير ويَدلُّ عليه، على السراط المستقيم، إمامٌ وقدوةٌ ومعَلِّمٌ ومنذرٌ، يُستَدَلُّ بهِ، فهو بذاته عنوانٌ قائمٌ للناس على مر الزمن، وقد أصبح في نظر الناس جميعاً كالمكان الثابت الذي لا يزول؛ معروفٌ ومُرسلٌ بالمعروف، لذلك فأسماء الأنبياء كلها معرفةٌ أعلام، والأنبياء هم الطرق الواضحةً والمذاهب التي على الناس أن يذهبوا فيها، لأنها جميعاً توصل على الحق، وهم جميعاً مع الحق ضدّ الباطل، وهم مكلفون ومرسلون من الله تعالى، ومتنبئ أي على يقين، وهو بذاته آيةٌ لله تعالى

وهو ليس لا عباً ولا لا هياً ودائماً يأخذ على عاتقه أمر حماية الناس والإحسان إليهم، وإنقاذهم من الشيطان.

والنبي دليلٌ يُستدلُّ به، وهو دالةٌ يَدلُ على الطريق، وموثوقٌ به، وهو (النبي) من شأنه أن يقوم بالهداية للناس كافة، وله سكينةٌ ووقار في الهيئة والمنظر والشمائل والصفات وسِمَتَهُ يُتَشَبَّهُ بِهِ، وهو يتحرك على الدوام باتجاه الحق، والحق قضيَّتهُ، والنبي بيِّن وواضح وهو إمام ويحثُّ الناس على اتباع الطريق ويدل إلى الحق، فهو الطريق المميز والطريقة المثلى، وهو الإمام المثال لأمته وهو خيارهم، فهو طريق قومه، وهو الطريق للناس جميعاً من أجل وصولهم واتصالهم مع الله تعالى، إنَّ النبي، كلُّ نبيٍّ هو شريف أمته وقائدهم وإمامهم.

والنبي عريفٌ على أمته، يُعرَفون به، وهو قرنٌ لهم، وهم مقترنون به، وسيكون يوم القيامة شاهداً ونقيباً عليهم، من منزلةٍ رفيعة، فهو العريف وهو الصاف والموقف لهم والمُرشد، وأتباع كل نبيٍّ يعرفهم ويعرفونه، وهو سينظرهم على الأعراف، ليعرِّف بهم، علمٌ لمن جاء بعدهم، على نهجه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ {٧٥} وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ {٧٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {٧٨} سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {٧٩} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٠} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {٨١} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ {٨٢} وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ {٨٣} إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {٨٤} ﴾ [الصافات: ٨٤].

العربي كل ما كان موصولاً بالله سبحانه وتعالى والأعجمي ما كان بخلاف ذلك

إن كل ما هو موصولٌ بالله تعالى فهو عربي[1]، وكل ما هو بخلاف ذلك فهو أعجمي، وهذا ما عنته الآية الكريمة[2]: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ

(١) وبعيداً عن القواميس والمعاجم والتفاسير! التي كان أكثرها من صنع أناس جزاهم الله عنا وعن العرب وعن المسلمين كل خير، فعلى الرغم من أهمية كل تلك الجهود وعظمتها، إلَّا أنَّ كون أكثرهم، الذين اشتغلوا بتلك الأعمال العظيمة والمجالات القيِّمة، كانوا أكثرهم، من غير العرب أساساً، أو أنهم عرب، ولم يشعروا بأهمية التأكيد على الانتماء للعرب، وقدسية هذا الانتماء، فكانت هذه هي الحلقة المفقودة، في تلك الأعمال الجليلة والرائعة والعظيمة، والتي ما من شكٍ في أنّ حضارة العالم، قامت عليها، وأن العرب الذين اشتغلوا في علوم اللغة العربية، والمعاجم، وفي التاريخ العربي والإسلامي، وفي التفاسير عامةً، كانوا قد نحو نحوهم؛ كانوا قد تناسوا وتجاهلوا الحقيقة، والشعور الحقيقي؛ ألا وهو الانتماء للعرب، وأهمية وقدسية هذا الانتماء دينياً.

٢ – إنّ مفهوم (الآية) في (القرآن الكريم) يختلف كثيراً عمّا يعتقده الكثيرون ممن يدعون الفهم أو الاختصاص بتفسير (القرآن الكريم)! فهي لم تكن لتعني الكلمات المعدودة والمحدودة والمحصورة بين إشارتين أو بين رقمين في **المصحف الشريف...أبداً (والتي أساساً مُختَلفٌ عليها بين العلماء...)؛ و(آيات الكتاب) ليست أو هي لا تعني تلك المُفردات أو الألفاظ أو الجمل التي في المصحف، وإن كانت الكتابة لتي في المصحف أوالنظم الذي فيه ، فعلاً مُسَطَّرَةً بشكلٍ عجيب مُعجز...أي لا يستطيع البشر الإتيان بمثله...لأنّ الآيات أساساً كانت في الكتاب (القرآن) وليست في المصحف**...الذي بالنتيجة أو بالنهاية كُتِبَ بأيدي البشر؛ مع أنّ الكتابة فيه تُعتبر توقيفيَّة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا شك (طبعاً كانت غير منقطة وغير مشكلة وغير مرقمة وغير ملونة ولا تحكمها قواعد التجويد وليس فيها زخرفة ولا أنواع الخطوط) ولكنَّ مفهوم (الآيات) هو **أساساً في ما أُنْزِلَ من السماء من الوحي**...أو في ما أوحيَ به من عالم الغيب إلى جميع الرُسل والأنبياء صلى الله عليهم أجمعين وبالتالي إلى الناس من (**أمر الله سبحانه وتعالى**) الحسيّة والمعنوية، من الأمور الخارقة لطبيعة الأشياء التي أعتاد عليها الناس، إنها (**الأمر الإلهي والقدرة الإلهية**) التي لا يستطيع الناس الإتيان بمثلها مطلقاً...ولكنها كانت هادفة وتهدف إلى رفع قدرة الإنسان العقليّة وإلى النهوض بطاقاته الفكريّة وتوسيع مدركاته الحسيّة وليس مجرد (معجزات كما فهمها الجاهلون) !

هذه الآيات من مثل (**طوفان سيدنا نوح**) أو (**غرق فرعون ونجاة سيدنا موسى وقومه**) أو (**ولادة سيدنا المسيح من أم بلا أب، وأنه كان يحيي الموتى بإذن الله سبحانه وتعالى**) أو (**قصة سيدنا يونس والتقام الحوت له ثم نجاته من الغم**) أو {**انتصار**

القلة من المؤمنين على الكثرة من المشركين في معركة غير متكافئة، مثل (بدر) و (الأحزاب) وغيرها وغيرها من الآيات ...هذه ليست مجرد معجزات كما تصورها الجهلة الخاملون} .

إنّ الآية الواحدة نجدُها مذكورةً ومنثورةً وموزَّعةً في رؤى متعددة في المصحف الشريف ضمن عدة سُور وفي عدة مواقع من المصحف ، ولكنها بمجملها هي عبارة عن آية واحدة، ويجب فهمها على هذا الأساس، وبفاعليّة ولتُفَعِّلَنَا ولتحركنا ولتُحدث فينا الغرض الأساسي من وجودها في حياتنا، (يجب إخراج الآيات (التي في القرآن الكريم) من الحالة أو النظرة النظميّة أو الإنشائية ! فهي أساساً ليست المراد منها النظم والإنشاء؛ وليس المفهوم العربي للآية أنها مجموعة الألفاظ التي بين رقمين أو علامتين كما يظن الكثيرون ... أو أنها كامنة في الألفاظ والعبارات الخاضعة لقواعد اللغة والتعبير وغيرها من موضوعات البشر . فليست قضية فهم الآيات متعلقةٌ في ترتيب النظم في المصحف ولكن يجب فهمها من عموم ورودها في المصحف الشريف وذكرها وأثرها المعنوي ككل في القرآن العظيم والله تعالى أعلم.

لذلك فإن مفهوم (الآية) في القرآن الكريم هو (الفعل والإرادة الإلهية) حِيَال كل قصة من القصص الواردة في القرآن بهدف الإتباع والدلالة على الحق المبين، وقد كانت (الآيات الإلهية) مفاصل أساسية في (الفكر البشري) أسهمت في تطوره التطور الحقيقي والنوعي ... في قفزات ، وشكلت فيه منعطفاً تاريخيّاً، ولولا تلك الآيات المبينة لبقيت البشرية في مرحلة بدائيّة بهيميَّة ،ولكن العناية الإلهية قد تدخلت وأدركت الإنسان ودفعته دفعات عن طريق الآيات الإلهية في عقله وفكره ويقينه، فرفعت مستوى وعيه وإدراكه وفهمه ، ولكن الإنسان كان ظلوماً جهولاً غاشماً مُعرضاً؛ وهكذا شكلت الآيات الإلهية المحركات والمولدات والمحرضات والدافع للتفكُّر والنهضة العقلية عند الإنسان عبر تاريخه (وليست قضيّة الآيات أو مفهوم الآيات منحصرٌ في مجرد النظم المسطر على صفحات المصحف الشريف، على أنَّ النظم في المصحف لا شك أنه توقيفي رباني وفيه قمة البلاغة وغاية الحسن) ولكن الآيات الإلهيّة كانت السبب الرئيس الذي أبعد الإنسان شيئاً فشيئاً أو رفعه (البشر عن حالة الحيوان، وجعلت الفرق شاسعٌ بين الإنسان والبهيم ، في حين كان الإنسان البدائي في فكره واعتقاده؛ أقرب ما يكون من البهائم فأنقذهُ اللهُ سبحانه وتعالى على مراحل بالآيات البينات.

لذلك فحيثما وردت (إذ) مثلاً علينا أن نتصور حجم (المُعطى الإلهي النوعي البالغ والخطير) على أنه يشكل المنعطف التاريخي في حياة الإنسان على الأرض، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة)، أو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (البقرة)، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا

أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل:١٠٠-١٠٣]، إنَّ الله سبحانه وتعالى يُعَلِمَنَا أَنَّ الكتب السابقة هي آيات كانت من لدن رب العالمين) نزل بها روح القدس بالحق، وقد كانت منذ أن نزلت هذه الكتب للذين آمنوا هدى وبشرى، ولكنها عندما انحرفت، واختلطت فيها الأمور، ما كان من عند الله سبحانه وتعالى، مع ما كان من عند الكتبة؛ فإن هذه الكتب جميعها، لم تعد عربية مبينة، بل لقد أصبحت أعجمية وغير مبينة، وبلسان غير مبين، وكانت الآيات السابقة من السورة نفسها توضح هذا الأمر فقالت، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النحل:٤٣-٤٥]. ومفهوم الآية تعني الإبداع أو الخلق الإلهي، وهي بحد ذاتها مثال عن غير مثال، فكل ما في هذا الكون من الأشياء والأمور والأحداث هي

لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ (الصف): أو قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ (التحريم)، إن المقصود من لفظ الآية في القرآن الكريم هو كل (القصة أو مجمل الحدث) الذي أنزله الله سبحانه وتعالى وبينه لنا في مجمل الكتاب في العديد من الجُمَل والألفاظ في مختلف المواقع ومختلف السور في المصحف، ليكوِّن محطةً أساسية في مشوار الوعي عن الإنسان وليس مجرد بعض الجمل المحدودة بين رقمين من الأرقام أو إشارتين من الإشارات في المصحف والله تعالى أعلم .

آياتٌ أبدعها رب العالمين جلا جلاله، جديدةٌ من غير مثال،[1]...فهي تهدف إلى الهدف...ومن خلاله، إلى الله سبحانه وتعالى إلى (التوحيد)، ومفهوم (الآية) في القرآن العظيم هو: العمل والانجاز الرباني الجديد والمُبتكر، المنشأ والمصدر، والذي تم برهاناً على صدق الرسول، وهو لا يمكن للناس عمل مثله؛ لأنَّ الله تعالى أعلم وهم لا يعلمون، وهو من أجل تطوير عقولهم ورفع مستواها...وليس لإعجازها، والسؤال الإنتاجي العظيم، هو هل أحدٌ من الناس التفت إلى تلك الآية العظيمة وفكر بها واستنتج منها العلم وأدرك الحكمة

لذلك كان ما يفترونه، عن القرآن الكريم، وهو ما أشكل عليهم، كونهم كفاراً ومشركين، وقولهم أن هذا القرآن الكريم، ما هو إِلَّا كتاب مستوحى من الكتب السماوية السابقة؛ ويحاكي الكتب السابقة، وقولهم أن الرسول (يريد أن يكون هذا القرآن بديلاً عن تلك الكتب؛ إن الله سبحانه وتعالى يعلم كلَّ هذه الخواطر والأفكار والنظريات المفتريات، وهو سبحانه وتعالى يجيب منطقياً على أولئك الذين كان وليهم الشيطان، والقرآن الكريم يرد على جميع من سيوسوس له الشيطان على مر الزمن، وإلى يوم يبعثون، من مثل تلك الوساوس، بقوله تعالى أن لسان الذين يلحدون إليه، أي الذين يُنَمْونَ، أو ينسبون أو يتخيلون أو يتوهمون، أنَّ هذا القرآن المبين الواضح مأخوذ منه! ويجيبهم كيف يأخذ القرآن العربي المبين الواضح من الكتاب الأعجمي غير المبين وغير الواضح؟

---

١ ـ والآيةُ في المعجم: العَلامَةُ، وزنها فَعَلَةٌ في قول الخليل، وذهب غيره إِلى أَن أَصلها أَيَّةٌ فَعْلَةٌ فقلبت الياء أَلفاً لانفتاح ما قبلها، وهذا قلب شاذ كما قلبوها في حارِيّ وطائِيٍّ إِلا أَن ذلك قليل غير مقيس عليه، والجمع آياتٌ وآيٌ، وآياءٌ جمعُ الجمع نادرٌ؛ وقال ابن حمزة: الآية من القرآن كأَنها العلامة التي يُفْضَى منها إِلى غيرها كأَعلام الطريق المنصوبة للهداية والآية: العِبْرَة، وجمعها آيٌ. الفراء في كتاب المصادر: الآية من الآيات والعبَر، سميت آية كما قال تعالى: لقد كان في يوسف وإِخوته آيات؛ أَي أُمور وعِبَرٌ مختلفة. (لسان العرب) لأبن منظور.

وبالتالي فإن قولهم بأن الرسول ﷺ، قد اقتبس القرآن الكريم من الكتب السابقة! قولٌ فيه افتراء على الله سبحانه وتعالى، وهو بعيدٌ عن الحق بعداً كبيراً، لأن الكتب السابقة آيات منسوخة قد نسِّيها الناس بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وقد أبدلها الله سبحانه وتعالى، وأنزل مكانها القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ [البقرة: ١٠٦]، قال تعالى: ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [الحج: ٥٢]، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، التوراة أساساً، معناها الشريعة الربانية، وقد أوحى بها، وأنزلت من الله سبحانه وتعالى على جميع الأنبياء، وقد اشتمل عليها القرآن الكريم، وكذلك الإنجيل من الله سبحانه وتعالى. وكذلك كان الإنجيل فإنه رحمةٌ من الله تعالى وحكمةٌ كانت قد نزلت على جميع الأنبياء والمرسلين، ومنهم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، كذلك فإنَّ رب العالمين قد جمع بمشيئته تعالى الكتب السماوية جميعها للنبي الكريم محمداً عليه الصلاة والسلام، لكونه خاتمة النبيين ومسك الختام للرسالات والمرسلين الربانيين، فالقرآن العظيم من لدن الله تعالى ربُّ العالمين، الأولين والآخرين، من الطبيعي أنه قد جَمَعَ وضمَّ بين دفتيه جميع الكتب السماوية السابقة وزاد عليها.

لقد درج، وللأسف الشديد، البعض من الخطباء والوعاظ، ممن هم في قمة الوعي والفهم، ومن المثقفين ومن الكتاب أو الأدباء أو الوعاظ! درجوا علىٰ عادة الإساءة لمفهوم العروبة، جهالة منهم، في تفكيرهم أو في حديثهم أو في كتابتهم أو في محاضراتهم أو في خطبهم، لعدم وعيهم أو معرفتهم، وعدم امتلاكهم لأدوات البحث العلمي أصلاً، أو بتأثيرٍ من الظروف السياسية والاجتماعية التي أسهمت في تشكيل الوعي عندهم، وهم لايدرون أنّ الإساءة للعروبة والعرب هي كفرٌ صريح بالله وملائكته وكتبه ورسله، لأن الله يقول وقوله الحق إن القرآن عربي وأن الحكم

عربي، وإن اللسان المبين هو اللسان العربي، فكيف تسنّىٰ لاؤلئك أن يسمحوا لأنفسهم بالإساءة للعرب، مع بقاء إيمانهم سالماً؟ علائم الجهل في وجوههم، تراهم خاوين من كل فضيلة، لايقصدون وجه الله، يعملون ضد العرب من أجل كسبهم المادي، بإيحاء من الشعوبية المقيتة واليهود، ولاتهمهم الحقيقة، أولئك ليسوا علىٰ هدىً أبداً، يريدون بجهالتهم الشديدة أن يعبروا عن قوة وعظمة الإسلام، فلا يجدون أمامهم إِلَّا اسلوب الحط من شأن العرب والطعن فيهم!، وذلك إبرازاً لقوة الإسلام؛ إنهم لايدرون أنهم بذلك يسيئون إلىٰ الإسلام أيما إساءة؛ كيف يفعلون ذلك، وقد جاء القرآن الكريم متحدياً للعرب، قال تعالىٰ: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (البقرة ٢٣)، قال تعالىٰ ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (يونس ٣٨)، قال تعالىٰ :﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ (هود ١٣) وهل يتحدىٰ الله تعالى الجَهَلَة؟ هل يتحدىٰ الضعاف؟ هل يتحدىٰ المتخلفين؟ هل يتحدىٰ الصغار؟ هل يتحدىٰ المجانين؟ هل يتحدىٰ الفقراء؟ هل يتحدىٰ المرضىٰ؟ كيف يتخيلون ذلك، وكيف يتأتىٰ لهم تصور أنّ العرب عندما بعث الرسول الأعظم ﷺ كانوا أمة غير حضارية؛ أو أنهم كانوا متخلفين؛ أو أنهم كانوا الأقل شأناً بين الأمم ، أبداً هذا التصور غير صحيح بل هو نابعُ من حقدٍ شعوبيٍ مقيت، ومؤامرة يهودية مكشوفة ومعروفة، قديمة وحديثة، دأبت علىٰ الإساءة للحق.

والحقيقة أن العرب عند نزول الوحي[1] علىٰ الرسول العربي ﷺ كانوا أكثر الأمم حضارة وتقدماً، من جميع النواحي، وكانت مكة المكرمة أكثر حضارة من روما وأثينة والمدائن، لأن الله تعالى تحدىٰ الناس علىٰ أن يأتوا بسورة، بل بآية من مثل ما في القرآن، فهل تحدىٰ الله تعالى أكثر الناس في ذلك العصر، ضعفاً وتخلفاً، أم تحدىٰ أكثر الناس حضارة ووعياً ومعرفةً وعلماً، ثم هل كان الإسلام رسالة للعرب خاصة أم للعالمين؟ وكيف يتصورون أن الفرس والرومان كانوا أكثر تقدماً وأكثر حضارةً من العرب؛ أبداً هذا غير صحيح، إذاً لأنزل الله تعالى عليهم القرآن، ولتحداهم به، وكيف يتصورون أنهم كانوا (الروم والفرس وباقي الشعوب) بغنىٰ عما جاء به الإسلام، وكأن الإسلام جاء للعرب فقط، لينهض بالانحطاط العربي؛ ليجعل للعرب دولة[2] علىٰ مستوىٰ الروم والفرس؛ وكأن الأمم في العالم لم تكن بحاجة لدين الله تعالى ، ألا ساء ما يتخيلون، وساء ما يصنعون، بل الإسلام دين الله وهو دين العالمين، وهو هدىٰ ورحمة للعالمين، والواقع أن من المفروض أن يعلم أولئك الجاهلون، أن الله ﷻ قد جعل من العرب شهداء علىٰ الناس، وقد جعل رب العالمين، من الرسول العربي الأمي شهيداً عليهم، قال تعالىٰ: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا ﴾ (البقرة

---

(١) الوحي عند علماء المسلمين هو إعلام الله ﷻ أنبياءه اما بكتاب أو برسالة ملك في منام، أو الهام بأن ينفث في روع النبي ما يريد الله ابلاغه له، سأل الحارث بن هشام رسول ﷺ، فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده، فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقول» وقالت عائشة رضي الله عنها: «ولقد رأيته في اليوم الشديد البرد ينفصم عنه، وأنّ جبينه ليتفصد عرقاً» والثابت عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت، رضي الله عنها قولهما أنه حينما كان يتغير النبي عند نزول الوحي كان يسمع عند وجهه ﷺ، صوت كدوي النحل،) وكان ﷺ ضماناً لحفظ القرآن الكريم، من أن يختلط بالحديث، قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

(٢) كما يتقوّل صاحب كتاب (قس ونبي).

١٤٣) والشهيدُ المتقدم، وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الفتح ١٦) وبعد كل ذلك يرتدي الباحثون المعاصرون، علىٰ اختلاف أنواعهم، عندما يتكلمون عن العرب والإسلام، ثوب المدعي العام، وعندما يتحدثون عن اليهود وخرافاتهم، والنصرانية ومثلثاتها، أو عندما يتحدثون عن مذاهب الشعوبية وطوائفها، فإنهم يرتدون ثوب المحامي العام، لقد جعلوا من كل الأوهام حقائق، ثوابت وفي حديثهم عن العرب والإسلام تصبح كل الثوابت أوهاماً؛ فلا يسلم منهم رسول الإسلام ولا القرآن الكريم، كتاب العرب والإسلام، ولا العرب ولا المسلمون[١].

---

١ - أبداً غير صحيح ما هو موجود الآن في الواقع ويعرف الجميع بأنَّ العروبة منحة إلهية، عطاءٌ عظيم، عالي المستوىٰ، الأصل أن ترقىٰ بالإنسان العربي إلىٰ أسمىٰ المراتب، وتكسبه عزة ومجداً وسؤدداً، لا يطالها، ولا يرقىٰ إليها أي كان، لقد زكاهم الله ﷻ ولا يهمنا ما يقوله اليهود، ولقد حُرمها الجاحدون لجحودهم (في الحروب التي قامت وتقوم، بين العرب ودولة إسرائيل، درجوا أحياناً علىٰ مبادلة الأسرىٰ بين الجانبين، مئات العرب في مقابل جثة أسير يهودي.. ! ويكرر الإعلام العربي والعالمي ويشيع أخبار تلك المبادلات؛ ويعيد ذكرها علىٰ مسمع العالم، بغية الحط من قدر العرب، ورفع قدر اليهود، أو رفع قيمة اليهودي، مقابل العربي! اليهود يتعمدون ذلك، والعرب بسذاجتهم الحالية يظهرونه علىٰ أنه نصرٌ ومكسب؛ فهل هذا صحيحٌ أن عشرات ومئات العرب، لا تساوي شيئًا، هل فعلاً هذه هي قيمة العربي، أين أرباب العقول ؟ أين العقلاء العرب ؟.

في حين أن العلاّمة أبي العباس محمد ابن يزيد ، المعروف بالمبرد النحوي، (وهو رحمه الله كان ذا أصلٍ غير عربي، كان قد ذكر في كتابه الكامل في اللغة والأدب، ص ٢٢٦ كان نافع بن جبير، أحد بني نوفل بن عبد مناف، كان إذا مُرَّ عليه بالجنازة سأل عنها، فإن قيل له قرشيٌ، قال وا قوماه، وإن قيل عربي قال وا مادتاه، وإن قيل مولىٰ أو أعجمي، قال اللهمّ عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت، وقال المبرد: يروىٰ أن ناسكاً من بني الهجيم بن عمر بن تميم كان يقول في قصصه: اللهم اغفر للعرب خاصةً وللموالي عامةً فأما العجم فهم عبيدك والأمر إليك، قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول لآخر: أترىٰ هذه العجم تنكحُ نساءنا في الجنة، قال: أرىٰ ذلك والله بالأعمال الصالحة، فقال توطأ والله رقابنا قبل ذلك، وكان يقال الرجل لأبيه والمولىٰ مكن مواليه).

إنّ تلك المجاميع التي تعيش علىٰ الأرض العربية، بطول الأرض العربية وعرضها، ليست كلها تشعر أو تعي السيادة، أو عروبية الانتماء، وليست كلها تعتز بالانتماء للعرب، و ليست كلها تعادي اليهود أو أمريكا، أعداء العرب الطبيعيين، بل علىٰ العكس تماماً، منهم ولجهالتهم، ما هم أشد عداءً للعرب من اليهود أنفسهم؛ فهي إذاً لم تعد تشكل أيّ خطرٍ علىٰ اليهود وأمريكا والغرب، إنها كتلٌ بشرية مستهلكة، وسوقٌ لتصريف البضائع (كل أنواع البضائع!) ويدٌ عاملة رخيصة، وخدمٌ مطيع لا يعصىٰ أوامر أسياده.

كذلك فليس هدف هجومهم علىٰ الأرض العربية الاستيلاء علىٰ النفط العربي والثروات العربية فحسب، كما يروّجون، لأنها لم تكن أصلاً بعيدة عن مناهم، فليست هذه هي غايتهم المباشرة، بل كانوا وما يزالون يستهدفون النص العربي أو عروبية النص، إنّ أشد ما يخشونه، أن يكتشفَ العربُ الخاملون في الوقت الحالي، إنّ أشد ما يخشاه اليهود وأمريكا والغرب أن يعي العرب عروبية النص، أنّ ما يخيفهم أشد الخوف ويقلقهم أشد القلق عروبة النص، ولم ولن يستطيعوا مجابهة النص العربي، والكتاب العربي، ومهما طال الزمن، ومهما اتسعت وتنوعت حلقات هجومهم واستهدافهم للحق والمنطق والصلاح، فإن عروبية النص والكتاب العربي المبين، ذاتي الدفع والقوة، وسينتصر أخيراً، وسيسحق أعداء الله، أعداءه وأعداء العرب، قال تعالىٰ: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف ١٧١) وقال تعالىٰ: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ ﴾ (مريم ١٢) إنّ هذا الأمر، من الأهمية بمكان، للعرب والمسلمين عموماً، ويجب أن يشكل لهم العروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها، يتمسكون بها لا يحيدون عنها، ولا يقبلون عنها بديلاً، أبداً، ولو فهم العرب والمسلمون، فإن عروبية النص في يدهم سلاحٌ في مواجهة عدوهم الداخلي والخارجي، أقوىٰ من كل الأسلحة العاتية، أو المدمرة، التي في حوزة عدوهم، إن عروبة أو عروبية النص يجب أن تكون في يد العرب والمسلمين، مثل عصىٰ موسىٰ ﷺ، أو أشد تأثيراً وقوةً، تَخْنَسُ في مواجهتها كل القوىٰ، إنها مؤيدةٌ من الله إن الانتماء للعروبة الحنيفية السمحة، اكسير الحياة للعرب والمسلمين، علىٰ العرب والمسلمين، البحث عنه وإيجاده بكل السبل المتاحة والممكنة.

إن الصراع بين العرب واليهود لن ينتهي أبداً، إنه موضوع عقائدي لدىٰ اليهود، ولن ينتهي إِلَّا إذا انتهىٰ اليهود من الوجود، أو إذا خرج اليهود من اليهودية وهذا مستحيل! أو يخرج العرب من عروبتهم وإسلامهم، وهذا مطلق مستحيل، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴾ (الفتح ١٦) لذلك فإن القضية والمعركة بين العرب واليهود، معركة وجود، وعلىٰ العرب أن يدركوا هذا الأمر، وأن يعوه

فلا ينجرفوا وراء سراب التطبيع، إن خداع اليهود للعرب سيستمر مادام العرب في نومهم غارقين علىٰ أنّ مجابهة اليهود ليس أمراً مستحيلاً، في حالة إحساس العرب بالسيادة الوطنية وبإيمانهم العميق، بانتمائهم للعروبة بعد إيمانهم بالله علماً أنه ليس هناك أي تعارض بين الإيمان بالله وبين انتمائنا إلىٰ العروبة المنبثقة أساساً عن رب العالمين، بل إنه ﷻ أكد علىٰ التوحد العروبي، وقد ربط لنا ﷻ إسلامنا الصحيح بالعروبة، وقد جعلها ربنا ﷻ المعيار والمسطرة والمقياس والمثال والدليل للإيمان، فوصف بها قرآنه وكتابه ولسانه وحكمه، في إحدىٰ عشرة آية كريمة، وأشار لنا ﷻ أن العرب نواة الإسلام والعالم وبيضته، وأن العرب حملته ومبلغوه للأمم، فقال تعالىٰ:﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة ١٤٣)، فعلىٰ العربي أينما كان، وفي كافة أنحاء العالم، استنفار همته واستثمار ذكائه وتخليق مواهبه وحشد كل إمكانية لديه لنصرة العروبة، في ذاته أولاً، إيماناً بها بعد الإيمان بالله ورسوله الكريم.

العالم الأزلي القديم

ما هو الهدف من وجود القرآن الكريم بين الناس؟ ولماذا نزل إلى البشر أساساً ؟ ولماذا طُلب منهم فهمه والاطلاع عليه والاضطلاع به وتدبر آياته واتباعه وجعله إماماً ؟ ولماذا طُلب منهم فهم كل آيةٍ من آياته؟

لماذا نزل في الأرض العربية أولاً ولماذا كانت الأنبياء جميعهم عرباً، [قالوا: ليس من القوة التورط في الهوة، ومن شرط السيف أن لا يسل إلا عند الضرب وإن سل قبل ذلك أورث الجبن؛ وشرط المعركة استدبار الشمس واستراق الأرض عند اللقاء، والمناجزة والمراوغة والعطف في اللقاء وترصد غرة العدو في حال الحركة، قال أبو الطيب المتنبي إن السلاح جميع الناس يحمله وليس كل ذوات المخلب السبع]، كتاب عين الأدب والسياسة لأبي الحسن بن هذيل.

عند الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد، هنالك أرض مباركة واحدة وهي مكة المكرمة ومحيطها (الحجاز) فقط، وليس هنالك أرض مباركة غيرها؛ ومباركة يعني مؤيدة من الله سبحانه وتعالى وهي أرض حرام لأن فيها المسجد الحرام، وهنالك أشخاص مكرمون مباركون هم الرسل والأنبياء فقط لا غير، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٨٥] وفقط الرسل والأنبياء لا غير؛ مباركون يعني مؤيدون وهم معصومون بالكتاب.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [النحل:١١٦]، وهنالك أوقات مباركة من الله تعالى وهي الأشهر الحرم يتوجب على العرب المسلمين الوقوف عندها وتأمل الأسباب التي جعلت منها أشهرا حرما وذلك بكتاب الله سبحانه وتعالى، ومعنى لفظ (محرم أي أن هذا الشهر له حرمة من الله لا ينبغي فيه الاعتداء أو التجاوز وهو بطبيعته يطلق تحذيرا وإنذارا وتنبيها ويشير للعالمين إلى ضرورة الانتباه إلى أيامه المباركة أي المؤيدة) التي يجب استغلالها في العبادة وفعل الخيرات، فهل كانت أيام شهر (محرم) تصادف مرور الأرض (وهي تعني عالم الوجود كما أن السماء تعني عالم الغيب) في مواقع فلكية أو مجالات فلكية مختلفة ولها أوضاع خاصة، الله أعلم.

لماذا كان شَرْطُهُ الإيمان والتَعَقُّل؟ لماذا كان يَسْتَهْدِف العقلَ، ولماذا يعمل (القرآن العظيم) على استكمال الفكر الانساني واستنهاضه ورفع مستواه وترميمه وصيانته على الدوام، وهل كان القرآن العظيم، كلام رب العالمين، هل كان وسيلةً تهدف إلى كمال الإنسان في حياته على الأرض؟ هل كانت كل سورةٍ من سوره (القرآن العربي المجيد) تضع مدماكاً في صرح الفكر البشري؟.

وبالتالي ما معنى القول بأنَّ القرآن العظيم، وهو كلام الله تعالى القديم، الحي الذي لا يموت، أنه الحديدُ والجديدُ والمتجدد بلا نهاية؟ وهل كانت سور القرآن العظيم كلها قديمةٌ، بحيث أنها كانت قد نزلت ـ كما هي ـ على الأنبياء والرسل السابقين؟

وبالتالي هل كانت (سور القرآن العظيم) قديمةٌ؛ وكانت قد تنزَّلت (بعضها) على الأنبياء السابقين؟ وأنَّ كل السور في القرآن العظيم كانت مرتبةً ترتيباً دقيقاً؛ وبالتالي فإنَّ توضُّعها ليس كيفيّاً ولا اعتباطياً، لأنها بالواقع مرتبةً ترتيباً إلهياً دقيقاً وهادفاً، فهي تهدف إلى توسيع مدركات الإنسان وتعمل إلى تحويله، من الضيق في الأفقِ إلى الوسع، وترفعه وتنقله نقلةً نوعية إلى حالةِ يصبحُ فيها واعياً مدركاً، وبالتالي فالسور في القرآن العظيم قديمة وعامة، وكانت قد تنزَّلت (بعضها) مع كل نبيٍ ورسول، ويصحُّ أن تكون مشتركة بين الأنبياء، مع الذي مضى من القرون، لقد كانت (سور القرآن المجيد) هي محتوى كافة الرسالات السماوية (كونها مقالة المنُذرين) فهي تهدفُ على الدوام إلى توسيع مدركات الإنسان ورفعه من الضيقِ والعطالة! إلى حالة السعة والعطاء، لقد أصبح العقلُ البشريُّ من بعدها، يدركُ أنَّ هنالك عصوراً كثيرةً مضتْ وكِتاباً واحداً واسعاً وشاملاً وهادياً ودقيقاً قد نزل، وأن هنالك عوامل عديدة شكّلتْ وتشكل الوعي الإنساني، ويُبنى عليها الفهم، إنَّ (سور القرآن العظيم) سُوَرُهُ بنائيةً[1].

١ـ قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ : قدّر كلّ شيء الأرزاق والأعمار والأقوات والأحداث والأوقات والأمور جميعاً، قدر الأبعاد والمسافات والأوزان والأحجام والأنواع وكل شيء قدره رب العالمين بشكل دقيقٍ ومناسب، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان، فقدر أجناس الأشياء والمخلوقات وأنواعها وأفعالها وأقواتها وآجالها، فهدى كل واحدٍ منها إلى ما يصدر عنه وما ينبغي له، ويَسَّرَهُ لما خُلق له، و(فهدى) أي فدلّا إلى الحق والصواب والخير والعدل والعروبة والبيان، وأنقذ من العجمة والبهيميّة والضلال، و(القرآن الكريم) كتاب رب العالمين، الأساس أنه إيجابي فعّال باستمرار؛ وهو منتج دائماً ويدفع للإنتاج والعطاء، وهو بعكس الصوفي والسلفي والشيعي؛ أصحاب الأفهام السلبية الجامدة!

والقرآن العربي العظيم كلامُ الحيِّ القيوم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗاۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا وَاقٖ ٣٧ ﴾ (الرعد)

وهو الحق، ولذلك فهو الحي الباقي الذي لا يموت ... وإنَّ من شأنه أن يُعطينا الخير الكثير، بالدلائل التي تؤدي إلى الحق وتقود وتدفع إليه، لما فيه من البيان والعلم والحكمة، وقد نزل من السماء ليكون فاعلاً مُفَعِّلاً للناس في هذه الدنيا، أفراداً ومجتمعات، وهو موجهٌ للأحياء وليس للأموات، وهو ليس للصوفية ولا للسلفية ولا للشيعة أبداً؛ لأنهم أصحاب عقائد ... وليسوا جماعة الدين الحنيف، لذلك فهم لن يفهموه مطلقاً.

ففي القرآن العظيم النظامُ الكلي للعقل والمنطق والفكر البشري، وعلى أساسِ قوانينه وقواعده يدورُ هذا الكون العظيم، لذلك كان على الإنسان العاقل أن يفهم نصَّه وأمره .

والعرب لم تُكَذِّب القرآن أبداً، بل أيقنت به منذ البداية، وأنه من عند الله تعالى وصدَّقَتْ بما جاء فيه، لأنها كانت تعلم أنه الحق، وأنه مطابقٌ لما لديهم؛ وإن كان بعضهم قد تلكأت وتأخر في تصديق الرسول ق وتأييده، بدوافع خاصة، لكنهم سرعان ما انضموا تحت لوائه.

والقرآن العظيم ليس له أسباب نزول؛ كما يظن أولئك السلبيين غير المنتجين، وإنما كانت له نتائجه الفورية على الأرض، وتأثيره العقلي والفكري والمنطقي المباشر على الإنسان فرداً ومجتمعاً، وقد تجسد ذلك التأثير عند نزوله، وأصبح مثالاً حياً ونبراساً تقتدي به الأمم، وهو على الدوام يقودها إلى العُلا والسؤدد، لقد شكَّلَ القرآن العظيم عند نزوله الرافعةَ التي رفعت البشرية من مستوى البهائم إلى مستوى الإنسان الكامل، إلا أن المناوئين له قد حاولوا على الدوام إجهاض مهمته وقلبها إلى النقيض!

فبدل أن يكون الدين السماوي حيويَّاً ودافعاً للإنتاج والجدوى والجود والاستواء والنهضة والرفعة والتقدم، أصبح على طريقة الصوفية والسلفية والشيعة، سبباً للتقهقر والانحطاط والتردي!

لكنَّ القرآن العربي العظيم والدين السماوي الأساسي، كان يربَأ بالإنسان العاقل أن يهوي بنفسه إلى الهاوية مع البهائم ... فكيف قلبوا مهمة القرآن العربي العظيم والدين السماوي الأساسي وسير أنبياء الله ورسله (دورها في الحياة) رأساً على عقب؛ وحوروها وجعلوها تمشي إلى الوراء بدل أن تتقدم بالناس إلى الأمام وترفعهم إلى العُلى؟ [1].

جاء في الأثر أن العرب في صدر الإسلام عند سماعها للقرآن العظيم، وسِيَّرَ أنبيائه ورسُلِهِ كانت تتفاعل معها وتنْفَعِلُ بها مباشرةً وتقول:(بخٍ بخٍ) وتتفاعل وتندفع ... وذلك من شدَّةِ العجب والتعجب منه، و(بخٍ بخٍ) تُقال عند المدح والرضا بالشيء والإعجاب به، وفي الحديث: أَنه لما قرأَ ق:(وسارِعوا إِلى مغفرةٍ من ربكم وجنَّةٍ) قالوا: بَخٍ بَخٍ، دليل التأثر السريع والتغيُّر المباشر، لذلك فإنَّ بعضهم سارع وألقى ما في يده من التمرات والتحق فوراً بالمجاهدين وذهب لمواجهة الأعداء الله تعالى في بدر..

وليس الهدف من تنزيل القرآن العظيم وسِيَرَ أنبياءِ الله تعالى (الأمثلة التي يجب أن تحتذى) مجرد التوصيف للجنة والنار؛ ولكنه (القرآن العظيم) كتابٌ إلهيٌّ بنائيٌّ هادف، يهدف إلى

---

[1] ـ و(ليلة القدر) هي: أقدارٌ ومقادير..إنها العظمة والحضور والتبدي والإيجاد المادي والمعنوي الذي يحدث ويحضَّر ويعد باستمرار في عالم الغيب دون أن يدري به الغافلون من الناس ولفظة (الليل) دلالة على الخفاء وكانت (الواو) حرف القوة المطلقة والله أعلم، ومثاله أيضاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ [الإنسان:١٠]، (قمطريرا): فإنّ إضافة (القاف) إلى أول اللفظ يُفيد الإيحاء بالقوة غير المحدودة لانهمار المطر والذي كان مستمراً ومدمراً ومحيطاً بالكافرين لا ينقطع، وذلك بدلالة إضافة الياء يوماً عبوساً قمطريراً، قال تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ ﴾ [القمر:٢]

بناء الإنسان وإعداده وتأهيله، التأهيل العملي البياني الإيجابي الخلاق، وتحفيزه وتحفيز وجدانه وضميره بما فيه النخوة والمروءة والشجاعة، وما لديه من الإباء والمنعة والعزة، وعقله الباطن ليختار لنفسه الحق؛ لجعله مصدراً لكل أنواع العطاء الإيجابي الخلاق، فالقرآن ليس لمجرد الحفظ والتجويد المتقن؛ ولكنه مثمر ومنتج ومجدي، إنَّ من المفترض والمنتظر ممن سيقرأ أيضاً سورة (ق) أن يبادر فوراً إلى التجاوب والاستقامة والعمل وبدء الإنتاج، لتعديل واقعه هو (في الحياة) ولجعله خلاّقاً ومتلائماً مع الصورة المستقبلية التي حددتها السورة، ففي سورة (ق) دفعٌ للإنتاج والإثمار.

وكذلك فإنَّ سير الأنبياء الخالدين نماذج خلاّقة إيجابية بناءة، على الناس جميعاً الاقتداء بها ، والعمل على شاكلتها.

وهذا بحث عزيز في اللغة، ولكنَّ جميع التفاسير، والسِّيرِ والمستمدّة أساساً من التفاسير الأعجميّة غير العربيّة، ومن سيرة (ابن هشام عن ابن اسحاق) بالواقع فإنها قد أساءت كثيراً إلى جوهر المعاني العربية الأساسية وسطَّحَتْ وحرَّفَتْ حقيقة المراد من آيات (القرآن العظيم وسِيَّر أنبيائه الكرام).

ففي حين أن المعاني في الكتاب العزيز، الأساس انها تقدمية بنائية دافعة وفاعلة وباعثة، مهمتها أن تُخَلِّق الإنسان وأن تجعل منه كياناً وقضية ومسؤولية، وتزرع فيه الوجدان والضمير، وترفع قيمته وتُعْلي مستواه من خلال تحميله القضيّة والمسؤولية؛ فإنَّ التفاسير والسير (ابن هشام) التي كانت قد ظهرت في العصر العباسي؛ قد عملت على تجويف الرسالة وتفريغها من محتواها وإفقادها صفتها البنائية، وأحبطت مشروعها الإيجابي العظيم؛ واشتغلت وتعاقبت على إفشال دورها (السيرة والتفاسير) من خلال قلب أو عكس دورها في حياة الناس.

(الواقع)! ما هو (الواقعُ) إذاً ؟ وكيف أُشْرِبَ الفِكْرُ العربيُّ المسلمُ، والعقل العربي المسلم، كيف أُشْرِبَ الطريقة الخطأ في التفكير؛ الطريقة الميّتة والمُحبطةُ وغير المنتجةُ؟ والتي عَمِلَ عليها كل هذه السنين؟ كيف طرحوا منذ العصر العباسي، مفهوم (الواقعية) بطريقة خاطئة بحيث كتبوا سيرة ابن هشام بطريقة مسرحيّة مُفتعلة غير منتجة وغير هادفة ولا غائيّة ولا بناءة؟ وكيف أقنعوا بها الأجيال؛ الواقعيّة السياسية والعسكرية، والواقعيّة التاريخيّة، والواقعيّة الاجتماعية، ثم الواقعية الأدبية والتربوية والسلوكية... كيف جعلونا نتقبل الأقوال الميّتة غير المُنتجة بحيث تقبلنا (السحر الأسود) عبر قرون وجيل وراء جيل تقبلناها واقتنعنا بها؟.

(القرآن ذي الذكر):أي القرآن المتخصص بالرفعة ورفع المستوى، ويتضمن الحفظ للعلم والمعلومات، وهو القوة الرافعة للإنسان، فالقرآن الكريم الأساس أنَّ مهمتهُ أنه رافعةٌ ومحركٌ ومولدٌ وهو كتاب الثورة وهو كتاب الحرية وهو كتاب الإنتاجيّة أيضاً، وهذه هي مهمة القرآن العظيم في حياة الناس، إنَّ للقرآن العظيم مهمة عظيمة أساسيّة فمن الذي حرفها [1].

---

(١) فإن مفهوم (الثورة) أساساً مفهوم عميق وجذري وعظيم، وهو يعني انقلاب واسع وتبدل للأوضاع والأحوال في جميع مناحي الحياة، وعلى جميع الصعد في المجتمع، وقلبٌ لها من الوهم والتخلف والانحطاط إلى التقدم والحقيقة والوعي والإرادة والحرية، ولفظُ (الثورة) مأخوذٌ من ثورة البركان، وليست من الثور والثورة لا يقوم بها المجنون ولا الغافل ولا الجاهل أو المعتوه، بل يقوم بها المفكر والعاقل والواعي والحضوري، بينما للأسف الشديد تحولت في هذه الأيام إلى وهم وإلى مجرد عمل سياسي ومصالح خُلبيّة وفشل على فشل، يقوم بها العاطلون عن العمل لتحقيق أحلامهم في المصالح السريعة وأصبح المشروع الثوري (الثورة) إذا لم تنجح في استلام السلطة؛فإنها تتحول إلى مجرد مؤامرة ويُحكم عليها بالإعدام أو النفي وإذا استلمت السلطة فإنها تصبح ثورة شعبية، فما هو المفهوم الحقيقي للثورة؟

كذلك فإنَّ الرسول العربي الكريم، كان خاتم النبيين، قدو أجهضوا من عزم سيرته الفذّة، وحوَّلوها إلى مجد سردٍ لعدد زوجاته .. وأعمامه وخالاته .. وأجداده وأولاده وأحفاده، علماً أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن لديه أولاد ذكور، الله تعالى لم يجعل له أولاد ذكور!

وغاب عن بال المفسرين أن القضية في قراءة القرآن الكريم، وفي سِيَّر أنبيائه الكرام، كانت على الدوام تربوية بالأساس، غرضها رفع مستوى الناس وحضهم على النهوض ومحاولة الصعود بهم إلى الأعلى، كان هدف القرآن الكريم، وسِيَّر أنبيائه الكرام هو دفع الناس إلى الأمام، وشَدّهم إلى فوق؛ فقام المفسرون من خلال طرح المفاهيم المُغالطة بإنزال القرآن إلى تحت، وإرجاعه إلى الخلف، لقد أصبح القرآن على يد المفسرين، والسِيَّر المُعظَّمة دون أن يدروا أو أنهم كانوا يدروا! لكنه أصبح القرآن العظيم وسِيَر الأنبياء (الأمثلة التي كان يجب أن تُحتذى) على يدهم أقرب إلى (قصص أبو زيد الهلالي) و(عنترة بن شداد) والعياذ بالله تعالى، ولدت على أيديهم ميتة ومُحبطة وغير مجدية ولا بنّاءة، إن العربي كان سيفهم المراد من القرآن العظيم دون الرجوع لأي تفسير، ولا لسيرة ابن هشام عن ابن اسحاق، وذلك بفطرته السليمة، وإنما كانت التفاسير والقصص في البداية للعناصر الأعجمية والأجيال اللاحقة، التي دخلت الإسلام، وكان هذا الأمر مطلوباً لهم، لكن ما لبثت أن أمليت الطريقة الميتة والمحبطة وغير المجدية على الفهم العربي وعلى العرب أنفسهم؛ [١]

١ ـ لقد شكلت التفاسير في كثيرٍ من الأحيان، حجاباً حاجزاً، بين حقيقة النص الإلهي وبين العقل، فأبعد عن الفهم، وعمل على إخراج العقل عن المسار الطبيعي وعن السياق الطبيعي المنطقي، الموصل إلى جوهر المعنى، المعنى العربي للمفردات، والتأويل العربي الحقيقي للنص العربي، والدلالة المبينة المباشرة للآيات الكريمة، لقد عملت التفاسير، على إبعاد العقل وتشتيته في مسارات أُخَرْ، أخرجته عن السبيل الطبيعي المؤدي مباشرة إلى عين النص.

لقد أفهمونا أن (الواقع) هو ما وجدتَ نفسك عليه، أو ما وجدت عليه المجتمع، من الضعف والذل والمهانة والتخلف، وأن عليك أن تقرَّه وتعترف به، وتُراعيه وتُماشيه، وأن تكون واقعيّاً بحيث تستكين لهذا الواقع وتتمسك به، وتصرَّ عليه وتنتظر حتى يتغيّر من تلقاء نفسه! فاليهود الذين يحتلون فلسطين... هذا واقع؛ والمسلمون العرب متخلفون ... هذا واقع أيضاً؛ والأمة العربية المسلمة الآن في هذا العصر مجزأة...؛ فهذا واقع ويجب أن تقرّ به وتتلاءم معه؛ كما أنه يجب عليك عدم التفكير بتجاوزه! وأن تعمل وفق المعطيات والإمكانيات المتاحة؛ وأن لا تكون (طوباوياً) وأن تفعل دائماً ما هو مناسب لهذا الواقع، ذلك لأنك واقعيٌ وموضوعي!

كان الناس في الكثير من الأحيان يفتقدون إلى المعنى الحقيقي (الواقع الحق) ويقولون بالباطل والزائف، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ۝٢١ ﴾ لقمان. إن مفهوم (الواقع) في سورة ق مختلف تماماً ، وفيه تصويب لما في أذهان الناس . لأنَّ الطرح الخاطئ يوصل دائماً إلى نتائج خاطئة، بينما الطرح الصحيح يوصل دائماً إلى نتيجة واحدة حتميّة صحيحة،.

وأكثر من ذلك فإنَّ تطبيق مفهوم (الديمقراطية) فإنهم في البلاد العربية، إنما يطبقون المذهب الواقعي بحذافيره؛ بحيث يُستفتى الجهلة والأميون والمتخلفون والتافهون والسطحيون والمختلون عقلياً! وحتى اللصوص وعديمي الضمير والمجرمون وهؤلاء جميعهم يذهبون إلى صناديق الاقتراع ويشاركون في الاستفتاء؛ ويستَفتَوْنَ وتؤخذ أصواتهم لتقرير القرارات المهمة! فما هي النتيجة؟؟

ولأنك واقعي فإنه يجب أن تستسلم للقوى الغاشمة، وتتقبل كل ما يُطرح عليك من المقولات والأفكار المنافية والمناقضة لكل ما هو حق ويقين في الإيمان، ولكن هذا المنطق هل هو صحيح ؟ هل هو منطق العقلاء والمفكرين؟ أم هو مجرد قناعات خاطئة طُلب من العرب المسلمين حملها والتمسك بها والاقتناع والدفاع عنها !

لقد انطبق عليهم مثل الطالب الذي أخذ يحل مسألة الرياضيّات، فوصل إلى نتيجةٍ خاطئة! ولأنه واقعي فقد تمسك بما كان قد وصل إليه، بدعوى الواقعيّة ورفض العودة إلى البدايات ... رفض نقاش أي طريقة جديدة ورفض تصحيح طريقته؛ ذلك لأنه واقعي !؟

ثم عن السورة بأكملها بيان وتقريب وتبصير بالبعيد القادم؛ وتوضيحٌ للأمر الجلل الذي سيكون واقعاً لا محالة، ففي السورة إنذار وتحذير شديد (القول) لمن كان من الناس قد حرف مساره، وكذلك فإن فيها بشرى لمن كان قد أحسن التدبير ووعظ نفسه واتخذ السبيل الحق.

ثم بعد ذلك فإنَّ في السورة رفدٌ وتدعيمٌ للعقل البشري من خلال توجيههِ للنظر في الثوابت المنطقيّة التي تعينه على بناء الفكر الصحيح والمنطق السليم وصولاً إلى الحق فالحق لإثباته لا يحتاج إلى دليل؛.

إن القرآن العظيم (كلام رب العالمين) هو الحق، وفهمه أمرٌ يجب أن يكون مبنياً على الإيجابيّة والإنتاجية والخير العميم، حيث أنَّ فهم القرآن المبين لا يتأتى من مجرد السن الكبيرة وطول اللحى واللغة الفصيحة! ولا من المعرفة بما سُمِّيَ (علم التجويد) و(علم الناسخ والمنسوخ) و(علم أسباب النزول)، فكل هذه العلوم ليست بعلوم.

فالمقدمة المنطقية والبديهيّة والممر الوحيد للعقل والفكر والوجدان، التي تنصُّ على أن الله سبحانه وتعالى هو العزيز (ليس لأحد القدرة على الوصول إليه أو التأثير عليه) وهو الحكيم (دائماً يضع الأمور في نصابها) والذي سَبَّحَتْ له كل العوالم وكل ما فيها (التسبيح وهو الانقياد الكامل لأمر الله تعالى) السماوات (عوالم الغيب) و(الأرض) وهي (الدنيا) أو (عالم الوجود)، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيءٍ قدير، فهو تعالى ربُّ العزَّةِ، وهو مالكُ لجميع تلك العوالم (السماوات والأرض) الدنيا والآخرة، ولذلك فهو تعالى وحده القادر، الذي يحيي ويميت (الحياة هي المجيء بالأنفس من عالم الغيب إلى عالم الوجود، والموت هو الخروج بالأنفس من عالم الوجود إلى عالم الغيب) وهذا الأمر اللهُ سبحانه وتعالى وحده هو القادر عليه، باعتباره تعالى هو المالكُ لجميع العوالم وهو المهيمنٌ عليها، والمهيمن هو المؤتمن، الأمر الذي سينبني عليه أساساً، عقلياً ومنطقياً وبَديهياً، القسم الثاني من المسلمات، أو التي يجب أن تكون لدى العقلاء من الناس... من المسلمات؛

وأيضاً فإنَّ الله سبحانه وتعالى لا شيء قبله ولا شيء بعده، وهو الأول بلا بداية وهو الآخر بلا نهاية، واللهُ تعالى هو الوحيد الخالق والقادر على الخلق (ليس له شريك)، وهو

ثمَّ بين الله تعالى أنه لن يفرط بالحق ولن يُقَسِّم بين المقدمات والنتائج التس ستنتج عنها، وأنه تعالى مُلزمٌ لنفسه بذلك الربط والارتباط بين المقدمات والنتائج، وصولاً إلى النتيجة الأساسيّة المطلوبة والتي على الإنسان أن يلزم نفسه فيها فلا يضل أبداً وهي أن هذا لهو الحق المبين، ولذلك فإنَّ علينا الانقياد لله تعالى و التسبيح باسم ربنا العظيم.

الذي خلق العوالم جميعها، وخلق ما فيها، كما أن السلطة والقيادة والإرادة والتحكم في تلك العوالم، وبكل ما فيها بيده تعالى.

إنَّ كل ما يدخل في عالم الوجود (الأرض) أي الدنيا، وكل ما ينسل منها، وما هو آتٍ إليها من عوالم الغيب (السماوات) أي الآخرة، وما يخرج منها إلى عالم الغيب (السماء) فإنه لا يخفى عن علم الله سبحانه وتعالى، لذلك لا يمكن أن تخفى عليه خافية لا في السماوات (عوالم الغيب) ولا في (الأرض) عالم الوجود، وبناءً عليه.. ومنطقياً فإنه يجب التسليم بأنَّ المصير، والأمور جميعها بما فيها الأرزاق؛ فإنها ترجع إليه تعالى لا إلى غيره، فهو الخالق والمالك لجميع...العوالم ومكوناتها؛ وبيده الخير والرزق وهو تعالى المهيمن عليها ، والمهيمن هو المؤتمن.

وهو تعالى يشكل الليل، ويشكل النهار (يخلق الحضور والغياب) ويفْصِلُ بين العوالم، أو يجعل بينها تداخلاً... إنه تعالى عليمٌ بالأنفس (ذات الصدور) وعليمٌ بتنوع أهوائها وأنماطها، لدى الجان والبشر.

الأمر الذي يوجب على ذوي العقول والأفكار النيِّرة الواعية والفاهمة في الدنيا هذا (عالم الوجود)، أن يسارعوا وأن يبادروا إلى الإيمان بالله تعالى، فكان الخطاب للناس جميعاً، لدفعهم إلى الكمال وذلك بالإيمان بالله تعالى والرجعة إليه، والتأكيد لهم بأن الرسول ق إنما يدعوكم لتتوجهوا إلى السراط أو الخط المستقيم، إلى خالقكم وبارئكم، إلى الحق المبين فليس لكم سواه، وبناءً عليه فإنَّ عليكم الثقةً به تعالى الثقة المطلقةً.

وأن تنفقوا في سبيل الله تعالى من الأرزاق، مما هو جعلكم مستخلفين عليه من الأموال والأحوال (للإنفاق في سبيل الله تعالى دوراً مهماً جداً في بناء النفس الإنسانية وفي كمالها وتمامها وفي عملقتها ورقيِّها وتميزها).

ويؤكد لنا رب العالمين أن من أنفَقَ في سبيل الله تعالى فإنَّ عليه أن لا يخشى الفقر، ولا المسكنة؛ ولا سوء العيش، ولا الفقدَ في المال بعد البحبوحة والغنى.. ولا الاضطرار؛ ولا الحاجة، ولا انعدام الكسب.

هذا وإنَّ الإنفاق في سبيل الله تعالى يساعد النفس الإنسانية على تجاوز الصعوبات التي تعترضها والضيق؛ ويعمل على نجاتها وشِفائها من كثيرٍ من الأمراض والأوضاع النفسية والعضوية المستعصية، لأنَّ من أنفق في سبيل الله سبحانه وتعالى، فهو يتعامل مع الله مباشرةً، لذلك (من أنفق في سبيل الله تعالى) فسيقع أجره على الله تعالى، ولن يضيِّع اللهُ أجراً لمن فعل شيئاً لله تعالى وفي سبيله، قال تعالى: ﴿ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ﴾ آل عمران. لذلك فالمفروض أن تتم مساعدة الناس على الإنفاق؛ وقبوله منهم خصوصاً أولئك الذين يعانون من الضيق او الشعور بالنقص، فالكرم إذا قام به المكروب فإنه يُفرِّج عن المكروب ويغطي كل نقصٍ في النفس!

وقوله تعالى في سورة الحديد : (وما لكم لا تؤمنون بالله) فيه من الدهشة والاستغراب محاكاة لأسلوب البشر، وطريقتهم في الفهم والتعبير، وذلك لمن تأخر العقلاء عن اللحاق بمواكب الإيمان!

فالرسول ق ومعه الكتاب والآيات يدعوكم لتكونوا مصدقين أقوياء وأغنياء وأعزةً واثقين، وذلك بوقوفكم مع الحق، وهو القوي والعزيز والغني، الذي كان قد أخذ ميثاقكم بأن يقودكم العقل والمنطق إلى الإيمان بالحق، إن كنتم مؤمنين أي: (إن كنتم عقلاء وتعقلون) لأنَّ العاقل يختار الحق.

قال تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ : وهذه هي المقدمة الأولى، لـ (سورة الحديد) وهي بداهيّة من بداهات الفكر أساسيّة، لا يستطيع العقلاء إنكارها أبداً، فكلُّ ما في السماوات والأرض بالواقع يُسَبِّحُ لله تعالى؛ أي أنها جميعها في حال سوقٍ شديدٍ وطراد ضمن الإرادة الإلهية؛ تعمل جادةً دائبةً لله تعالى، تتحرك وتداوم على الحركة وديدنها الأداء والاجتهاد في تحقيق وظيفتها، تدور وتدور وتلازم العادة والشأن بكدٍّ ودون ملل أو كلل، ولا شكوى؛ وتُنَفِّذُ ما عُهِدَ إليها من الأمور والأعمال؛ الشمس والقمر والكواكب، والنباتات والحيوانات وكل المخلوقات، هي ذاتها لا تستطيع الخروج عن مسارها ولا أن تُغَيِّره؛ قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ إبراهيم، إنَّ كلُّ ما في السماوات والأرض يسعى في مداره يخدم الأنام من الإنس والجان؛ دائباً في تنفيذ ما أنيط به من الأعمال؛ فهي تسعى لتنفيذ ما عُهِدَ إليها، دون أن تنتظر العطاء أو الجائزة أو النتيجة أو الجَواز أو التجاوَزَ عن الذَنْب، أو التساهل والتسامح عنها في البيع والاقْتِضاء! أنها لا تنتظر ذلك من أحدٍ من المخلوقات، إنها تعمل لله تعالى دون كلل، تنفيذاً لأمره لا.

وهذه هي الحقيقة التي يجب ان تكون راسخة وأساسية في العقل الواعي لتنتج وليُبنى عليها ... والتسبيح هو طاعة الله تعالى المطلقة، وعدم الخروج عن مساره وطريقه المحدد، وتنفيذ أمره بدقة متناهية، (يُسبح): وقد جاءت في القرآن العظيم في صيغة الماضي

والحاضر وفي صيغة الأمر؛ وسبِّح أي أنت سبح أيضاً.... والعزيز الحكيم أي هو تعالى الغالبُ الذي لا يُغلب، قال تعالى: (وإنْ من شيءٍ إلا يُسبِّح بحمده) قال تعالى (وسخرنا الجبال مع داوود يسبحن) وهذا يعني أنَّ الجبال في عصر سيدنا داوود كانت وبأمرٍ من الله تعالى، تعمل بإمرة النبي داوود عليه الصلاة والسلام، فهي كانت لأمرٍ ما في تلك الأيام تتقدم وتتأخر، وترتفع أو تنبسط، يعني كانت بخدمة سيدنا داوود وتنفذ سياسته، أي أنَّ الجبال كانت من جنوده؛ والله تعالى أعلم[1]، ومعنى لا يفقهون تسبيحهم: أي لا يفقهون ولا يعون ولا يفهمون مهمتهم في الحياة، لكن هذا لا يمنع من أن يحاول الإنسان دائما وفي المستقبل استكشاف الأمر والبحث عنها شيئاً فشيئاً.

النفس مفطورة على الإثرة والبخل، ومن يستطيع إدارة نفسه والتحكم بها؛ وقيادتها إلى فعل الخيرات فهو الذي سينجو وهو الذي سيكون من الفائزين

وقد تكررت لفظة (سبّحَ) بصيغة الماضي و(يُسبح) بصيغة المضارع و (سبحْ) بصيغة الأمر وفي جميع الحالات فإن الفرض الأساسي كان أنَّ الله تعالى تسبح له جميعُ الكائنات والمخلوقات والأحداث التي تحدث جميعها، إنما تدور في فلكه وتحدث بعلمه تعالى، لا تستطيع الخروج عن ما هو مقرر.. فإذا كان الأمر كذلك فإنَّ عليك أيها المؤمن أن تؤمن بما يترتب على ذلك؛ مما تقرره السورة لاحقاً من الأفعال المنسوبة لله تعالى، والأوامر والنواهي

---

١ ـ قال تعالى: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾الأنبياء، ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ النمل.﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ص.

الربانية ... وكذلك فإنَّ القرآن عقل كلي؛ والإنسان العاقل إنما يقتبس من كلام رب العالمين الأفكار.

وذلك من أجل رفع سوية المؤمن، فإنَّ القرآن العظيم يناقش جوانب متعددة من تلك الشخصيّة، ويعمل تنفيذياً وميدانياً على تقويمها وتقويتها بأحسن السبل، لتقريبها من الكمال عبر إنقاذها من حالة الخفض والوضاعة والسلبيّة، ودعمها بالعوامل والأوضاع المثالية والإيجابية لتبلغ الكمال، لتصبح مُشْرِفَةٍ قادرةٍ على امتلاك روح المبادرة والقيادة .

لذلك فأول العوامل التي على المؤمن ادراكها وتحقيقها على الواقع هي فرز منظومة الأعداء المعادين، عن منظومة الأصدقاء المؤيدين للحق ، وأنَّ عليه كعاقل وكمفكر أن يحسم أمره تجاه أولئك الأعداء ... وأن يقطع في قراره تجاه أعداء الله تعالى، وأعدائه، هذا وإنَّ من كان غير حاسمٍ لأمره تجاه أعدائه فهو متهمٌ ومشكوكٌ في منطقه؛ فهو ضعيف الشخصيّة غير جديرٍ بتسنم القضايا أو المسؤولية عنها...!

قال تعالى: ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ :

وهذه هي المقدمة المنطقيّة الأساسية الثانية، الضرورية للعقل السليم، للفهم والتفكير الصحيح، التي على العقل أن ينطلق منها إذا أراد التفكير؛ لأنَّ الذي يحيي ويميت يجب أن يكون له ملك السماوات والأرض، ويجب أن يكون على كل شيء قدير، وإلا فليس لأيٍ مدعٍ من الذين كانت ملكياتهم محدودة؛ مهما تعاظمت ملكيته، ومهما اتسع سلطانه أن يدعي أنَّ بإمكانه أن يحيي وأن يميت! وأنه قادرٌ على تحقيق كل شيء على كل ما يريد.

لكنَّ الله تعالى فعالٌ لما يريد، فهو يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لأنه تعالى له ملك السماوات والأرض، وملكه سبحانه وتعالى مطلق وغير محدود، وقادرٌ على تحقيق كل

شيء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج،

و(الحياة) تعني المجيء إلى الدنيا (الأرض)، الولادة والتواجد فيها، و(الموت) هو الذهاب من هذه الأرض والخروج من هذه الحياة والدخول في العالم الآخر (عالم الغيب). والله سبحانه وتعالى هو مالكٌ لجميع العوالم والمتحكم بها، وهي تتبع لإرادته ومشيئته، ولذلك فهو المحيي وهو المميت سبحانه وتعالى.

إنها مقدمة كليّة منطقية نتجت عنها نتيجة إيجابية واجبة منطقية صحيحة.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ : وهذه هي المقدمة المنطقية الأساسية الثالثة الضرورية للعقل السليم، فكل عقل سليم يجب أن ينطلق في تفكيره من ثوابت أو مقدمات أساسية ثابتة راسخة لا تتغير ولا تتفاوت ولا تتناقض مع النتائج، إنَّ من كان بكل شيءٍ عليم، فيجب عليه أن يكون هو الأول وهو الآخر؛ ولا يجوز أن يكون قبله أحد، ولا يجوز أن يكون بعده أحد، كذلك يجب أن يكون هو الظاهر وهو الباطن، عالمٌ وطلعٌ على المحتوى بالإضافة إلى علمه واطلاعه الظاهر .

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ : وهذه هي المقدمة الأساسية الرابعة الضرورية السماوات والأرض (عوالم الغيب وعالم الوجود) وهم صاروا يشكلون (العرش) إنَّ العرش يتكون من عالمي الغيب والشهادة، ومفهوم الاستواء على العرش هو عين مفهوم الإرادة والادارة والقيادة والتحكم والسيطرة والهيمنة والدفع والتفعيل والإمداد والمراقبة، إنه تحقيق الربوبية

والمتابعة لما في السماوات والأرض، لذلك فقد سبح لله ما في السماوات والأرض، (الآية الأولى ـ المقدمة) .

فالعرش في اللغة هو موقع الملك إذا وجد وحيث يوجد، وهو مقرُّ القيادة، أو كرسي الملك الذي من عليه يحكم البلاد والعباد، فإذا وجد الملك وكان يمارس نشاطه فإنَّ ذلك المقر (الكرسي) يسمى (عرشاً) أما إذا غاب عنه الملك وكان شاغراً فلا يسمى عرش.

وقد سمي كرسي الملك عرشاً لأنَّ الملك من عليه يصدر جميع أوامره فيطاع، أما إذا كان كرسي الملك شاغراً! فإنه لا يُسمى عرشاً، والله سبحانه وتعالى الذي خلق كل شيئ ثمَّ أخضع عز وجل جميع الخلق إلى سلطته وأصبحوا يسبحون بحمده سبحانه وتعالى.

(في ستة أيام) [1] وهو تعالى يأتي بالأنفس التي قرر ولادتها، والتي كانت في عالم الغيب يأتي بها إلى الحياة، ويأخذ الأنفس ـ التي جاء أجلها ـ يأخذها من الحياة إلى عالم الغيب، ذلك أنه

---

١ ـ (اليوم) هو مقطعٌ من (الزمن) والمشترك بينهما هو حرف (الميم) والميم إشارة إلى عالم الغيب وإلى التأكيد على احتواء لفظ (اليوم) على ماهية غيبية، إضافة لوجود حرف (القوة) وهو (الواو)، وهو يشير أيضاً إلى المشيئة الإلهية المطلقة غير المحدودة، وكذلك فإن مفهوم (الزمن) الذي يشير إلى احتوائه على غيب خالص، والذي يأتي كاملا من الله عز وجل، و(النون) الحرف النوراني إنه يشير إلى البداية والمنطلق والأساس.

فإذا بدأ اليوم عُدَّ مكتملا و(اليوم) هو (مدة) من الزمن، وليس (فترة) فما معنى (الفترة) ويقال (أن الفترة هي التي تكون بين نبيين) ففي (اليوم): حرف (الياء) يقع في البداية (بداية اللفظ) وهو يشير إلى السعة والاستيعاب والإلمام والاستغراق الكامل للحدث أي أن الوقت (في اليوم) قد استوعِبَ وهو يستوعب كامل الحدث (يوم القيامة) (يوم) (يم) (يافا) (يبرود) و(الواو) دليل وإشارة إلى القوة القاهرة المهيمنة و(الميم) تشير إلى المصدر والمآب وهو عالم الغيب، منه وإليه.

والوقت في المعجم: مقدار من الزمن، وكل شيء قدرت له حينا فهو مؤقت وكذلك فإن ما قدرت له غايته فهو مؤقت وهو نهاية الزمن المفروض للعمل ولذلك لا تكاد تقوله إلا مقيدا والوقت المقدار من الدهر وأكثر ما يستعمل في الماضي والجمع أوقات كالميقات ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾ [الأعراف] ﴿

لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة]، ﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء]، أي مفروضا في الأوقات المحددة والميقات الوقت المضروب للفعل والموضع ويقال هذا ميقات أهل الشام للموضع الذين يحرمون منه والهلال ميقات الشهر وتقول وقته فهو موقوت إذا بين للفعل وقتا يفعل فيه وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لأيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ ﴾ [المرسلات] ووقت موقوت وموقت أي محدود، والوقت تحديد الأوقات كالتوقيت، ووقته مثل اجلته، والتوقيت و(التأقيت) أن يجعل للشيء وقت يختص به وهو بيان ومقدار المدة، تبيان حدود الوقت قال تعالى: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾ ﴾ [الإنسان]، ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر] ﴿ وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ ﴿٨٨﴾ ﴾ [ص] ﴿ وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [الصافات] ﴿ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يس] ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ ﴾ [المائدة:١٩] ﴿ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٣].

وحول العلاقة بين (الفترة) و(الرؤية) و(الرأي) من المحدودية والنهاية القريبة المغلقة نسبيا ﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود] ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال]، ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ

مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود] ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [الكهف] ﴿ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾[النمل] النظر والرأي والعلم، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج] ، بينما تقول العرب أنَّ في الولادة بداية العد باتجاه نهاية الحياة أو أنّ فيها بداية الخسارة؛ وقيل أيضاً أنَّ (الدهر) من أسماء الله الحسنى، ويقال أن الدهر هو مدة زمان الدنيا، فالدهر أو الوقت هو ما نقطعه في الحياة أو في الأعمال من الزمان، في اثناء الحركات وهو بين علامتين أو هو مدة زمان الدنيا وقيل أن الدهر هو (الزمان) قل أو كثر وقيل الزمان شهرين إلى ستة أشهر والدهر لا ينقطع أبدا فهما يفترقان وقيل أن الدهر هو الزمان الطويل، وقيل (الدهر) ألف سنة، وقيل أن الدهر في الأصل اسم لمدة العالم من ابتداء وجوده إلى انقضائه، بخلاف الزمان الذي يقع على المدة الكبيرة والقليلة قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الكهف، والدهر يطلق على الأمد ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الحديد] ، وشرط (اليوم) أنه مدَّةٌ من الزمن ترافقها ظروفٌ خاصة تترافق وتتناغم وتتجمع في وقتٍ قد يطول أو يقصر؛ وذلك بهدف إنتاج حالة محددة، لذلك فاليوم هو مرحلةٌ مُحددةٌ تتوالى وتتضافر فيها ظروفٌ وأحوالٌ وعوامل خاصة مترافقة متضافرة ينتج عنها نتائج مؤثرة في كل شيء، الإنسان والحيوان والنبات والسماوات والأرض وما بينهما.

والأيام أساساً هي الظروف الخاصة والشروط التي تتجمع في وقتٍ ما أو في زمنٍ ما، أو في أي وحدة من الوقت! تترافق وتتوافق وتتلازم أو تتالى لتنتج حدثاً ما أو خلقاً جديداً، فالظروف المناسبة هي توافق وترافق مجموعة من العوامل الطبيعيّة التاريخيّة والاجتماعية والنفسيّة والاقتصادية لتنتج حدثاً خاصّاً أو حالة خاصّة أو مجموعة من الأحداث في فترة ما من الزمان طويلة المدى أم قصيرة، فهي إمّا روحٌ وريحان أو عذابٌ بعذاب، وبالتالي أمّا أن تفضي إلى السعادة أو إلى الشقاء قال تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ} فصلت ١٦ وقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ} [ق : ٣٨] يعني في ستة مراحل أو في ستة وحدات زمنيّة مختلفة الظروف والعوامل والشروط، مرت بها عوالم السماوات وكذلك الأرض، وذلك حتى نضجت واكتمل خلقها، وصارت جاهزة ليحيا بها الإنسان .

هو الملك وله المُلك في جميع العوالم، الغيبيّة والوجود، وهو تعالى قادرٌ على تحقيق كل أمر، وهو تعالى قديرٌ على كل شيء لأ، وهو سبحانه وتعالى الأول بلا بداية وهو الآخر بلا نهاية وهو عالم بالظاهر وهو عالمٌ بالباطن، لأنه إلهٌ وربٌ والمالك، لعام الدنيا (الأرض) وللآخرة (السماء) وذلك تأسيساً على الآيات السبقة في مقدمة السورة الكريمة.

إننا في فهمنا للقرآن العربي يجب أن نحاول الابتعاد عن الأوهام المضللة والمغلقة للعقول، لأنَّ القرآن حقٌ وعلمٌ ومبين، وهو تعالى الذي خلق وأبدع العوالم جميعها، الغائبة والحاضرة، وذلك في ستة أيام... والأيام هنا (مفهومها) لا علاقة له بالوقت والله أعلم، ولكنها مجالات ووجوه ونوعيات أو أنماط أو مواد أولية أو طبائع ستةً، تألفت منها، وانبثقت عنها السموات والأرض، وولدت من بعضها الأشياء، ثم كانت مراحل طويلة ومتعاقبة، ملايين من السنين، إنها أكبر بكثير من الوقت الذي يمكن أن يتخيله الناس، إنها أكبر وأوسع نطاقاً من التاريخ والتأريخ، كل يومٍ منها عبارة عن مرحلة وماهيّة مختلفة عن سابقتها ولاحقتها، لكنها ذات صلة وارتباطات مختلفة في آن.

ومفهوم (اليوم) يشير إلى وحدة ما ولكن ضمن سلسلةٍ من الوحدات فمفهوم اليوم في القرآن ليس بالضرورة أن يعني تعاقب الليل والنهار، فهو قد يعني حين وقد يعني آن

وكذلك فإنَّ اليوم يعني أيضاً تعاقب الليل والنهار ؛ وهو أربعة وعشرين ساعة، وإنما على أنه جديدٌ ومختلف حتماً، وليس هنالك يوم مماثل لسابقه أبداً بشروطه وظروفه والعوامل المتوفرة فيه، فقط البلهاء والجهّال والعُجم والحمقى والذين لا يعقلون يُعدُّون توالي الأيام تكرارٌ لها.

ومن هنا فإنَّ العرب تسمي تعاقب الليل والنهار (يوم) وتسميهما الجديدان أو الحدثان، وذلك بما سيحتويان من الظروف والأحداث الحديثة، وفقط الدواب والجمادات فإنّها بالنسبة لها ليس لديها أوقات ولا زمن وليس احساسٌ بمرور الساعات، إنَّ الزمن والأيام والأوقات والساعات، هي فقط للإنسان الحر الواعي، وهي دائماً بالنسبة له آجالٌ جديدةٌ لا يتماثل فيها غَدُهُ مع أمسِهِ أبداً، إلا إذا أصبح عاجزاً ومسلوب الإرادة وفاقداً للصلاحيّة.

مطلق غير محدود أو دهراً وربما كانت قضية مجالات أو حالات أو أسس مختلفة، فحرف (الياء) في العربية يعني الديمومة والبقاء غير المحدد، و(الواو) هنا حرف القوة المطلقة السرمدية الجبارة، و(الميم) حرف الغيب أو الأشياء الواردة من عالم الغيب ... الماء والملح والسماء والمساء، (ويوم تقوم الساعة) أي عندما تقوم الساعة، و(اليوم الآخر) أي المجال الآخر أو الحدث الآخر، و(يوم القيامة) أي الحدث الذي ستقوم فيه القيامة، أو حين تقوم القيامة أو حين تحدث القيامة، { وفَطَرَهم: أي دلَّهم على الطريق، وأخضع المخلوقات جميعاً لأمره وأصبحت جميعُها تدور في فلكه، وقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ ﴾ وهذا القول يتضمن ضمنه، أي ليس بوسعنا أن نقاتل في هذه الفترة وليس بمقدورنا القتال وليس من شأننا القتال وذلك بتأثير الخوف والرهبة.

قال تعالى: ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ ﴾: وهذه هي المقدمة الضرورية الأساسية الخامسة

قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾:

وهذه هي المقدمة والنتيجة الضرورية والأساسية السادسة، والآيات السابقات مقدمات وممرات اجبارية للعقل والمنطق والرأي السديد؛ لا بد له من عبورها، فهي من عالي وتُسلم إلى عالي؛ و(الليل) هو: عوالم الغيب التي يملكها الله وحده سبحانه وتعالى، وهي أيضاً (السماوات)، و(النهار) هنا أيضاً هو عالم الحضور أي (الأرض) وهي السماء الدنيا، وبحسب تلك المقدمات الواضحات في (سورة الحديد) فإنَّ الله تعالى هو وحده المالك الفعلي لعالم الحضور (النهار) أي (الأرض) أي (الدنيا) بما فيها؛ وما لها وما عليها من

القوى والامكانيات؛ وكذلك فهو تعالى مالكٌ (لليل) أي لجميع عوالم الغياب، أي (السماوات السبع جميعاً) بما فيها وما لها وما عليها من القوى والامكانيات؛ فهو تعالى مالك المُلْك في جميع العوالم، وهو الذي يهب الملك لمن يشاء، وهو الذي يحيي وهو الذي يميت، وهو على كل شيء قدير، وهو الرزَّاق، وبناءً عليه فإنه تعالى قادرٌ في أي لحظةٍ؛ على أن يولج (الليل) في (النهار) ويولج (النهار) في (الليل) أي أن يدخل كلياً أو جزئياً : الليل في النهار؛ وأن يدخل النهار في الليل، ((أي أن الله سبحانه وتعالى بما أنه هو مالكٌ لجميع العوالم الحضور (الدنيا) والغياب (الآخرة) ، فهو قادرٌ سبحانه وتعالى على تغييب الحضور كلياً أو جزئياً، وكذلك فهو سبحانه وتعالى قادرٌ على إحضار الغياب كلياً أو جزئياً؛ متى شاء سبحانه وتعالى، وهو تعالى عليمٌ بذات الصدور، أي أنه تعالى عليمٌ بالنفس القاطنة في الصدور، (والصدر هو المكان العالي من الداخل ...).

قال تعالى: ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ ﴾ : أي أنفقوا مما جعلكم مفوضين في التصرف فيه لفترة محدودة! من غير أن تملكوه ملكية حقيقية، فإن المال مال الله تعالى وكذلك العباد الذين جعلهم خلفاء في أمواله عليهم أن يصرفوها فيما يرضيه، وأنتم خلفاء لمن كان قبلكم، ممن كانوا يملكون نفس المال، وهو سينتقل إلى غيركم ممن يرثكم فلا تبخلوا فيه(وهذا ترغيبٌ بالإنفاق) في الخير.

فالذين آمنوا منكم وأنفقوا وفق مشيئة الله تعالى فإنَّ لهم أجراً كبيراً، وهم الذين جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله وبين الإنفاق في سبيل الله تعالى. أنَّ لهم أجراً كبيراً، و(آمنوا؛) فعل أمر ... وهذا الخطاب، وهذه التعليمات هي فقط للناس الذين يستمعون إلى القرآن العظيم، الذين لهم أسماع يسمعون بها والذين لهم أنظارٌ ينظرون بها، والذين لهم عقولٌ يعقلون بها

وأحاسيس، لهم لا لغيرهم يكشف الله تعالى هذا السر الخطير والعجيب! أنَّ عليهم المبادرة إلى الإنفاق مما أوتوا، ومما كان تحت تصرفهم في الحياة، من الأموال والقوى والطاقات المادية والمعنوية، وأن عليهم تحريكها وعدم تكديسها دون طائل؛ والعمل على استثمارها وإنتاجيتها، نظراً لما للإنفاق الخلَّاق والبنَّاء من تأثير إيجابي فعَّال في الفرد والمجتمع، قد لا يدركه الإنسان العادي غير المفكر؛

ويقول تعالى: أن الذين آمنوا من الناس، وأنفقوا في سبيل الله تعالى، فإن لهم أجراً كبيراً، وذلك في الدنيا والآخرة، فإنَّ الله لا يضيع الله تعالى أجر عامل إذا عمل.

إن هذا الوعظ يوعظ به، وهو موجهٌ فقط إلى من كان يؤمن بالله تعالى واليوم الآخر؛ ذلك أن الإيمان باليوم الآخر هو بوابة الإيمان ومادته وهو أساسه ومنطلقه، فلا هداية ولا تنوير ولا مكان للوعظ ولن يكون له الفاعلية ولا النتيجة ـ في النفس ـ إن لم يتوفر فيها الإيمان، إن رأس مال المؤمن ومسباره والدليل الأساسي الذي يملكه؛ ويسير به على هدى إلى الحق، هو الإيمان باليوم الآخر .

والمؤمن يعلم وهو على يقين أنَّ الله تعالى يرزقه من حيث لا يحتسب، من حيث لا يتوقع، من المكان الذي قد لا يحسب له أي حساب، لأنَّ الله تعالى هو الذي يهيئ الظروف والمناسبات والإمكانيات وما على الإنسان إلا أن يعمل ويحاول ويبذل الجهود والطاقات وأن يتحضر ويتهيأ.

قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ : ومالكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم، وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين، و(ما لكم) سؤال استنكاري وفيه استغراب وتوبيخ وتقريع لحالة التأخير والتأخر في الإيمان، وعدم السرعة فيه! فأي عذرٍ وأي مانعٍ لكم من

الإيمان بالرسول وقد أزيحت عنكم العلل والآفات (والعامل في لكم فيه الاستقرار) والاستنتاج المنطقي بناءً على المقدمات الحقيقية والسليمة في البداية، (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) الجملة فيه تدخل على ما قبلها (ما لكم)...والمعنى : أي عذرٍ لكم في ترك الإيمان؟ والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه؛ (وقد أخذ ميثاقكم) على التداخل أيضاً أي والحال أنَّ الله تعالى قد أخذ ميثاقكم، بما نصب وأعلن لكم من الأدلة البينة والدالة على التوحيد ووجوب الإيمان، ولوا أنكم كنتم تبحثون عن سببٍ لتؤمنوا فهذا من أعظم وأجل الأسباب الموجبة للإيمان.

فهو يأخذكم من ظلمات الشرك إلى نور الإيمان، لأنَّ رسول الله يدعوا إلى الخير والنفع والمنفعة الايجابية والصلاح والإحسان، والعقلاء يتسابقون في هذا المضمار، ولا يتأخرون أبداً، وقد أخذ اللهُ تعالى ميثاقهم بمنطقهم وسلوكهم وخيارهم وفطرتهم السليمة؛ حيث كانت الفطرة التي فطروا عليها هي الإيمان.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩ ﴾: مع أنكم أصبحتم متأكدون؛ وأنتم تعلمون تمام العلم بفطرتكم السليمة وعقلكم الراجح، أنَّ الله تعالى هو الذي أنزل على عبده (القرآن العظيم) وأن فيه آيات بينات واضحات وموضِّحات، لتضيء لكم الطريق، وأنها تهدف إلى إخراجكم من المتاهة التي أنتم فيها، من الظلمات إلى النور، لترشدكم وتدلكم على الحق وإلى الطريق الصحيح، ولتصحح لكم أموركم ولتلهمكم الصواب، إنَّ الله تعالى بعباده رؤوفٌ ورحيم، ويمهل عباده ولكن إلى حين، فهو تعالى لا يظلم أحداً أبداً.

الأنبياء سلسلة من (الرسالات) متلاحقة ومترابطة ويكمل ويتمم بعضهم بعضاً

إنها تجسد الحق الباقي المستمر الذي لا يحول ولا يزول (رسالات السماء) ، فهي البداية التي بدأت وانطلقت عندها ـ في البدء ـ كافة النشاطات العقليّة والفعاليات الفكريّة، المعنويّة والماديّة، وقبلها كان الناس مجرد كائناتٍ تعيش على الأرض كالبهائم دون هدفٍ تسعى إليه، وعند الوحي، وعند بدء سريانه في عقول الناس، ومن اللحظة الأولى لظهوره، في حياة الناس، انعقد الأمر والتأمت واجتمعت شروطه، وتكاملت ونضجت وأصبحت مواتية ومناسبة لبدء الإبداع، وقبل (الوحي وقبل نزوله من السماء) قبل انطلاقه في عقول الناس، فإنه لم يكن للإنسان في هذه الحياة ما يميِّزه عن البهائم.

غاية الرسالات السماويّة، الإسلام والفكر

(الإسلام) بالأساس هو دين ندين به ونظام رباني، وليس مجرد فكر، بل يُستنبط منه (الفكر العربي) ويسير في ركابه.

هذا وإنَّ ما يمكن تسميته بـ(الفكر الغربي) وهو انتاج العقل البشري في أوربة وأمريكا، كان من الخطأ وضعه في مقابل (الإسلام) الدين الرباني، وحقيقةً لا يمكن أن يكون (الفكر الغربي) بحالٍ من الأحوال في مقابل الإسلام، لأن الإسلام الأساس أنه نظام رباني، ولكنه (الفكر الغربي) وهو كلُ فكرٍ أُخرِجَ في العالم ليكون في مقابل (الفكر العربي) المستوحى أساساً من الإسلام، وهو أي (الفكر العربي) إنتاج بشري أيضاً؛

ولكن أين هو الفكر العربي الإسلامي ليكون في مقابل الفكر الغربي، وهل هنالك فكر عربي إسلامي معاصر أساساً وما هو مفهوم الفكر[1]؟ فإذا كان الفكر هو تلك العمليات والنشاط الذهني وما ينتج عنه من فرضيات ونظريات وحلول لمشكلات ورؤى وآراء ووجهات نظر، تُسطر في الكتب، فإنَّ ذلك كله يمكن أن يتم عند كل الناس وفي كل الأوقات ولدى كل الفئات في العالم وفي جميع مراحل العمر؛ ولن يكون التفكير في هذه الحالة حكراً على جنس محدد ولا مجموعةٍ خاصّة، بل هو مشاع ومتاحٌ للجميع قال تعالى: ﴿ كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].

---

(١) ويرتبط التفكير بمواجهة تحدي مشكل أو إشكال ومعاناة البحث له عن حل أو مخرج، وقد اتجهت بعض تعاريف التفكير كما في (المعجم الوسيط) إلى كونه "إعمال العقل في مشكلة ما للتوصل إلى حلها". وأورد الدكتور صلاح الدين عرفة محمود في كتابه: "التفكير بلا حدود" وهو يعرف ماهية التفكير مجموعة من التعاريف التي تربط التفكير بحل مشكلة منها بأن التفكير هو:"ذلك النشاط الذي يبذله الفرد ليحل به المشكلة التي تعترضه مهما كانت طبيعة هذا النشاط سواء تطلب تفكيرا أكثر أو أقل حسبما يكون الموقف".

إنّ الإسلام العربي الحنيف الدين والنظام الكوني، أصلاً لم يكن يحتاج إلى رجالات دين ولا إلى كل هذه الأجهزة، أو هذه البرامج[1]، ولا إلى هكذا أشخاص، إن الإسلام هو ما هو موجودٌ في القرآن الكريم فقط، الشريعة الإلهية، وهو ليس فكر بشري ولم يكن موجوداً، في أفواه وأمعاء الوعاظ، أو الخطباء أو المنشدين ولا القصاص ولا الحكواتية، ولا شرائط تسجيلاتهم، إن الإسلام العربي الحنيف الدين الإلهي موجودٌ فقط ضمن كتاب الله ﷻ، إن القرآن الكريم هو المَعِيْن الأساسي للدين الحنيف والنظام الرباني فعلى كل عربي حُرٍّ واعٍ مدرك العودة إليه، ليستخرج منه ملامح الدين بنفسه ودون واسطة فكل عربي بإمكانه العودة إلى القرآن دائماً ومباشرة دون وسيط، ليستخرج بنفسه ولنفسه النسغ الكامل من المصدر الرباني الأساسي مباشرة دون مساعدة من الآخرين!

وهو ليس بحاجة وأنت لا تحتاج أساساً إلى من يساعدك على فهمه، لأنه بطبيعته مبين، إلا إذا كنت أنت عاجزاً أو عديم القدرة على الفهم والواقع يقول إن المريض فقط

(١) بالأساس هذه البرامج التلفزيونية الدينية والمحاضرات واللقاءات والمقابلات والمناظرات الدينية، والقص والوعظ الإعلامي الديني، إعلامياً عبارة عن أساليب قديمة؛ بدأت في أمريكا، لتحويل الشعور الديني، في أمريكا وأوربة، تهويده، والسيطرة عليه من قبل اليهود، واللوبي اليهودي في أمريكا، وقد نجحوا فعلاً! فمنذ الخمسينيات من القرن العشرين، ومن قبل، اعتاد الجمهور في أمريكا على هكذا ظهور لأحد القساوسة في البرامج التلفزيونية للرد على الأسئلة المحرجة، وفي الوقت نفسه لعمل دعاية مكثفة لليهود وتجييش المشاعر ضد العرب والمسلمين، عن طريق عقد المناظرات التلفزيونية مع أشخاص اعتقادهم في النقيض، وهكذا كان يستمتع الجمهور من خلال الحوار المثير والديمقراطي، بين رجال الدين المسيحي المهودين الذين يمثلون الكنيسة، وبين المنتقدين من مختلف الاتجاهات وغالباً ما كانت تختتم بجمع التبرعات لليهود! (لقد نقلت هذه الظاهرة الإعلامية الخطيرة إلى الأعلام العربي، ما عدا جمع التبرعات! الذي صار استجداءً، للمنكوبين من العرب المسلمين في أقطار الأرض!) وذلك أن الدين المسيحي المعمول به أساساً، في أمريكا، أو في أوربة، هو عبارة مجموعة من القواعد والقوانين وضعتها الكنيسة ورجالات الكنيسة، طبعاً هذا شيء يمكن أن يكون جيداً، أو مفيداً، في بعض الحالات، إن رجل الدين المسيحي فعلاً، فهو يمثل الكنيسة، ولكن عربياً هذا غير وارد أساساً، فعربياً لا يوجد رجال دين، وبالتالي فإن في الدين الإسلامي، كل واحد يمثل نفسه فقط، وهو دائماً يعبر عن نفسه فقط، ولا أحد في الإسلام يقدر أن يمثل الإسلام، أو أن يتقول عن الإسلام، أو أن يجعل الإسلام يقول؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، الإسلام يبرز لوحده من القرآن الكريم ويعبر عن نفسه وفقط، ولكنّ ما نراه في الإعلام، في هذه الأيام، من تمريرٍ لفتاوى وغيرها، ولا يمكن أن يعبر عن الدين السماوي العربي الحنيف، أو أن يوصل إلى العلم الحقيقي، إنَّ ما يشاهد في هذه الأيام على القنوات الفضائية والأرضية، لا يعبر بأيٍّ حال عن الدين الرباني الصحيح، إنه يعبر وعن نفسه.

هو الذي يُطَبَّقُ عليه نظام الحمية، فيقال له كل من هذا الطعام أو لا تأكل من هذا الطعام وصاحب الفكر والعقل السليم لا يحتاج إلى توصيات وهو ينطلق إلى كتاب الله مباشرة وفقط حاول.

إنه كتاب الخالق جلَّ وعلا، الله رب العالمين الأقرب إليك، وهو سبحانه وتعالى يعرف كل واحد فينا، قال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢]، وذلك على العكس مما هو حاصلٌ الآن حيث تقزمت الهامات، وخضع الكبار للصغار!

لقد شكلت التفاسير والمفسرون، في كثيرٍ من الأحيان، حجاباً حاجزاً بين حقيقة النص الإلهي، وبين العقل، فأبعد عن الفهم، وعُمل على إخراج العقل عن المسار الطبيعي وعن السياق الطبيعي المنطقي، الموصل إلى جوهر المعنى، المعنى العربي للمفردات، والتأويل العربي الحقيقي للنص العربي، والدلالة المبينة المباشرة للآيات الكريمة، لقد عملت التفاسير على إبعاد العقل وتشتيته في مسارات أُخَرْ، أخرجته عن السبيل الطبيعي والمؤدي مباشرة إلى عين النص.

إن شرط التفكير الصحيح هو الخروج من عباءة الكهنوت، (ففي اللسان العربي المبين لا مكان للكهانة ولا للسدانة ولا للتأبيب ولا للرهبنة ولا للبطركة ولا لحبر أعظم[1]؛ ولا حجة ولا باب ولا داعي بلاغ ولا مأذون مطلق ولا (مأذون محدود) ولا مُكاسر أو (مأذون محصور)؛ ولا (مؤمن بالغ) ولا (مؤمن مستجيب)، وليس لديهم أسقف ولا ناقوس ولا كاهن كما للنصارى ولا موبذ كما للمجوس ولا جالوت ولا شيبور ولا قرن كما لليهود (حيث لا كهانة في الإسلام)، ولا عجلاً كما هي عادة الهندوس والفرس المجوس قديماً[2] في بلاد فارس؛ فإن الزردشتية واليهودية - كما هو ظاهر - قد

(١) الحبر الأعظم: لقب منحه أول مرة إمبراطور روما في القرن الخامس الميلادي إلى أسقف روما، وهذا اللقب يعني بابا العالم المسيحي. (أو راعي العالم المسيحي)

(٢) جاء في كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزي بتحقيق محمد الصباح ص٩٨ أن السامري كان من قومٍ يعبدون البقر؛ ولهذا صاغ عجلاً، وفي الصفحة ١٥٦ قال: الشيبور هو البوق عند اليهود.

تقابلتا عند نضوجهما على صعيدٍ واحدٍ[1]. أو عبدة الأوثان والمعددين كما كانت في روما؛ وقبلها في أثينا وكما هي الحال في الديانات الأرضية؛ حيث يقدس فيها أو عندهم الكاهن؛ أو الحاكم؛ على أنه خليفة للإله على الأرض!

والرسول ﷺ يقول: «لا تتشبهوا باليهود»[2] وليس هنالك في اللسان العربي المبين عصمة، لأحدٍ من البشر أبداً أبداً، بل هو تسلط البعض وادعاؤهم بذلك ليس إلا، ولكن عند العرب وفي اللسان العربي المبين فإنه لا سبيل إلى تقديس الإمام أو الوالي أو الحاكم أبداً وإنما هي عاداتٌ أو طقوسٌ ومراسم فرعونية قديمة من مخلفات عصور الانحطاط، العصور التي تدنى فيها الوعي عند العرب إلى أدنى مستوى، وليس بالدعاية والإعلام يتحول الفكر الهابط إلى فكرٍ عظيم، ومهما كررت قولك عن فكرٍ ما وأقسمت أنه عظيم وجيد وكامل وخالي من العيوب، وأنه لا يعاني من الأزمات ومهما ادعيت أنَّ أفهام الناس هي العاجزة عن ادراكه وفهمه فلن يغيّر من وضعه وحقيقته شيئاً إذا كان هذا الفكرُ خاوياً متناقضاً متضارباً ومتهاويا وكان ليس بفكر وإنما مجرد تداعيات ونابعاً من المصالح الخاصة ولكنَّ الفكر الحقيقي ايجابي لا يحيد عن الحق شجاع وغير منحاز وهو دائماً مع الأهداف النبيلة.

إن الفهم العربي للنص القرآني، يُوحَى به للعقل العروبي والوجدان العربي السليم الحنيف وهو ينبع منه، من كل مؤمن بالله إيماناً صادقاً حقيقياً، قال تعالى: ﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٨) لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ (٧٩) ﴾ [الواقعة: ٧٨ -٧٩]، فكل عربي مسلم معنيٌ بالفهم والتفكير، ومعنيٌ باليقظة والوعي وهذا الأمر فرض عين وليس فرض كفاية؛ هذا الأمر ليس وقفاً على ما سمي برجال الدين، فليس في الإسلام رجالُ دين بل إن مفهوم رجال الدين ورد

---

(١) بل اليهودية، والزردشتية، وغيرها من العقائد الوثنية، بما فيها اليزيدية الفارسية القديمة، الأصل أنها خرجت من المجوسية؛ المنحرفة أساساً عن ديانة بني إسرائيل القبائل العربية القديمة، الديانة التوحيدية (الإسلام) في الفرع الذي تفرع إلى بلاد فارس والهند. هذا ما أثبتته الدراسات الحديثة جداً. فالقبائل العربية التي نبعت أولاً من البادية العربية قد توزعت في العالم، المؤلف.

(٢) كتاب ثمار القلوب ص٢٨٢ دار البشائر دمشق.

إلى الإسلام العربي مع ما ورد إلى حياة المسلمين العرب من بدع أهل الكتاب، ففي الإسلام الصحيح كل مسلم عربي ذكراً كان أم أنثى هو رجل دين؛ لأن مفهوم رجال الدين ورد إلى المسلمين العرب من اللاهوت والكهنوت الشرقي والغربي الغريب، وكذلك مفهوم الشيخ لم يكن من أساس الدين الإسلامي، بل هي مرحلة عمرية ووظيفة عشائرية ليس إلا، وفي الدين الإسلامي العربي أساساً لا يوجد رتب دنيوية أبداً، قال ﷺ «**رُبَّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره**».

بل ليس في الإسلام إلا عالِم أو متعلم ولا ثالث لهما أبداً، وقد حدد لنا رب العالمين صفة العالم الإيماني، تحديداً دقيقاً لا لبس فيه؛ قال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وهذا يعني أنه كلما ازداد الإنسان خشيةً من الله سبحانه وتعالى، رفعه الله إلى أعلى مراتب العلم وأطلعه، وأوصله المراتب العليا، وليس الأمر، أمر العلم بإطالة الذقون، ولا بلبس المسوح، ولا ينتهي التكليف بمجرد الاستياك بالمسواك ولبس المسوح، لكنَّ المطلوب هو الفهم والوعي، إن الفهم العربي للنص القرآني يجب أن يكون غاية كل عربي مسلم إذا وعى، ويجب على كل مسلم عربي أن يفهم ويعي، وأن يفتش ويبحث وأن يعمل ويُنتج ويُفيد؛ وهذا التكليف إلهي ورباني أساساً وهو الأمر المضيّع، فبالفهم العربي للنص الإلهي، يمتلك الإنسان العربي قوةً هائلة ويتحول إلى قوة عظيمة حقيقية، إن الفهم العربي للنص الإلهي هو الجوهرة الثمينة والمفقودة والضائعة التي ينبغي على كل عربي مؤمن وكان لا يزال لديه أدنى إحساس بالانتماء لعروبته ولوطنية العربية المؤمنة العزيزة والغالية، فعلى كل عربي مسلم من هذا المستوى، أن يبدأ بالبحث عن جوهرته المفقودة، وهي الفهم الصحيح، والحقيقي للنص الإلهي، إن إيجاد الفهم الحقيقي كفيلٌ أيُ كفيل في حل جميع الهموم العربية الداخلية والخارجية، إن الفهم الحقيقي لن يعني بحالٍ من الأحوال سلفية الفكر أو المنطق أو السلوك بالمفهوم الشكلاني المعروف، كذلك لن يعني بحالٍ من الأحوال سلفية أو صوفية الطريق ولا شيعيِّته المُسَيَّسَةُ أبداً، وإنما هي دعوى مطلقة ومفتوحة لكل مؤمن عربي في العالم عاقل فاهم مدرك واعي يقظ؛ لأن ينظر في كتاب الله سبحانه وتعالى، نظرة عربية بعقل عربي وفهم عربي، وإدراك

عربي، ووعي عربي، مشع مضيء معطاء مبدع ممتلئ عنفواناً وعلماً، وذلك كما أمرنا ربُنا ﷻ.

قال تعالى في القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام وهو يخاطب فرعون: ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٢٢]، وهذا يعني أنَّ فرعون كان قد أذلَّ بني إسرائيل، وحولهم إلى عبيدٍ له، يأتمرون بأمره؛ ويريهم ما يرى، ظناً منه أنه يهديهم سبيل الرشاد! قال تعالى: ﴿ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهَّ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [غافر: ٤٣]، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]،عن طريق الطقوس والمراسم الفرعونية؛ التي ألزمهم بها، هذه الطقوس، والمراسم إن وجدت؛ فهي قادمةٌ من جهة الفرس، والرومان، واليونان، والهند، والصين، وغيرها من الحضارات المُعدِّدة[1]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧] ولفظة إمام، كما أوضحه القرآن الكريم، كانت، خاصة بالأنبياء، والمرسلين مع كتبهم، ورسائلهم السماوية، قال تعالى: ﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [الحجر: ٧٩] وهؤلاء قوم لوط على الطريق الواضح والمعروف (تعرفونه) قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢] أي في كتاب واضح، ومعروف، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

---

(١) لاشك أنَّ عبارة (الحضارة الرومانية) التي اعتاد الكثيرون على ترديدها بفضل الدعاية الأوربية لها ولكنها عبارة تنطوي على الكثير من الخداع والتضليل والأباطيل، إذ إنَّ الرومان لم يكونوا حضاريين مطلقاً، ولا هم بنوا حضارة بمعنى الحضارة، أبداً بل كانوا مجرد محاربين مهاجمين محتلّين، وكانت امبراطوريتهم واسعة ولكن بفعل السيطرة وإخضاع الشعوب بالقوة العسكرية وفقط... وهي لم تكن حضارة بناء ولا حضارة قيم ولا حضارة مبادئ أبداً بل إمبراطورية عسكرية مهيمنة على الشعوب وقد أخضعتهم بالقوة! فهي إمبراطورية لا دين لها؛ وكان باني روما مهندس دمشقي!

قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فالتدريب المستمر والدوام على التأهيل واليقظة باكرا وبدء العمل في الصباح بعد التمرين وتناول الفطور؛ وانتشار الثقافة الوطنية ذات الاتجاه الوطني(وهو أرقى الاتجاهات الإنسانيّة) وذلك من بعد الايمان بالله تعالى والتأدب بالآداب والأخلاق العالية وتعميق العلم والتجربة، أمور غاية في الأهمية، وتربية الأجيال على حبها واحترامها، إضافة وملازمةً للترويض والرياضة المتوازنة والهادفة بأبعادها الثلاثة، الجسمية والروحية والنفسية، وهي أمورٌ يجب أن تكون عربية محضة، وأن تكون عادة لدى الشعب العربي لا يقبل عنها بديلا.(١)

وفقط العبيد يسارعون للتخلي عن الحضارة والتحضر أو يتفلتون منها أو يبتعدون عنها، عن القيم والمثل والآداب الإنسانية، إذا هم تحرروا من القيود لأنهم معتادون وقد أدمنوا القهر وأجواء الاستبداد، أما السادة العرب فإنهم لا يبررون لأنفسهم الوسيلة وتتحسن أخلاقهم وتصبح أرفع؛ كلما نالوا وحققوا لأنفسهم ولغيرهم الحق والكمال والمزيد من الحريّة والعدل والمساواة والخير والجمال والاستقامة، قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[الأعراف: ١٩٩] وهذا هو الشيء الذي كان سبب قوتهم ومنعتهم.

---

(١) (وليس الأمر مقصوراً على المذاهب الدينية فبعض الفلسفات الاجتماعية مثل الماركسية تضع المستقبل على أنه هدف التاريخ الانساني وتجعل الحاضر شراً ينبغي تجاوزه، الزمان إذنٍ أداة تحقيق الماهية، فالإنسان سياق زماني بجوهره، فرداً كان أم جماعة فنحن لم نُعْطَ حياتنا الحقة ولكننا اكتشفناها هناك في المستقبل وإننا في سعي دائم متجاوزين الحاضر، هذه الزمانية التي فُطر الانسان على أن يكونها، لأنه سياق (ديالكتيكي) كما أسلفنا هي في نظر انسان القضية سياق واحد، ولكن رغم أنها كذلك فهي مؤلفةٌ من آناتٍ يختلف موقفه من كل منها، فليس الآن الذي انقضى كالآن سيأتي لأن الأول قد امتلكناه والثاني مازلنا نسعى لامتلاكه ولذلك فإنَّ بعد الزمن هو في الحقيقة بعدان بعد الماضي الذي امتلكناه وأصبح حقيقة واصبح تحت تصرفنا وبعد المستقبل الذي نسعى لامتلاكه، وبعبارة أدق: نسعى إلى امتلاك القضية التي تنتظرنا فيه). أحمد حيدر، من كتابه (نحو حضارة جديدة) مرجع سابق.

وقد قيل أنّ الرجل إذا حسُنَ خُلُقَهُ ساء خلق خادِمِه وإذا ساءت أخلاقه حَسُنَتْ أخلاق خَدَمِهِ!

لكنَّ هذا التأكيد والالحاح غير المسبوق والذي نشاهده ونسمعه في هذه الأيام وهو يدعو الأجيال ويجرها إلى الخيبة، إلى مهاوي الانحطاط والضياع، وإلى أدنى بكثير من مستوى الحيوانات، إلى تقزيمها من خلال التأكيد على الرقص والغناء الماجن والمستهجن بكل المعايير، وإلباسهم الوجوه المستعارة واقنعة ورسومات ووجوه الحيوانات، هو من حيث النتيجة وبالٌ على الأطفال واليافعين العرب بقصد حرفهم واخراجهم من دينهم ودفعهم دفعاً إلى التفاهة والميوعة وقلة الأدب لقد باتوا يفخرون بمنجزاتهم! وكان تعليمه بالمدارس والمعاهد ومن خلال الدورات التي باتت تقيمها في المدن والبلدات العربية المراكز الثقافيّة العربية والعالمية، (رسم وجوه الحيوانات ووضعها على وجوه الأطفال، إنهم بشكلٍ أو بآخر يقربون المسافة بين الحيوانات والإنسان؛ إنَّ هذا العمل جريمة مبطنة يجب أن يحاسب عليها القانون، وهو فعلاً الحاحٌ غير مسبوق ويمارسُ بشكلٍ مقزز ومقرف والمهم عندهم من كل هذا السعي الدؤوب هو ابعاد الأطفال واليافعين العرب عن الروح الوطنية أو عن التفكير بالقضايا الوطنيّة. إنها متابعة حثيثة! فأين هم العرب المسلمون من هذه القاعدة الذهبية والأساسية، إنه ما من أسى لا يملك طول الزمن تهوينه أو تخفيفه، وكل أمر بميقاته رهين، ويجري الزمن ضد من تَخَامَلَ أو من أهمَلَ حقه؛ وصحيح أن التاريخ يكتبه الأقوياء؛ إنما في فترة ما وإلى حين.. ولكن سرعان ما يصحح التاريخ مساره ليُكتَبَ دون تحيزٍ وملازماً للحقيقة... إذ لابد من ذلك طالت الفترة أم قصرت! فهل تلزم فعلا حياة الأموات لذاكرة الأحياء.

إن بعض الأموات هم أحياء لايزالون بالفعل ولكن الكثير الكثير من الأحياء بالواقع هم أموات، ولكن الحقيقة هي أن الزمن يمضي بينما يتكلم الكثيرون؛ إنه يجرف أمامه كل شيء ويبيد كل شيء وتبقى وحدها الحقيقة، قال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن: ٢٦ – ٢٧]، لذلك على الأحرار

والأخيار في العالم (المدافعين عن الأوطان) أن يتحدوا وأن يتفقوا أيضا، وخصوصا العرب، وعليهم أن يصروا على فعل الخيرات ،ان يحسنوا الفعل؛ وان يقفوا وقفتهم ضد الباطل، وأن لا نثق بالخونة و(الأشياء المنافية للشرف غير مأمونة) وإن يكونوا على يقين، إنَّ من جور (الزمان) على (الأحرار) انتشار قلة الأدب بل انعدام الأدب وتسلط الرعاع وتسنمهم لزمام الأمور، واعتلاءهم للمناصب، هذا الزمن الذي تساوت به الأحرار والعبيد، واختلطت وتداخلت به الأمور وذهبت وتلاشت به القيم والمبادئ فلم يعد الحق هو الهدف بل المصالح، وصارت البطولات فنيا وعلى المسرح! لكن كل هذا الخراب والتخريب يجب أن لا يفت في عضد الأحرار الراسخين.

والحق يُقال فإنَّ الفكر القومي العربي الذس طرح وساد في أواسط القرن العشرين، على أوسع نطاق وقد نمى في أوسع اطار ثقافي وظروف كانت متناسبة مع ذلك الطرح .

إلا أنه تقاصرَ عن تحقيق ذاته وتكامله في إطار ثقافي عام ، لقد كان دائماً مشغولاً بأعداء له في الداخل والخارج، ومحاطاً بالمؤامرات من كل نوع، ما أدى إلى الحذر من كل الاتجاهات. حتى من ذاته، لقد فقد الثقة بذاته.

والنهاية تكون عادةً تبعاً للهدف، فالأهداف النبيلة تنتج عنها نهايات نبيلة وعظيمة ورائعة، فالمقدمات الصحيحة تنتج النتائج الصحيحة، والغاية التي كنتم تسعون إليها، إنها مدى الأمر الذي تسعون إليه وجلالته وعظمته، سريانه ومنتهاه، فالهدف الغالي عادة ما يكون نادراً، وهو لا يكون مبذولاً ولا متاحاً في جميع الأزمان والأحيان، إنه على الدوام مرتفعٌ وعالي وغالي، والحصول عليه أو الوصول إليه يتطلب بذل الجهد المضنية، إنه يجب السعي إليه، إنه كالثمرة الناضجة في أعلى الشجرة، يجب على العاقل الصعود إليها؛ لا انتظارها حتى تسقط من تلقاء نفسها..

والحكم هو القضاء والحكمة هي العلم، والحكيم هو العالم وصاحب العلم،

قضية كتابة وترجمة وتحقيق الكتب أهم من هامة

الناس يخلطون، وقضية كتابة وترجمة وتحقيق الكتب من أهم الأمور في حياة الناس: والحقيقة أنَّ النصر كان حليف المسلمين العرب عندما كان لهم كتابٌ واحد؛ بينما اندحروا وانهزموا وتبددت جهودهم وتبعثرت هممهم وتلاشت عزائمهم عندما تعددت الكتب لديهم، وصار إلههم هواهم وضَّيعوا الهدف الأساسي ؛ فكيف صار الناس، العرب المسلمون، العامة والخاصة، ومع مرور الزمن، يخلطون بين الحافظ المقرئ المجوِّد للقرآن الكريم، وبين العالم المفكر الدارس لكتاب الله بعمق، والمطلع بنطاقٍ واسع على سنة رسول الله ﷺ الفاهم الواعي المؤمن الحكيم، الذي يخاف الله سبحانه وتعالى، الخبير المرجع الذي يُرجعُ إليه عند الإشكالات، التي قد تنشأ عادة في سياق الحياة، العالم المطلع الباحث المناط بعلمه الفهم الصحيح والأقرب إلى الحق، الذي يُسمَعُ رأيه ويستفاد من تجربته؛ ويُؤخذُ بحكمته، ويُركن إلى نصحه وإرشاده؛ وكيف صاروا يخلطون، في هذه الأيام، بينه وبين الشخص الذي قد يكون عبارة عن مدقق لغوي ممتاز؛ أو أنه مجرد مصحح في جريدة أو هو تقنياً مجرد صحافي ناقل للأخبار أو محرر للنصوص أو معلم ابتدائي محترم للأطفال أو مدرس جيد لليافعين أو غيرها من الأمور المهنية الوظيفية البحتة كالطبيب والمهندس والمحامي! فمع احترامنا الشديد لهم جميعاً ولجميع الناس، إنما هذه الشهادات المهنية؛ لم تعد تكفي، لتأهيلك، لتجعل منك عالماً علامة! إذا كان لا يوجد لديك هم كبير وشامل، يدعو، أو يدعوك؛ إلى النهوض بالأمة، وإلى تقدُّمها، وإلى رقيها، وإلى تحرير الوطن من أثر الخرافة والتخلف، فالعلم ليس في أن يتحول الإنسان إلى قاموس، أو معجم متنقل! ينشط الذاكرة أو أن يصبح حاويةً للمعلومات، أبداً، بل كان هذا في الماضي، الآن ومن محاسن أو من إيجابيات الأجهزة الحديثة؛ أنها كشفت أولئك الذين كانوا ولا يزالون يدعون العلم، فقد أصبح الآن أبسط جهاز حاسوب، يمكن أن يُغنينا عن ألوفٍ من دعاة العلم أولئك!! فاليوم وعلى قرص ليزري واحد يمكنك الاطلاع على الكثير من الفتاوى في التاريخ، ويمكنك سماع العديد الخطب العصماء، من العصر الجاهلي إلى الآن! ويمكنك

قراءة كتب التاريخ، وكتب التفسير، المفيدة وغير المفيدة![1] ولكن كيف صار الناس العرب والمسلمون، في بلادنا يخلطون بينهم، وبين العلماء الحقيقيين، المفكرين الحقيقيين، والنُقَّاد المبدعين الحكماء الباحثين المتبصرين، الذين يمتلكون من الله سبحانه وتعالى حساً عالياً بالمسؤولية، ولديهم رؤية هامة، تحمل هماً ليس بهم خاصة؛ بل للوطن وللمجتمع وللأمة بأكملها! وعندهم ولديهم آراء مفيدة، وأفكار ضرورية أحياناً للناس لإرشادهم، وإفتائهم في حياتهم، ولدلهم لمن خرج عن طريق الحق، أن يعود إلى الطريق الصحيح؟ نظراً لما لديهم من خبرة وعلم وتجربة! قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قال تعالى: ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا ﴾ [الكهف : ٣٠]، قال تعالى: ﴿ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص: ٧٧]، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ اتَّقَوْا

(١) الحقيقة أن كتب التفسير التي بدأت في مطلع القرن الرابع للهجرة مع ابن جرير الطبري كانت وبالاً على الفهم الصحيح لكلام الله سبحانه وتعالى، وتحويلاً عنه إلى جهة معاكسة تماماً، لأن كلام الله سبحانه وتعالى المنزل إلى عباده، لا يحتاج ولم يكن يحتاج إلى تفسير...! بحيث عملت تلك الكتب على اعوجاج الخطوط التي كانت مستقيمة!

إنها كانت محاولات لاستبدال الصح بالخطأ؛ كما كانت قد فعلت من قبل كتب التوراة التي كتبها اليهود بديلاً عن التوراة الحقيقية التي أنزلها رب العالمين وكان فيها كلامه جل جلاله، والأناجيل التي كان قد كتبها الكتبة بديلاً عن كتاب الله سبحانه وتعالى، لقد قامت كتب التفاسير وكتب الحديث بالدور نفسه؛ فعطلت بذلك العقول وقادتها إلى مداخل دخيلة إلى العطالة والسقم، وذلك منذ مطلع القرن الرابع للهجرة، وإبَّان انهيار الحكم الأموي وتسلط الأعاجم، لقد عملوا على استبدال اللسان العربي المبين بما هو غير مبين وغير واضح والمتناقض، وتمموا تلفيقهم بكتب أدعوا أنها صحيحة وهي غير صحيحة البتة!! إنها كتب الناسخ والمنسوخ وكتب أسباب النزول، التي صنعت لإتمام الروايات المصنَّعة في الفيلم الذي أخرجه الطبري! بل كانت تلك الكتب تتمة لمشروعهم الذي كان يهدف لاستبدال الدين الحنيف بآخر غير حنيف؛ فهل كانت هذه المحاولات محاولات مقصودة؟!

وكمثال على ذلك فإنَّ سور المعوذات التي كانت في اللسان العربي المبين تهدف إلى تحويل الإنسان من حالة العطالة والسكون والوجوم والاستسلام والانقياد للواقع الذي كان واقع ذل وخنوع وتبعية وشرك وإشراك بالله وتسلط وهيمنة للأقوياء على عباد الله كانت هذه السور الكريمة والعظيمة عبارة عن دعوة للثورة والانقلاب والرفض لكل أشكال الهيمنة والسيطرة والتبعية التي كانت مفروضة من كل الجهات، الداخلية والخارجية؛ فكيف ساقوا المعاني في سور المعوذات إلى الشكل الذي أعادوا فيه الإنسان إلى حالة العطالة والسكون والقبول والتطبيع والرضى بكل أشكال التسلط والهيمنة والتبعية.

وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ٩٣]، فالإحسان الوارد ذكره في القرآن الكريم، بصيغٍ متعددة، ٥١ مرة، كان يهدف في أكثر الحالات، إلى دفع الناس إلى ضرورة بذل جهودهم في سبيل إيجاد مجتمع إنساني مؤمن، حضوري، وحضاري يتمتع بعلاقات إيمانية راقية، وخلاقة واعية، ويتجلى ذلك من خلال ارتباط، وربط الإيمان، في القرآن الكريم، بالعمل الصالح، فالإيمان وحده لا يكفي؛ بل يجب ربطه بالعمل الصالح وقد ورد لفظ الصلاح، والعمل الصالح حوالي ٨٢ مرة، فأين سيُمارسُ العمل الصالح؟، ومن سيُشكِّل الطرف الآخر في هذا التعامل؟؛ قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ للهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ١]، وأين سيُمارس المؤمنون اعمالهم الصالحة؟ لابد من حيِّز؛ لا بد من مجموعة بشرية تستوعب أو تتلقى العمل الصالح؛ هذه المجموعة أياً كان شكلها فإنها تُدعى الوطن! لأنه لا بدَّ للإنسان من وطن، وذلك بغضِّ النظر عن ماهية هذا الوطن، فكل إنسان في العالم، في ذهنه، وفي قلبه ووجدانه، وفي عقله معنىً منفرد عن الوطن، يجب أن يكون؛ وهو يفهم الوطن بطريقته الخاصة؛ ما يُمليه عليه إيمانه، قيمه ومبادئه وعيَهُ وفهمه وثقافته وعلمه ومعرفته، فهل كان وطن العربي المسلم بلا حدود؟ وهل قضية كتابة وترجمة، أو قضية تحقيق الكتب، الدينية، والتاريخية والتراثية العربية، هل هي قضية غير هامة، إلى هذا الحد؟! هل هي بسيطة وسهلة إلى هذه الدرجة؟ أو هل هي مجرد مهنة من المهن العادية؟! وهل هي غير هامة للدين والدنيا وللأمة وللوطن، إلى هذا الحد الذي أصبح فيه كل من هبَّ ودبَّ، يبادر بكل بساطة وجرأة، إلى الإدلاء بدلوه؟ فيعمل في كتابة، أو ترجمة، أو تحقيق الكتب، وتصنيف الكتب والمجلدات؛ التي باتت تُضَخُّ، وتُقدم بسخاءٍ إلى العقل العربي المسلم، وإلى المكتبة العربية الإسلامية، ورقياً، وإلكترونيا؟ ولم نعد ندري من هو القائم أو من هم القائمون على تلك المشاريع، ما إذا كانوا يهوداً أم عرب؟ (مثلاً المشروع الاستشراقي لجورجي زيدان، مطلع القرن العشرين، وجرجي زيدان[1] هذا

---

(١) في كتاب عن جورجي زيدان، بعنوان (جورجي زيدان في الميزان) قام الكاتب بتقديم دراسة ساذجة، شعبية، سطحية، بسيطة، وعاطفية لم يتطرق خلالها، إلى البحث المُعَمَّق عن شخصية جورجي زيدان، واستسلم إلى الدعاية التي قالت أنه

كان مستشرقاً إنكليزي الأصل كانت مهمته أولاً أن يعمل كضابط استخبارات مع الجيش الإنكليزي في جنوب السودان، ثم مكث في مصر أثناء الاحتلال الإنكليزي لمصر؛ ثم ظهر

لبناني، وهذا غير صحيح أبداً، فالثابت أن جورجي زيدان هذا كان مستشرقاً إنكليزياً عمل كضابط ارتباط في الجيش الإنكليزي، الذي عمل في الحملة على جنوب السودان عام ١٨٨٤م، وصار مستشرقاً، وقد قيل أنه (وفي سنة ١٨٨٥ عاد إلى بيروت من مصر! فانتخب عضواً في مجمع الشرق، وهناك تعلم العبرانية، والسريانية، وأتقنهما وأضاف إليهما بعض اللغات السامية!!!.

وقيل أنه في سنة١٨٨٦ زار جورجي زيدان إنكلترة وجال جولة مفيدة في متاحفها ومكتباتها الشهيرة.. وفي شتاء العام نفسه عاد إلى مصر؛ حيث طلب منه أصحاب مجلة (المقتطف) إدارتها، ثم أنشأ مجلة خاصة ١٨٨٨ أسماها (الهلال) وألف كتاب (تاريخ مصر الحديث)! وكان قد ألف أول كتاب ١٨٨٥ بعنوان الفلسفة اللغوية. وله أول رواية وهي المملوك الشارد تُوفي ١٩١٤، له تاريخ مصر الحديث، تارخ التمدن الإسلامي، تاريخ العرب قبل الإسلام، تاريخ الماسونية العام، تراجم مشاهير الشرق، التاريخ العام، تاريخ إنكلترا، تاريخ اليونان والرومان، وكتاب أنساب العرب، الفلسفة اللغوية، تاريخ اللغة العربية، علم الفراسة الحديث، طبقات الأمم، عجائب الخلق، وكتاب تاريخ آداب العربية في أربع أجزاء واثنتين وعشرين رواية تدور حول تاريخ العرب من الجاهلية وفي الإسلام، منذ الفتوح إلى العصر الحديث؛ (عن مجموعة تراث الإنسانية، المجلد الثامن، دار الإرشاد الحديثة، القاهرة، بقلم محمد عبد الغني حسن).

والمتأمل يستطيع التعرف إلى حجم الخدمة التي قدمها أمثال جرجي زيدان للعرب المسلمين، هذه الخدمة؛ التي انحصرت أولاً في هدف أساسي وهو تبديد ثقة العرب، بالعرب والإسلام، وثانياً كانت تهدف إلى تحطيم الدولة العثمانية وتمزيقها؛ بداية ما سُميَّ بعصر النهضة، لقد شكلت كتب جرجي زيدان ومقولاته (الهارد) الذي انطلق منه أو انبثق عنه، الوعي الحديث للعرب المسلمين، الوعي المجهض، للمسلمين العرب، الذي كان مقرراً له أن يولد وهو ميت، وبالأحرى شكلت هذه الكتب الإعاقة بالفهم، والاضطراب، والتشويه في الرؤية، عند العرب المسلمين وقد شكلت هذه الكتب بداية النهاية بالنسبة للحلم العربي، الحلم الذي كان من المؤمل له أن يتحقق لو استمر بشكله ووضعه الطبيعي؛ هذا الحلم بالتغيير والنهوض والثورة، الهدف الذي كان يحلم به، وكل عربي يعلم أن نشاطات المستشرقين، نهاية القرن التاسع عشر، ومطلع القرن العشرين، كانت مقدمة وتمهيداً (لسايكس بيكو، المؤامرة الإستعمارية الصليبية اليهودية، التي حالت بين العرب وبين تحقيق حلمهم العظيم بالنهوض والتقدم) لقد أسهمت كتابات جورجي زيدان وتلامذته من عرب الجلد والعظم في تأجيج روح الطائفية والفئوية والإقليمية بين العرب المسلمين، لقد بذرت كتابات جورجي زيدان بذور الشر والعداء للعرب المسلمين عند العرب أنفسهم، بمختلف فئاتهم، وقادت بعضهم بعد تجهيلهم للعداء على العرب المسلمين.

قال أحد الكتاب في معرض شرحه للتصورات، أو السيناريوهات السياسية المطروحة، والمتوقعة للمنطقة العربية والمسلمين، إبان الحديث عن العولمة والشرق أوسط الجديد: إننا لو وقفنا، مطلع القرن العشرين، ننظر إلى المنطقة العربية، لما استطعنا أن نتخيل، في ذلك الوقت، أن العرب سينقسمون إلى اثنتين وعشرين دولة، وإلى هذا العدد الهائل من الشراذم والفئات، والكيانات، والأحزاب والتنظيمات المتناحرة؛ المرتبطة والتابعة، والتي تُدار عن بعد؛ وقال: كذلك فإننا لا نستطيع، ولن نستطيع في هذه الأيام أن نتصور ما يُراد للعرب المسلمين من تمزيق يقتضي تجزئة المجزأ وتفتيت المفتت، والعرب اليوم هائمون، لا يدرون ما يُفعل بهم، وما يُراد لهم، وكأن الأمر لا يعنيهم!

له أصل عربي! وأصبح لبنانياً، وهو ليس لبنانياً، ولا عربياً، بل هو مستشرق إنكليزي، وقد يكون يهودياً، كانت له مهامٌ في بلاد العرب والإسلام، أدَّاها بشكل جيد! وهو الذي أشرف على كتابة التاريخ العربي والإسلامي[1] من جديد مطلع القرن العشرين وتحقيق

---

(١) يقول المؤرخ الأوربي غير اليهودي، أرنولد توينبي: في كتابه القيّم مختصر دراسة التاريخ، في الجزء الثالث، صفحة١٠٤، ما يلي (وإننا لنجد للتقويم المسيحي، وقت كتابة هذه السطور؛ السيادة على جميع العالم؛ ولا ينازعه مكانته سوى منافس خطير! هو التقويم الهجري الإسلامي (...!).

وقبل ذلك كان يقول..ومن قبيل المثال ولادة السيد المسيح، فلا يوجد دليل على ولادته بالفعل في السنة الأولى من العصر المسيحي، بل إن عبارة (العصر المسيحي) لم تُتداول وتألفها الأسماع إلَّا منذ القرن السادس الميلادي، وبذلك لا يوجد برهان على تأسيس مدينة روما عام ٧٥٣ ق.م كما هو معروف، أو عن إقامة أول احتفال أوليمبي عام ٧٧٦ ق.م، وهو التاريخ المتواتر وأضعف من ذلك ما يزعمه اليهود، عن خلق الدنيا يوم ٧ أكتوبر سنة ٣٧٦١ ق.م(!)، أو ادعاء المسيحية الأرثوذكسية أنه تعالى قد خلقها يوم أول سبتمبر سنة ٥٥٠٩ ق.م، أو زعم الأسقف الإنكليزي الايرلندي، بأنها قد خلقت الساعة السادسة من ليلة ٢٣ لأكتوبر ٤٠٠٤ ق.م.

وما يزال اليهود بعنادهم المعروف، ينسبون تقويمهم رسمياً على أساس تقديرهم بداية الخليقة).أ.هـ. والواقع أنه لا وجود لتقويم ميلادي حقيقي، وإنما كان للرومان تقويم بدأه يوليوس قيصر، أخذه عن المصريين، وفي بداية القرن السادس منه، حصل خلاف، واختلاف حول التقويم، فرفع ذلك الخلاف إلى الإمبراطور (غريغور) الذي كان شديد التدين، فأمر في حينه، بتقديم السنة ستة أشهر، من أجل مطابقة وقت جمع الضريبة مع وقت جني المحاصيل وطبيعة المواسم الزراعية في أنحاء الإمبراطورية الرومانية، كما أمر بتبديل تسمية التاريخ الروماني إلى التاريخ المسيحي!

ومنذ ذلك الحين، صار يقال بدل ميلاد القيصر ميلاد المسيح، وهكذا صار اسمها السنة الميلادية المسيحية، بدل السنة الرومانية، وكان ما يعرف بالتاريخ الغريغوري. والملفت للنظر في هذا السياق هو أنَّ الشك لدى الأوربيين، وخصوصاً الباحثين منهم؛ كان دائماً يحوم حول الكتب الدينية خاصة التوراة، والإنجيل، عن نسخها المتعددة، والمتباينة، والمتناقضة، في كثيرٍ من الأحيان عن صحتهما ومدى مصداقيتهما، كونها كانت قبل عصر الكتابة، أي قبل التاريخ المدون، ولكنَّ هذا الشك، لم يطل بحالٍ من الأحوال مقولات سقراط أبداً، ولا كتب أفلاطون الثلاثة!، ولا أعمال أرسطو، ولا حديثهم المبكر عن الديمقراطية!!!، وينظر إلى تاريخ الفلسفة اليونانية عموماً على أنه ماهيات غير قابلة للنقد! وذلك ربطاً باليهودي اسبيونوزا الذي تمت له الدعاية اليهودية غير المباشرة؛ إلى آخر ما هنالك من سلسلة للفلاسفة الذين كان أكثرهم من اليهود، أو أن أكثرهم كانوا قد تفلسفوا بوحي من التوراة اليهودية، والتلمود، والذين عملوا من خلال فلسفاتهم، على مد الجسور، لتعميم قواعد، وأصول الفكر اليهودي في العالم، منذ مطلع القرن الخامس عشر.

كما عملوا على تأصيل هذا الأمر، في العقل والفكر والوجدان البشري العالمي لدى الشعوب، ومعروفٌ كيف لاقت تلك الفلسفات الدعم، والدعاية الجمة، من إعلام وإعلان مكثف، لنشرها في أنحاء العالم وعلى مدى قرون من قبل المؤسسات الإعلامية والثقافية اليهودية العالمية، ودوائرها المنتشرة في أنحاء العالم؛ وإعادة التأكيد عليها، وذلك (لتبشيم) معلوماتها وتثبيت مقولاتها، لتصبح غير قابلة للتغيير، أو التبديل، أو التصحيح؛ إنّ الكتابات الأوربية عموماً عن التاريخ القديم، يمكن وصفها على أنها كتابات موسَّعة بشكل غير طبيعي، وهذا أكبر دليلٍ على أنها كانت قد كتبت لاحقاً وحديثاً، أُعدت ورُتبت ونُظمت في أواخر القرن التاسع عشر،،وأنها نسبت إلى الماضي السحيق! وأكبر دليلٍ على

ذلك هو أنَّ تاريخ الفلسفة اليونانية خلوٌ تماماً ومطلقاً من ذكرٍ للأنبياء أو المرسلين، فكيف يغفل الحكيم سقراط؛ وتلميذه أفلاطون، وتلميذه أرسطو، وغيرهم من الفلاسفة اليونانيين، كيف يغفلون عن ذكر نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، أو إدريس، أو إسحاق، أو يعقوب أو موسى، أو هارون، أو لوط،، أو ذو الكفل، وغيرهم وغيرهم من الأنبياء، ويؤكدون أنَّ سقراط عاش ما بين (٤٥٠-٣٩٩ق.م)، وأنَّ أفلاطون عاش ما بين(٤٢٨-٣٤٧ق.م)، وأنَّ أرسطو عاش ما بين(٣٨٤-٣٢٢ق.م) ويسهبون في تأريخ الفلسفة اليونانية، والتاريخ اليوناني الذي تمّ تفصيله وفق مسطرة الإدعاء اليهودي؛ وعلى مقاس التوراة اليهودية!

فهل قرأ أحدٌ كتاب (الجمهورية لأفلاطون) هل لاحظ أحدٌ أن هذا الكتاب لغته الحديثة تؤكد أنه وضع في الثلاثينيات أو الأربعينيات من القرن العشرين! ولعمري فإنَّ المرء لا يستطيع تخيُّل الطريقة التي وضِّبتْ فيها هذه المقولات، وهي مكتوبة بأسلوب ما بعد الحداثة، أو بلغة ما بعد الحداثة، إنّ كتب أفلاطون عبارة عن اختراع يهودي خالص، وفيه الكثير من مقولات الفكر السياسي التي تنتمي للعصور المسيحية الوسطى، وهو يتحدث بشكل غير مباشر عن نظام سياسي أحدثة الإسلام، ولم يكن معروفاً قبل الإسلام أبداً، لأنه كان سلوك الرسول العربي أولاً، ثم انتقل إلى أن أصبح سياسة الملوك والرؤساء وقبل ذلك لم يكن معروفاً أبداً، مثل مقولة (المواطنون سواءً أمام القانون)، فالرسول ﷺ هو أول من قال: «الخلق كلهم عيال الله وأقربهم إلى الله أنفعهم إلى عياله»، ومقولة (يجب العمل على إيجاد وسيلة لمنع وعدم وصول أصحاب الكفاءات المعدومة والماكرين، لمنعهم من الوصول إلى المناصب العامة، ويجب إعداد أفضل الرجال ليكونوا حكاماً وأمراء لمصلحة الجماعة) المذكورة في كتاب (الجمهورية لأفلاطون).

هذه المقولات بقضها وقضيضها مسروقة من الفكر السياسي الإسلامي، إنَّ علم السياسة كما هو معروف كان وليد العصر الإسلامي الأول، وقد انبثق أولاً عن سلوك الرسول الأعظم ﷺ، عن إدارته ﷺ، للدولة الأولى التي أقامها للمسلمين، في المدينة، إن السياسة كانت في البداية، علم محاكاة لسلوك الرسول العربي الأمي في تلك الفترة، بينما لم تعرف المجتمعات البشرية سابقاً، ولم تصل إلى هذا المستوى من السلوك السياسي، لقد كانت المجتمعات البشرية، قبل ذلك، مجتمعات بدائية، في شكل وأسلوب حكمها وفي سياساتها! وهناك فرق بين (مدينة الدولة) و(دولة المدينة) إنَّ الرسول ﷺ قد أقام للمسلمين، للأمة، للوطن الموجود، دولة في المدينة، بينما ما كان يحصل قبل ذلك في الدول والممالك والإمبراطوريات المعروفة،هو العكس تماماً، حيث كانت تقوم الدولة ثم يُضم إليها الشعب بالقوة! (الإمبراطوريات) والأمر لا يحتاج إلى براهين، ولا إلى كبير عناء للإثبات.. فتحية عربية للإمام البخاري العربي الأول، لقد كان الإمام البخاري بحق أباً للتاريخ الإنساني عامةً فقبل البخاري، كان التاريخ البشري، عبارة عن أساطير، وحكايات وادعاءات، وخرافات، وأخبار آتية من الماضي لا ضابط لها، ولا يمكن بشكلٍ عام التفريق بين ما هو صادق من تلك الأخبار، وبين ماهو غير صحيح منها، بين ما حدث فعلاً وبين ما لم يحدث، بين ما قيل وبين ما لم يُقال، إن عبقرية الإمام البخاري رحمه الله تعالى تكمن في كونه أول من أشار إلى ضرورة وضع ضوابط وشروط ومقاييس وموازين أو مسطرة، نعرف من خلالها كيف نفرق بين ماحدث فعلاً وبين ما لم يحدث، أو بين ما قيل، وبين ما لم يُقَل.

إن هذه الفكرة، غيرت وجه التاريخ والحياة العقلية البشرية، وأثرت تأثيراُ بالغاً في الحضارة الإنسانية، والفكر البشري، ودفعته نحو الكمال وقبل أن يكتشف البخاري، أو قبل أن يشير البخاري أول مرة إلى ما سميّ علم مصطلح الحديث، وفي ما بعد علم مصطلح التاريخ، كان الفكر البشري يسبح في الأوهام والأساطير، لم يكن الفكر البشري بنّاءً، لم يكن الفكر البشري قادراً على الوقوف، لم يكن هناك ذاكرة بشرية حقيقية، ولم يكن هناك وعيُ أو انتباه، أو يقظة لضرورة التحقق من التاريخ، لأن الوعي والمعرفة والعلم، هو الحامل الحقيقي للذاكرة وبالتالي فإن البخاري هو أول من أشار في

العالم، وأول من نبه، وأول وضع شروطاً أو مقياساً أو قاعدةً، لصحة الأخبار الآتية من الماضي؛ وهنا تكمن أهمية عمل وإنجاز الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وفضله على الفكر البشري عامة، الأمر الذي لم يتنبه إليه العرب، ولم يلتفتوا إليه مطلقاً، ولم يتابعوه فيه، إذ كان من المفروض أن يقوم علماء العرب والمسلمين، بمتابعة هذا الإنجاز العلمي للإمام البخاري، وعدم الاكتفاء بتمضية وقتهم وتآمل كتابه الثمين والذي كان قد سماه، ويجب الانتباه إلى اسم الكتاب الأساسي وهو(ما صح عند البخاري من حديث رسول الله ﷺ).

وقد صُحفَ اسم الكتاب، فصار يدعى صحيح البخاري! وهذا فيه تجنٍ على مراد الإمام البخاري رحمه الله، إن من المهم بمكان الانتباه إلى اسمه، أو عنوانه الأساسي، الذي وضعه البخاري بنفسه؛ كان البخاري عالماً بحق، وأستاذاً في علمه، ويحترم علمه، ويعمل لله تعالى، لا لمنصبٍ أو لجاهٍ أو لعارض دنيوي، لأن هذا الكتاب النفيس، بالمقاييس العلمية، كان عبارة عن تطبيقات قام بها الإمام البخاري، لتجسيد نظريته العظيمة في التاريخ، بينما كان تاريخ ما قبل التاريخ جزافاً، أو يتخلله الكثير من التجديف أو التزييف ما يعزز ذلك، هو القول بأنَّ الاحتمال واردٌ بأنّ السيد المسيح الذي في القرآن الكريم، هو غير السيد المسيح الذي في إنجيل القديس بولوس، هو أنّ لفظ (المسيح) عربي قديم، وهو آرامي كنعاني، وكان هذا اللفظ يعني (المتنبئ) وكل متنبئ كان يقال له مسيح، ولذلك كانت قبائل بني إسرائيل من العرب العاربة، باستمرار تنتظر مسيحاً؛ أو هي موعودة بمسيح دائماً، ومن هنا جاءت أسطورة (المسيح المنتظر!) وهي أسطورة قديمة، وقديمة جداً، نشأت عند القبائل العربية العاربة، أو بني إسرائيل في بلاد الشام والعراقين، والتي كانت كثيراً ما تأتيها الأنبياء المرسلين من الله سبحانه وتعالى، في شتى البقاع، وباستمرار، فتعودوا على انتظار نبي، أو مسيح. ونشأت هذه الأسطورة بينهم، ثم سرقها اليهود لاحقاً، أبان انفلاتهم من الأسر العربي والعبودية للعرب، نعم سرقوا هذه الأسطورة، مع ماسرقوه من التراث العربي لبني إسرائيل العرب، وادعوه؛ وصاروا ينشرونها! وكذلك أدخلوها إلى عقول عامة المسلمين، بصورٍ شتى، وصار يقال، عند المسلمين عن مجيء مسيحٍ دجال؛ قبل المسيح المنتظر، مع أنّ القرآن الكريم ينفي العودة بعد الموت عن كل الموتى، إلى يوم البعث، اليوم الذي سيبعث فيه الجميع، قال تعالى عن سيدنا يحي: ﴿ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١٥] وقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴾ [مريم: ٣٤].

إن زمن الآراميين بعيد جداً وهو أبعد بكثير من زمن الاحتلال الروماني والفارسي لأرض العرب، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الاكتشافات الآثارية تثبت، أن كثيراً من الآثار واللقى تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى وجود المسيح في زمن أقدم بكثير من زمن الرومان، كما أشار إلى ذلك، فراس السواح، في كتابه لغز عشتار، من أنه عثر قرب الرقة، على ضفاف الفرات، على قبرٍ يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد عثر فيه على الصليب، وعلى رقم مكتوبٌ عليها أدعية وقصة للمخلص المسيح، وكذلك قصة مايا مع ابنها بوذا في الهند، ووجود الصليب على باب الهرم في وادي النيل، إن كل هذا ربما كان دليلاً على ما ذهبنا إليه من أن المسيح الذي في القرآن الكريم، ربما كان غير المسيح الذي كان القديس بولوس قد كرز به. إن النصارى العرب الأصلاء، الذين كانوا ولا يزالون، تربطهم بوطنهم رابطة العروبة والإيمان بالله الخالق الرحيم، والتي لا يمكن أن تنفصم أو أن تنحل أبداً، مع المسلمين العرب الأصلاء، الذين يحسون، ويدركون المعنى الحقيقي للعروبة، والذين يؤمنون بالله الخالق الرحيم، إن النصارى والمسلمين العرب بوعيهم على الحقيقة، واتحاد هممهم، بعودتهم للنبع الواحد، يمكن أن يندحر أعداء العرب، قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢]، فلماذا لا ينطلق الحوار العربي العربي أولاً؟

أكثر المخطوطات، وهو الذي كتب للعرب تاريخهم من جديد، وأدخل في عقولهم ما كان يريد، من تعميق الخلافات، وزرع بذور الطائفية، وتأجيج نار الحقد بين الفئات العربية، معتمداً على التخلف بالوعي الذي كان يلف المنطقة والذي كان عامًّاً لدى جميع الأطراف في ذلك الوقت؛ ودون أن ينتبه العرب المسلمون، كان المثقفون من كل المستويات يعتدّون بقراءتهم لكتب جرجي زيدان، في التاريخ الإسلامي ويستسلمون لمقالته ولتحقيقاته التاريخية، لقد شكلت مقولات جورجي زيدان (الهارد) بالنسبة لكل المثقفين العرب ولكن هذا (الهارد) كان وظل إلى الآن، يعزف ألحاناً نشاز غير مقبولة، ولا هي منسجمة ولا هي صحيحة ولا هي منطقية، سببت للعرب والمسلمين المآسي، والمحن والخلافات الطائفية والحروب!) فهل كانت مهمة جرجي زيدان هي إغراق العرب المسلمين في المآسي والمحن والأحقاد وإلى متى سيبقى العرب المسلمون، رهينة مقولات جورجي زيدان وأمثاله والكتب التي ربما كان كاتبها، أو مترجمها أو محققها، لا يدري ما بداخلها لا يعرف شيئاً عن أهميتها إن كانت هامة! أو عن لزومها إن كانت لازمة، أو عن ضرورتها إن كانت ضرورية دينياً ووطنياً، إلى درجة أن الكتب العظيمة، وتراث الأمة المجيد، قد مُسِخَ وتحول على أيدي أصحاب المصالح، التجار الأميين، غير الواعين لمصالح الأمة الدينية والوطنية الصحيحة، فمُسِخَ وتحول إلى مجرد كتب شعبية تافهة، مغلوطة مغشوشة محشوة بضروب الأهواء الطائفية المدمرة والتي باتت تعرض إلى جانبها وتباع معها كتب الأبراج والحظ والطبخ والتسالي والمتاهات، والكتب الهادرة، والمستهلكة للأوقات والأعمار؛ إن بعض محققي الكتب يغدقون على أنفسهم صفات لا ندري كيف يجرؤ أحدهم على انتحالها، وأكثر الكتب العربية والإسلامية التي تنتشر في هذه الأيام منسوخة مكررة أو منتحلة، أو مترجمة أو هي عملية إعادة جمع للأفكار والمعلومات في خلطات جديدة لإعادة تقديمها بعناوين وأغلفة ملونة جديدة لشد القارئ طبعاً ليس لنفع القارئ بل وربما كان الدافع سياسياً تخريبياً معادياً[1] بغرض الهبوط بالوعي العربي إلى أدنى مستوى أو كان تجارياً

(١) هناك عدد هائل من الكتب المترجمة من اللغات الغرْبيَّة إلى اللغة العربية، وكتبٌ صُنعت، وأعدت ووضبت، بأسماء عربية إسلامية، وهي تحمل في طياتها عداءً سافراً للعروبة والإسلام، ومع ذلك فقد تمَّتْ ترجمتها، وتم طرحُها عبر مؤسسات

للنشر عربية، ليتلقفها القارئ العربي على أنها موثوقة! دون أي إشارة إلى مثالبها، دون نقدها، دون الرد عليها، دون بيان حقيقتها للقارئ العربي، كل ذلك كان نتيجة غياب الوعي بالمصلحة الوطنية، ونتيجة غياب روح الإحساس بالمصلحة الوطنية العُليا للأمة، وافتقاد الشعور بسيادة مصلحة الأمة عند كل مواطن مسلم عربي، (بينما كانت المؤسسات الإعلامية في كافة الدول العربية تركز على مصلحة وأمن الحكومات؛) راجع كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد، ت:كمال أبو ديب مؤسسة الأبحاث بيروت.ط٥ ،١٩٩٥راجع كتاب التناقض في تواريخ وأحداث التوراة إعداد محمد قاسم محمد جامعة قطر١٩٩٢.

كذلك فإنَّ الدكتور أبو العلا العفيفي، في تحقيقه لكتاب (فصوص الحكم) لابن عربي، ا استغرق في عمله الدؤوب هذا أكثر من خمسة وعشرين عاماً، بدأ به ١٩٢٤، وانتهى منه ١٩٤٧، وأنه من أجل تحقيق كتاب واحد لابن عربي، قرأ جميع كتب ابن عربي! التي تُعد أكثر من مئتي كتاب؛ ولكل كتاب عدد من المجلدات، وأنه اطلع ، وقرأ كل ما كتب عن ابن عربي في العالم، سواءً الكتب التي كانت مع ابن عربي، أو تلك التي كانت تنتقد ابن عربي في مختلف اللغات، وأنه رحل وسافر إلى كل الأماكن التي كان قد رحل إليها ابن عربي، من اسبانيا إلى المغرب إلى تونس إلى مصر إلى الحجاز إلى الشام ثم إلى (قونيه) في تركيا، وأنه من أجل ذلك كان قد سافر إلى الهند؛ وأمريكا وباريس ولندن، واسطنبول بحثاً عن المخطوطات، والكتب، ولرؤية الباحثين من مختلف المجالات، والاطلاع على وجهات النظر، كان ابن عربي همه طوال خمس وعشرين عاماً...! وهو من أجل ذلك قام بالاطلاع على الصوفية من ألفها إلى يائها، من منابعها الأولى إلى العصر الحديث، متتبعاً كل متعلقاتها، وكان أبو العلى العفيفي، أساساً دكتوراً في الفلسفة! فخرج على العالم، بعد ذلك بكتاب في غاية الأهمية، محققاً وشارحاً ومعلقاً فيه على كتاب ابن عربي، والحقيقة أن كتابه هذا كان أروع من كتاب ابن عربي ذاته؛ بحيث أنك تفهم منه الصوفية، كل شيء عن الصوفية، وتفهم كتاب ابن عربي، في حين أنك لو قرأت ابن عربي، فربما أنك لن تفهم شيئاً!

وكان صبري الأشوح قد استغرق في وضع كتاب (الإعجاز والعبقرية في القراءات القرآنية) صفحاته أقل من ٣٠٠ صفحة ولكنه استغرق في صنعه أكثر من عشر سنوات! إنما الحقيقة أنه كان كتاباً غاية في العلم والفائدة، كذلك فقد قرأت بحثاً (حول تفسير البغوي وتاريخ التفسير) ذكر فيه صاحبه أنه استغرق في إعداده أكثر من خمسة عشر عاماً، الحقيقة أنني شعرت بأن الكاتب في هذا الكتاب كان همه وكان يريد في بحثه تقديم الفائدة للقارئ، لذلك كان كتابه كتاباً رائعاً فعلاً، والآن، وفي هذه الأيام، فإن كتباً كثيرة تطرح في الأسواق العربية في كل يوم، ممهورة بأسماء مشهورة، على أنها محققة وموثقة ومعلق عليها، والواقع أنه ذلك لم يبذل فيها أي جهد! إن تحقيق كتاب كبير مثل كتاب (إحياء علوم الدين للغزالي) أو (شرح صحيح مسلم للنووي) أو كتاب (تهافت الفلسفة للغزالي) بات لا يستغرق معهم إلّا بضعة أيام، يشرحون فيه بعض المفردات، على الهامش، ولذلك فإن الكتب التي صنعت قبل ألف سنة، فهي تمر إلى العصر الحديث بكل محتوياتها، بقضها وقضيضها، بما فيها من أحاديث ضعيفة؛ وقصص خرافية وأساطير وروايات توراتية الأصل، وحتى الأشياء غير العلمية فإنها تمر إلى عقول وأفكار الأجيال الحديثة والمعاصرة من العرب المسلمين، على أن كلَّ ما في هذه الكتب أشياء مقدسة؛ صحيحة، لا يأتيها الباطل، وأنه يجب التمسك بها؛ دون نقاش، والحقيقة غير ذلك تماماً لأنه ليس هناك شيء مقدس في الدنيا إلّا القرآن الكريم، كلام الخالق عز وجل، وأحاديث رسوله الكريم، الأحاديث الصحيحة، ولا شيء غير ذلك.

فالدين الصحيح يحضُّ على إعمال العقل والتفكر ويجب عدم قبول تلك الكتب بكل ما فيها، بقضها وقضيضها، بل يجب تنقية التراث العربي العظيم مما لحقه من الأوهام التوراتية، ثم أنّ هذه الكتب يطلع عليها غير المسلمين فيزدادون بعداً عن

يهدف إلى الربح والربح فقط أو كان الهدف للوجاهة وإبراز العلمية للبروز والصدارة، وتحقيق المكاسب والأهداف، الخاصة. والواقع أن المكتبات العربية في هذه الأيام تحفل بآلاف الكتب في مختلف المواضيع، مغفلة، وهي لكتَّاب ومحققين مجهولين لانعرف عنهم شيئاً، أو هي بأسماء عربية إسلامية مستعارة، (مثل المؤلف الذي سمى نفسه أبو موسى الحريري، فشنَّ هجوماً على الإسلام والعرب، بحجة النقد، ثم كشف مؤخراً عن اسمه في بيروت، وإذ لا هو عربي؛ ولا هو مسلم!) وأمثاله كثيرون في دنيا الثقافة والإعلام، والإعلان، ناهيك عن التحول المذهل الذي طرأ على العقل العربي، وعلى اهتماماته[1]، وهمومه الحياتية مطلع الألفية الثالثة.

الحقيقة، ذلك لِما تحتويه بعض تلك الكتب، غير المحققة تحقيقاً علمياً من آثار يهودية الأصل، هذه الكتب يقوم بتحقيقها أشخاص أغرار مبتدئون شعبيون، يتعاملون مع تاريخ الأمة المجيد، مثل ما يتعاملون مع القصص الشعبية! وهم بالأساس غير جديرين بكتابة موضوع إنشاء، أساساً لا نعرف إذا كانوا موثَّقين علمياً؛ لا أحد يعرف عنهم شيئاً، أو اسماء عملت الدعاية على تضخيمها؛ إن الموضوع فيه مصلحة وطنية ودينية عُليا، ويجب أن ترعاه وتراقبه هيئات وطنية ودينية، تقوم على حماية التراث العربي الديني والتاريخي والدفاع عنه، هدفها الحفاظ على التراث المجيد للعرب المسلمين، التراث الذي يجب أن يُصان، وأن صيانته؛ تكون في توعية الناس دائماً، ورفع مستوى الفهم عندهم، وعن طريق فضح وكشف ممارسات أولئك المعادين الذين يعملون على الإساءة للتراث العربي والإسلام.

والواقع فقد ظهرت في الآونة الأخيرة، وضمن الخطط والبرامج، التي تعمل على نشر الإسلام الأمريكي، في مقابل الإسلام العربي؛ فإنه ظهرت بعض العناوين لكتب إسلامية عناوين إسلامية، وأسماء مؤلفين مسلمين في مواضيع مختلفة، في بعض العواصم العربية، ولدى بعض دور النشر العربية؛ وهي ملونة، وأنيقة، وجذابة، ومغرية، ورخيصة الثمن! وقد زينت واجهات المكتبات العربية؛ وهي للكبار والصغار؛ وفيها مواضيع مدروسة؛ بحيث أنها كانت سهلة التناول، مبسطة شعبياً؛ وعُملت لها عالمياً الدعاية اللازمة! الفضائيات، والصحف، والإذاعات الدولية، والوعاظ على المنابر، دون أن يدروا، أنهم قد أسهموا في هذه الدعاية، وهذه الكتب تباع بأرخص من الكلفة؛ والمدهش أن هذه العناوين يباع منها ملايين النسخ، في الدول العربية، في حين أنَّ أفضل الكتب العربية المفيدة في هذه الأيام، لا تحقق مبيعاً يتجاوز ٥٠٠ نسخة سنوياً وذلك على مساحة البلاد العربية قاطبةً.

(١) كتاب الطبخ (الشيف رمزي) طُبع منه، في بيروت، في أثناء الهجوم الأمريكي على العراق، على حد علمي، الطبعة الأولى ٥٠.٠٠٠ نسخة، بيعت جميعها في البلاد العربية، ونفذت خلال الستة أشهر الأولى!!!، ثم طبع هذا الكتاب عدداً لا يُحصى من الطبعات بمعدل مئات آلاف النسخ، وإلى الآن لا تزال الطبعات مستمرَّة، وصار له أجزاء وملحقات...وقد شاهدتُ بأم عيني أثناء فترة الهجوم الأمريكي على العراق، شاهدتُ في أحد معارض الكتب العربية، أسرة كبيرة عربية مسلمة، تخرج من باب المعرض وكانت كل سيدة من أفراد هذه الأسرة تحمل نسخة من ذلك الكتاب، ذي الحجم الكبير المميز! (مع أنّ الطباخين المهنيين، والسيدات في البيوت، كلهم قد أعابوا ذلك الكتاب وقالوا أنه ليس عملياً، وإنه كتاب غير مفيد للطباخين والطباخات!) ومع ذلك فقد ضرب رقماً قياسياً في مبيعات الكتب العربية.

بينما كتب هامة، تبحث أموراً في غاية الأهمية، وتتعلق بمصير الدين، الوطن، العرب، والإسلام، باتَ يُطبع منها، في أول طبعة، على أكثر تقدير ألف نسخة، فإذا وُزِّع منها في السنة الأولى، خمسمائة نسخة، في كافة أنحاء بلاد العرب والإسلام، عُدَّ هذا الكتاب كتاباً ناجحاً (عدد العرب يقرب من ثلاثمائة مليون)! إنَّ هذا الوضع يعكس بوضوح حالة الإنسان العربي مطلع الألفية الثالثة، حالة المواجهة!! والأهم من كل ذلك أن الحرب قد أصبحت تشنُّ من طرف واحد، ولا يوجد من المسلمين العرب الأصلاء، في الوقت الحالي، من يفهم، أو يعي، فيقوم بتفنيد تلك الادعاءات الباطلة، والأساليب الخسيسة المتبعة والتي لاهمّ لها إلَّا الربح السريع، لا تقف أمامها أي حدود؛ لا دينية ولا دنيوية!

فمثلاً تروج الإعلانات في كافة أنحاء العالم للماكياجات، في المجلات الأنيقة، وفي التلفزيونات، وفي اللوحات الكبيرة التي توضع في نقاط استراتيجية، في الشوارع العامة؛ تعرض نماذج من الكائنات الغريبة، وجوه وأشكال غير مريحة، من الشاذين! والمرضى النفسيين، والبلهاء، والتافهين، ذوي السمات الفاقدة لكل معنى إنساني حقيقي، لا قيَّم، ولا مبادئ، ولا مثل، فقط سمات غرائزية حيوانية، إن الإعلام العالمي يتعمد تعميم هكذا أشكال ليقود الأجيال إلى الحظيرة اليهودية، بعد طمس معالمها الأساسية ثم إلى التهلكة، وإلى المصير السيئ، إلى أدنى مستوى، لكنها تفرض على الناس، ليعتادوا عليها وتركز هذه الإعلانات الخاسرة على القسم السفلي؛ وعلى الدوافع الجنسية لأشباه الذكور، وأشباه الإناث! وتدفع إلى الاستهلاك (ما يؤدي إلى انحطاط الأخلاق والمبادئ والقيم السامية والمثل الرفيعة، ويقود الجيل إلى حالة الدناءة وحالة انعدام النخوة، وتلاشي الشرف عند المواطن، ما يؤدي إلى تتفيه حياته وتدني مستواها؛ واقتراب مستواه من البهائم التي تعيش عادةً وفق متطلبات الغرائز والدوافع) أو حمى الشهوة، أو حمى الاستهلاك المفتوح، الذي يجب أن لا ينتهي الدافع إليه أبداً، ألوف الحاجات.

ألوف المواد، ألوف الأجهزة؛ والموديلات والأشكال المختلفة، حتى غدت الإعلانات الاستهلاكية بحراً ماللجته قرار، هدفه القريب والبعيد؛ هو إغراق المواطن الإنسان، التي لم تعد تحترمه؛ وتحويله من كونه كياناً عظيماً، نفخ فيه الله جل جلاله من روحه إلى مجرد كائن حي، مثله مثل الجرادة، تأكل كل شيء ولا ينتج عنها إلَّا الخراب! فهل وضع ووظف العرب العظماء العقلاء النبلاء الإختراع الجديد (الأتمتة والأنترنيت) في المكان المناسب من حياتهم وحياة أجيالهم؟ هل تأكدوا أن الأنترنيت ليس سوى جهاز وأداة اتصال وتوصيل المعلومات سريعة جداً وأنه لا يمكن أن يكون بديلاً عن الكتاب والمعلم، وأن الأنترنيت لا يمكنه تلقين وتعليم وتربية أحد أبداً؛

بل من أجل اكتساب التربية والأدب والقيم الأخلاقية والنبيلة والسامية، من أجل تلقينها للأبناء وتشريبها للأجيال يجب بذل الجهد الكبير والكثير والثمين خصوصاً في هذه الأيام التي أصبحت فيها تلك الأجهزة أسلحة فتاكة ومدمرة إذا لم ينتبه الشباب العربي إلى وضعها في حياته في المكان المناسب، وهي موظفة الآن من قبل أعداء العرب المسلمين للقضاء عليهم بعد حين قضاءً مبرماً وليصبح وطن العرب والمسلمين وطن عبيد لا وطن أسياد، ولو فكر الإنسان العاقل للحظة، فقط، فإنه سيدرك أن هذه المعروضات، جميع هذه المعروضات، كان الإنسان في السابق، في غنىً عنها، ودليل ذلك هو أنها في حال غيابها فإنَّ الإنسان يستطيع متابعة حياته بشكلٍ أفضل.

جميع الكتب السماوية كانت بلسان عربي مبين

فالقرآن الكريم كان يعلمه رب العالمين لمخلوقاته، أي نَشَرَهُ وجعله لهم علامات في هذا الكون قبل خلق الإنسان؛ إذ لا قيمةَ البتة للطريق بدون علامات تسمي معالمه وتدل وتشير إلى الاتجاهات وتوضح المسافات ما مضى وما هو آت، ولم يُنَزِّل رب العالمين على السماوات والأرض وما بينهما، لم ينزل إلا ديناً واحداً[1]، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ لأن (الواو) كما هو معلوم فإنها في اللسان العربي المبين، حرف عطفٍ وتفيد التوالي والتتالي، فالنزول تلوّ النزول، وهذا مدلول لفظة (وكذلك) لتدلنا على التوالي والتتالي؛ والتشابه والتماثل والتطابق، وأنْ ليس فيها تَغَايّر ولا تبديل؛ فهو من مشكاةٍ واحدةٍ، في رسالات وكتب، وصحف، وألواحٍ وزُبُرْ، ثمَّ وصفه الله سبحانه وتعالى وَصَفَ ما نزّلَهُ من السماء بقوله: ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام:٥٧]، قال تعالى: ﴿ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص:٧٠]، فمن هاهنا كان الحكمُ عربياً، أو أنّ الحكم اتصف بكونه عربياً، لأنه من الله سبحانه وتعالى.

وجاء في المعجم

وجاء في المعجم: (أنّ الله سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين، وهو الحكيم، وأنَّ له الحكم، والحكَمُ، والحكيُم والحاكمُ من أسماءَ الله سبحانه وتعالى وهي من تجليات أفعاله عز وجل، والحكم يفيد القدرة والعلم، وإتمام صنع الأشياء، وإتقانها، والحكم القضاء بالعدل والحاكم منقذ الحكم، وحَكَمَ الرجل إذا بلغ النهاية في معناه؛ وتفسير قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود: ١] أي كتابٌ

(١) والغريب أن يُفهم هذا الأمر على نحوٍ آخر، الغريب فعلاً أن يُصر البعض على حرف الكلم عن موضعه، فيقولون بتعدد الأديان السماوية، ويتوهمون وهماً يقصدون الكتب السماوية! لاشك أن الكتب السماوية متعددة، ولكن الدين واحد وهو الإسلام لا غير. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهَّ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران: ١٩]

أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام، ثمّ فصلت بالوعد والوعيد، وأحكمه منعه من الفساد، وحَكَمَ: الثقة) انتهى كلام المعجم.

ثمّ إن الله سبحانه وتعالى وصف حكمه بأنه عربي، فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ وهذه الآية الكريمة دلالة على الامتداد والاستمرارية والسياق الواحد والخط الواحد منه وإليه سبحانه وتعالى، والصبغة الواحدة والغاية الواحدة والذات الكلية الواحدة، وهذا كله دلالة معنى لفظة (عربي) من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأحقاف:١٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢]. فكانت لفظة (عربياً) في هذه الآية الكريمة متلازمة مع العقل وهي لزوم العقل، وهذا دليل على ضرورة تلازم العقل مع التَعَرُّب وانه لا عقل إنسانياً بلا (تَعَرُّبٍ حقيقي) الأمر الهام جداً الذي على العالم، كل العالم، أن يفهموه الآن

فما معنى صيغة (عرب ومشتقاتها)؟ وقد وردت في القرآن الكريم في ٢٢آية، ووردت منها (أعراب) في ١٠آيات، فما معنى عرب، ولماذا وصف الله تعالى بها قرآنه، وحكمه ولسانه وملائكته وأهل جنته والروح الأمين، والمنذرين، وقد أكد لنا سبحانه وتعالى، على أن اللسان العربي المبين، كان في زبر الأولين، وإنه في أم الكتاب، وكذلك فقد جعل الله ﷻ لفظة (عرب) قرينة العقل، والحكم الإلهي، والعلم، والإبانة، والوعيد الإلهي، والتقوى، والذكر، وأنه غير ذي عوجٍ، دلالة على التفصيل، والهدى والشفاء، فما معنى لفظة (عرب) ولماذا عرب؟ وهي هنا بالتأكيد لا علاقة لها بكل النظريات السياسية المعروفة!

لفظة عرب في القرآن الكريم ليس المقصود منها اللغة العربية وليس معناها أنّ القرآن الكريم كان قد نزل باللغة العربية كما فهمها الجاهلون!

وليس فهم معنى لفظ (عرب) ولفظ (أعراب) ليس كما ذهب إليه المفسرون الشعوبيون ومن نهج نهجهم؛ فقالوا: أنّ المعنى المقصود في جميع الآيات هو القول بأن

القرآن نزل باللغة العربية! إذ لا حاجة أبداً لأن يؤكد لنا الله سبحانه وتعالى، في قرآنه العظيم، مثل هذه المعلومة! فمسخوا بذلك المعنى الإلهي العظيم المراد إلى أدنى مستوى، إن لم نقل بأنهم قد أخرجوه إلى خارج نطاق المعقول والمنطقي والمقبول، لقد شكلت التفاسير حاجزاً بين حقيقة النص الإلهي وبين العقل، فأبعد عن الفهم، وعمل على إخراج العقل عن المسار الطبيعي، وعن السياق الطبيعي المنطقي، الموصل إلى جوهر المعنى العربي للمفردات، والتأويل الحقيقي للنص العربي، والدلالة المبينة، لقد عملت التفاسير على إبعاد العقل وتشتيته في مسارات أُخَرْ، أخرجته عن السبيل الطبيعي، والمؤدي مباشرة إلى عين النص. والواقع أنّ هذه التأويلات لم تكن لتنطلي إِلا على من كانوا بعيدين عن جوهر الأمور، وكانوا غير قادرين على الفهم العربي المبين الواضح، أو كانوا بلهاء، إلى درجة السطحية المنتهية، ممن يعتمدون على النقل، والنقل الحرفي حتى لو كان بالأساس عن التوراة أو عن اليهود(١)؛ وهم ليسوا على استعداد لإعمال العقل أبداً أبداً.

---

(١) كذلك ورد في بعض الكتب التاريخية القديمة أن سيدنا آدم ﷺ، كان قد ابتنى البيت الثاني لله تعالى، وذلك بعد فراغه من بناء البيت الأول لله تعالى... وذلك حتى يرجع إليه أولاده الذين ابتعدوا في الأرض شمالاً... فيرجعون إلى الله سبحانه وتعالى في بيت أقرب إليهم.. لكنَّ الخلط في هذا النص، وفي الكثير من النصوص التي تأخذ عن كتب اليهود كلاماً على عواهنه من غير تمحيص، فهناك فرق كبير بين لفظ (بني إسرائيل) وبين لفظ (اليهود) بنو إسرائيل هم العرب، القبائل العربية القديمة التي كانت أول من أسكنها الله سبحانه وتعالى الأرض المباركة، من ذرية سيدنا آدم، وممن حُملوا مع سيدنا نوح، ومن ذرية سيدنا إبراهيم وإسرائيل، الذين كان سيدنا محمد ﷺ، قد بُعث فيهم، وهو آخر الرسل والأنبياء صلى الله عليهم أجمعين، بنو إسرائيل ذكروا في القرآن الكريم واحداً وأربعين مرة، (وإسرائيل منفرداً مرتين) والقرآن الكريم كان يخاطبهم مباشرة؛ منذ البداية، منذ المرحلة المكِّية؛ ومكة لم يكن فيها (يهود) وكان القرآن الكريم يقصُّ على العالمين قصصهم، كأضخم تراث بشري، وأعظم تراث إنساني، على الإطلاق، بخيره وشره؛ على مر الزمن؛ منذ خلق الله سبحانه وتعالى سيدنا آدم إلى مبعث الرسول محمد ﷺ، إلى يوم يُبعثون حيث نبأهم رب العزَّة بمستقبلهم وحذَّرهم وأنذرهم، بينما اليهود عبارة عن قبيل من البشر كانوا قد دخلوا بلاد العرب قُبَيل الإسلام بفترة ليست بعيدة! كانوا وثنيين تفرعوا عن المجوسية ثمَّ إنهم تظاهروا بالتوحيد عندما كان ذلك لا بدَّ منه لهم، ثمناً لإفلاتهم من الأسر العربي أيام كانوا عبيداً للعرب، ثم للفرس الذين كانوا يوماً ما، على ديانة بني إسرائيل! وكان كسرى سليل إسحاق ابن إبراهيم كابر عن كابر، (راجع كتاب الشاهنامة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، وديوان جرير، طبعة دار المعارف في القاهرة، وتاريخ الملوك والسلاطين لابن طباطبا، طبعة دار صادر بيروت)

إذ ليس كل منقول صحيحاً أو مقبولاً إذا كان يخالف العقل والمنطق وقد آن الأوان لأولئك الأعراب ليفهموا، لقد آن الأوان لأولئك الأعراب أن يمتلكوا الوعي وأن يعوا الحقيقة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، وهو أنّ القرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى، وهو الكتاب الذي لا يحتاج إلى تأويل الناس، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ [القيامة:١٩]، إنّ القول الذي يقول بأنّ المقصود من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧] وقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النحل: ١٠٣] وقوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾ [طه: ١١٣] وقوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٥] وقوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزمر: ٢٨] وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣] وقوله تعالى: ﴿ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ

فليس لليهود أي علاقة ببني إسرائيل، لا من قريب ولا من بعيد، إلّا في كون اليهود أساسا، عبارة عن قبيل من غير العرب، ولا يمتون بصلة إلى العرب، دخلوا بلاد العرب في فترة مشؤومة، من فترات التاريخ، وكانوا أسرى، جيء بهم أسرى وعبيداً ليخدموا بني إسرائيل، أسروا من شمال الصين، من سفوح جبال الهيملايا، ليخدموا بني إسرائيل في بلاد العراقين، (فعندما كانت الطواعين تحصد الناس من رعايا الملوك العرب من بني إسرائيل في كل مرة كان الملوك من العرب في بابل يسارعون إلى تنظيم الحملات، لجلب العبيد والأسرى من السلة البشرية؛ التي كانت، ولاتزال، وكانت مسألة الأسر (أسر القبائل أو العشائر بقضها وقضيضها) عادة تمارس في ذلك الزمان، ذلك أن عرب الموالي الذين يتواجدون في شمال الجزيرة وحلب، أساساً هم عرب كانوا قد أسروا من شمال الحجاز؛ واقتادتهم الجيوش إلى أقصى الشمال؛ من أجل العمل في الأراضي التي سبق وأن هلك عنها أصحابها، ومزارعوها (في الطاعون). وكذلك جلب اليهود من الهيملايا إلى سواد العراقين، جلبهم الملوك من بني إسرائيل العرب، ـ جلبوهم على دفعات ـــ وذلك لاستخدامهم في فلاحة الأراضي، التي يُخشى أن تبور، ولا تزال المعابد الوثنية في شمال الصين والهند، هناك تشهد على علاقة اليهود الوثنيين أصلاً، بالوثنية، ولا تزال تلك المعابد تشهد على صلة اليهود بالوثنية، وابن بطوطة في رحلته المشهورة زار تلك البقاع، وحدثنا عن زيارته المثيرة لمعابد السامرة في الصين، عندما تجاوز في رحلته الحدود الهندية، الصينية، وعن عاداتهم وتقاليدهم، والتي تنطبق على عادات اليهود اليوم، في كل شيء، وكل الانطباق، والواقع أن الغجر الذين لا شك أنهم أتوا من الهند، وذلك بدلالة جميع الدراسات التي تحدثت عنهم، بما فيها تلك التي قام بها غجريون، جميعها أشارت إلى أصول الغجر، وأجمعت على أنهم أتوا من سفوح جبال الهيملايا، إن التقارب الشديد بين أشكال الغجر وأشكال اليهود، والتشابه الشديد بين أمراض الغجر وأمراض اليهود، والتطابق الشديد جداً بين عادات الغجر وعادات اليهود، ودينهم الواحد، وعاداتهم الواحدة، وأعيادهم المشتركة، والغجر في جميع دول العالم يحتفلون بعاشوراء، كذكرى لأحد قديسيهم، واليهود بالنسبة لهم هو يومٌ نجَّى به الله موسى من فرعون.

هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤] قال تعالى: ﴿ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ ﴾ [الشورى: ٧] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣] وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الأحقاف: ١٢] وقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة:٣٦] إن القول الذي يقول بأنَّ المقصود من لفظة (عرب) الواردة في الآيات الكريمة ١٢مرة إنما المراد منه (اللغة العربية) إنَّ مثل هذا القول بات هرطقة وتجديفاً المراد منه بتر المعاني وقص المضامين التي أرادها رب العالمين؛ فلماذا؟ وما الداعي ليؤكد لنا رب العالمين على أنّ الكلام كلام عربي؟! واثنتا عشرة مرة؛ هل هذا الأسلوب من البلاغة في شيء؟ لو صح ما افتروه في التفاسير؟ بل هي قيادة سطحية للتفسير، لا معنى لها، أقحمت فيها الأفهام المغلقة التي لا سبيل إلى فتحِها.

الحكم العربي قديم، وهو من عهد آدم عليه السلام

في الآية الكريمة ﴿ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧]، تأكيدٌ من الله سبحانه وتعالى، على عباده، أنه إنما أنزلَ من لدنه سبحانه وتعالى، وأنَّ هذا الحكم هو (القرآن الكريم، وهو عربي) وهو الحُكم نفسه الذي كان قد نزل في التوراة الأساسية؛ وهو ذات الحكم الذي كان قد نزل في الإنجيل[١] الأساسي؛ وأنّ هذا الحكمُ ليس حكماً جديداً؛ بل هو ذات

---

(١) إن جميع الآيات، في القرآن الكريم والتي نصَّت وأكدت على مفهوم (عرب) كانت قد نزلت في مكة، ما عدا آية الحكم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد : ٣٧]، لقد نزلت هذه الآية في المدينة، فالأحكام في القرآن الكريم، بطبيعة الحال، كانت قد نزلت في المدينة،.. وفي كتب أسباب النزول، يذكرون عادة أن سبب نزول آية تنص على أنَّ الحكم الذي في القرآن الكريم، حكم عربي، كان ذلك بسبب أن بعض الناس، وخصوصاً من أهل الكتاب، والقرآن الكريم كان وما زال لجميع الناس، فعندما نزلت الأحكام ، كانوا قد أبدوا دهشة واستغراباً، وتناسوا علمهم ومعرفتهم بتلك الأحكام وتساءلوا من أين تأتي تلك الأحكام؟ وبعضهم كان ينافق ويفتري ويقول أنه لم يسمع بهذه الأحكام من قبل! فجاءهم الجواب في القرآن الكريم، في سورة الرعد المدنية، أنَّ جميع الأحكام الواردة في القرآن الكريم هي أحكامٌ عربية، وأنّ القرآن الكريم هو حكمٌ عربي بمعنى أنه هو أيضاً من عنده سبحانه وتعالى، كما كانت الكتب السابقة بمحتوياتها الأساسية!

ولما كان القرآن العظيم لكل الأمم، ولما كان القرآن العظيم للعالمين، لكل زمان ومكان، للماضي والحاضر والمستقبل، فإن الآية الكريمة كانت تعني الروم والفرس واليونان والهند وكل العالم القديم، وهي الآن تعني كل الشعوب في العالم، وكل البشر وإلى يوم يبعثون، فهل كان حكم الرجم لا يزال موجوداً ومذكوراً في الإنجيل؟ (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها بحجر)! إذاً فالرجم الذي جاء في الإسلام ليس جديداً، (وهذا يعني أيضاً أنّ الإنجيل كان كتاباً وفيه أحكام)؛ هل كان حكم القتل على القاتل العمد، موجوداً سابقاً في الكتب المنزلة من الله سبحانه وتعالى؟ وقطع يد السارق من الحرز؛ ألم يكن موجوداً في الكتب السابقة؟ ألم تكن أصل هذه الأحكام، وغيرها، وكل الأحكام أصلها إلهياً، ألم يكن معمولاً بها لدى كل الشرائع وفي الدول، والإمبراطوريات والإمارات والقبائل، وحتى القبائل في البوادي؛ فكيف يجحدون كل ذلك؟ ولكن البعض يجحدون الحقيقة الدامغة!، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ [المائدة: ٣٢]، لكن تلك الأحكام لم تكن لتطبق بشكلٍ صحيحٍ دائماً! (كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الفقير والضعيف قطعوا يده) هكذا قال الرسول العربي ﷺ، لكن الرسول محمد ﷺ قال: «والله لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» ففي الإسلام لا وساطة ولا هوادة في تنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى، إنَّ القرآن الكريم أعاد تنزيل المُنزَّل من الأحكام، أو أنّ القرآن الكريم جدد تنزيل الأحكام التي كانت قد نزلت سابقاً في الكتب السابقة وعلى جميع الأنبياء

الحكم المنزّل سابقاً على جميع الأنبياء السابقين، من لدن آدم ﷺ، إلى يوم يبعثون، وكان ذات الحكم في جميع الكتب السماوية المنزلة من الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٥) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ (١٩٦) ﴾ [الشعراء: ١٩٥ – ١٩٦].

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ [فاطر: ٢٥][(١)]، لقد آن الأوان ليفهم الناس في هذا العالم، في جميع أنحاء العالم، أنَّ الله سبحانه وتعالى، واحدٌ لا شريك له، وأن لديه ديناً واحداً، وليس أكثر من دين واحد! كان ولا يزال، وسيبقى وهو ذات الدين الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على آدم ﷺ، ومن قبل كان هذا الدين ذاته كان في الملأ الأعلى، مع الملائكة والجان، أقره رب العزة ديناً للسماوات والأرض وما بينهما، قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ [الرحمن: ١ – ٤].

لعل من الأهمية بمكان بدايةً ونحن نحاول طرح ومعالجة مشكلات وقضايا تبدو كإشكالات تقف في طريق فهمهم للقرآن العظيم، [(٢)] أن نعمل على بيان وتوضيح مسألةٍ

صلوات الله عليهم أجمعين، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيا ﴾ [الرعد: ٣٧]، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

(١) (الزبر) وتعني (السور) بمعنى ألواح، أو صحف، أو كتب، والله تعالى أعلم، وهي لغة عربية قديمة حيث يمكن قلب (ز) إلى (س) ويقال في المدرسة (سَبُّوْرة) بمعنى اللوح؛ والزبر تعني أيضاَ الكتابة على الألواح الحجرية، والله تعالى أعلم. فما معنى لفظة الكتاب، وقد أتت ألفاظ الكتاب في القرآن الكريم بمختلف الصيغ (كتاباً١٢، وكتابك١، وكتابكم١، وكتابنا١، وكتابه٥، وكتابها١، وكتابهم١ وكتابي١، وكتابيه٢).

(٢) في السنوات الأخيرة وبعد انتشار القنوات الفضائية وشبكات الانترنيت تبين أن في الوطن العربي أثنيات وقوميات وطوائف (عليها فوراً أن تشتغل بالانفصال عن العرب واعلان الحرب عليهم)!

أليست مفارقة أن يمضي الكون والعالم آلاف السنين من حياتهم دون أن يعلموا بذلك أو يدركوه أو يدري أحدٌ به؟ فأين كانت كل هذه الإثنيات التي بدأت مؤخراً تشتغل بالانفصالات عن العروبة، فأين كانت قبل وجود إسرائيل وقبل القرار الامريكي بالاحتلال المباشر للمنطقة العربية والسيطرة عليها وإحتلال العراق؟ (أتخذ القرار الأمريكي في الثمانينيات من القرن العشرين).

الآن على المثقفين العرب (بما فيهم الأكراد والأمازيغ) عموماً أن يمضوا حياتهم في التعرف على التركيبة الاجتماعية والثقافية والإثنية في بلادهم العربية، في حين أنه كان من المفروض أن يتجهوا جميعاً علمياً وتثقيفياً للعمل على تفكيك تلك العرقيات المنتهية الصلاحية والطائفيات المتخلفة والمدمرة للسيادة الوطنية، كان من الأجدر بالمثقفين

هامة تُعْتَبَرُ مقدمةَ المقدمات في الفكر الإنساني قاطبةً، ألا وهي شرح وبيان الفرق الكبير بين ما هو حقيقي من الأفكار، والنظريات السياسية والذي يمكن أن يقومَ بذاتِهِ ويمتلك الحياة، وبين ما هو مُفتَعَل لا يقوى على القيام؛ فهو يحتاجُ دائماً - حتى يقوم - إلى المقومات، والنتائج هي دائماً بحسب المقدمات فما بُنِيَ على باطل فهو باطل وهذا المبدأ من أهم قواعد ومنطقيّة التفكير، من الذي كبَّلَ هذا الدين وأبعده عن حقيقته وحوَّلَهُ إلى مجرد مجموعة قواعد وقوانين وأشياء شكلانية أبعد ما تكون عن الفكر والمنطق بحيث إذا طبقها الإنسان الآلي دخل الجنة؟

في حين أن الدين كان بالأساس للناس جميعاً العقلاء منهم، عبارة عن: نظام يُتبع وليس مجرد خضوع؛ ألم يقل الرسول العربي عليه الصلاة والسلام عن سلمان الفارسي: (سلمان منا آل البيت) وطبعاً هذا يعني أيضاً -لمن يعلم -أن صهيب الرومي[1] وأنَّ بلالاً الحبشي أيضاً منّا آل البيت، وأن كل من دخل الإسلام من جميع الأقوام والأعراق أصبح منّا آل البيت، فمن الذي وعبر التاريخ كان يناوئ العرب ويُعوجُ لهم نتيجة الحقد عليهم كلَّ سبيل من الداخل وينغِّص عليهم حياتهم ويستقدم على الدوام الجيوش المُعادية إلى بلادهم لهدم كيانهم؟ علماً أنَّ العرب يعلنون: أنَّ كل من سكن الأرض العربية فهو عربي، لقد أدَّت تلك الفواجع والطامات التي ابتلي بها العرب على اختلاف مواقعهم منذ بداية القرن العشرين إلى الكوارث عدم فهم طبيعة ومعنى ومدلول العروبة كان في مطلعها اغتيال العقل والفكر والقلب العربي، حتى اختلط الحابل بالنابل ولم يعد العرب، بعد أن أصبحوا مُكَبَلِين بتلك المعتقدات السياسيّة الفاسدة، لم يعد لديهم القدرة على الحركة المُجْدِيَةَ، وباتوا يتحركون حركات تَشُدُّ وتُشدِّدُ عليهم الخناق أكثر فأكثر، ولأنَّ الصدق ضد الكذب فاليقين هو الذي يتلاشى

العرب (بما فيهم الأكراد والأمازيغ) عموماً أن يمضوا حياتهم في محاولة مواجهة الأعداء الحقيقيين لبلادهم، للوطن العربي الكبير، لأن الإعلام العالمي ويتبعه الإعلام العربي (المسموع والمرئي والمقروء) يشتغل بالتجاهل الكلي (للعروبة) وكذلك كافة المناهج العربية، إنهم يعملون على تكريس الانفصال في البلاد العربية ويشجعون عليه!

(١) (الروم الأرثوذكس) و(الروم البروتستانت)، تعبير يجب تبديله في البلاد العربية؛ بـتعبير وطني عربي.. وهو (العرب الأرثوذكس) و(العرب البروتستانت) إذا جازَ التعبير... وقد قامت اليونان، في بتبديله إلى (اليونان الأرثوذكس)، (واليونان البروتستانت).

عنده كل ما هو وضعي[1]، وكان من أقوال سيدنا عمر في خطبته قبل معركة القادسيةَّ: «أحملوا العربَ على الجَدِّ إذا جدَّ الجدُّ فتَلْقُوا جدَّهم بجدِكم» وقال رضي الله عنه: «والله لأضربنَّ ملوكَ العجم بملوكِ العرب، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي ولا ذا شرف ولا ذا سلطةٍ ولا خطيباً ولا شاعراً إلا رماهم به فرماهم بوجوه الناس وغررهم»، وقد تميز الفكر العربي في النصف الثاني من القرن العشرين ومطلع الألفية الثالثة باجتماع الضواري مع الحملان على صعيدٍ واحد، صعيد كراهيتهم للعرب والعروبة، ولكن كل واحد فيهم كان يكره أو يحقد على العرب على طريقته الخاصة، وهكذا أمضى أكثر (المفكرين العرب) حياتهم وهم يتقيؤون في الكتب وعلى صفحات المجلات والجرائد العربية[2] والإذاعات والبرامج التلفزيونات العربية الأفكار التي كانت من ناحية عملية معادية للإسلام والعرب[3]!

---

(١) أيام زمان كان المرتشي، والخائن، والغشاش، والوصولي، والمنتفع، والمصلحي، والغادر، والفاسد والشاذ، كانوا مستنكرين، ويشار إليهم باحتقار، مرفوضين وغير مقبولين من المجتمع، من عامة الناس وخاصتها، هذه الصفات كانت صفات المنحطين والرزالة، وتدعو إلى التقيؤ والاشمئزاز، والتقزز؛ صحيح أنه كان هنالك في الماضي تخلف في التقنية منتشر، ولكنها لم تكن هذه الأساليب منتشرة، أو سائدة. ولكن في هذه الأيام للأسف الشديد تغيرت الأحوال، فصارت هذه المفاهيم عند الأجيال الحديثة كناية عن الذكاء والقدرة والتمكن والقوة، وصار أصحاب هذه الصفات أصحاب الفعاليات؛ مثاليين للأجيال، ويمارسون طقوسهم في ظل القانون، وصار القانون ذاته هو الذي يحمي أمثال هؤلاء النخبة! فهل كانت التقنية، والاستسلام للتقانة هو الذي أنزل المجتمع، الجيل العربي الصاعد، في العصر الحديث، ومطلع الألفية الثالثة، إلى أدنى، وأحط مستوى، انتفت فيه الروح الوطنية، وضاعت عند أعتابه النخوة من الرؤوس؟

(٢) راجع مقالات الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي وغيره من الكتَّاب التي كانت قد نشرتها مجلة العربي الكويتية في سبعينيات وثمانينيات القرن المنصرم.

(٣) ١٩٨٦ م أذكر أنه عقدت ندوة أو دورة دعت إليها جريدة النهار في مكتبها شارع الحمراء في بيروت، حضرها كبار الصحافيين العرب وأكثر رؤساء تحرير المجلات والجرائد العربية بما فيها التي كانت ثورية؛ جاؤوا من جميع الأقطار العربية وكانت الندوة تدور حول أهمية مواضيع التسالي والأحاجي والمتاهة والأخبار الرياضية في الصحافة العربية وعن ضرورة إيجاد مساحة أو صفحة للأبراج في كل جريدة عربية يومية أو صحيفة أسبوعية أو شهرية وأكد المحاضر الفرنسي يومها على ضرورة أن تكون الأبراج جميعها والحظوظ تكتب دائما متفائلة وسعيدة، منذ ذلك الحين أخذت تظهر في المكتبات العربية كتب متعددة عربية مصورةوأنيقة وبالألوان وغالية الثمن عن الأبراج والحظوظ في بيروت لكاتبات خريجات الجامعات الفرنسية متخصصات بالكلام عن الأبراج وعملت لهم الدعاية والإعلام

ليس كل ما يلمع ذهباً، وليس كل كلامٍ مسبوكٍ هو فكر بالضرورة، لأن الفكر اساساً حالةٌ وطنية بامتياز، فهؤلاء الذين لا نعرف عنهم شيئاً، من أين جاؤوا وإلى أين يمضون بنا؟ مراتب علمية وشهادات وهمية خلبيه، كانوا قد سدوا وكتموا على الناس العرب أفكارهم وصدوهم عن الفهم، وسيطروا عليهم وسدوا أمامهم كل طريقة، دائماً مفروضين من الأعلى ومن الخارج بدعوى وصايتهم على الثقافة العربية أو ريادتهم للفكر العربي، وبعضهم في حياته لا يتحدث العربية ولا يؤمن بأمة العرب؛ أوضاعهم لا تخلوا من المحسوبية أو التبعية والاستزلام، وطوال قرن ونيف من الزمن مارسوا على العرب سطواً وبلطجةً كانوا فيها يصادرون يعتقلون ويأسرون ويصدُّون كل نضال أو رغبة جادة وحقيقية في التحرر قد تنشأ لدى العرب المسلمين، لقد أخمدوا من خلال الطرح الخاطئ الإستباقي للمواضيع غير الأساسية وتعميمها، اخْمَدُوا فيه أي تطلعٍ للمسلمين العرب نحو النهضة والتغيير الحقيقي، فليس الفكر كلمة تُقال بل هو شهادة على عصره والشهادة تعني كلمة الحق التي تفصل عن الباطل فالمفكر هو شاهدٌ على عصره، لذلك ليست القضية في اظهار الواقع على أنه الحقيقة فحسب بل في تصوره التصور الأمثل، وهنا يكمن دور المفكر الحر والواعي وهذه هي قضيته.(1)

إنها (الحرب الاستباقية التي تشنها أمريكا وأوربة الصليبية المهودة على المسلمين العرب) رأينا فيما سبق أن الصيرورة لا تؤدي إذا تركت لسياقها العفوي إلا إلى المزيد من الانخلاع الإنساني بسبب أنها خاضعة لقانون العطالة الذي يحول البشر إلى أشياء، إن التاريخ الإنساني يبدو في أغلب لحظاته محكوما من قبل الطبيعة التي لا تهتم بسوى استمرار الحياة، أما ازدهار الإنسان فأمره منوطٌ به وحده وعليه من أجل استعادة

المناسبين ووزعت هذه الكتب غير العلمية في كافة أنحاء البلاد العربية وتم تقليد هذه الكتب شعبياً على نطاق واسع.

(1) لذلك كان سقراط شهيداً على عصره، وكان ابن حنبل في محنته شهيداً على عصره وكان (جيوردانو برونو) الذي حُرِّقَ علناً بأمر من محاكم التفتيش لإيمانه بالعقل وبالعلم الجديد شاهداً على عصره وشهيداً له. د. حسن حنفي مرجع سابق.

ماهيته المستلبة أن يقوم بجهد خارق للطبيعة من أجل أن يجعل الصيرورة محكومة بالقيمة، ولذلك نجد لحظات الإشراق اللحظات التي تربع فيها الإنسان على عرشه نادرة في التاريخ، وهي بمثابة انتصار الإنسان على العطالة، وهذه الانتصارات كانت دوماً مؤقتة فالصيرورة لا تتوقف، وهي تجرف باستمرار ما بناه الإنسان وما أراده وطيداً إلى الأبد وذلك من أجل أن تؤكد قانونها الخاص، قانون العطالة لقد أحسن بعض الفلاسفة إذ صوروا التاريخ صراعا دائما من أجل تحقق الإنسان، إن علاقات الإنتاج وهي امتداد التقنية[1] في المجتمع لا تكاد تلائم الإنسان حتى تبدأ في التحجر وتصبح قوى ضاغطة لابد من تحطيمها من أجل علاقات أكثر ملائمة ولكنه – في رأينا – أخطأوا إذ أناطوا أمر تدميرها بقوى الإنتاج التي تفجر هذه العلاقات في الوقت المناسب لتخلق بدلا منها علاقات أكثر ملائمة للإنسان، تتحجر بدورها لتتحطم مفسحة المجال لعلاقات جديدة وهكذا، فمن السهل على الغريب التنازل عن الأرض والحقوق، بحيث تم العمل على توظيفهم بشكلٍ مباشر وغير مباشر، تمت عملية فرض قيادتهم على العقل العربي، بدأت هذه المخططات أيام الاحتلال المباشر الفرنسي، والبريطاني، لبلاد العرب في عام١٩٢٠م، وذهب الاحتلال المباشر

(١) التقنية: المقصود بها الآلية، أي الاعتماد في الحياة الإنسانية على الأجهزة والآلات (الميكانيك) بينما مع تقدم الزمن ظَهَرَ توسع في استعمال هذا المفهوم، وتعمم وانسحب على نواحي ومجالات كثيرة، وصارت التقانة الآن تعني السير وفق المخططات والبرامج المتناهية في الدقة، لتحقيق أعلى إنتاج، ثم إن التقنية صارت سمة للأسلوب العملي، والحياة العملية بشكلٍ عام، لقد اتصف بها أشخاص ومجتمعات، وهذا المفهوم بات ينسحب على الشكل، والمضمون! إن التقنية مدهشة ولاشك، إنها تؤثر في الإنتاج، لكنها ومع مرور الزمن، من داخلها باتت تنتج بعض السلبيات، القاتلة للإنسان والحياة الإنسانية، الشيء الذي بدأت تظهر بوادره بعد مضي الزمن، إن التقنية بسبب ما تعمِّقه من قطيعة بين الإنسان من جهة، وطبيعته من جهة ثانية، فطرته الأولى، القيم، والمبادئ، والمثل العليا، إن التقنية بسبب جمودها كآلية، وحياديتها في الموضوع، تسبب مع مرور الزمن، الشلل، والضمور للعقل، والقلب، وللفكر الإنساني الخلاّق، التقنية التي تعني الإتقان، والإنجاز والإعداد الصحيح المحكم، والتنظيم، والتنسيق، والترتيب، والتحضير، والتوضيب البشري، في كل اتجاه، عن طريق التخطيط؛ أو خلق جيلٍ من ذوي الخبرة، جيلٍ من الناس، الذين لا تقف أمام طموحاتهم من أجل النجاح، وتحقيق الربح، أو تحقيق النصر! لا يقف في وجههم أي اعتبار لأي شيء، كل شيء بالنسبة لهم له سعر، وكل شيء بالنسبة لهم خاضعٌ للمفاوضة، وقابل للبيع والشراء أيام زمان!

واستمرت المخططات الاستعمارية واستمر تنفيذها بأيدٍ وطنية[1]، ألم يكن أكثر المفكرين والإعلاميين العرب يعملون خداماً ومراسلين ومراقبين للأنظمة والأحزاب والتنظيمات والتيارات العربية والعالمية المختلفة، بينما خضعت المطبوعات العربية مؤخراً إضافة لسلطة الرقابات التقليدية في الدول العربية، خضعت أيضاً لسيطرة الأميين من الناشرين العرب ولمعايير الربح والخسارة؛ فالمواضيع المربحة مادياً هي التي ستنتشر؛ في كافة وسائل الانتشار ويطلع عليها الملايين من العرب، وكذا الكتب والمطبوعات المدعومة من الجهات صاحبة المصلحة والعلاقة، وهذا الانسحاق يدفع بكتل بشرية كاملة إلى اليأس والاستسلام، وذلك ما ينشده ذوو العطالة الذين يصورون الأمر بوسائلهم التي أطلقنا على جملتها اسم الأمريكانية، وكأنه وضع طبيعي تحتمه ضرورة التقدم وعلى الإنسان في رأيهم أن يغير من ذاته كي يتلاءم مع هذا الوضع

---

(١) (فعصر الانحطاط هو عصر الفردية الفجّة التي تحقق ذاتها بوسائل الغابة: البطش والمراوغة معاً، والمثل الأعلى لهذه الفردية هو السلطان الذي يستخدم كل إنسان دون أن يثق بأحد، ويقوم بتحقيق المنجزات في سبيل تحقيق ذاته، ويستغل كافة مظاهر الحياة الاجتماعية فينقش اسمه بماء الذهب على المنجزات، ويتغنى الشعراء بأمجاده، ويؤكد رجال الدين أنه امتداد النظام الإلهي... وهو يستأصل البشر بارتياح البستاني الذي يقلم الأغصان الناشزة عن نظام الشجرة. وبالهبوط عن مستوى القيمة تغمض الرؤيا، فالرؤيا تتم في ضوء القيمة، ومن جهة ثانية فإن استغراق إنسان ذلك العصر في عالم العيش الخاضع للمصادفة والمزاج، وفقدانه الغد المضمون، كل ذلك يحول بينه وبين الرؤية الواضحة، فالمعرفة تحتاج إلى تحرر من ضرورات الحياة كما رأينا ولذلك يرتمي إنسان ذلك العصر في النظرية الجاهزة فاقداً كل حس نقدي وكل قدرة على التمييز لأنه إنسان مهدور، هكذا يؤدي انهيار بعد البقاء إلى انهيار أبعاد القيمة كلها. ثمَّ إن الطاغية لا يكتفي بأن يهدم بعد البقاء وحده، ولكنه يعمد إلى أبعاد القيمة ذاتها فيقلمها مباشرة، فهو يحجر على العقل، ويحول بينه وبين المعرفة، وذلك بأن يُغلفه بنظرية من عنده، وكذلك فإنه يفرض الصمت ويقطع الحوار ويدمر كل نزوع نحو القيمة عن طريق تدمير صاحبه هكذا نجد عصر الانحطاط يضطهد المفكرين ويسبق العصور الحديثة بفرض نظرية الدولة على المواطنين، وبذلك يقطع الحوار الحقيقي ويُغلفه بحوار كاذب، ويقتل المتصوفة (الزاهدين الحكماء) الذين يُذَكِرُون بالقيم المنهارة إنَّ عصر الانحطاط هو عصر السقوط الإنساني من مستوى الشخص ذي الابعاد إلى مستوى الفرد المعزول، فاقداً أبعاده، ولكن الفرد في ذلك العصر لم ينس أبعاده المفقودة وماهيته المستلبة، ولا نعدم يوم ذاك من يذكر بالقيم المنهارة مثل المتنبي وأبي العلاء ومثل كبار المتصوفة (الزاهدين والحكماء) ولذلك نجد المناخ النفسي لذلك العصر مناخاً كئيباً متشائماً يسوده الشعور بعدم الرضى، فقد كان إنسان ذلك العصر يشعر بما ينقصه، يشعر بأبعاده المستلبة ولذلك لم يكن قد بلغ حضيض الانحطاط بعد.) كتاب نحو حضارة جديدة للأستاذ أحمد حيدر، مرجع سابق.

كأنَّ الشذوذ هو في ماهية الإنسان وليس في ظروفه، إن ذوي العطالة يعملون على إطفاء الشوق الإنساني نحو الماهية المفقودة وذلك بإغلاق الرؤيا الإنسانية، ولكي نخرج من هذا اليأس الذي أُلقينا فيه من قبل ذوي العطالة[1] فأين هي إنتاجية التاريخ إذ أنَّ التاريخ ليس مجرد (حكايا)؟

إن المطلوب من الباحثين العرب أن يتحرروا من العبودية للنصوص القديمة والحديثة وصار المطلوب منهم إعمال العقل والفهم والمنطق وتطبيقه على أيٍ من النصوص القديمة والحديثة، إن البعض ممن يرفضون القديم، ما يلبثون أن يقعوا فريسة في أحضان الحديث؛ وربما كان الحديثُ من صنع اليهود أيضاً سيما وأن رئيس مجلس كتابة التاريخ العالمي يهودي[2].

---

(١) من كتاب نحو حضارة جديدة لأحمد حيدر

(٢) لقد عملوا على تأصيل هذا الأمر (الشاهد اليهودي أو الوثائق التوراتية المنبع والأساس؛) فرضه وتعميمه على العقل والفكر والوجدان البشري العالمي لدى الشعوب، كافة الشعوب في العالم، ومعروفٌ كيف لاقت تلك الفلسفات الدعم والدعاية الجمَّة، من إعلامٍ وإعلانٍ مكثف مدعوم، لنشرها في أنحاء العالم وعلى مدى قرون من قبل المؤسسات الإعلامية والثقافية اليهودية العالمية، ودوائرها المنتشرة في أنحاء العالم، وإعادة التأكيد عليها، وذلك (لتبشيم) معلوماتها وتثبيت مقولاتها، لتصبح غير قابلة للتغيير، أو التبديل، أو التصحيح؛ إنّ الكتابات الأوربية عموماً عن التاريخ القديم وفلسفته؛ يمكن وصفها على أنها كتابات موسَّعة بشكل غير طبيعي، وهذا أكبر دليلٍ على أنها كانت قد كتبت لاحقاً وحديثاً، أُعدت ورُتبت ونُظِّمت في أواخر القرن التاسع عشر، وأنها نُسِبَتْ إلى الماضي السحيق! وأكبر دليلٍ على ذلك هو أنَّ تاريخ الفلسفة اليونانية خلوٌ تماماً ومطلقاً من ذكرٍ للأنبياء أو المرسلين.

فكيف يغفل الحكيم سقراط؛ وتلميذه أفلاطون، وتلميذه أرسطو، وغيرهم من الفلاسفة اليونانيين، كيف يغفلون عن ذكر نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، أو إدريس، أو إسحاق، أو يعقوب أو موسى أو هارون أو لوط، أو ذو الكفل وغيرهم من الأنبياء، ويؤكدون أنَّ سقراط عاش ما بين (٤٥٠٣٩٩ق.م)، وأنَّ أفلاطون عاش ما بين(٤٢٨٣٤٧ق.م) وأنَّ أرسطو عاش ما بين(٣٨٤٣٢٢ق.م) ويسهبون في تأريخ الفلسفة اليونانية والتاريخ اليوناني الذي تمّ تفصيله وفق مسطرة الادعاء اليهودي وعلى مقاس التوراة اليهودية! فهل قرأ أحدٌ كتاب (الجمهورية لأفلاطون)، هل لاحظ أحدٌ أن هذا الكتاب لغته الحديثة تؤكد أنه وضع في الثلاثينيات أو الأربعينيات من القرن العشرين! ولعمري فإنَّ المرء لا يستطيع تخيُّل الطريقة التي وضِّبتْ فيها هذه المقولات، وهي مكتوبةٌ بأسلوب ما بعد الحداثة، أو بلغة ما بعد الحداثة، إنّ كتب أفلاطون عبارة عن اختراع يهودي خالص، وفيه الكثير من مقولات الفكر السياسي التي تنتمي للعصور المسيحية الوسطى، وهو يتحدث بشكل غير مباشر عن نظام سياسي أحدثة الإسلام، ولم يكن معروفاً قبل الإسلام أبداً، لأنه كان سلوك الرسول العربي أولاً، ثم انتقل إلى أن أصبح سياسة الملوك والرؤساء وقبل ذلك لم يكن معروفاً أبداً، مثل مقولة (المواطنون سواءً أمام القانون)، فالرسول ﷺ

هو أول من قال: «الخلق كلهم عيال الله وأقربهم إلى الله أنفعهم إلى عياله». ومقولة (يجب العمل على إيجاد وسيلة لمنع وعدم وصول أصحاب الكفاءات المعدومة والماكرين، لمنعهم من الوصول إلى المناصب العامة، ويجب إعداد أفضل الرجال ليكونوا حكاماً وأمراء لمصلحة الجماعة) المذكورة في كتاب (الجمهورية لأفلاطون) هذه المقولات بقضها وقضيضها مسروقة من الفكر السياسي الإسلامي.

إنَّ علم السياسة كما هو معروف كان وليد العصر الإسلامي الأول، وقد انبثق أولاً عن سلوك الرسول الأعظم ﷺ، عن إدارته، للدولة الأولى التي أقامها للمسلمين، في المدينة، إن السياسة كانت في البداية، علم محاكاة لسلوك الرسول العربي الأمي في تلك الفترة، بينما لم تعرف المجتمعات البشرية سابقاً، ولم تصل إلى هذا المستوى من السلوك السياسي، لقد كانت المجتمعات البشرية، قبل ذلك، مجتمعات بدائية، في شكل وأسلوب حكمها وفي سياساتها! وهناك فرق بين (مدينة الدولة) و(دولة المدينة) إنَّ الرسول ﷺ قد أقام للمسلمين، للأمة، للوطن الموجود بالفعل دولة في المدينة، بينما ما كان يحصل قبل ذلك في الدول والممالك والإمبراطوريات المعروفة، هو العكس تماماً، حيث كانت تقوم الدولة ثم يُضم إليها الشعب بالقوة! (الإمبراطوريات) والأمر لا يحتاج إلى براهين، ولا إلى كبير عناء للإثبات، فتحية عربية للإمام البخاري العربي الأول، لقد كان الإمام البخاري بحق أباً للتاريخ الإنساني عامةً فقبل البخاري، كان التاريخ البشري، عبارة عن أساطير، وحكايات وادعاءات، وخرافات، وأخبار آتية من الماضي لا ضابط لها، ولا يمكن بشكلٍ عام التفريق بين ما هو صادق من تلك الأخبار، وبين ما هو غير صحيح منها، بين ما حدث فعلاً وبين ما لم يحدث، بين ما قيل وبين ما لم يُقال.

إن عبقرية الإمام البخاري رحمه الله تعالى تكمن في كونه أول من أشار إلى ضرورة وضع ضوابط وشروط ومقاييس وموازين أو مسطرة، نعرف من خلالها كيف نفرق بين ما حدث فعلاً وبين ما لم يحدث، أو بين ما قيل، وبين ما لم يُقَل، إن هذه الفكرة، غيرت وجه التاريخ والحياة العقلية البشرية، وأثرت تأثيراً بالغاً في الحضارة الإنسانية، والفكر البشري، ودفعته نحو الكمال وقبل أن يكتشف البخاري، أو قبل أن يشير البخاري أول مرة إلى ما سميّ علم مصطلح الحديث، وفي ما بعد علم مصطلح التاريخ، كان الفكر البشري يسبح في الأوهام والأساطير، لم يكن الفكر البشري بنّاءً، لم يكن الفكر البشري قادراً على الوقوف، لم يكن هناك ذاكرة بشرية حقيقية، ولم يكن هناك وعيُ أو انتباه أو يقظة لضرورة التحقق من التاريخ.

لأن الوعي والمعرفة والعلم، هو الحامل الحقيقي للذاكرة وبالتالي فإن البخاري هو أول من أشار في العالم، وأول من نبه، وأول وضع شروطاً أو مقياساً أو قاعدةً، لصحة الأخبار الآتية من الماضي وهنا تكمن أهمية عمل وإنجاز الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وفضله على الفكر البشري عامة، الأمر الذي لم يتنبه إليه العرب، ولم يلتفتوا إليه مطلقاً، ولم يتابعوه فيه، إذ كان من المفروض أن يقوم علماء العرب والمسلمين، بمتابعة هذا الإنجاز العلمي للإمام البخاري، وعدم الاكتفاء بتمضية وقتهم وتأمل كتابه الثمين والذي كان قد سماه، ويجب الانتباه إلى اسم الكتاب الأساسي وهو(ما صح عند البخاري من حديث رسول الله ﷺ وقد صُحِّفَ اسم الكتاب، فصار يدعى صحيح البخاري! وهذا فيه تجنٍ على مراد الإمام البخاري رحمه الله، إذ أنَّ من المهم بمكان الانتباه إلى اسمه، أو عنوانه الأساسي، الذي وضعه البخاري بنفسه؛ كان البخاري عالماً بحق، وأستاذاً في علمه، ويحترم علمه، ويعمل لله تعالى لا لمنصبٍ أو لجاهٍ أو لعارض دنيوي، لأن هذا الكتاب النفيس بالمقاييس العلمية كان عبارة عن تطبيقات قام بها الإمام البخاري لتجسيد نظريته العظيمة في التاريخ.

ولو أُتيح لأحدٍ من البشر أن ينظر إلى الكرة الأرضية من القمر الصناعي وأن يلتقط لها صورة (بانوراميه – ثقافية) لفحصِ ثقافتها، لوجد وأدرك الحقيقة المُرَّةَ التي تقول أن ثقافة الكرة الأرضية الآن بأكملها بكل معنى الكلمة وبكل أبعادها هي ثقافة يهودية بحتة وأن اللمسات اليهودية قد مسحت كل المجالات الفكرية السائدة الآن وأنها وراء كل المشاريع الفلسفية والفكرية والثقافية والاجتماعية التي يروج لها الآن في أنحار العالم في الإعلام العالمي والمراكز الثقافية العالمية والمؤسسات والمعاهد والجامعات والهيئات والمنظمات الدولية التي أصبح أكثرها مسيطراً عليه! يعمل وفق المسطرة التوراتية لا يخرجون عليها، والعرب غائبون عن مصالحهم غائبون لا يلوون على شيء بعيدون عن قضيتهم ذاهلون، فالحضارةُ تكمن في الحضور وعكسها الغياب، وأنت حضاري إذا كنت حاضراً في عصرك بكل أبعادك الإيجابية الفذَّة ومارست وتمارس حضورك بالطرق المختلفة ولو كنت في لجة البادية أو في عمق الغابة ولو عشت في ما مضى من السنون أو أنجبت في ما سيأتي من الأيام فأنت قمة الحضارة[1].

إن سيدنا نوح عليه السلام كان ولا شك في قمة الحضارة مع أنه عاش حياته قبل آلاف السنين وربما تواجد المجرمون في مطلع الألفية الثالثة وفي أكثر العواصم مدنية وتقدما وكانوا من أرقى العائلات، إن سياسة تجميل الخطأ أو تبرير المخالفة في التفسير والتاريخ والخطأ في الفهم، وهي السياسة التي كانت متبعة في الماضي منذ بدأ العصر الشعوبي العباسي الهدّام، عندما أمسكت الشعوبية بزمام الدين والدنيا، من خلال سيطرتها على الخلافة فسيطرت على الحياة العربية والإسلام معا خلال العصور اللاحقة، في ظروف قاهرة، توالت واستمرت إلى الآن حيث لا تزال هذه السياسة الشعوبية هي المتبعة حاليا في الكثير من مجالات الحياة والفكر العربي الإسلامي، حتى

(١) إنّ انجراف بعض العرب في ناعورة الأمركة والتهود حياتياً وسلوكياً وانخراطهم في الحضارة الأمريكانية الزائلة وما يبديه البعض من إعجابٍ إزاء جبروت الأمريكان واليهود (أمريكا بإدارة اليهود) إن كل ذلك يجب أن لا يثني العرب عن ثقتهم بفكرة العروبة الحضارة التي ستطلق بالمارد العربي والذي سيتكفل بالقضاء على كل المعوقات ويكسر ويمزق كل السلاسل التي تكبل العرب وسيقوم بتحطيم كل الموانع التي تقف أمام التقدم العروبي.

الآن، تقيد وتسوق العقول والأفهام وحتى الأذواق؛ في التربية والثقافة والعلوم، لاسيما في مجال التاريخ والتفسير أي في المجال الذي يؤدي إلى فهم الدين الصحيح العربي المبين فهما خاطئا؛ من الغريب جداً أن تجد التربية في البلاد العربية في - جميع البلاد العربية - في هذه الأيام تشتغل على كيفِّية جعل الأطفال العرب قادرون على التعامل مع الحيوانات وهمها الرئيسي هو جعل الطفل العربي يعرف الكيفيّة التي يتعامل بها مع الحيوانات، في حين أنَّ المطلوب من التربية أساساً تربية الطفل واعداده ليكون انساناً حضارياً بكل المعايير مؤمنناً حاملاً للقيم ومنبعاً للأخلاق. إنَّ مهمة المربي أن يرشد الأطفال إلى الكيفيّة التي يكونون فيها أناساً صالحين، وليست مهمة المربي تعليم الأطفال كيف يتفاهمون مع الحيوانات!

إذ ليس من العدالة أن يكون التعليم وتكون التربية في أوربة والدول الغربية متجهٌ إلى تعزيز ارتباط أجيالهم بأوطانها وتمتين وتوثيق الروح الوطنية لديها، ويكون التعليم في البلاد العربية متجهٌ إلى تقزيم الإنسان وجعله في أدنى من مستوى الحيوانات، فالفكر التربوي في الدول العربية والإسلامية، أشبه بحديث المقاهي ومواويل (أبو الزلف) ولم يهدف مطلقاً إلى البناء أو الإنتاج إنتاجاً حقيقياً في حياة الأمة العربية والإسلام أبداً، أما مهمة جماعة البيئة في الدول الأوربية المتقدمة صناعياً وفي مختلف الاتجاهات والتي سبقت الدول المتخلفة حضارياً وبمختلف الاتجاهات أيضاً فهي من منظور مختلف تماماً عن الطريقة التي يروج إليها في البلاد العربية حيث يُفهم منه الأمر بالمقلوب! فهي في أوربة تربوياً تنحصر في توضيح دور الحيوانات في المحيط والبيئة التي يتنفس بها الجميع، أو يشترك بها جميع الأحياء وقد قسموا الصيد هناك بالقانون والتشريع بالبيئة فقالوا أن هنالك صيد شرعي وصيد غير شرعي إنهم لم يطلبوا من تلامذتهم أن يصبحوا حيوانات لم يحاولوا إقناعهم بالقبول بمنزلة الحيوانات أو أن ينزلوا إلى مستوى الحيوانات ولم يعاملوهم معاملة الحيوانات لم يجعلوهم يقبلون بكل رضى وقناعة ذاتية أن يكونوا مجرد حيوانات.

ففي حين أنَّ الإعلام في الغرب ينظر إلى العربي والشعوب العربية بازدراء ويؤكد عليه لأطفاله ليلاً نهاراً وبأساليب شيطانية، وفي التربية هناك يزرعون الكراهية والحقد على العرب ويعلمون أجيالهم كيف يرحموا الحيوانات ويقتلون العرب وأبلغ تعليق يعبر عن مشاعر الغرب تجاه العرب هو رأي أحد المسؤولين الأمريكان وقوله حيل مذابح ومقابر جماعية كانت لآلاف العرب عشرات ومئات الآلاف من العرب فقال (لقد أصبح العالم بدونهم أفضل!) بينما في البلاد العربية أحد المسؤولين التربويين صرح بما يلي: (أنَّ الهدف من التربية العربية في البلاد العربية هذه المرحلة هو جعل الطفل العربي قادر على التعامل مع الحيوانات) فما رأيكم دام فضلكم؟ وذلك بدل أن نعلم أطفالنا أن كل فكرة تنشأ في الذهن في العقل في الفكر قابلة للتحقق والتجسُّد في الواقع بل كل تصور وكل وجهة نظر قابلة للتطبيق ولكن علينا فقط أن نبادر علينا أن نسرع وأن نسمح بمرورها بتحقيقها لا أن نصادرها من قبل أن تولد (دعه يعمل دعه يمر).

وفي المعجم أنَّ (حَضَرَ) ضِدَّ غابَ، والحضور ضد المغيب والغيبة، وأصل الحضرَةِ الحضور، والمَحْضَر القوم الحضور، والمحضر المشهد للقوم، ويطلق على كل كبيرٍ يحْضُرُ عنده الناس، والحضرة قرب الشيء، والحضارة (المدن والقرى والريف) لحضور أهلها الأمصار وسكنهم الديار، وهي خلاف البادية والبداوة والبدو، ويُقالُ فلانٌ حسن المَحضَر: إذا كان يذكر الغائب بخير، لأنَّ الحضارة من معانيها الإقامة في الحَضَر، والحضيرة مقدمة الجيش، والمحاضرة المجالدة والمُجاثاة أو المُغالبة، والحاضر اسم المكان)[1] والحضارة من الحضور والاجتماع للقوم.

هذه المجالات التي سُمِّمَتْ وعُطِّلَتْ وحُطِمَتْ وأُعِيدَ تركيبها من جديد محملة بالأخطاء لقد أدت الأخطاء التي حملت بها وعليها منذ وقت مبكر إلى اغتيال العقل العربي والفكر العربي والقلب العربي حتى اختلط في حياة العرب المسلمين الحابل بالنابل إن هذه السياسة التوفيقية التي توفق عادة بين الصح والخطأ وبين الخير والشر

(١) معجم لسان العرب وتاج العروس

وبين الحق والباطل وبين النور والظلام وبين العلم والجهل وبين المستقيم والمعوج وبين العروبة والعجمة؛ تلك السياسة التي فرضت على العرب المسلمين في ظروف استثنائية إنها عمل غير مجد على الإطلاق، وهي سياسة فيها تكريس للخطأ ومبرر لاستمرار الفساد والضعف في حياتنا، إنها سياسة كنا في الماضي ندافع فيها عن الخطأ إلى درجة أننا صرنا نقدس فيها أخطاءنا ونعتبرها حرمات وهي ليست كذلك؛ وفي الكثير من الأحيان كنا نقاتل من أجلها ودفاعا عنها! لأننا كنا نجهل الصواب، ونتجاهل الحق.

إننا بذلك ودون وعي منا كنا نحمي الخطأ ونحتفظ بهذا الخطأ ونعتبره ونضمه إلى كنوزنا الغالية، حتى أصبح من ضمن معتقداتنا، وصار هذا الخطأ دون أن ندري يعشش في عقولنا ومن ضمن مقدساتنا؛ وربما بذلنا دونه أموالنا وأنفسنا! فمتى يعي العرب المسلمون في العالم هذه الحقيقة ويبادرون إلى الاتحاد؛ ويتخذون حيالها الإجراء المناسب والموقف المناسب وأن يكفروا بكل الأوهام التي لم يكن لها جدوى، وفعلاً، صدق القول (سقط النقاب عن الوجوه الغادرة فحقيقة الشيطان كانت سافرة) لأنه لا يمكن للعرب المسلمين في هذا العصر عمليا أن يفكروا في النهوض، وأن يفكروا في مواجهة أعدائهم من الخارج وأعدائهم الذين في الداخل[1]؛ قبل أن يعملوا على تفحص

---

(١) مرة أيام الشباب كنت متواجداً في أحد المعسكرات مع مجموعة من الأشخاص الأقوياء! واحتجنا آنذاك لإزالة صخرة كبيرة كانت قد برزت لنا أثناء الحفر؛ وتناوبنا جميعاً على ضربها بالمعاول والمطارق الثقيلة لتكسيرها ولتحطيمها ولتفتيتها.

وبقينا لفترة نبذل قصارى جهدنا ولكن دون أي جدوى وكنّا نعتقد أننا أقوياء إلى أن جاء شخصٌ كانت مهنته السابقة هي تقطيع الحجارة، وكان شكله هزيلاً وضعيفاً لاينم عن قدرة أو قوة، فطلب منّا الابتعاد عن طريقه وقال ألا تعلمون أن لكل صخرة مفتاح وأنَّ لهذه الصخرة مفتاح أيضاً وأنكم مهما بقيتم تحاولون فلن تستطيعون تكسيرها أبداً إلا إذا استطعتم الكشف عن مفتاحها أولاً؛ لأنَّ لكل صخرة مهما كانت كبيرة ومهما كانت قاسيَّة فإن لها مفتاح؛ فإذا أكتُشف مفتاحها عندها ستفتح بكل بساطة!

الواقع قد أذهلنا كلامه تلك الصخرة التي كانت كبيرة وقاسية، لكنه ما لبث أن أقبل عليها وركز وضعها ثم أخذ المطرقة ورفعها إلى فوق وضرب تلك الصخرة الضربة الأولى والثانية وإذا بالصخرة وقد تحولت إلى فتات فهل كانت هذه الصخرة تشبه إلى حدٍ بعيد واقع العرب المسلمين، وأن العرب المسلمين إنما يحتاجون أولاً إلى أن يتعرفوا إلى حقيقتهم، وأن يكتشفوا ذاتهم وأنَّ هذا الأمر هو السهل الممتنع وأنَّ عليهم (لكل عربي مسلم) المحاولة والمبادرة والمباشرة والشروع في العمل الجاد لتحقيق وتقديم الأفضل والأحسن والأجود لأمته بعد الثقة بنصر الله تعالى.

ماهيتهم وكينونتهم وتنقيتها أو تطهيرها مما علق بها من الأخطاء خلال الماضي منذ الانقلاب الشعوبي العباسي الهدام ومرورا بتلك الحقب غير العربية، والتي تعاقبت على حكم العرب والمسلمين وإلى الآن؛ وذلك في جميع المجالات الدينية والدنيوية.

لقد آن الأوان ليقوم العرب المسلمون أنفسهم بالاشتغال والعمل على فهم كتاب الله عز وجل فهما صحيحا بعيدا عن الأفهام (العجماء) غير العربية نصا وروحا والتي رانت وتلبدت على الفكر والعقل والقلب العربي المسلم وأعجزته عن القيام طوال تلك الحقب منذ الانقلاب الشعوبي الهدام الذي أدى إلى تمزيق الدولة الأموية إلى الآن بإعادة كتابة تاريخهم، من منطلق الحق والصدق والأمانة كتابة صحيحة وموضوعية ومنطقية لصالح العروبة التي هي حاملة الإسلام، لقد آن الأوان ليقوم العرب الأصلاء انتماء، ليقوموا بتنقية تاريخهم، وإزالة التناقضات غير الصحيحة وغير المنطقية، والتي لا أساس لها العالقة به والغريبة عن نسيجه الحقيقي[1].

لأن التاريخ يخلق الأجيال يصنعها يعلمها فإما أن تكون الأجيال أبطال وعظماء وعلما أو أن تكون الأجيال كتلا من المتخلفين المستهلكين، الذين لا يلوون على شيء، لقد آن الأوان لأن يفيق العرب ويعملوا على إعادة كتابة تاريخهم، من خلال المصلحة العليا للعرب والإسلام تاريخا مجيدا مشرقا راقيا عاليا، تاريخ نجوم متلألئة، منيرة مضيئة، في السماء تشد الأنظار والأبصار، أنظار وأبصار الأجيال إلى العلا وليس العكس كما فعل المفسرون حيث أنزلوا النجوم العالية إلى أسفل سافلين، إن التوقيت الغربي (الأوربي) الذي صار يعتبر منتصف الليل: بداية اليوم (الأمر الذي يناسب شمال غربي أوربا... حيث النهار القصير عموما) وهو (التقويم الليولياني - الغريغوري) وكان من قبل يدعى التقويم الروماني ثم أصبح فيما بعد التقويم الميلادي) لهو توقيت وضعي حديث فرض على البشر في كافة أنحاء العالم فرضا مطلع القرن

---

(١) وهكذا فقد مر القرن العشرون دون أن يستيقظ العرب ودون أن ينهضوا، ذلك أنهم كانوا غارقين أو أغرقوا حتى الثمالة في الأوهام وعلى جميع المستويات، أحزاب وتنظيمات وشخصيات كتاب ومثقفون علماء وموظفون قياديون وزعماء، وكلهم كانوا بلا جدوى وفارغون.

العشرين وأن خط الطول المار من (غرينتش قرية غربي لندن) هو خط بداية ونهاية الزمن الدولي - العالمي) الذي فرض عام ١٩٢٨م وكان من قبل محدودا؛ وقد فرضته بريطانيا في حينه فرضا حيث كانت الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس؛

متى سيعود العرب المسلمون ليعتقدوا أن الطفل من أطفالهم إذا لم يكن يحمل منذ الطفولة مبادئ الشهامة والنخوة والخير والعدل والاستعداد للتفكير بحرية وحب الوطن والدفاع عنه والذود عن الحرمات والمقدسات، كل ذلك بعد الإيمان بالله الواحد، أنه إذا لم يكن كذلك، فهو طفل خاسر ليس له حق في شرب الماء ولا في تنفس الهواء وذلك بغض النظر عن التشويه الحاصل، وعلى الرغم من كل التردي وعلى الرغم من كل الانحراف المعمم الآن، ومتى سيتعلم الأطفال العرب أن العلم الكثير يقربنا من الله سبحانه وتعالى وأن الفكرة الجديدة الصحيحة لا يعوقها إلا الجهل الشديد، وأن التفكير الخلاق يتطلب خفوت الصوت وسكون أعصاب وهدوء، وأن الشخص الذي يصغي جيدا يستطيع أن يفكر جيدا، وأن المسائل الهامة التي لا نعرف عنها الكثير؛ هي تلك التي يجب أن نشبعها درسا، وأن علينا ان لا نضيع أوقاتنا في مناقشة المسائل التافهة، وأن عبقرية الإيمان بحاجة دائمة إلى جرأة وإقدام وأن عبقرية السؤال هي أهم بكثير من عبقرية الجواب وأن طرح السؤال بشكل خاطئ يوصل دائما إلى نتائج كثيرة خاطئة، وأن طرح السؤال بشكل صحيح يؤدي دائما إلى نتيجة واحدة صحيحة، وأن الفكر النير هو الخير العميم وأن العلم فيه مفاتيح الحرية.

هل آن الأوان ليدرك العرب المسلمون مطلع الألفية الثالثة أن الفتوحات العقلية والفكرية هي أهم بكثير ويجب أن تتحقق قبل سعيهم إلى الفتوحات العسكرية وأن الوصول إلى تحقيق النجاح والتفوق والنصر والانتصار يجب أن يكون أولا في الفكر والعقل والوجدان وهذا أولى بل ويجب أن يسبق في الأولوية هدفهم في السعي إلى تحقيق الانتصارات العسكرية على أرض المعركة مع الأهمية البالغة للانتصار العسكري على العدو في أرض المعركة وإلا فما الجدوى من انتصار الحمقى والمجانين والمغيبين والمغفلين وفاقدي الوعي والفهم.

متى سيدرك العرب المسلمون أن القيمة الحقيقية للإنسان كانت دائما في إيمانه بالله العظيم وأنه لا دنيا لمن لا يحيي دينه وإن إحياء الدين لدى الإنسان يكون في تجليات أدائه لضروب الواجب تجاه المجتمع والناس، وحمل القضايا الوطنية بكل صدق وأمانة، والدفاع عنها في كل موقع وفي كل محفل، وأن العبادات كلها كانت مفتاحا لذلك ومدخلا يوجب على الإنسان الولوج منه إلى أعلى مستويات الإحسان وأنه لادين للمنقطع ولادين للمنبت وأن بطن الأرض أولى بأولئك الذين لا يملكون المشاعر والأحاسيس الوطنية مع الدين السماوي وليس لديهم روح الثورة ضد الظلم وضد التخلف وضد الأعداء وضد القيود المقيدة للحرية الربانية العادلة وأن كثيرا من الأحياء هم بالحقيقة أموات يمشون على الأرض وأن بعض الأموات بالواقع هم الأحياء!

هل تكرر هذا العمل من قبل اليهود والأمريكان وأعوانهم في العراق، ما الذي فعله العرب المسلمون من إجراءات ذاتية وقائية للسلامة في المساجد العربية؟ علما أن المسجد هو النقطة المركزية في مشاعر العرب المسلمين وفي حياة العرب المسلمين، فهل ضرب المركز في حياة العرب والمسلمين؟ إذا فالنصر والانتصار يجب أن يكونا أولا في الفكر والعقل والوجدان العربي مع الأهمية البالغة للانتصار العسكري الذي يجب تحقيقه على العدو في أرض المعركة! وما جدوى قوتك في الخارج إذا كنت ضعيفا في الداخل فهل آن الأوان للعرب المسلمين الآن، أن يدركوا أنهم أصبحوا مستهدفين، كعرب مسلمين من قبل اليهود والصليبية العالمية المهودة، لأنهم عرب ومسلمون، وأن عليهم الآن أن يدركوا أن إعمال العقل والوعي والتفكر هو الطريق الصحيح والممكن؛ والسبيل الأساسي للنجاة من كل مآزقهم الحالية، ولتحقيق النصر على أعدائهم، في كل المواقع!

الدولة في المدينة، كانت المثال الذي سيحتذى من قِبَل المسلمين في العالم

كانت الدولة في المدينة المثال الذي سيحتذى من قِبَلِ المسلمين في العالم ليقيموا على منوالها. والرسول الكريم ﷺ، منذ اللحظة الأولى لهجرته ﷺ قد عمل على تحقيق كيانٍ للمسلمين العِرَاب المؤمنين بالله سبحانه وتعالى، أولاً، ليكونوا في مجتمعهم الجديد، المثال الإسلامي[1] الرباني الذي سيحتذى، عند باقي الشعوب المسلمة، ذلك أنه كان على العرب أولاً تأسيس كيانٍ إسلامي، إنموذجاً يُحتذى، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣][2].

(١) للأسف الشديد فإنَّ الوهن والتراخي والانحراف قد أصاب العرب المسلمين، بعد عصورٍ من الانحطاط، فطرأ على المفاهيم الأساسية في الدين الحنيف، تبديل وتحريف، فبينما كان الإسلام الحنيف عبارة عن مدرسة يدخلها الإنسان العربي لينهض وليرتفع وليرقى وليبقى دائماً في الطليعة، وفي حال نهوضٍ وارتقاء ففي الإسلام لا يوجد توقف، ولا يوجد خمول، ولامكان للخاملين، إنما هناك في الإسلام العربي استمرارية وديمومة في العمل والجهاد! على كل المستويات، والأصعدة، وفي كل المجالات، والاتجاهات، والإنسان مطالبٌ خلال حياته، في كل يوم أن ينجح، وأن يحقق النصر، وأن يستمر في العمل على الارتقاء والنجاح، لتحقيق النصر، وليس مسموحاً في الإسلام العربي التوقف، أو المراوحة في المكان، إن الإسلام العربي بالمفهوم العربي دائماً يرقى بالأنفس والعقول والحياة للدنيا والآخرة، وممنوعٌ فيها المراوحة في المكان. إن العروبة عملٌ مستمر ونضالٌ دائب.

فهل كانت الصوفية أو السلفية أو الشيعة وفيَّةً لهذا الجانب الأساسي من الإسلام العربي؟ وأين هو موضع الطائفيين في باقي الطوائف، الذين كانوا يتكنون بالإسلام، ويتمسحون له؟ والذين وقفوا في الماضي عند نقاط تجمدوا عندها، ودخلوا معها إلى الثلاجة، ولم يعد بمقدورهم، بعددهم وعدتهم عمل أي شيء سوى الكلام. بل لقد أصبحوا مثل الكثبان الرملية، يخضعون للرياح والأعاصير العاتية، وأسلموا كلياً، على الرغم من حجمهم الواسع نظرياً لكن بالواقع فإنَّ مصيرهم كله قد أصبح في يد الاستعمار، يتحركون وفق عصا (المايسترو) الاستعمارية.

(٢) أمة وسطاً؛ أي: أو مجموعة مركزية تتجه إليها الأنفس وتشرئب إليها الأفئدة. وتقتدي بها باقي الأمم والشهيد القدوة والمثال الذي سيحتذى، والله تعالى أعلم.

الروم

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (الروم) وأنها وجودها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وشاملةٌ وعامةٌ، وهي في الخطاب تطال الجميع من المؤمنين والناس أجمعين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً، فمن هم الروم؟ وهذا لفظٌ عربيٌ قديم، وهو اسمٌ لزوجة سيدنا أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه، تزوجها قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، واسمها (دعد بنت عامر بن عُمير الكنانية) فولدت له (عبد الرحمن) و(عائشة) رضي الله عنهم، وكان هنالك بئرٌ في المدينة تدعى (بئر روما) اشتراها سيدنا عثمان بن عفان ووهبها للعامة الناس، فما علاقة هذا الاسم بروما، والرومان؟

بينما الروم كان يقال لهم (بنو الأصفر)، وبنو الأصفر الروم، ومعنى (الروم) باللسان العربي: العوالي؛ وجديرٌ بالذكر أن قوله تعالى: (غُلبت الروم في أدنى الأرض) في سورة الروم ، ليس له علاقة مباشرة بدولة (الروم) أو (إمبراطورية الروم)!

ولكنّ لفظة (الروم) في (اللسان العربي المبين) كانت تعني كل المستعلين في الأرض و(روما) عاصمة الروم (وهي عند الرومان كانت تعني مدينة الأحرار! في مقابل العبيد ....) وقد نبأ (القرآن الكريم) كان قد نبَّأ المؤمنين ، وكانوا في (مكة) وكان قليلٌ عديدهم ــ شدّاً لأزرهم ــ وكانوا قلَّة مع الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ كانوا ما يزالوا في مكة ثلة قليلة؛ وكانت نبوءةٌ للرسول عليه الصلاة والسلام، وللمؤمنين معه...أنهم سينتصرون على الروم (على كافة المُستعلين في الأرض من روم وفرس وغيرهم في بضع سنين...وذلك في أدنى الأرض، وأدنى الأرض المعرّفة؛ تعني أدنى الأرض المقدَّسة والمباركة من الله تعالى أي أرض الحجاز، مهبط الوحي الإلهي، وكذلك كان، ففي بضع سنين فعلاً انتصر العرب المؤمنون على كافة دول الاستعلاء الروم والفرس وأعوانهم، نصراً مؤزراً خاطفاً، وقد عاد أولئك الطغاة من بعد ذلك إلى التكتل والتآمر والتحالف ضد العرب عبر الثورة الشعوبية العباسية على الدولة العربية وهذا أيضاً ما ألمحت إليه السورة والله أعلم[1].

[1] – وفي المعجم أن (الصَّفَرُ) تعني العقل والعقد، والصفرُ الروع ولب القلب ، ولا يوجد معنىً واضحاً محدداً للفظة (صفر[1]) بينما (صرف) تعني رد الشيء عن وجهه، قال تعالى: (صرف الله قلوبهم) ويقال: صرف الله عنك الأذى، والصرفان: الليل والنهار، ولكننا نجد أن معنى (صف): السطر المستوي من كل شيء، ويقال صفَّ الجيش صفاً إذا رتبهم وأقامهم في مقابل صفوف العدو، قال تعالى: (والصافات صفاً) وهم الملائكة، قال تعالى: (وإنا لنحن الصافون) لأنهم مراتب، والصف المصلى، والصف النظم والتنظيم. والأصفران الذهب والزعفران ٹ ٹ چ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ ڳ چالمرسلات: وبنو الأصفر الروم، ومعنى (الروم) باللسان العربي: العوالي؛

بينما حرف (الراء) فهو حرف الرسوخ والبقاء والتكرار، (نقول رأس الرمح ورأس الجبل ورأس الشجرة ورأس القبيلة ورأس الأمر ولكل شيء رأس كذلك نقول (رب البيت) و(رب العمل) و(رب الأسرة) و(رب الدولة) وهو الرأس والمدبر لها، وهو عند البعض يعني مجرد التكرار أو النسخ، بينما حرف الراء فيه صفاء واحتمالٌ للخير كثير أو سدٌ للنقص وسدٌ للعيب كبير! ويشير إلى الحركة والتحرك والمواجهة: والدفع ويتحدد كل ذلك من خلال الحروف اللاحقة في اللفظ، و(الراء) من الأحرف النورانية في فواتح السور وهو حرف معنوي يفيد التكرار، و(الواو) حرف القوة الماديّة الملموسة والمتانة المتصلة المتواصلة، وحيثما وجدت (الواو) فإنَّ المراد هو تمتين المعنى، أو الإيحاء بالمتانة والقوة والاتصال والدعم المتواصل والتأكيدُ، والعطف والضم الشديد والقوي، البعض إلى البعض، ومثالها قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحاقة:٤٧]، (الوتين) وهي المتانةُ الشديدة، أعلى أنواع المتانة والتواصل والإيصال من الله سبحانه وتعالى، فكانت (الواو) مكان الميم، الحبل المتصل الذي لا ينقطع، وفي لسان العرب أنَّ العرب إذا أرادت تقوية المعنى قلبت الميم إلى (واو) والله أعلم، هذا وإنه لـ(الواو المفردة) في الإعراب العربي أكثر من تسع أحوال (البعض أوصلها إلى اثنا عشر حالة)، ومنها الحالية والعاطفة وأحرف العطف هي (الواو والفاء وثُمَّ وحتى وأو وأمْ وأمَّا ولكنْ وبلْ ولا)، أما (الواو) فيجتمعُ ما بعدها مع ما قبلها في الحكم دون تعارضٍ بينهما بتقديمٍ أو تأخير، لذلك اختصَّتْ (الواو) بالعطف مع المشاركة، فيما يُشترط

الترتيبُ في باقي الحروف مثل الفاء وثُمَّ و(واو ربَّ) الاستئنافية والزائدة والضمير المذكور و(واو الثمانية) والمبادلة والمتالات والقسم وغيره؛ وتستعمل أيضاً في الأمر والنهي وذكر بعضهم الدعاء، والمستعملة لمدة الإنكار وليس من الضروري أن تكون كل (واو) تأتي في مفتتح السورة أو الآية في القرآن الكريم، أن تكون للقسم بمعنى الحلفان! لأنَّ اللهأ لا يحتاج أصلاً في قوله للحلفان أما مخلوقاته، كما زعم المُفسرون؛ بينما الحلفان يؤديه المطرُّون له أمام القاضي أو المسؤول؛ وأساساً لاحاجة له وهو مالك المُلك لكي يحلف أمام مخلوقاته أما الإشكال فقد توَّلد لدى المفسرين الأعاجم من خلال خلطهم بين مدلول لفظ (القسم) ومدلول لفظ (الحلف)، وفاتهم أن (القَسَمَ) من القسمة والتقسيم أو التفريق، وأنَّ (الحلف) الغرض منه التأكيدُ على صدق القول!، أما (الواو) فإنها في جميع تلك المواقع في القرآن الكريم فإمنها دلالة علة القوة الحالية والدائمة والمتانة والتوثيق إلى أبد الحدود، أو غير المحدود، لأنَّ الله هو القوي وهو مصدر القوة وهو مالك الملك أ ولأن القسم يكون للضعيف عادةً أمام القوي وللمتهم أمام القاضي وليس العكس.

و(حرف الميم) تأتي أحياناً بدلاً من أربعة أحرف وهي الواو والنون والباء واللام، والأصل أنها تختص باسم الله سبحانه وتعالى وهي من (أيمن) ولم تستعمل في المطالع لغير اسم الله سبحانه وتعالى إلا شذوذاً؛ مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي

وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وكل شيء قادم من عالم الغيب (من السماء) فحرف الميم دلالة عليه، مثل الوحي والتنزيل والكتاب وآيات الله والأحكام الربانية، فكل شيء قادم من عالم الغيب حرف لميم دلالة عليه إنه دلالة على المصادر العليا، بما فيها لفظة (الملح)؛ وهو من البعيد إلى القريب ومن الأعلى إلى الأدنى و (محمد) بالتحليل: (م+ حمد) تعني الأمر الإلهي والله أعلم، و(حرف الميم):يفيد بسداد الأمر وإكمال النقص وتمامه و(من) و(ما) و(متى) و(من) أدوات الشرط، وايان وأنّا وحيثما وكيفما وأيُّ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [هود:٧]، (العرش): السلطة والحكم، (على الماء): العدالة المطلقة، لأنَّ (من خواص الماء الاستواء المطلق)، وهو الميزان للتسوية المطلقة وهذا يدل ويفيد أن عدالة الله سبحانه وتعالى المطلقة هي التي تحققت في الكون، في حدوده وفروضه والقوانين والعلاقات التي تتحكم في هذا الوجود والعوالم كلها واللهُ أعلم.

الشهيدُ المتقدم وهو الذي يقتحم أولاً

وهو الذي يجرئ القوم على التقدم، فكيف عالج كتَّاب السيرة النبوية والمفسرون المفاهيم الإسلامية الأساسية؟

أن الشهيد في اللسان العربي المبين هو الثائر المناضل وهو الذي يجرئ القوم على التقدم، وهو من يُشهد له على السبق في الجهاد والكفاح، والشهيد من يبذل سعيه في السبق والجري، والشهيدُ هو الذي يسبق إلى الحرب، ويضرب لقومه، للمؤمنين بنفسه

المثال، شجاعةً وبسالةً، متحملاً كل النتائج، مضحيًّاً بنفسه، بحياته، بغية حثهم على التقدم وتحقيق النصر، والشهيد من استشهد في سبيل الله تعالى، أو من قُتِلَ مُجاهداً في سبيل الله تعالى، فالإسلام بطبيعته ثورةٌ، وثورةٌ مستمرة، وحرقة وتوقٌ للحرية وانطلاقٌ لتحقيقها، فمن الذي جعل من الإسلام مجرد ركام يتلبد على قلوب الصوفية والسلفية والشيعة؟

نعم لقد عمل الرسول العربي الأمي ﷺ، على تأسيس هذا الكيان العربي الإسلامي النموذج، الحيوي المشرئب نضارة وسمواً ليُحتذى عند باقي الشعوب، فيقتدون به، منبعاً للسياسة الربانيَّة، كان ذلك إبان الهجرة المباركة مباشرةً، ولكن من هو الذي قرأ القرآن الكريم ففقهه حقاً، وحقاً فقهه، أو هو وعاه وفهمه، أو تأمل السيرة النبوية النضالية الجهادية فوعاها.

كذلك فعل كتَّاب السيرة النبوية المعظمة عندما قام معظمهم بتجريد تلك السيرة من فقهها وفهمها العربيي الثوري المبين؛ فصاغوها صياغة أعجمية جامدة وميِّتة؛ غير مبينة وغير أساسية وغير أمينة وغير مؤثرة إِلَّا سلبياً وعبر العصور؛ وغير ما كانت عليه، إنَّ كتاب السيرة النبوية الشريفة كتبوها بما يُناسب أهواءهم وأذواقهم ومراميهم

وأهدافهم، المعلنة والباطنية[1] فقاموا بتفصيل سيرة كانت خلواً من كل ما يوجب على

---

(١) وكذلك تم افتراء وتزوير ما سميّ بالصحيفة! (أو الاتفاق أو الموادعة) التي قِيل بأن الرسول ﷺ، قد وقعها مع أهالي المدينة، بما فيهم اليهود؛؛ عند وصوله إلى المدينة، إن هذا الإدعاء باطل حتماً، وهو غير صحيح مطلقاً، لأن الرسول الأعظم، ﷺ، والذي كان متصلاً مع الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ وهو النبيُّ، والرسولُ من الله سبحانه وتعالى، وكان معه القرآن الكريم، وهو دستور الكون ودستور العالمين، وبالتالي فهو لم يكن بحاجة لأن يكتِب لليهود كتاباً آخر؛ لينظِّم معهم العلاقة، إنّ علاقة الرسول ﷺ مع كل الأطراف كان ناظمها كتابٌ من الله سبحانه وتعالى، لا كتاب بين الرسول وبين اليهود! فالرسول الذي كان مؤيداً من الله سبحانه وتعالى، لم يكن ﷺ، يحتاج لتأييد اليهود أبداً... وإلَّا لما كان رسولاً؛ ولما كان نبياً مؤيداً، إن الكلام عن موادعة أو صحيفة أو اتفاق بين الرسول الأعظم وغيره ممن كان في المدينة وهو كلام مُفترى، وفيه نظر. كذلك فهو غير منطقي، ولا ينسجم مع طبيعة الأمور، ويتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم تماماً لقد ذمَّ القرآن الكريم اليهود في ثمانية مواضع في السور الأوائل من القرآن العظيم، إن القرآن الكريم لم يذكر اليهود بخير أبداً، بل لعنهم وسخط الله عليهم والقرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ وليس كما يتوهم الناس الجهلاء من أنه نزل بحسب الطلب!

والحقيقة أن أهل المدينة المنورة الأنصار كانوا جميعاً موعودين وكانوا ينتظرون نبياً، لقد كانت المدينة «يثرب» قاعدة الأنبياء السابقين جميعاً. كان سكان المدينة الأنصار على موعد مع ظهور النبي، إن انتظار ظهور النبي كان لسكان المدينة العرب الأنصار وليس لليهود كما تروج السِّير الشعبية والشعوبية! والله تعالى أعلم.

الإنسان القيام به أو التحرك إليه وباتجاهه؛ لقد باتت تدخل العقول وتخرج منها دون أي هدف؛ فقط كانت تُحشى بها الذاكرة؛ تلك الذاكرة العاجزة المجهضة والتي لا تقوى على الوقوف بله النهوض والتوجه ؛ بهدف شلِّها تماماً ومنعها من الحركة، لقد كتبوها لتكون أقرب إلى الرواية أو المسرحية التي تجعل هذا الإنسان وهو يستعرض أو يستمتع! وعلى مرِّ الزمان!! جعلته يسلو وينسى فقط... أو يستمتع ويأسف على ما مضى فقط، فيصرف حياته في السرد والاستماع إلى السرد، ويدور ويدور ويكرر الاستماع غير المنتج؛ وغير الإيجابي؛ بل السلبي المثبط للعزائم والهمم والعادم، والمُغِّيب في المتاهات وعدم الجدوى، إنَّ كتَّاب السيرة النبوية وكتَّاب المغازي بدءاً من ابن إسحاق إلى ابن هشام إلى الواقدي إلى ابن سعد إلى ابن كثير الدمشقي؛ إلى البلاذري

فالرسول الأعظم ﷺ، والذي كان عند دخوله إلى المدينة قد أرخى زمام ناقته، لا يثنيها به، كان لا يمر بدار في المدينة، من دور الأنصار إلَّا قالوا: هلمَّ يا رسول الله إلى العدد والعدَّة والمنعة، فيقول ﷺ: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، كذلك فإن الرسول الأعظم كان قد سماها المدينة، وكان اسمها (يثرب) ومعنى كل هذا، أن الرسول الأعظم كان، لآمر الناهي في المدينة، وكان سكان المدينة جميعُهم خاضعين لسلطته، ولا حاجة لأن يكتب ﷺ، كتاب موادعة لأيٍ من الأطراف، والإسلام الذي كان قد سبق في دخوله إلى المدينة، سبق وصول الرسول إليها بعشر سنين.. كان مجتمع المدينة قد مهيّأً لوصول الرسول الأعظم، وكان وعد الله الحق، وقد تفشَّى الإسلام في المدينة كلها، تمهيداً لوصول الرسول الأعظم ﷺ، ناهيك عن أنّ اليهود لم يكونوا طرفاً مؤثراً في المدينة أصلاً، فاليهود ليسوا من سكان المدينة أصلاً، وقد جاؤوا من قبل اليمن قبل مبعث الرسول ﷺ بحوالي مائة وخمسين سنة، قدموا من اليمن، وسكنوا أطراف المدينة في القرى ولم يكن مسموحاً لهم السكن في المدينة بين العرب، وهناك فرق شاسع بين مفهوم اليهود وبين مفهوم (الذين هادوا) من العرب، ومعروفٌ موقف أهل المدينة عندما سأل الرسول ﷺ الأنصار عن موضوع أن يعطوا بعض القبائل الأخرى من العرب قسماً من ثمار المدينة، لضمان عدم اعتدائهم على المدينة أو لضمان وقوفهم على الحياد، وكان أهل المدينة في حينه، في موقفٍ صعب أثناء الحصار في الخندق والأحزاب؛ فأجاب سعد بن معاذ رضي الله عنه، رسول الله ﷺ إن كان هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى، فقال ﷺ: «بل هو شيءُ أصنعه لكم لأدرأ عنكم»، فقال زعيم الأنصار سعد بن معاذ رضي الله عنه، قوله المشهور: لا والله لا نعطيهم شيئاً، لقد كانوا من قبل لا يأخذون منا شيئاً، أو قال نواة تمرة، أبعد ما أعزنا الله بالإسلام وبك يا رسول الله! فكيف ينسجم هذا الكلام مع خبر الصحيفة أو ماسميِّ بدستور المدينة، التي أبرزها اليهود في خرا سان زمن البويهيين، مدعين أنهم وجدوها في غمدٍ لسيف أحد صحابة رسول الله ﷺ، ورضي الله عن صحابة رسول الله أجمعين. الحقيقة أنَّ الإيمان كان قد تفشى في المدينة المنورة منذ بداية الدعوة في مكة، وقبل وصول الرسول ﷺ إلى المدينة بفترة طويلة، كان سكان المدينة جميعهم قد دخلوا في الإسلام؛ بينما بقي البعض من المنافقين لمَّا يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهؤلاء القليل كانوا ثلاثة أقسام.

الفاطمي؛ وإلى معظم تلك الكتابات التي كانت عبارة عن طبخات طبخت في العصر الانحطاطي الشعوبي العباسي التي كتبت فيه، ثم أُعيد تحضيرها وإنتاجها وتوضيبها في الفترة التي كانت وبإمتياز، شيعية فارسية محضة، أو صوفية شعوبية رومية محضة، وذلك من البرامكة إلى البويهيين، إلى الفاطميين، إلى القرامطة، إلى السلاجقة، إلى الصوفيين العثمانيين، بحيث إنهم فيما كتبو من سردٍ قد استكملوا فيه صناعة الرواية المناسبة التي كان قد بدأها المفسرون الذين كتبوا في تفسيراتهم للقرآن العربي المبين أشياء كثيرة ما عدا الفهم الصحيح، الفهم الذي كان يوصل مباشرة إلى الحقيقة المبينة للنص العربي، والفهم العربي الذي لم يكن يحتاج اساساً إلى تفسير أبداً، والحق أن التفاسير والسير وكتب التاريخ والفقه برمتها كانت وبالاً على الفهم العربي الصحيح. لقد كان المسلمون عامة بخير قبل تدوين تلك الكتب، التي أعاقت المسلمين العرب عن الهدف الذي كان واضحاً قبل كتابة السِيَر وقبل كتابة التفاسير؛ والذين كانوا بغنىً عن كل تلك الكتب التي أضنتهم وأعاقت وصولهم وسدَّت أمامهم كل سبيل إلى الفهم والتعقل، ودمرت، على مر الزمن، الرؤيا الصحيحة والواضحة عندهم، أو التي كانت واضحة قبل التفاسير وقبل السير وقبل نشوء المذاهب وقبل نشوء المعتقدات والأيديولوجيات الشيعية والصوفية والسلفية وتفرعاتهم وطوائفهم ونحلهم التي هي جميعها، (علَلُها)، كما كانت في ابتعادها بنسبٍ متفاوتة عن الأساس العربي المبين للنص الإلهي ؛ وغاب عن بالهم أن الإسلام ليس عقيدةً خاصةً تُعتقد، ولا هو مُعتقداً[1]

(١) إن لفظة (عقيدة) لفظة غير إسلامية أساساً! ولا هي عربية ولم تنزل من السماء أبداً وهي دخيلة على الإسلام، إلى دين الله سبحانه وتعالى، ولم ينص عليها القرآن المجيد مطلقاُ؛ ولا حديث رسول الله ﷺ أبداً، وقد طبقت على الإسلام تطبيقاُ تعسفياً؛ فقالوا بمفهوم العقيدة الإسلامية، ظلماً وعدواناً وذلك نظيراً للعقيدة المسيحية؛ والعقيدة اليهودية والعقيدة الإمامية، وكذلك العقائد في باقي الأديان الأرضية والطائفية، وكذا كانت المعتقدات السياسية (الأيديولوجيات) ذات المنشأ التعصبي الملي أو العرقي أو الإقليمي أو المصالحي، وكل هذه الأوهام كانت بعيدة عن دين الإسلام الحنيف العربي المبين والذي أساساً هو رحمة للعالمين، فمن الذي ألبس الإسلام، الدين الرباني، تلك الأزياء العقائدية المعّقدة الخاصة والضيقة! والألوان والضجة الصاخبة والطقوس المليئة بالأوهام!؟
ومن غريب تأثير مفهوم (العقيدة) على الإنسان أنها تجعل هذا الإنسان مقلداً تقليداً أعمى، غير واعي، فهي تطمس عقله.

وليس مذهباً خاصاً يُتخذ أو يتمذهب فيه الإنسان، وليس أفكاراً أو رؤىً تُشرع من أهواء الناس أو من مصالحهم أو عواطفهم أبداً أبداً (لقد شكلت التفاسير عند أهل المذاهب بديلاً عن القرآن العربي الواضح والمبين لكي يتثنى لهم تمرير أغراضهم) بل الإسلام دين الله عزَّ وجل الدين الذي ارتضاه لعباده منذ خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وإلى يوم يُبعثون فسيبقى الإسلام دين الله الحق الذي لا إله غيره، وعلى العباد الإيمان به كما نزل عربياً مبيناً؛ بجميع كتبه وبجميع أنبيائه من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام أجمعين، غير ذي عِوَج؛ وعلى البشر جميعاً حمل هذا الدين المبين الواضح وتجسيده حياتياً عطاءً لا ينتهي عطاءً بلا حدود في كل اتجاه وعلى كل صعيد، في كل زمان وفي كل مكان، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ** ﴾ [النساء: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ [الأنعام: ١٦١]، فالمسلم الأساس أنه سِراج منير، فلقد كان عليه الصلاة

وفي لقاءٍ لي مع أحد الإعلاميين الجزائريين البارزين سألته إذا كان عربياً؟! فقال لا أنا مسلم، فقلت له ولكن ماذا تعني لفظة عرب في رأيك؟ فأجاب إجابات عديدة ومختلفة أتى فيها على آراء جميع الفلاسفة والمفكرين الغربيين من روسو إلى نيتشة إلى ماركس إلى سارتر، وذكر كل الفلسفات القديمة بدءاً من التوراة اليهودية إلى الفلسفات اليهودية الحديثة! واستعرضها جميعاً!! ولكنه لم يذكر القرآن أبداً ولم يعول عليه مطلقاً! مع أن لفظة عرب قد نصَّ عليها القرآن بمختلف الصيِّغ ٢٢ مرة، فقلت له أيها المسلم العتيد أنت تتحدث بعقلٍ يهودي دون أن تدري!

كذلك كان سؤالي لأحد المناضلين الفلسطينيين الأشاوس الذين كانوا قد أمضوا ستة عشر عاماً في سجون الاحتلال! وكان ذا لحية؛ سألته: هل أنت عربي وماذا تعني لفظة عرب في رأيك؟ كان أول شيءٍ نطق به هو يقول اسبيونوزا !؟ ومط لفظة اسبيونوزا (ومعروفٌ أنَّ (اسبيونوزا) فيلسوف يهودي يروج له اليهود على أنه كان مناهضاً لليهودية ومعروفٌ أن اليهود كانوا إذا أرادوا الترويج لبضاعة يهودية وأرادوا محاربة القيم والمبادىء العربية الإسلامية كانوا يجعلونها أو كانوا ينشرونها على أنها من شخصٍ منفصلٍ عن اليهود، وأنَّ اليهود غير راضين عنه، أو أن هذا الشخص هو معادٍ لليهود وبذلك كانوا يضعون السم في الدسم، كان هذا الأسلوف يسري بها فيه كالنار في الهشيم كانوا يزرعون كل ما يريدون إيصاله وغرسه في الرؤوس الحزينة الرؤوس الفارغة، والتي كان اليهود يعملون على ملئها بنظريات ومقالات، مثل نظريات ومقالات اليهودي (سبيونوزا) وداروِن وفرويد وانشتاين وديورانت وغيرهم كثر، فكان جواب صديقي المناضل العتيد على طريقة اللهجة الغزاوية! الذي كان يفتخر بأنه من غزة هشام! وأنه مسلم عربي، عندها خطر لي سؤال وَدَدتُ لو أنني سألته وسمُّ اليهود يجري في عروقهم؟ كيف يقاومون وقد حُشيت عقولهم بالنظريات التوراتية والأفكار التلمودية والصور والشخصيات اليهودية كيف؟ ولكنني للأسف لم أستطع أن أسأل أحداً مثل هذا السؤال!

والسلام خُلُقُهُ القرآن ﷺ، وكذلك كان صحابته الكرام المهاجرين والأنصار وكل التابعين بإحسان، القرآن العربي المبين، فكيف آلت السيرة النبوية على يد ابن اسحاق وابن سعد وصولاً إلى عبقريات العقاد والذي أضاف إلى الركام ركام فتحولت السيرة إلى مجرد رواية أشبه بسيرة عنتر وأبي زيد الهلالي؛ غير مثمرة وغير فاعلة وغير منتجة فهي، هذه الروايات بإسلوبها الميت، وخلال خمسة عشر قرناً، خلال كل تلك المسافة التي فصلتنا عن العصر الأموي فإن السيرة لم تنتج عملياً إِلَّا الهباب، ولم تعطى لأجيال العرب المسلمين إِلَّا الخمول والتواكل، والنزاع والاختلاف والتخاصم والافتراق والعداء بين الفرقاء المفترقين والذين أساسهم جميعاً عرب موحدون! وقد آن الأوان للعرب المسلمين لأن يعيدوا النظر في الأسلوب الذي كتبت فيه تلك السِيَر والذي لم يكن ذا جدوى أبداً وخلال ثلاثة عشر قرناً[1]، في حين أن السيرة النبوية المعظمة

---

(١) ومثل ذلك إنه عندما تولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلافة المسلمين شكل مباشرة مجلساً لأهل الحل والعقد من الذين بقوا أحياء من أهل بدر، الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، امتثالاً للنص القرآني الذي وعدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر والفتح القريب.. وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب يؤثرهم ويتفاءل بهم في كل شيء ويستشيرهم ويجعل منهم الأمراء والقادة في كل مكانٍ وزمانٍ يتواجدون به؛ وخصوصاً في المعارك والمواجهات مع الأعداء، ولذلك فإن سيدنا عمر بن الخطاب أمر بأن يكون سيدنا أبا عبيدة بن الجراح هو الأمير قي معركة اليرموك وليس سيدنا خالد بن الوليد لأن سيدنا أبا عبيدة بن الجراح كان بدرياً وخالد بن الوليد لم يكن بدرياً.. رضي الله عنهم أجمعين، فكيف رويت السير وتناقلتها الأجيال بعنعناتها! وفيها أن سيدنا عمر بن الخطاب كان حاقداً على سيدنا خالد بن الوليد وأن هذا الحقد كان من زمن الجاهلية وصوروا للأجيال أن سيدنا عمر قد جرد سيدنا خالد من منصبه حقداً عليه وعملوا للقصة ذيولاً طويلة وتخيلات لا تنتهي؟ وأيضاً فإنَّ ما صار يُدعى بقصة (فدك) فإنها برمتها مختلقة مع ما لها من ذيول وتخرصات وتخيلات كلها موضوعة وموظفة لتخدم منهاجاً شعوبياً محدداً ومرصوداً كان قصده التشويه والإساءة، وكانت القصة من أساسها مختلقة لا وجود لها على الإطلاق، مثل ما روجوا لقضيةٍ كانت مختلقة ومفتعلة أيضاً وجيروا لها آيات القرآن الكريم عندما أرادوا تعليل أو اختلاق أسباب لنزول الآيات... الأمر الذي لم يكن مطلوباً ولا مفيداً إِلَّا للحاقدين الشعوبيين ونسوا أو تناسوا أن القرآن العظيم هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي في اللوح المحفوظ! وهي القضية أو الكذبة التاريخية التي أرادوا بها الإساءة إلى ذات الرسول الأعظم ﷺ وحياته وصحابته الكرام.. القصة التي اختلقوها عن السيدة عائشة رضي الله عنها زوجة الرسول الأعظم ﷺ بقصد إلحاق الأذى برسالة الإسلام وثلمها وخرمها وتشويهها وتلطيخ صورتها النقية الطاهرة المضيئة، وقالوا بأنَّ سورة براءة نزلت بخصوص تلك الحادثة التي لم تحدث أصلاً ولاحصلت أساساً إِلَّا في عقول أولئك الخونة الغادرين الذين تعمدوا الإساءة لمجد الرسالة الربانية الطاهرة والدليل هو أن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿

المفروض أن تكون مشعلاً يُشعِّل ويُشَغِّل ويحرك ويُنير ويدفع ويثّور[1] وينوِّر ويفعِّل مخلوقات الله في العالم إيجابياً إلى الأمام والأعلى، فهل كانت السِّير التقليدية مصممة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٧]، فكيف تتصورون أن تكون العصمة من الناس التي تكفل بها الله سبحانه وتعالى لنبييه، ألم تكن عامة وشاملة؟ هل سيسمح رب العالمين لتجري مقاديره جلَّ جلاله بإتجاه تشويه صورة نبيه ورسوله وصحابته الكرام عبر التاريخ؛ الذين وعدهم رب العالمين بالحسنيين، وكان قد غفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، آلا ساء ما يتخيلون وساء مايفترون، فهذه المفتريات التي وضعت في العصر الفاطمي والبويهي والصفوي والعثماني، قد دخلت في عصور الانحطاط كتب ومناهج الجهلة من أهل الشيعة والسنة أيضاً؛ وهي مفتراة من أساسها والله المستعان.

وذلك تماماً كما دخلت عليهم الكثير الكثير من القصص والأساطير القديمة التي افتراها اليهود لإفشال الإسلام وإجهاض مسيرته وتدمير مستواه العظيم، وباتوا يعتقدون بها جازمين، وهي غير صحيحة بالمطلق ولم تحدث أبداً، من مثل قصة شق الصدر التي كان أصلها اسطورة قديمة موجودة في كتب الأساطير والآلهة القديمة، وهي قصة خاصة بالمتخلفين والمعوقين ولم يكن الإسلام المتقدم، إسلام الفكر والعقل إسلام الحضور الراقي للقيم العليا، هذا الإسلام العربي الذي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الأساطير التي هي من لوازم التخلف الحسي وحالة الجهل الذهني والنفسي والضياع المدمر للعقل البشري. والتي ليس لها مبرر أبداً فالدين الراقي والإيمان الراقي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الترهات أبداً، ولكنها من لوازم الجهل والجاهلين! للأسف الشديد والغريب أن الوعَّاظ وعلماء العامة يؤكدون عليها ويتشدقون بها من على المنابر وفي المجالس دون وعي لما تسببه مثل هذه الروايات على عقول الأجيال، ما يؤدي إلى شلل العقول وتلف الأفكار والعجز الكامل والعقم، والعامة من الناس لا تدرك أن هذه الروايات أصلها موجود في أساطير ما قبل التاريخ وقصصها الوثنية! كذلك القصص التي اخترعوها عن أن الرسول ﷺ قد تعرض للسحر أو للتسمم، كل ذلك كان افتراء بافتراء كان قد وضعه الوضاعون وقد تشربها الجهلة من أهل السنة الذين لم يكونوا ليدركوا؛ فأدخلوها في كتبهم وأصَّلوا لها جهالة منهم وكان من المفروض أن يرفضوها بقضها وقضيضها ومن الأساس لأنها لا تنسجم مع الإسلام الصحيح دين الله سبحانه وتعالى وخاتمة رسالاته سبحانه وتعالى، ولكن الجاهل يفعل بنفسه أكثر من ما يفعله عدوه به، إن الجاهل أقدر على الإضرار بنفسه وهو أخطر على نفسه من عدوه!.

(١) الأساس أن تكون الثورات الحقيقية في الحياة الإنسانية هي ثورات الأنبياء والمرسلين والمبعوثين من الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين لينقدوا الواقع السالب الخَرِب في العالم الآسن المعتاد، ويقلبوه ويغيروه للأفضل؛ وليبنوا للناس مناهج ثورية فذة ترفض العبوديِّة والذل والهوان وتعشق الحرية إلى الله الواحد القهّار ليعلموا الناس الخير، فكيف صوَّروا وأبدلوا للناس وأفهموهم أن الفلاسفة اليهود مثل ماركس ولينين وكاسترو وغيفارا يمكن أن يحلوا محل الأنبياء؟ كيف صوروا لهم وأقنعوهم أن مثل هؤلاء يمكن أن يكونوا بديلاً عن أنبياء الله وأن فلسفاتهم العقيمة يمكن أن تكون بديلاً عن رسالات الله سبحانه وتعالى؟ بلى فكل كلمة في القرآن المجيد الأساس أنها ثورة وثورة عارمة ولكن من الذي قرأ القرآن قراءة عربية؟

تصميماً ومفصلة تفصيلاً على مقاسنا، لتجعلنا خاملين مرددين، نشتهر بالبلادة الفكرية؟ فهل نجحوا بذلك وإلى حدٍ بعيد؟ ولنا أن نتأمل الصوفية والسلفية والشيعة بمختلف أشكالهم.

وكذلك كانت التفاسير العديدة والمتعددة التي لا تزال على حالها كما انتجها لنا وكما صممها لنا وكما فصلها لنا (ابن منبه) و(ابن الكلبي) و(ابن جرير الطبري) أولئك اليهود القادمون من اليمن وطبرستان؛ فكانت تأويلاتهم وتفاسيرهم قيوداً تقيد حركتنا وكمامات تكمم فيها عقولنا في حين حجروا على الأفهام العربية الحرة (والمعروف أنه كانت هنالك وحتى نهاية القرن الثالث الهجري مئات الآراء والأفكار والنظريات والأفهام والتأويلات والشروحات ووجهات النظر العربية كلها تم الحجر عليها وتم محوها وتم تشويهها وتم تبديدها وإضاعتها بشكلٍ قصديٍ ومتعمد لصالح تفسير الطبري ولتتسود آراء بعينها كانت أعجميَّة شعوبية خاطئة وغير صحيحة، حلَّت محل الأصل العربي الصحيح ولم يعلموا أنه عندما يحضر الأصيل في يومٍ من الأيام فسيبطل حتماً عمل الوكيل ؛ وذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى وهذا هو الحكم الإلهي، ومصممه القدر الذي لا مناص منه، ولاحول فكانت تلك التفاسير وتلك السير قوالب على مقاسنا مصممة لنا خصيصاً!

محمد صلى الله عليه وسلم (خاتم النبيين)

السيرة الأساسيّة للرسول عليه الصلاة والسلام يجب أخذها أساساً من القرآن العظيم وليس من أي مصدرٍ آخر، والواقع فإنَّ القرآن العظيم قد صزر لنا حياة رسول الله تعالى تصويراً بليغاً، وكذلك لعصره بكل ما فيه؛ لم يترك فيه شاردة أو واردة إلا ذكرها؛

قال تعالى: { مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً {٣٨} الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً {٣٩} مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً {٤٠}الأحزاب، إنَّ لفظة (محمد) معناها: منهاجٌ فيه دعوة مُثلى إلى الله تعالى يجب على الناس كافةً اتباعه، وليس مجرد اسم للنداء ﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ : إذاً فهل كان الرسول ﷺ هل كان اسمه قبل البعثة أحمد هل كان لفظاً (محمد) لفظٌ كونياً يوازي لفظ الكوني (آدم) أيضاً ويكافئه بحيث كان آدم عليه السلام البداية وكان سيدنا محمد ﷺ مسك الختام إننا إذا تأملنا الأصل الثنائي للَّفظين فسنجد بعد التجريد أنَّ آدم تصبح (دَم) ودَمَّ هي دَبَّ من الدبيب على الأرض ومحمد بعد التجريد يصبح (مد) فهل هي بَدَّ؟ والله أعلم.

و(حرف الميم) تأتي أحياناً بدلاً من أربعة أحرف وهي الواو والنون والباء واللام، والأصل أنها تختص باسم الله سبحانه وتعالى وهي من (أيمن) ولم تستعمل في المطالع لغير اسم الله سبحانه وتعالى إلا شذوذاً؛ مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ

غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وكل شيء قادم من عالم الغيب (من السماء) فحرف الميم دلالة عليه، مثل الوحي والتنزيل والكتاب وآيات الله والأحكام الربانية، فكل شيء قادم من عالم الغيب حرف لميم دلالة عليه إنه دلالة على المصادر العليا، بما فيها لفظة (الملح)؛ وهو من البعيد إلى القريب ومن الأعلى إلى الأدنى و (محمد) بالتحليل: (م+ حمد) تعني الأمر الإلهي والله أعلم، و(حرف الميم):يفيد بسداد الأمر وإكمال النقص وتمامه و(من) و(ما) و(متى) و(من) أدوات الشرط، وايان وأنّا وحيثما وكيفما وأيُّ، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾** ﴾[هود:٧]، (العرش): السلطة والحكم، (على الماء): العدالة المطلقة، لأنَّ (من خواص الماء الاستواء المطلق)، وهو الميزان للتسوية المطلقة وهذا يدل ويفيد أن عدالة الله سبحانه وتعالى المطلقة هي التي تحققت في الكون، في حدوده وفروضه والقوانين والعلاقات التي تتحكم في هذا الوجود والعوالم كلها واللهُ أعلم.

وحرف (الحاء) هي حرفٌ حلقي يفيد الحركة والحيوية والحب والأمر بالمسير والإقلاع بالشيء والتدبير الرباني، وهو يدلُّ على الأمر الرباني كله لله سبحانه وتعالى بالعمل(والأمر يوم إذٍ لله) وقد تميزت بها لغة الضاد وغابت عن حناجر باقي الشعوب فلا يقدرون على نطقها واستعاضوا عنها بالهاء، و(الحمد لله) الحمد هنا مبتدأ مؤخر، أي الأمر والتدبير كله في السماوات والأرض (عوالم الغيب والشهادة) الآن وفي كل آن، كله لله جل جلاله، ولا يعزب عن أمره شيء أبداً جل جلاله وهو الحكيم الخبير و﴿ **وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾** ﴾ [الحج:٢٢] الذين كانت لهم مجادلات وتعرضوا لآيات الله في تكذيبها، بينما الذين

أوتوا العلم سيرون أن الحق من الله ﷻ وأنها تهدي على الصراط المستقيم صراط العزيز الحميد و(حبَّ) أمر الصحبة والملازمة المعنوية النفسية والروحية، و(الود) أمر يتعلق بالتعامل والممارسة والأخذ والعطاء و(حرف الحياء) يشير إلى ممارسات عناصر الطبيعة وأثارها وهو للقيام والاندفاع والنهوض والحمل والتحميل والحمولة والتحريك والتحديد بشكلٍ عام، وكل فعل حيوي حق، ومتحقق يعني (حاء) والله أعلم، الحكم والحكيم، والمُحكم: الذي أحكمت آياته والحكيم المحكم ذاتياً؛ وإحكام السلاح إعداده إعداداً تاماً وتهيئته تهيئة مستمرة، وتحميله قدرةً ذاتيّة للوصول إلى الهدف المستهدف في كل حين، والقرآن الكريم كتابٌ أحكمت آياته: يعني أنَّ كل حرفٍ فيه وكل لفظٍ فيه هو هادفٌ إلى هدفٍ مستهدف، وليس فيه ألفاظٌ زائدة وليس فيه نقص وهو بالتالي لم يكن يحتاج إلى أي شكلٍ من أشكال التكميل، لا علم الناسخ والمنسوخ ولا علم أسباب النزول، ولا إلى من يُفسره! قال تعالى: ﴿ **الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١** ﴾ [هود:١] فهل كانت (الحجرات) في القرآن الكريم تعني الحجرات المحفورة في رؤوس الجبال؟و(الحمأ) المسنون: هل هي الخلطة القديمة التي تحتوي على أمر عظيم والله أعلم والفرق كبير بين لفظة (اليمين) ولفظة (القسم) ومعنى (الحلفان)! وبالتالي فهل هل يحتاج الله ﷻ لكي يُقْسِم (يحلف) لنا في القرآن الكريم ولمن تقسم (يحلف) رب العالمين؟ إذا كان القسم والحلف واليمين لا يكون إلا للضعيف أمام القوي والمتهم أمام القاضي! وغاب عن بالهم أن العرب في كلامهم تأتي بالتوكيد بأسلوب القسم، قال تعالى: ﴿ **وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤** ﴾[الحاقة:١٤]، أي أجبرت بالقوة والجبروت وإرادة رب العالمين، أجبرت الأرضَ والجبال وصارتا خابتتين وفي مستوى واحد.

وبالتالي فإنَّ حرف (الحاء)[1] يدلُّ على الأمر الرباني كله أنه لله تعالى، (والأمر يوم إذٍ لله) وقد تميَّزت بها لغة العرب وغابت عن حناجر باقي الشعوب في العالم فلا يقدرون على النطق بها واستعاضوا عنها بالهاء، و(الحمد لله) هنا مبتدأ مؤخر أي أنَّ الأمر والتدبير كله في السماوات والأرض (عوالم الغيب وعالم الشهادة) الآن وفي كل آن أنه كله لله تعالى ولا يعزب عن أمره شيء في الأرض ولا في السماء أبداً ﷻ وهو الحكيم الخبير (والذين سعوا في آياتنا معجزين) أي الذين كانت لهم مجادلات وتعرضوا لتكذيبها، بينما الذين أوتوا العلم سيرونها الحق من ربهم وأنها تهدي إلى صراط العزيزالحميد، وحرف الحاء يشير دائماً إلى ممارسات عناصر الطبيعة وآثارها وهو للقيام والاندفاع والنهوض والحمل والتحميل والحمولى والتحريك والتحديد بشكلٍ عام، وكل فعلٍ حيوي حق ومتحقق يعني (حاء) والله أعلم.

وحرف (الدال) هو من الحروف المادية المحددة أو المتمركزة في أو ضمن محيط معين ومن خواصه التحديد والإحاطة المادية للكتل والأوزان والمساحات كالبدر والدائرة والديرة والدم والدف ودجلة والدحي والدخان والدِثار. والدبيب والدرب والدس ودعامة والدف والدك والدلو والدل والدن والدود إلى آخره وهو شديد القرابة مع أحرف التاء والطاء والضاد، وهو عند البعض يدل على الدفع الشديد وتوقف أو يدل على النهايات، قال تعالى:

---

(١) توصيف: من الأحرف النورانية يخرج من وسط الحلق وصفته الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات، وهو الثامن في الابجدية العربية بين الزاي والطاء، وهو كرأس الحصان... حرفٌ حلقي يُفيد الحركة والحيوية والحب والانطلاق والأمر بالمسير والإقلاع بالعمل والتدبير الرباني، فهل كانت لفظة (الحجرات) تعني الحفر المحفورة في الجبال أم المباني المبنية من الحجارة؟ وتركيب (الحمأ المسنون) هل يعني الخلطة القديمة التي تحتوي على أمرٍ عظيم؟ ولفظ (الحضارة) صحيحٌ أنه معاصر ولكن من المؤكد أنّ له أساساً في القرآن الكريم... فهو ولا شك مشتقٌ من (الحضور) وأنت إذا كنت في حياتك حاضراً في البيئة أو المجتمع تمارس نشاطك وتأخذ وتعطي وتتفاعل فأنت حضاري إذاً، أما إذا كنت مجرد مستهلك للحاجيّات ومتبع للشهوات وغائب عن التفاعل ومتشبّه بالأموات فأنت حتماً غير حضاري، وبالتالي لا يوجد كما يدّعون حضارة قديمة وحضارة حديثة لأن الحضارة من الحضور! فمثلاً سيدنا نوح على الرغم من مرور العصور الطويلة على تجربته بالتأكيد فهو لا يزال أكثر حضارةً من كل المُعاصرين.

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النحل:٤٨]، ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الصافات:١٨] (داخرون) من الادخار والاحتفاظ وهي تعني مستوى عالياً رفيع من الادخار والاحتفاظ، محاط بالعناية لحين الطلب؛ وفي المعجم أنّ الدفق: المطر الشديد الواسع الكثير العميم وتدفق أسرع، وسيرٌ أدفق أي سريع ودفق انصبّ وتفيد الانصباب وتدفق الماء إذا زاد في الكوز أو في الينبوع وانساح في الأنهار والسواقي ودفقت كفاه الندى أي صباه في شدةٍ وكثرة،

وحرف الدال[1]: من الحروف الماديّة المُحَدِّدَةُ والمُمَرْكِزَةُ أو تُوَقِّع أو تضعُ المعنى ضمن محيطٍ معيَّن ومن خواصه التحديد والإحاطة الماديّة الخارجيَّة للكتل والأوزان والمساحات كالبدر والدائرة والديرة والدم والدف ودجلة والدخان والدثار والدرب وغيره، وحرف (الدال) شديد القرابة مع أحرف الضاد والطاء والتاء، وهو عند البعض... يدل على الدفع الشديد والتوقف، أو يدل على النهايات، ولكنَّ قيمة الحرف ودلالته تكون بحسب مكانه من اللفظ والله أعلم.

إنه وقبل الخوض في النتائج؛ علينا أولاً دراسة الأسباب والمقدمات، التي أدت إلى هذه النتائج؛ والتي ربما كانت وخيمة، إن المُخرجات ما هي إلا تلك المُدخلات... والحقيقة فإن الضعف الحقيقي هو ضعف التفكير، وهو الاستكانة والنكوص عن المواجهة، إنه الرغبة في التراجع والانحطاط والانتكاس، إنه الحالة التي يكون فيها الإنسان المؤمن مختَرَقاً ومهيمناً

---

(١) توصيف (حرف الدال) أنه يخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وصفته الجهر والشدة والقلقلة والاستفال والانفتاح والإصمات وهو قريب جداً من الطاء والتاء وهو الحرف الرابع في الأبجدية العربية بين الجيم والهاء، وفي المعجم أن الدفق: هو المطر الشديد الواسع الكثير العميم وتدفّقَ أسرع وسيرٌ أدفقٌ أي سريع ودفق: انصبّ وتفيد الانصباب وتدفق الماء إذا زاد في الكوز أو الينبوع وانساح في الأنهار والسواقي ودفقت كفاه الندى أي صبّه في شدةٍ وكثرةٍ.

عليه، فالمؤمن يجب ألا يكون مخترقاً؛ ولا بحالٍ من الأحوال، بل يجب أن تكون كل قوةٍ لديه، قال تعالى :﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الحشر): واللينة من اللين: والأساس من (لن) دخلت عليها الياء للتعبير على الاستمرارية، والتاء للذروة (علّامةِ فهّامةِ جمّاعةِ)، و(اللينة) هي أدوات الصمود والممانعة، و(اللّين) كل ما يمنع، أو يقف حائلاً ويصد الهجوم؛

لذلك المهاجم في أية مواجهة عليه أولاً أن يُزيلَ من طريقه كل ما يعيق هجومه، أو أن يُدَمِّرَ كل أنواع الموانع التي لدى العدو؛ وكل العوامل (الاستراتيجية) وغير (الاستراتيجيّة) التي تساعد العدو على الصمود؛ سواءً أكانت مواد غذائية أو جدران أم خنادق أم أشجار؛ مادية كانت أم معنوية، ولذلك فالعسكريون الذين مهمتهم تحقيق النصر على العدو؛ عليهم أن يفعلوا ما يرونه مناسباً لتحقيق النصر؛ هذا ما على المؤمنين من العرب فهمه وفعله؛ يقول تعالى (ما قطعتم من لينةٍ)، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ الحشر: العلاقة بين المنافقين والذين كفروا دائماً مستمرة؛ والخطاب في القرآن الكريم اساساً للعقلاء والمفكرين، وليس للجهلة ولا للذين لا يفقهون، بل لمن هم في قمة الوعي والإدراك والشعور بالمسؤولية والانتماء للمجموعة، وليس للصوفية وليس للسلفية وليس للشيعة، الذين حرَّفوا القرآن واخترعوا قرأناً آخر، مختلفاً واشتغلوا فيه؛ ويشير الخطاب في القرآن الكريم العظيم إلى أَنَّهُ لا مبرر لخوف المسلمين المؤمنين من عدوهم أبداً، إذ يؤكدُ لنا ربُّنا عز وجل أنهم أيضاً (الكفار والمنافقين) يخافون من المؤمنين خوفاً

شديداً ويحسبون لهم ألف حساب، لأنهم في الحقيقة أغبياء، إذ اعتدوا على الإيمان؛ وإذا أصابوا في هذه الحياة نجاحاً، نتيجة اتباعهم المنهج العلمي في علاقاتهم مع البيئة والطبيعة؛ فهذا متاحٌ للمؤمنين أيضاً؛ فيما لو أرادوا ذلك!

فالذين يفقهون لا يَرهَبونَ إلا الله تعالى، أما الذين لا يفقهون فتُرهِبُهُم الناسُ، والذين يعقلون إذا قاتلوا، فإنهم يقاتلون جميعاً وضمن خطة جماعيّة ودفعةً واحدةً، وفي تنسيقٍ جماعيٍ عالي المستوى، ليس فيه تشرذم ولا مراحل! ... وبشكل كلّيٍ وشامل.. اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً واعلامياً وثقافياً، لا يتقوقعون ولا ينعزلون، وإنما يشنون على العدو الهجوم بتنسيقٍ جماعي عالي المستوى، وليس أشتاتاً... بينما الذين كفروا الذين لا يستوعبون الدروس! أما الذين آمنوا فبينهم تناصر وتعاضد شديد، الذين آمنوا تفكيرهم (استراتيجي) عام وشامل.

بينما الذين كفروا يفكرون بطريقة فيها شح للأنفس، لذلك يجب على المؤمنين على الدوام الاعتماد والثقة الكليّة بالله تعالى، لأنَّ الله تعالى، قادرٌ في كل لحظة على تغيير الظروف، وجعلها ملائمةً ليكون النصر للمؤمنين، والمطلوب من المؤمنين باستمرار إعداد العدة والاستعداد والتهيؤ للحظة المناسبة، والالتزام بأمر الله تعالى عن وعي وفهم وعلم وعقدٍ للعزم؛ والاصطفاف والتراص بينهم، ونبذ الجهل والخرافة.

فالإسلام هو أول نظامٍ في الكون يدعو إلى تحرير العبيد، وكلمة (عمر بن الخطاب) أشهر من نارٍ على علم، قوله: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً) وهي ليست من عنديَّاته رضي الله عنه، لكنه استخرجها من القرآن العظيم، كان الصحابة الكرام ينطقون الحق بمنطوق القرآن، فالإسلام هو أول من حرر العبيد، عقولهم وأنفسهم، قبل أجسادهم، وهو أول من جعلهم ـ إذا أرادوا ـ ذواتاً، وحولهم ـ إذا أرادوا ـ إلى أسياد؛ في حين أن تحرير العبيد في حينه ... كان مستنكراً لدى كل الأنظمة وكل الفلسفات (القديمة)، وحتى مطلع

القرن العشرين؛

وقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ** وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ** ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء) وقوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ **أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (المائدة) وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ **فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ** مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ (المجادلة) ، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ **فَكُّ رَقَبَةٍ** ﴿١٣﴾ ﴾ (البلد)

و(فك رقبة) يُفهم منه أنَّ تقيِّيد الإنسان أي كان الأساس أنه أمرٌ سلبيٌ ومقيت ومرفوضٌ ومزمومٌ من الذات العليّة، والعرب تقول (إنَّ اللبيب من الإشارة يَفْهَمُ) لذلك فإنَّ (فك رقبة) تُعتَبَرُ أمراً من الله تعالى للمؤمنين جميعاً بتحرير جميع العبيد في العالم! طبعاً الذين أرادوا الحرية؛

فالآية بالنسبة لمن يعقلون ويفكرون ويفهمون، يُستفاد منها أنها أمْرٌ بتحرِيمُ العبودية مطلقاً، وأن مفهوم (التحرير) و(التحرر) والحريّة في الإسلام، بجميع أبعادها الإيجابية يُعتبر عندهم من معالي الأمور، لذلك يسعى إليها المسلمون جميعهم، في كل العصور، وهم لا يستعبدون أحداً، والعرب تقول: (كبير القوم خادمهم).

وفي (سورة محمد) أنَّ الله سبحانه وتعالى قد جعلَ هذا العالم ينقسم إلى فئتين رئيسيتين، فئةً

تُعرِضُ عن الحق وتتبع الباطل، وتصدُّ عن سبيل الله، وهي التي ينضوي تحتها الكفارُ والمشركون بجميع أشكالهم وألوانهم، ويلتحق بهم المنافقون الذين في قلوبهم مرض؛ الذين من أبرز صفاتهم أنهم لا ضمير لهم ولا وجدان، وهم لا يُحاسبون أنفسهم على عملٍ ارتكبوه مطلقاً، يتبعون الغريزة والمصلحة الخاصة فحسب، ويقولون ما لا يفعلون، وأنهم لا يَصْدُقُوْنَ بل يُداهِنُون؛ يخدعون المؤمنين بالقول المعسول؛ بينما قلوبهم معلقةً بالفئة الضالة، يخادعون الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ۝١٦ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ۝١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ۝١٨ ﴾ (البقرة)،

وقد جعل اللهُ تعالى في كل عصرٍ من العصور، لكل فئة من الفئات الضالة فئة من المؤمنين تقابلها، وتواجهها لتردعها وتعيدها إلى الحق.

لذلك فإن المهمة الرئيسية المحمَّلة والمُسندة والموكلة للمؤمنين في كل زمان وكل مكان، وعلى الدوام، أولاً هي مواجهة الذين تولوا عن ذكر الله تعالى، وأداروا ظهرهم للحق لأنهم

يشكلون باستمرار خطراً على المجتمع ككل ولا بد من مواجهته.

و(الفاسد) فاسدٌ لذاته، بينما المُفسدُ مُفسِدٌ لذاته ومُفسِدٌ لغيره؛ وبالتالي يجب العمل على صدِّه بكل وسيلة وطريقة؛ وهذه المهمة ـ بالنسبة للمؤمنين ـ فرض عين، أي على كل مؤمن أن يعمل على مجابهة الفئة المضللة ومكافحتها بكل وسيلة.

والمفكرون واللذين يعقلون والعلماء ذوي الألباب، يعلمون ويفهمون الحكمةَ من وجود فئة (المؤمنين) في مقابل فئة (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله تعالى)، أنها إحقاق الحق، ويَمْتَثِلْون لسنّة الله تعالى وقوانينه النافذة في هذا الكون، ويعملون من أجلها، وهم على ثقةٍ من أنَّ الله تعالى هو مولى المؤمنين، بينما الذين كفروا ومن معهم فإنهم لا مولى لهم.

ولكن عليكم أن لا تنسوا الله تعالى، لكي لا ينساكم ولا يُنسيكم أنفسكم؛ (والخطاب العام في القرآن العظيم للمؤمنين) يعني لا تتوقفوا عن التفكير في الله العظيم والسعي باتجاهِهِ تعالى، ذلك إذا أردتم النجاح والتقدم على أعدائكم، الذين لا ينفكون عن حصركم والكيل لكم؛ لقد استجمع الشيطان كل قِواه من أجل القضاء على العرب المسلمين؛ فماذا أنتم فاعلون أيها العرب المسلمون؟[1]

---

١ ـ قال تعالى: ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحشر: السورة فيها أمر للمسلمين العرب المؤمنين منهم، وتنبيهٍ لهم على

ضرورة التفكير في حصر الكفار والمنافقين في (خانة) واحدة وفي حيّز واحد، والتضييق عليهم من كل ناحية وعلى كل صعيد وفي كل مجال الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والسياسي والعسكري، والعمل على التخلص منهم وطردهم خارج بلادهم (بلاد العرب والمسلمين) لأنَّهم يمثلون الخطر الدائم ويهددون حياة العرب المسلمين وهم يمثلون الخاصرة الرخوة ونقطة الضعف في الجسم العربي وهم غير وطنيين ولا ينتمون إلى الوطن العربي ولا يخلصون له أبداً ويرتبطون مع أعدائه في الخارج والداخل ويحتشدون خلف كل متآمر على العرب المسلمين، لذلك فهم يتهددون حياة العرب المسلمين دائماً ويجب العمل على طردهم والتخلص منهم إلى خارج الدائرة العربية حتى يفيؤوا إلى أمر الله تعالى، ولا يجوز تركهم ولا الإبقاء عليهم أو السكوت على أعمالهم ولا بحال من الأحوال، إن هذا أمرٌ، وتوجيهٌ غير مباشر من الله تعالى إلى المؤمنين، أنَّ التفكير يجب أن يمارسه العرب المؤمنون وفي جميع الحالات؛ سواءٌ كانوا أقوياء أم كانوا ضعفاء، ودائماً ومبدئياً يجب عليهم التفكير في كيفية حصر الكفار والمنافقين والناهضين لهم وطردهم جماعياً وإبعادهم عن مواقع المسلمين. والتضييق عليهم وعدم معاونتهم وعدم مساعدتهم وعدم التعاطي معهم بأي شكل أبداً والعمل على الاستغناء عنهم نهائياً ولا يجوز أن يبقى العرب المؤمنون تحت رحمة أي منهم مهما كان الوضع، توجيه بالعمل على التخلص منهم والعمل على اقتلاعهم (الكفار والمنافقين المعادين) من جذورهم وطردهم إلى خارج الأرض العربية نهائياً، وعدم تمكينهم من اختراق الكيان العربي الإسلامي بأي حالٍ من الأحوال، (الكيان العربي الاسلامي يجب أن يبقى في منأى عن محاولاتهم وبعيداً عن خيانتهم ودناءتهم)

لذلك يجب أن يعمل المؤمنون على حصر عدد الكفار والمنافقين والإبقاء عليهم تحت السيطرة ، إن عزل العدو وتحديد حركته ركنٌ هام جداً من أركان (استراتيجية المعركة) وجانبٌ هام من جونب المواجهة التي يجب تحقيقها ليتحقق النصر والفوز، وإلا سيكون الفشل والانهيار السريع هو المصير المحتوم، إنَّ في السورة درسٌ هام جداً وضروري للمؤمن لبناء شخصيّته ومن الوجب على كل مؤمن واعي استيعابه والعمل بمقتضاه إلى تطبيقه تطبيقاً عملياً ملموساً، وتحقيقه واقعيّاً على الأرض؛ فهل يعمل العرب المسلمون في هذه الأيام على تمكين العدو من أنفسهم أم يعملون على التمكُّن من العدو والسيطرة عليه؟ يجب العمل على نقل المعركة إلى أرض العدو إلى عقر داره ليس إنشابها في المدن والقرى العربية، لتدور على رأس العرب وبأموال العرب لتهلك الأنفس العربية !

وأن لا ننتظر العدو حتى يشن علينا الهجوم، بل علينا دائماً التفكير في الانقضاض على العدو ومفاجأته في عقر داره ، ففي الحرب والسلم الهجوم خير وسيلة للدفاع، أن تفعل أيَّ شيء لإضعاف العدو وإنهاك قواه، وبلا رحمة أبداً لأنه عندما يتمكن منّا فلن تأخذه بنا أي رحمة ، وهو في السابق لم يرحمنا وفي نيته إزالة شأفتنا من الوجود كله؛ فهل فهم العرب المؤمنون الرسالة؟ إنَّ هذا ما يجب ان يصبح جزءاً من العقيدة الإسلامية، لدى المؤمن بلا تهاون، في مواجهة المؤمنين ضد أعدائهم الكفار والمنافقين، يقول تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من القوة ومن رباط الخيل ...) ويقول تعالى: (قل اعملوا فسيرى الله أعمالكم ...) والمهم هو المبادرة والقيام بالإعداد الدائم والتعاون المستمر بين المؤمنين على شل العدو وشل حركته وقدرته في كل مجال وعدم التساهل ولا المهاودة في موضوعه أبداً أو التلكؤ أو التأجيل او التهاون فيه، بل المتابعة الحثيثة له لحصره

والشيء الآخر، أو الرسالة أو البرقيّة الأخرى، أو الملمح الآخر الموجود في سورة (محمد) هو أسمها؛ ماهي دلالته؟ لماذا تَنْزِلُ سورة عظيمة في القرآن العظيم باسم (محمد)؟ وقد نزلت سورٌ في القرآن مستقلة باسم (يونس) و(هود) و(يوسف) و(إبراهيم) و(مريم) وباسم (الأنبياء) ككل، و(لقمان) و(محمد) و(نوح)، ولم تنزل سورٌ بأسماء باقي الأنبياء، علماً أن عدد الأنبياء الذين ذكروا في القرآن الكريم خمسٌ وعشرون، وهؤلاء وجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هم الأمثلة للناس بحق، للذين يعقلون ويتفكرون، لأنهم هم وحدهم من استطاعوا بمشيئة الله تعالى تحقيق أسمائهم على الأرض، فأصبحوا أمثلةً تُحتذى، ومن هنا فإنَّ محمداً عليه الصلاة والسلام وبمشيئة الله تعالى قد حقق اسمه على الأرض، وكذلك فعل كل نبيٍ وكل رسولٍ وكل عالمٍ وكل شخصٍ كان قد سجَّل اسمه في التاريخ، في ذاكرة الناس) من خلال ما فعله من الإحسان والعمل الصالح، ويقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا

وحشره في كل مكان يتواجد به هذا العدو الغادر. حصرة وحشره في مكان محدد ثم خلعه ، وهذه المواجهة مواجهة فكرية وعقلية ومادية وعسكرية، وفي كل هذه المجالات تجري فيها نفس القاعدة قاعدة حصر العدو وحشره وتحديد مواقعه ثم العمل على ضربه في عقر داره (وليس في وسط المدن العربية ووسط القرى العربية ـ يجب أن تكون الضربة ضربة مفاجئة وساحقة له وماحقة وبلا رحمة؛ وإلاّ أتخذ هو زمام المبادرة !

فهل صرح بذلك وزير الدفاع الأمريكي تعليقاً على ما يجري في البلاد العربية وهو يفتخر؟!؛ عندما قال: (أنَّهم في أمريكا مطلع الألفية الثالثة، استطاعوا القيام بالحرب الاستباقيّة ضد العدو، بحيث نقلوا أرض المعركة التي كانت محتملة على الأراضي الامريكية؛ إلى أرض العدو، والعدو هنا بلاد العرب المسلمين؛ وعدَّ ذلك من أبرز منجزاتهم في القرن الواحد والعشرين)

كان الرومان وكانت النصرانيّة منتشرةً في البلاد العربية وذلك في أعماق البلاد العربية في الجزيرة واليمن وبلاد الشام والعراق ووادي النيل، ثم انهارت النصرانية واليهودية وكلّ الأديان الوثنية وخرجت من بلاد العرب وتحولت إلى نقاطٍ هنا وهناك، لم يكونوا يتصوروا أنهم سيتحولون إلى هذا التحول ،لقد ظنوا أنهم مانعتهم هيمنتهم من خلال حصونهم وقصورهم ،ولكن الله سبحانه وتعالى هو العزيز الحكيم.

رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (غافر) ويقول تعالى: ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ (مريم)

فعلى كل إنسان أن يسعى لتحقيق اسمه في الحياة على الأرض؛ وهل كانت السور في القرآن العظيم عبارةٌ عن ملفات كبرى، واسعةٌ ومستقلةٌ عن بعضها البعض الآخر، مع وجود علاقات تشعبية هائلة تربط فيما بينها، وكانت وظيفتها جميعها، بناء الإنسان، البناء الإيجابي؛ ورفع مستواه.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ ﴾ (الشرح). (ورفعنا لك ذكرك): أي ورفعنا قيمة ومستوى ما خلَّفْتَهُ خلفك من الأعمال الصالحات (تبليغ الرسالة) لأنَّ الأنبياء لا يتركون خلفهم من ذكرٍ (الأثر) إلا الرسالة التي قاموا بتبليغها، قال تعالى: ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(الزخرف)، ومعنى (إنه لذكرٌ لك ولقومك) أي أنَّ في هذا التكليف الذي كلفتم به أنت وقومك؛ (القرآن) فيه رفعٌ لمستوى ولقيمة أعمالك أنت، وأعمال قومك، والمهمة (الأمانة) التي كلفتم بها؛ إنها ليست من الأعمال العادية، لذلك (وسوف تسألون)؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ (الأحزاب)، من هنا فإنَّ قوله تعالى: (وسوف تسألون) تشمل كل عربي مسلم؛

وهل فكّر أحدٌ من المفسرين، أو من الذين اشتغلوا بالتفسير في السابق أو اللاحق؛ هل

فكَّر أحدٌ منهم بمعاني أسماء السور ودلالاتها؟ (وهي توقيفيَّة بإجماع الجميع)؛ إذ ليست أسماء السور في القرآن الإلهي الرباني والمنّزل من السماء قضية اعتباطية أو صدفة، أو أنها مجرد تصنيف اتفق عليه أو وضعه العلماء؛ أو أنها مأخوذةٌ من كونها وردت كلفظة في داخل السورة! لأنَّ كل من فكَّر بها بعمق ... فسوف يجد فيها، بحد ذاتها، آية من الآياتِ المُحكمات، التي يستحيل على الإنسان أي إنسان، أن يرتبها وأن يُعدها بهذا الإحكام العجيب. لأنَّ كل اسم لسورة، إنما يُعبر عن محتوى السورة ككل، وعن كل ما فيها، وكل سورةٍ في القرآن العظيم عبارة من ملف قائمٌ بذاته ولوحة متكاملة. (وكذلك كلَّ اسم لرسولٍ ونبي).

تُرى ما معنى (الفاتحة)؟ وفاتحة ماذا؟ وهل هي فاتحةٌ للكتاب؟ أم للمصحف؟ أم للقرآن؟ وأي قرآن؟ لأنها عندما نزلت (سورة الفاتحة) فهي لم تكن آخر سورةٍ؛ علماً أنهم كانوا في ما مضى... يقولون عن الآية الواحدة قرآن وعن السورة الواحدة قرآن وعن المصحف كله قرآن؛ ويقولون أن ما في المصحف هو القرآن المسطور، وأنَّ الكون كله عبارة عن القرآن المنشور، وأن في السماء أي في (عالم الغيب) القرآن المحفوظ.

ونحن عندما نقرأ (سورة البقرة) وقبل أن نقرأ (سورة البقرة) مثلاً، فإنه يجب علينا أن ندرك بادئ ذي بدء لماذا تسمى سورةٌ في القرآن العظيم المنزَّل من الله تعالى بـ (سورة البقرة) وهي السورة الأولى وهي أكبر وأعظمُ سورةٍ في القرآن العظيم؟ وما معنى ذلك وما دلالته؟ والبسطاء والساذجين يمرون على هذه النقطة مرور الكرام.

والواقع أن الفكر البشري عاجزٌ عملياً، لأنه لا يدرك معاني الألفاظ التي يتداولها ولا حقيقتها ولا أبعادها الصحيحة، فهو لا يدرك معاني الأسماء التي تشكل أركان الفكر الإنساني عنده، فلا أسماء الأشخاص ولا أسماء المدن ولا أسماء الأقاليم ولا أسماء القارات

ولا أسماء القدماء من الأبطال أو الفلاسفة أو العلماء ولا أسماء النجوم والكواكب التي في الفضاء ، ولا أسماء الأنبياء المرسلين من السماء، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [آل عمران ٤٥] قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﷺ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف ٦].

فالاسم في اللسان العربي المبين ليس صفةً ولا نعتاً، ولكنه المنهاجُ وهو الطريق أو الطريقة، وعدم فهم معنى الاسم ومدلوله يعني أن الفكر البشري أنه لا يزال لا يدرك أبعاده الحقيقية بَعدُ، لذلك هو قاصر عن الوصول إلى كنه الفكرة.

لقد حقق الأنبياءُ صلوات الله عليهم مهمتهم في الحياة فحققوا أسماءهم، وكذلك فعل كلُ نبيٍ وكلُ رسولٍ وكل عالمٍ وكل مفكرٍ مخلص كان قد سجل اسمه في التاريخ (لم نجعل له من قبل سميا) فالمفروض أن يحقق كل إنسانٍ عاقلٍ مفكرٍ أن يحقق اسمه عملياً على الأرض؛ وإلا كان من الخاملين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف ٢-٣].

فالأسماء ليست صفات ولا نعوتاً لكنها طرق توصل إلى الله سبحانه وتعالى.

وبالتالي فإن من المهم بمكان للفكر إدراك معاني الأسماء والألفاظ، من أجل الوصول إلى الأهداف ولكن للآسف فإنه من الصعوبة بمكان الوصول إلى تلك المعاني دفعةً واحدة، إذ لا بد من العمل وبذل الجهد في هذا السبيل.

فما معنى (أرسطو) و(سقراط) و(أفلاطون) وما دلالة أسمائهم، إن إدراك الأبعاد المعنوية للألفاظ والمفردات المتداولة بينيًّاً بين الناس، أمرٌ ضروري للفهم لأنها أداة الفكر الأساسية ودون فهمها يبدو أن الفكر سيبقى قاصراً أو عاجزاً عن التصدي للقضايا العلمية

المهمة.

في صدر الإسلام وإبّان نزول القرآن العظيم وربما من قبل، كانت البشرية على علمٍ بمعان الألفاظ (القرآن قديم) ولأنه يستحيل على الناس في ذلك الزمان استعمال الألفاظ دون إدراكِ معانيها!، والقرآن العظيم لم ينزل على أناسٍ لا يفهمون ما يُقال لهم؛ بل نزل على أناسٍ كانوا في قمة العلم والمعرفة، وعلى اطلاع ودراية، لقد كانت مكة منذ فجر التاريخ أم المدن، قال تعالى: (إنَّ أول بيتٍ وضع للناس للذي ببكة مباركاً) كانت الحجيج تأتي إلى مكة من كل إنحاء العالم، كانت مكة يجتمع فيها الناس من كل بقاع الأرض، تجتمع فيها المحامل والمحافل؛ كانت (مكة) أكثر حضارة من روما ومن المدائن، لكنه من المؤكد أنهم -فيما بعد- قد ضيعوها وفقدوها... ذلك بمكيدةٍ من الشيطان وأعوانه من اليهود، والشعوبية الحاقدة على العروبة والإسلام، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢]. إن قواعد اللغة العربية المزعوم أنها اكتشفت أو وضعت في العصر العباسي، الحقيقة أنها قديمة أقدم من مبعث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام لأنها قواعدٌ آرامية أو آشورية أو كنعانية، وأكبر دليلٍ على ذلك أنها موجودةٍ لدى اللغات الأعجمية (اللاتينية وغيرها) لقد ثبت أن العالم القديم كان يتكلم باللسان العربي المبين ثم أنه انحدر إلى الكلام باللهجاتٍ المحلية، ثم أن هذه اللهجات المحلية أصبحت مع مرور الزمن لغاتً مستقلة كلٌ منها عن الأخرى، كانت هذه اللغات في البداية، عبارة عن لهجات منبثقة عن اللسان الأم، اللسان العربي المبين، لم يكن قد برز التعارض بين اللسان الأم، واللهجات المحلية، ثم تحولت بعد ذلك، هذه اللهجات المحلية إلى لغات؛ ويعزز هذه الحقيقة، أن جميع هذه اللغات كانت وبقيت تكتب بالحرف العربي إلى وقت قريب؛ كذلك فإن في التاريخ القديم، ما يثبت ذلك بجلاء، وهنالك أخبار موثَّقة، عن لقاء

كسرى الفرس، بعدد من حكماء العرب، أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميمي والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين، وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة، وعامر بن الطفيل العامريين وعمر بن الشريد السلمي وعمر بن معد يكرب والحارث بن ظالم المري، عن مساجلة فلسفية وأدبية بين حكماء العرب من جهة وكسرى الفرس من جهة ثانية، وألقيت فيها الخطب العربية والمواعظ العربية والأشعار العربية والحِكم العربية والأمثال العربية باللسان العربي المبين! كان كسرى يفهم ما يقال، ويرد باللسان العربي المبين، بشكلٍ بليغ، يوازي ويفوق بلاغةً الحكماء العرب، في لقاء مباشر ومثير ومدهش!

كذلك فإنّ أخبار امرؤ القيس، الشاعر الجاهلي المعروف، والتي تقول بأنه لجأ إلى قيصر الروم، وأن قيصر كان قد أستقبله وأكرمه، وأنزله قصره فلماذا؟ أليس لأنه شاعر معروف ألم يكن قيصر يستمع إلى شعره؟ والقصة معروفة، كيف أن أخت القيصر كانت قد أعجبت به وكيف دبروا أمر قتله، هل كان امرؤ القيس يتحدث إليهم باللاتينية ويلقي عليهم الشعر باللاتينية! إن أكثر النظريات الحديثة تذرُّ الرماد في العيون، وتبعد العقل عن الحقيقة، ألم يعتلِ عرش روما أكثر من خمس عشرة من الأباطرة العرب من حمص ودمشق وشهباء وغيرها؟ ماذا كانوا يتكلمون بأي لغة؟! لقد كانت الأمور مختلفة في صدر الإسلام، مختلفة عما يصوره لنا الكتّاب اليهود في العصر الحديث، أو الفكر اليهودي، أو الثقافة، أو العلم اليهودي....

والملاحظ في السورة المباركة أنَّ في مقدمتها كل ثلاث آيات تُعَبِّر عن موضوع محدد .

والحق هو الله تبارك وتعالى ووجوده عز وجل لدى العقلاء والذين يتفكرون، فهو لا يحتاج إلى دليلٍ، لأنه هو الحقُّ تبارك وتعالى فهو المشرف على العقول، لكنَّ مقابلة الحق للباطل قضيّة لها أكبر الأثر في تثبيت الحق في قلوب وَمُهَج المؤمنين. قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى

مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا ﴿٨٠﴾ وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ (الإسراء)

على العموم فإنَّ القرآن العظيم المبين، هو رسالة السماء إلى هذا العالم، إلى الناس جميعاً الذين يعقلون ويتفكرون ويعلمون وألي ألباب، وهو بحد ذاته مبين، لا يحتاج إلى من يُبيِّنه؛ وهو قد نزل للناس، لمستقبلهم وليس لماضيهم، فهو ليس للماضي وإنما للمستقبل، وهذا ما على المسلمين فهمه قبل غيرهم؛ إنَّ القرآن وفيه الكتاب عبارة عن رؤيا للمستقبل، لمستقبل هذا العالم، ومستقبل المؤمنين، وليس كما يتوهمه الكثيرون من الصوفيّة والسلفيّة والشيعة، قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (آل عمران) ، وما يعلم تأويله إلا الله، أي ما يعلم ما ستكون عليه الأمور في المستقبل تماماً إلا رب العلمين، بينما الراسخون في العلم يؤمنون ويعملون وفق المنهاج الرباني دون اعتراض، لنهم يعلمون تمام العلم أن الإرادة الإلهية خيريّة وتتجه دائماً إلى إحقاق الحق.

والقرآن العظيم رسالة الله تعالى إلى عباده، لقد كانت مفهومة وواضحة، خاصة في صدر الإسلام والقرون الثلاثة الأولى، وهي لا تحتاج إلى من يفسرها ولا لمن يشرحها، لأن دورها هي أن تكون المبينة والشارحة؛ لكنَّ الناس في ما بعد هذه المرحلة هبط مستواهم وانحط، العلمي والفكري ونزلت إلى الحضيض، خصوصاً عندما تم إبعاد العرب أيام الدولة العباسيّة بأمر خلفاء بني العباس عن الدين والدنيا والدواوين والدولة، ليحل محلهم الفرس

والترك وغيرهم، أيام (دار الحكمة) يومها دخل المسلمون جميعاً في النفق المظلم، وهكذا تراجعت قدرات الناس على فهم القرآن العظيم، [1]

ومنذ ذلك التاريخ هبط المستوى، وسار العرب وهبطوا هبوطاً مريعاً في المهاوي إلى أسفل سافلين، وبقي القرآن العظيم، منذ ذلك التاريخ في أعلى عليين، لذلك على الناس أن تدرك هذه القضية فتعمل على رفع المستوى ـ مستوى الناس ـ ليصلوا إلى مستوى القرآن المجيد، لا أن يعملوا على إنزال القرآن إلى مستواهم إلى تحت، لأن القرآن مهمته في الحياة أن يكون رافعةً؛ ترفع عقول الناس وأفكارهم ومستوى وعيهم، فكيف تحقق الرافعةُ مهمتها، إذا أهملت وتولى عنها الناس وأُنزلت إلى تحت؟.

إضاءات وخواطر من سورة (محمد) المباركة:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ ﴾ : قوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) هذا الكلام كله في محل رفع مبتدأ، وقوله تعالى: (أضلَّ

---

[1] ـ وفي عصر المأمون فعلياً، بدأ إقصاء العرب، عن الدولة، وبدأ إبعادهم عن تولي شؤون الدين والدنيا، بشكلٍ قصدي مُتَعَمَّد، وأعتمد الخلفاء علىٰ الموالي، وأخذ يطغىٰ علىٰ الدين والدنيا، تسلط الأعاجم، فرس، وترك، ورومان، ويونان، وبدلاً من أن يقوم المترجمون، بترجمة القرآن الكريم، وعلومه[1] العربية الفذِّة، والحديث النبوي الشريف، والحكمة العربية البالغة، والشعر العربي الرائع، والقصص والروايات العربية المعبرة، والمليئة بالعبر والمواعظ والأمثال والحكم وذات الدلالة، إلىٰ اللغات الأخرىٰ؛ ففي عصر المأمون جُلبت الفلسفة الوثنية اليونانية الرومانية والعقائد والفلسفات الفارسية الهندية، علىٰ ضآلة مستواها وضحالة مضامينها وقيمتها، بالنسبة لكلام الله، وحديث رسوله الأعظم ﷺ وكذلك بالنسبة للشعر العربي الذي كان في الأوج حكمةً وبلاغةً وأقوالاً مأثورة، ومواعظ وعبر لا أعظم ولا أبهىٰ.

ولكن ما حصل في عهد المأمون هو ترجمة الفلسفة الوثنية اليونانية الرومانية؛ والعقائد والفلسفات الفارسية الهندية علىٰ عجل إلىٰ اللسان العربي؛ وليس العكس! وأُقحِمَتْ وزُجَّتْ في مواجهة المد الواسع للدين العربي الحنيف، وكان صراعاً مريراً فاز به الفقهاء العرب المسلمون، في بعض القضايا الفكرية العقائدية، أهمها قضية خلق القرآن الكريم، كما هو معروف، فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وهو قديم وباقٍ وحيٌ لا يموت، وبالتالي فهو ليس مخلوقاً! لأن المخلوق لابد أن يموت!.

أعمالهم) هو الخبر، و(أضلَّ): الفاعل هنا ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة (الله تعالى) فالذين سبق وأن (كفروا) به تعالى، أي أنكروا الحق، وصدوا عن سبيله، أضلَّ اللهُ تعالى أعمالهم في الدنيا والآخرة، أي أهدَرَ لهم نتائجها وفوتها وضيعها عليهم فلم تصل، ذلك بأنهم كانوا (المشركون والكفار) يعْتَدُّونَ بالعادات والشيم والخصال والأخلاق الموروثة، ويعتقدون بها، ويدَّعوْنَ أنها وحدها تغني عن الإيمان بالله تعالى (الحق المبين) ولذلك برَّروا لأنفسِهم وللآخرين؛ تكذيبهم للحق لما جاءهم رسول من عند الله تعالى، وما دروا أنهم بذلك خدعوا أنفسَهم والآخرين؛ وفي الآية الكريمة اللهُ سبحانه وتعالى يبيِّن للناس الحق بوضوح؛ فهي (تلك الأعمال وإن كانت ظاهرياً إيجابية) لكنها لا تغني عنهم، ولا تبرر لهم عدم نصرتهم للدين الحق، وللتوحيد وعدم انضمامهم للمؤمنين. وعبارة (وأضل أعمالهم) للكافرين، جاءت في مقابل الآية اللاحقة (كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) وهي للمؤمنين.

وقوله تعالى: (وصدوا عن سبيل الله) فالصَدُّ: هو المنع والوقوف في الطريق، واعتراض الأمر، والناس؛ وعدم السماح لهم بمتابعة التقدم والانتشار، ولكن ما معنى (عن سبيل الله)؟ فـ (السبيل) هو الطريق أو الطريقة، أو المنهاج، و(سبيلُ الله) يعني الطريق، أو النهج الحياتي العملي، أو السلوك المنتج المؤدية إلى رضى الله تعالى، فهو سبيل الإيمان والرشاد، وقوله تعالى (في سبيل الله): أي من أجل أن ينتصر الحق، و(سُبُل) هي الجمعُ لسابلة، و(سبيل) أيضاً هي جمع الجموع لسبل؛ وذلك بضم (الباء) وزيادة (الياء) ما قبل الأخير، فهي للطريق الواحدة، وللطرق المتعددة المؤدية إلى الحق، وهي دائمةٌ ومستمرةٌ، وفي سورة (محمد) أن (سبيل الله) هو العمل[1] وذلك على عكس ما يعمله الذين كفروا؛ الذين صدوا

---

١ ـ (السورة عامة وشاملة) فكل من كفر وصد عن السبيل في كل الأزمان مقصودٌ في هذه الآية الكريمة، فهم الذين عَطَّلوا كلَّ طريقةٍ ترضي الله تعالى من خير وعدل وصلاح، أي كل شيءٍ حسنٍ، بينما الذين آمنوا، وآمنوا بالحق الذي نزلَ على محمد،

عن السبيل، وهم الكفار في جميع العصور، وفي جميع أنحاء العالم، في الماضي والحاضر والمستقبل، لأنه لا يوجد هنالك خير مجرد ولا باطل مجرد، ولكن هنالك أناس أخيار تعمل الخيرات، ويتبعون الحق من ربهم، وأناس أشرار تعمل الشر وتتبع الشيطان[1]

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ

وعملوا الصالحات (وهذا محمور السورة) ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل؛ والذين آمنوا اتبعوا الحق، وهذا يعني أن المجتمع كل مجتمع؛ هو بالواقع مقسومٌ إلى قسمين رئيسيين لا ثالث لهما، الذين اتبعوا الحق والذين اتبعوا الباطل.

١ ـ وقوله تعالى: (وقاتلوا في سبيل الله) أي قاتلوا وابذلوا أقصى الجهود من أجل أن يحقَّ الحق، وينتصر ويحكم ويسود، ويعم الخير، والعدل المطلق، وبالتالي فكل (أسماء الله الحسنى) هي طُرُقٌ ومناهجٌ وأساليب وسُبُلٍ مسلكيّة عملية منتجة ومضمونة الجدوى، لينتهجها الناس الذين يعقلون ويتفكرون، فإذا اتبعها الإنسان العاقل عملياً (فرداً ومجتمعاً) فهي تؤدي وتوصل إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ١٧٩ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠ ﴾ (الأعراف)، والأسماءُ هي السبل، وأدعوه يعني أنتم عليكم أن تذهبوا إليه من خلالها بالعمل والسلوك والإنتاج عملياً، لا نظرياً، لا أن تمكثوا ولا أنْ تنتظروا أن يأتي هو إليكم؛ كما تفعل الصوفية والسلفية والشيعة، قال تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٧٧ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٧٨ ﴾ (الرحمن). فالأسماء الحسنى ليست صفات مجردة لله تعالى؛ لكنها سُبُل ومناهج عملية يجب اتباعها.

وفي المعجم: السبل: وأسبل الزرع أخرج سنبله وأسبل المطر والدمع: هَطَلَ، وأسبل إزاره: ارخاه وارسله، والسبيل السبب والصلة قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ (الفرقان)

كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾ [1] : (بالهم) أي الوساوس والأوهام التي تملأ عادةً صدور الناس، المؤمنون منهم سيصلح اللهُ لهم بالهم، والآية بجميع أبعادها ومقاصدها مستمرة المفاعيل ودائمة، بينما الذين آمنوا بالله تعالى وصدقوا رُسُلَهُ ورسالاتِهِ السابقات

---

١ ـ ولفظة (المسيح) كانت (اسم صفة) أو صفة اسم؛ وليست مجرد اسمٍ؛ لكنه اسم ذو معنى عميق ينبغي الكشف عنه؛ ويقال أنه في الآراميّة كان يعني (المنتظر) حيث كانت الشعوب القديمة دائماً في حالة انتظار للمخلص؛ الشخص الذي سترسله السماء لتخليص الناس من الظلم والطغيان، في كل عصرٍ كانوا يطبق عليهم الظلم والطغيان، وكذلك أسماء جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، فهي جميعها معانٍ عظيمة ودلالات كونية ومحطات في الفكر الإنساني متتالية متتابعة يجب لحظها والتوقف عندها والكشف عن وظائفها، التي لاتزال وستبقى، بلى هي مكونات وعناصر أساسية للعقل والفكر واليقين أبداً لا تزول، ويجب عدم تخطيها أو تجاوزها، لكل من ألقى السمع وهو شهيد، إن الدواء الحقيقي طعمه مرٌّ شديد المرارة في حلق المرضى والمتخلفين والجهلة، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِّ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الصف : ٦] فعلى من يعود الضمير في (جاءهم)؟ ومحمد ﷺ أُرسِلَ للناس كافةً، (حيث لا علاقة لليهود ببني إسرائيل) وقد (جاءهم) بالبينات للناس كافة؛ وليس لفِئةٍ محدودةٍ، كما زعموا في التفاسير؛ (وبنو إسرائيل) في القرآن الكريم هم جميع القبائل والشعوب التي كانت تعيش في الجزيرة العربية وما حولها) فهم في القرآن العظيم (ذرية من حملنا مع نوح) وليسوا ذرية نوح؛ قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (الإسراء) وليس اليهود! و(العبد الشكور) المقصود هنا هو (إسرائيل) الذين هم بنوه وليس (نوح)؛ ولكنَّ الأفهام هي التي صارت محدودة؛ **ومعنى (أسمه أحمد) أي أنَّ طريقه ومنهجه وسبيله (أحمد) على وزن أفضل وهو في (الحمد) و(أحمد) تعني رفع المستوى في (الحمد) وهو العمل في سبيل الله تعالى.**

إذاً فهل كان الرسول ﷺ أسمه أحمد قبل البعثة؟ أم هي مجرد وهم توهمه المفسرون؟ إذا علمنا أن لفظ (اسم) في اللسان العربي المبين تعني السبيل والطريق والمنهاج، فهل كان لفظ (محمد) ﷺ لفظٌ كوني يوازي اللفظ الكوني لـ (آدم) ويكافئه؟ بحيث أنَّ سيدنا آدم ﷺ كان البداية، وأنَّ سيدنا محمد ﷺ صار مسك الختام، إننا إذا تأملنا الأصل الثنائي اللفظين فسنجد بعد التجريد؛ أن (آدم) تصبح (دم) ودَمَّ هي دبَّ، من الدبيب على الأرض ولفظُ (محمد) بعد التجريد يصبح (مد) فهل هي بد؟ الله أعلم.

جميعاً، ما جاء بها، على أنَّ مضمونها واحد، وكانت أعمالهم كلها في الدنيا في الخير والإحسان والصلاح والإِصلاح، وهو نقيض الإِفساد (وأَصْلَحَ الشيءَ بعد فَسَادِهِ: أَقامه، والصُّلْحُ: السِّلْم)[1]، ثم أنهم (الذين آمنوا بالرسالات السابقة) أمنوا وصدقوا أيضاً بما أنزل على خاتم النبيين محمدٌ عليه الصلاة والسلام، وبما جاء به (القرآن من عند الله تعالى) الذي اشتمل على جميع الرسالات السابقات، جمعها الله تعالى به، وقوله تعالى (وآمنوا بما نُزِّلَ) مأخوذةٌ من الماضي المستمر؛ فهذا التنزيل لم يتوقف أبداً، ولم ينقطع، بل هو مستمرٌ ودائم التأثير، وأنَّ هذا القرآن العظيم هو الحق المستمر في النزول من الله تعالى رب العالمين لم ينقطع، وهو قرآنٌ قديمٌ، قديم النزول وهو متجدد مع كل نبيٍ ورسول، وقد جمع لخاتم النبيين (محمد) عليه الصلاة والسلام، وأنَّ هذا شيءٌ أساسيٌ أن يؤمنوا به، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ (البقرة)، فالإيمان ليس مسألة نظرية أو (شكلانية)، ولكنه تصديقٌ بالنبأ العظيم، إيجابيٌ تنفيذيٌ وفعَّالٌ، يتبعه العمل والانجاز على الأرض؛

وقوله تعالى: (وهو الحق من ربهم) وهذا المبتدأ والخبر معاً؛ أي أن الكتاب السماوي الوحيد الباقي هو (القرآن العظيم) الذي أُنْزِلَ على محمد هو وحده الحق التام، الباقي والذي

---

[1] ـ صلح: الصَّلاح: ضدّ الفساد؛ والجمع صُلَحاءُ. ورجل صالح في نفسه من قوم صُلَحاء ومُصْلِح في أَعماله وأُموره، وقد أَصْلَحه الله، وربما كَنَوْا بالصالح عن الشيء الذي هو إِلى الكثرة والإِصلاح: نقيض الإِفساد. والمَصْلَحة: الصَّلاحُ. والمَصلَحة واحدة المصالح. والاسْتِصْلاح: نقيض الاستفساد. وأَصْلَح الشيءَ بعد فساده: أَقامه. وأَصْلَحَ الدابة: أَحسن إِليها فَصَلَحَتْ. والصُّلْحُ: تَصالُح القوم بينهم. والصُّلْحُ: السِّلْم. والصِّلاحُ، بكسر الصاد: مصدر المُصالَحَةِ، والعرب تؤنثها، والاسم الصُّلح، يذكر ويؤنث. وأَصْلَح ما بينهم وصالَحهم مُصالَحة وصِلاحاً؛ وصَلاحِ وصَلاحٌ: من أَسماء مكة، شرفها الله تعالى، يجوز أَن يكون من الصُّلْح لقوله عز وجل: حَرَماً آمناً؛ ويجوز أَن يكون من الصَّلاحِ، وقد ُصرف؛

لم ولن يلحقه التحريف ولا التشويه ولا الزيادة ولا النقصان، الأمور التي لحقت بالكتب الأخرى الموجودة بين أيدي الناس من باقي فئات (أهل الكتاب) ذلك بأن الذين كفروا والذين أشركوا اتبعوا الباطل، لقد اتبعوا عن عمدٍ واصرارٍ وتصميم الانحراف والوهم، بينما الذين آمنوا، لأنهم يعقلون ويتفكرون، فهم يخافون الله تعالى ويخافون يوماً عبوساً قمطريراً، لذلك يتمسكون بالحق دائماً ويلجؤون إليه على الدوام.

إنَّ هؤلاء الناس قد وعد اللهُ سبحانه وتعالى أن يُكفِّر عنهم سيئاتهم وأن يصلح بالهم، وذلك بما آمنوا وعملوا من الصالحات و(كَفَّرَ) فعل ماضي مستمر مستدام لا انقطاع فيه؛ ولأنهم كانوا على الدوام ـ في حياتهم ـ من المحسنين الأخيار في كل الأمور وفي كل الاتجاهات، تَصْدُرُ عنهم الأعمال والانجازات الإيجابية البنّاءة، ويكافحون الفساد بكل أشكاله؛ إنَّ هؤلاء قد وعد اللهُ تعالى بأن يلْهِمَهُم الصواب والنجاح والحكمة والطمأنينة والسكينة والثقة بالله تعالى، أن يفتح عليهم بالوعي والانتباه والادراك، لأنه تعالى ينصُرُ من ينصره، يُنزِّلها اللهُ سبحانه وتعالى على المؤمنين، إيحاءً واحساساً دائماً وشعوراً ودافعاً إيجابياً متدفقاً مستمراً لا ينقطع يُصَبُّ في قلوبهم، ذلك ليزدادوا على الدوام، ثقةً بالله تعالى وبوعده الحق، وليصبحوا على يقين من تحققه، أملهم لا يخيب أبداً، والسكينة سكينة النفس بلا ريب، وهي ينبوع السعادة، وهي حالة لا يُثمرها الذكاء ولا العلم ولا الصحة ولا القوة ولا المال ولا الغنى ولا الشهرة ولا الجاه ولا غير ذلك من نِعم الحياة المادية؛ فالكافر حياته لا طعم لها ولا مذاق، وإن حَفُلَتْ باللذائذ؛[1] قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ

[1] ـ والإيمان بالله تعالى هو المصدر الوحيد والاساسي للسكينة، وهي انتفاء القلق والضيق والاضطراب والخوف؛ وعدم الشعور بالتفاهة أو الضياع أو الحرمان من النعم، وهي اليقين بأنَّ لله جميع القِوى التي في (السماوات) عالم الغيب و(الأرض) عالم الوجود، وهو تعالى قادرٌ على أن يُسَخِّرها جميعاً لنصرة المؤمن إن صدق ما عاهد الله عليه، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ

عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ٣١ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ٣٢ ﴾ (فصلت) .هذا ومن معاني (وأصلح بالهم): عصمهم عن ارتكاب المعاصي. بينما الذين كفروا فقد ضلوا واتبعوا شيئاً آخر أبعد ما يكون عن الحق؛

مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ (الحج) قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٢٤ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ٢٦ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ٢٧ ﴾ الأحزاب. وقوله تعالى في الآية أعلاه: (وكان الله عليماً حكيماً) تعني أن القضية الأساسية في تحقيق النصر والفتح الداخلي والخارجي، المادي والمعنوي، هي قضية العلم والحكمة...قضية التعقل والتفكر والفهم. إذ لا جدوى من انتصار الجهلة والبلهاء والأغبياء أبداً.

الغاية والهدف

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا ﴾ (آل عمران ٩٦)[١] وقال

(١) علىٰ عكس ما هو شائع، ففي هذه الآية الكريمة، تأكيدٌ بشكلٍ لا لبس فيه، علىٰ أن مكة المكرمة، الحقيقة، أنها كانت أول قبلة للناس، وليس هنالك قبلة غيرها، وهي، وفيها المسجد الحرام، وليس هناك مسجد حرام غيره، لا ثاني ولا ثالث؛ (كقبلة) وذلك في القرآن الكريم العربي المبين، وفي الأثر، قال عليه الصلاة والسلام: (لا تشد الرحال إِلَّا إلىٰ ثلاث مساجد، المسجد الحرام، والمسجد الأقصىٰ، ومسجدي هذا) ومعنىٰ شد الرحال أي زيارتها، أو أن تكون مقصداً للزيارة، وليس المعنىٰ، أن تكون هذه المساجد، غير المسجد الحرام، أن تكون قبلة! أو أنها كانت قبلة؛ أبداً، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية، فعملياً إن جميع مساجد المسلمين، كلها بيوتٌ لله تعالىٰ، وهي حمىٰ لله تعالىٰ، ولا تفاضل بينها، وينبغي العمل علىٰ حمايتها، ورعايتها، والحفاظ عليها، والدفاع عنها جميعاً؛ وليس هناك مسجد أعز من مسجد؛ والأساس أن كل ذرة تراب عربية، وإسلامية، أن تكون حمىٰ محرماً علىٰ الأعداء، وبالتالي فالأرض المحتلة، جميعها، هي أرض مقدسة، يجب علىٰ كل عربي، الإحساس بها، والتفكير بالدفاع عنها، والعمل علىٰ حمايتها، وليس هناك مسجد لله تعالىٰ، غير محرم؛ وبالتالي فإنّ قيام اليهود أو إقدامهم، علىٰ هدم، وإحراق المساجد داخل الأرض المحتلة، وقتل المصلين فيها، كل هذه الأعمال، التي قام بها اليهود، لن تذهب سدىٰ، وستبقىٰ مسجلة في الذاكرة العربية؛ إلىٰ أن يحين الموعد!

وقد أُمر الرسول ﷺ في البدء بمفارقة القبلة الأصلية القبلة الوحيدة التي يعرفها هو، ويعرفها الجميع، أُمر هو وصحابته بمفارقتها! ذلك أن مكة قبل البعثة، كانت قد انتصبت فيها النصب، والعبادة فيها، أو إليها، قد شابها الاشارك بالله، ولذلك كان من المفروض علىٰ أتباع الدين الصحيح، مفارقة المشركين، مبدئياً، مفارقة أساسية، وجذرية، ومباينتهم مباينة لارجعة فيها، وكان هذا الأمر تقبله صعباً، وصعباً جداً، علىٰ الناس في البداية، نفسياً، ومنطقياً، وعقلياً، واجتماعيا، كانت هذه النقطة تشكل حاجزاً، وعقبة، كأداء علىٰ الذين سيؤمنون، فالمطلوب منهم هو مفارقة دين الآباء!؟ وامتحاناً أساسياً مُحَدِداً، لم يصمد له، إِلَّا من هدىٰ الله، وكانوا في البداية قليلاً ما هم، لكنّ من تجاوزوا هذا الامتحان الرهيب، وهم مجتمع المهاجرين، كانوا هُمُ الأولون، النخبة، الأعلام، إذاً ففي البداية، طُلب من الرسول محمد ﷺ والمؤمنين الأوائل أن يسجدوا ويركعوا وأن يجعلوا قبلتهم المسجد الأقصىٰ، لحكمةٍ أرادها الله وهي إنضاج الرعيل الأول من الصحابة، وتربيتهم علىٰ الطاعة لرسول الله، ومخالفة الكفار والمشركين، مع علمهم وإدراكهم وثقتهم أن القبلة الأساسية هي مكة المكرمة، لكنهم أطاعوا أمر الله، وليس لهم إِلَّا تنفيذ

أمر الله إِلَّا أن الحيرة والدهشة لم تفارق عقولهم وأفكارهم علىٰ الرغم من تنفيذهم، وإطاعتهم لأمر الله جل جلاله، لذلك جاء الخطاب، بأنّ الله يرىٰ تقلب وجهك في السماء وطبعاً الرسول ﷺ هو قائد الغر المحجلين، وبالتالي فإن الله يرىٰ تقلب وجه رسوله وأتباعه (علىٰ كل حال فإن بيت المقدس وكما تذكر الآثار، فهو البيت الثاني الذي ابتناه آدم لله تعالىٰ، من أجل أبنائه الذين طال بهم الغياب، وابتعدوا كثيراً عن المركز، وهو مكة، أن يعودوا إلىٰ بيت ثاني قريب من موطنهم في بلاد الشام وما يليها، مسجداً لله تعالىٰ، كان ذلك بأمرٍ من الله وقيل أن آدم قد بناه، بعد أربعين عام من بنائه لمكة المكرمة، والله أعلم، واللافت هو أن الله في القرآن قد سماه مسجداً، ولفظة مسجد لفظة إسلامية؛ فهل كان في بيت المقدس قبل مبعث الرسول ﷺ هل كان فيها مسجداً للمسلمين؟ وأين كان يسجد المسلمون، وأين صلىٰ الرسول ﷺ بالأنبياء في أي مسجد، وهل كان هذا المسجد معروفاً، من زمن إبراهيم هل كان معبداً للنصارىٰ؟ الذين كانوا أقربهم مودة للذين آمنوا، لذلك أمر الرسول مؤقتاً بالتوجه إلىٰ ما أتخذه النصارىٰ قبلة لهم تأليفاً لقلوبهم ؟) ولما أنتقل الرسول ﷺ مهاجراً إلىٰ المدينة، وظهر الدين الحق، ووضحت معالمه، وصار التوجه إلىٰ مكة، عبارة عن توجه جهة، ليس فيه إشكال مباشرةَ الأصنام عند ذلك أمر الرسول ﷺ بالعودة إلىٰ القبلة الحقيقية التي يعرفها، إن العامة من المسلمين وبعض علمائهم؛ ذوي الأفكار المشتتة، يقولون، أن بيت المقدس، هو أولىٰ القبلتين، وثاني الحرمين، وهو قولُ تقليد، خاطئ، لا يستند إلىٰ أي دليل شرعي، ومرده الفهم الخاطئ، وهذا الفهم الخاطئ، أساسه، بتأثير من اليهود وأهل الكتاب، لتشتيت الفكر العربي، وإماهته، وهو قول ينافي صريح القرآن الكريم، قال تعالىٰ: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ (البقرة ١٤٤)، وذلك أن مكة المكرمة، كانت قبلة العالمين منذ الأزل، والعرب والعجم، في ما يسمىٰ العصر الجاهلي، كانت تعرف هذا الأمر، وكانت تتجه بكل أطيافها العقائدية المختلفة، وتنوع أشكال عباداتها، أو تفرعها؛ وذلك عن أصلها الواحد! فإنها جميعاً كانت تتجه إلىٰ مكة؛ وكانت مكة هي القبلة الطبيعية، والأصلية، وكان ملوك الفرس، قبل الإسلام، يسيِّرون إليها المحامل؛ وهذا مذكور في كتب التاريخ، وكذلك كان يفعل ملوك اليمن، ووادي النيل، وقد ذكرت الأخبار الحديثة أنه عثر في الآثار، جنوب القاهرة علىٰ قبور عمرها أكثر من ٣٥٠٠٠سنة وكانت، الهياكل بداخلها تجلس القرفصاء، وذلك باتجاه، الشرق إي باتجاه مكة؛ وكذلك في بلاد الشام، فإن القبلة عادة ما تكون باتجاه الجنوب، أي باتجاه مكة، البيت العتيق، لقد كانت مكة في قديم الزمان، قبلة الجميع، جميع الأنبياء حجوا إلىٰ مكة، والبيت العتيق، وذلك علىٰ عكس ما أشاع ويشيع الشعوبيون، وأتباعهم، والمستشرقون، وتلامذتهم، الذين عملوا، ويعملون علىٰ سحق، ومحق الحقيقة الأزلية الأبدية، والواقع أن الصراع علىٰ القبلة، قديم، ومعروفة محاولة أبرهة الحبشي، كيف حاول نقلها إلىٰ اليمن، وكيف حاول القرامطة نقلها إلىٰ البحرين، هذا وإن محاولة قديمة، حاولها الرومان، لنقل القبلة إلىٰ روما، في قديم الزمان؛ ولكنها

تعالىٰ: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ (الحج ٣٣)، وقال: ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (الأنعام ٩٢)، هل كانت مكة هي أول نقطةٍ تواجد فيها الإنسان؟ هل كانت المركز الأول للبشرية؟ هل بدأ منها الإنتشار في جميع الاتجاهات، وما المقصود بالآية الكريمة التي تقول: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (البقرة ٢١٣) ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات ١٣).

وغير صحيحة علىٰ الإطلاق الفرضيات والنظريات المختلفة والمخالفة للحقيقة، والتي تقول إنّ هناك أرقاماً هندية، وهذا الأمر لايحتاج إلىٰ كبير عناء ليُفهم، ولكن المهم أن نعرف لماذا نُسِبَتْ هذه اللغة وهذه الأعداد والأرقام إلىٰ عرب؟ علماً أن العرب لم

فشلت أيضاً، كما ذكر د. عفيف بهنسي، كذلك عندما تحولت روما، من الوثنية إلىٰ النصرانية، فإنها عملت علىٰ تغيير أشياء كثيرة، كانت من أصل الدين لدىٰ النصارىٰ؛ ومنها أنها عملت علىٰ تحويل القبلة، وتغييرها من مكة المكرمة إلىٰ (إيل ياء) بيت المقدس، بالنسبة للنصارىٰ، بتحريضٍ وتواطوء، من اليهود أعوان الرومان وأدلاءهم وجواسيسهم؛ إمعاناً في أذاهم للعرب، وكانت إيلياء مدينة قديمة ومهمة، ومركزاً إدارياً معتمداً للروم، عند احتلالهم لبلاد الشام ومصر، وتقول الأساطير التوراتية اليهودية، أن الفرس أثناء احتلالهم إيلياء، كانوا قد سمحوا لليهود، وبعد أن تم إفلاتهم من الأسر العربي، فقد سمح لهم الفرس بإقامة جدار، بمثابة نصب، ليبكوا عنده، علىٰ اعتبار أن الندب والبكاء من طقوس اليهود.

وإلا فإن عبارة المسجد الحرام أتت في القرآن الكريم، حوالي ٢٣ مرة، وهي تدل فقط، علىٰ مكة المكرمة، بينما وردت عبارة المسجد الأقصىٰ، مرة واحدة، دالةً علىٰ المسجد الذي اسري بالرسول ﷺ إليه عندما عُرج به إلىٰ السماء، قال تعالىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ (الإسراء ١)، فمنذ آدم عليه الصلاة والسلام، الجميع كانوا، يسجدون باتجاه مكة والحجر، لكن مكة كانت بعد مرور الزمن وتعاقب الحقب، قد أنتصبت فيها النصب، ولوثتها الأصنام، ولما بعث الرسول صلىٰ الله عليه وسلم، في مكة، أمر مؤقتاً بتغيير القبلة ثم ما لبث أن أمر بالعودة إليها بعد جلاء الموقف، وسطوع نور الهداية، بمشيئة من الله .

يخترعوها، لا في أشكال كتابتها ولا في ألفاظها كما هو معروف ولكن لماذا نسبت إلىٰ عرب؟ ومن المنتظر أن تأتي الدراسات الحديثة المتطورة والمتقدمة بنقد النظريات اللغوية، ونظريات الأجناس البشرية السائدة القائلة بما يسمىٰ اللغات الهندو أوربية، والأجناس الهندو أوربية، أو اللغات الآرية أوالأجناس الآرية، أو اللغات الساميّة أو الأجناس السامية، وغيرها من الفرضيات التي أصبحت بقدرة قادر نظريات فُرضت علىٰ الثقافة والعلم؛ تلك النظريات التي وضعها اليهود، مؤامرةً بليل؛ في القرن التاسع عشر، بهدف قص العلاقة بين الشعوب الأوربية وبين العرب.

(في القرون الخوالي، لعب اليهود لعبتهم في استعداء الدول والشعوب الأوربية علىٰ العرب، وكذلك فعلوا بالنسبة للعلاقة بين إيران وبين العرب)[1]؛ علماً أن التاريخ

---

(١) في زمن الفاطميين والمماليك و الدول المغاربية الثلاث تونس والجزائر والمغرب، كان اليهود هم سفراء تلك الدول إلىٰ أوربة، وبالعكس، فقد كانت تفد السفارات من الدول الأوربية، إلىٰ البلاد العربية، وكان السفراء يذهبون إلىٰ الحي اليهودي حيث أعد لهم المسكن، وينتظرون فيه عدة أيام، حتىٰ يسمح لهم بمقابلة الحاكم، وكان علىٰ رأس تلك البعثات أشخاص يهود! كان من المحرم علىٰ العرب ومحظورٌ عليهم، دينيّاً السفر، أو الرحلة إلىٰ أوربة، وكان يُخَوَّف الأوربيون، من المجيء إلىٰ البلاد العربية، كان اليهود يشيعون بين العرب أن أي عربي مسلم يصل إلىٰ أوربة فلن يعود، لأن الأوربيين(الكفار!) سيقتلونه، وكانوا يشيعون بين الأوربيين أن العربي آكلٌ للحوم البشر، وأن له ذنباً! لذلك كانت إقامات السفارات للدول الأجنبية خصوصاً من الدول الأوربية، إلىٰ الدول العربية، كانت دائماً في حارات اليهود، أو قريباً منها، وقد استفاد اليهود من هذا الوضع، من التباغض بين العرب وأوربة، أو بين الإسلام والمسيحيين؛ ولما كانت طائفتهم متواجدة بطبيعة الحال في كل الدول، في الدول العربية، وفي الدول الأوربية، في حارات قذرة خاصة بهم، في أوربة اسمها (الغيتو) ولما كان اليهودي، يستطيع أن يتفاهم مع اليهودي الآخر مهما أختلف مكان إقامتهم، فاليهودي يبقىٰ يهودياً؛ ولما كانت لهم لغة واحدة سرية! وخاصة بهم، يرطنون بها في ما بينهم، محروفة عن العربية، خصوصاً من اللهجة العربية السريانية القديمة، حرفوها وأسموها اللغة العبرية، قلباً لمفهوم عربية، (ع ر ب ي)، والرب هو السيد العالىٰ، أصبحت عبرية (ع ب ر ي)، البر

البعيد يقول إن الفرس والروم أولاد عم العرب ، كما هو مذكور في تاريخ الطبري الجزء الأول، وفي شعر جرير؛ وفي الشاه نامة، تاريخ الفرس يقول الفردوسي أن الضحاك الملك العربي، كانت عاصمته كابل؛ وأنه حكم ألف سنة! وكانت أمبراطوريته وسلطته ممتدة من الهند إلىٰ بلاد الشام ووادي النيل مشتملة علىٰ العراق وفارس، كان ذلك في الزمن السحيق والغابر! ويؤيد ذلك الطبري وابن والأثير وغيرهم، ومَنْ مِنَ العرب بحث عن الحقيقة وفتَّش عنها في التاريخ العربي القديم، وفي التاريخ القديم للفرس، أو التاريخ القديم للصين، أو التاريخ القديم للهند، أو التاريخ القديم لليونان، أو التاريخ القديم لوادي النيل، أو التاريخ القديم للرومان، بل اعتمد الباحثون والمفكرون والعلماء والفقهاء والمثقفون العرب علىٰ معطياتٍ أعطاها اليهود، في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر! وليس من الضروري أبداً، أن نسير وفق مزاعم اليهود في فرضياتٍ ألفوها، وعمموها علىٰ العالم، وباتت هي الحقيقة، وما هي إِلَّا كذب محض، وهراء ليس لها أيّ أساسٍ علمي، إن كتاب (قصة الحضارة) وكتاب

الأرض! كانت هذه اللغة في مابينهم، تساعدهم علىٰ إتمام مؤامراتهم، أو تآمرهم علىٰ العرب وغيرهم، كل هذه المعطيات والمزايا التي ينفرد بها اليهود، استفاد منها اليهود كثيراً واستثمروها استثماراً لصالحهم، استثماراً بشعاً، فقد أوقعوا بين أوربة والعرب! وأوغروا قلوب الأوربيين، وطوال قرون، علىٰ العرب وفي نفس الوقت، أفهموا العرب أنهم مستهدفون دائماً من قبل أوربا، مما جعلهم، أي اليهود، جعل منهم التجار الوحيدين الذي يشرفون علىٰ تبادل البضائع بين جنوب البحر المتوسط وشماله، طوال قرون؛ التبر والعبيد من إفريقيا إلىٰ أوربا ويجلبون بالمقابل، الأقمشة الملونة والأسلحة، من أوربا إلىٰ أفريقيا، وهم أيضاً أي اليهود المشرفين علىٰ علاقاته ويتحكمون في السياسات لتلك الدول، التي تحيط بالبحر الأبيض المتوسط وأكثر من ذلك، فاليهود كانوا الوسطاء بين الأوربيين وبين والعرب (راجع كتاب المغرب العربي قبل سقوط الجزائر ١٧٩٠- ١٨٣٠، لويست فالنسي، دار الحقائق، بيروت ١٩٨٠ ترجمة إلياس مرقص).

(قصة الفلسفة)، (لديورانت)، الذي كان قد سطر فيهما اليهودي (ديورانت) تاريخ العالم، والفكر والحضارة في العالم علىٰ المسطرة التوراتية، وكذلك كتاب (عالم صوفي- رواية عن تاريخ الفلسفة، لليهودي يوستن جاردر).

ومعلومٌ أنّ الرسول ﷺ وفي فترة مبكرة، من الدعوة المعظمة، (في السنة السابعة للهجرة) كان قد وجه، رسائل، فيها دعوةٌ إلىٰ الإسلام، وذلك إلىٰ مختلف الأباطرة والملوك والزعماء والرؤساء والمسؤولين في ذلك الوقت، إلىٰ القيصر، الإمبراطور في روما، وإلىٰ هِرَقْلَ عظيم الروم في بلاد الشام والمقوقس عامل قيصر علىٰ بلاد مصر ووادي النيل، وإفريقية في الإسكندرية، وإلىٰ النجاشي ملك الحبشة، ثم إلىٰ كسرىٰ ملك الفرس، في المدائن، وإلىٰ عماله، في بلاد العراق واليمامة والبحرين ونواحي الجزيرة، وإلىٰ الرؤساء في بلاد اليمن، كل تلك الرسائل، كان قد وجهها الرسول الأعظم ﷺ في فترة مبكرة من بعثته ﷺ وكانت جميعها، تلك الرسائل فحواها الدعوة إلىٰ الإسلام، أن أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، والملفت أنها كانت هذه الرسائل جميعها مكتوبةٌ باللسان العربي المبين؛ والسؤال هو، لماذا لم تكن تلك الرسائل تكتب بلغات الشخصيات الموجهة إليها؟ مع قدرة الرسول الأعظم ﷺ علىٰ فعل ذلك، ألم يكن لديه سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي ﷺ وجميعهم كانوا يكتبون، ألم تكن كتابة تلك الرسائل بالغات المرسل إليهم، ألم يكن أضمن لتقرأ بشكل جيد أو بشكلٍ أفضل! والمثير فعلاً هو ما جاء في أخبار تلك المرحلة، وهو أن هذه الرسائل، كانت قد قرءات علىٰ أصحابها باللسان العربي المبين بدون ترجمة، وأنها فهمت بشكل جيد من قبل كسرىٰ ومن قبل قيصر ومن قبل

هرقل ومن قبل المقوقس، ومن قبل النجاشي! وذلك بدليل ردود الأفعال؛ إن الرسول الأعظم ﷺ كان قد بلَّغ الرسالة وأدىٰ الأمانة إلىٰ جميع أنحاء العالم القديم، أنسه وجنه في أسيا وأوربا وأفريقيا وباللسان العربي المبين، ونستنتج من ذلك أيضاً ما يلي: إن اللسان العربي المبين، كان في ذلك الزمان، لسان الأمم الأساسي، بما فيهم الفرس والروم ومصر والحبشة والسند والهند كان الجميع يقرؤن اللسان العربي المبين ويفهمونه، علىٰ الرغم من وجود لهجات خاصة، لكل منطقة (مثل ما هو موجود في هذه الأيام!) أو ما سميٍّ باللغات، يرطنون بها في أقاليمهم الخاصة، مثل اللاتينية والفارسية والحبشية والسويحلية والسنسكريتية كانت هذه اللغات في البداية، عبارة عن لهجات منبثقة عن اللسان الأم، اللسان العربي المبين، لم يكن قد برز التعارض بين اللسان الأم، واللهجات المحلية، ثم تحولت بعد ذلك، اللهجات المحلية إلىٰ لغات؛ ويعزز هذه الحقيقة، أن جميع هذه اللغات كانت وبقيت تكتب بالحرف العربي إلىٰ وقت قريب؛ كذلك فإن في التاريخ القديم، ما يثبت ذلك بجلاء، وهنالك أخبار موثقة، عن لقاء كسرىٰ الفرس، بعدد من حكماء العرب، أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين والحارث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين وخالد بن جعفر وعلقمة بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين وعمر بن الشريد السلمي وعمر بن معد يكرب والحارث بن ظالم المري، عن مساجلة فلسفية وأدبية بين حكماء العرب من جهة وكسرىٰ الفرس من جهة ثانية، وألقيت فيها الخطب العربية والمواعظ العربية والأشعار العربية والحِكم العربية والأمثال العربية وباللسان العربي المبين! كان كسرىٰ يفهم ما يقال، ويرد بالسان العربي المبين،

بشكلٍ بليغ، يوازي ويفوق بلاغةً، الحكماء العرب! في لقاء مباشر، ومثير، ومدهش، كذلك فإن أخبار أمرئ القيس، الشاعر الجاهلي المعروف، والتي تقول بأنه لجأ إلىٰ قيصر الروم، وأن قيصر كان قد أستقبله وأكرمه، وأنزله قصره فلماذا؟ أليس لأنه شاعر معروف ألم يكن قيصر يستمع إلىٰ شعره؟ والقصة معرفة، كيف أن أخت القيصر كانت قد أعجبت به وكيف دبروا أمر قتله، هل كان أمرؤالقيس، يتحدث إليهم باللاتينية، ويلقي عليهم الشعر باللاتينية؛ إن أكثر النظريات الحديثة تذر الرماد في العيون، وتبعد العقل عن الحقيقة، ألم يعتلِ عرش روما أكثر من سبعة من الأباطرة العرب من حمص ودمشق وشهباء وغيرها؟ ماذا كانوا يتكلمون بأي لغة؟! لقد كانت الأمور مختلفة، مختلفة عما يصوره لنا في العصر الحديث، الكتَّاب اليهود، أو الفكر اليهودي، أو الثقافة، أو العلم اليهودي.[1]

---

[1] – عندما أرسل رب العالمين نبيه، نبي الهدى، سيدنا محمد ﷺ وجَمَعَ له القرآن الكريم وفيه ما أُنزِلَ على جميع الأنبياء والمرسلين السابقين، صلوات الله عليهم أجمعين من الهدى والهدي والحكمة والموعظة، وذكر له في الكتاب الأحداث منذ أُهبط اللهُ آدم عليه السلام إلى هذه الأرض، ونَبَّأَهُ في هذا القرآن بما سيؤول إليه الأمر في يوم الدين فيوم الدين الناس فيه إما إلى الجنة أو إلى النار، وهذا القرآن الكريم هو كلام رب العالمين الموجود أساساً في اللوح المحفوظ، لقد كانت فاتحته، وتكرر نزولها على جميع الأنبياء والرسل فهي فاتحة الكتاب المبين، والمحفوظ في اللوح المحفوظ، فهل كانت آيات سورة الفاتحة هي كلمات الله التي تلقاها آدم من ربه قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧**﴾ [البقرة:٣٦]. وهذه الفاتحة هي التي افتتحَ بها الله كتابه تثنيةً، أي مقوَّاتً بالمقومات تقويةً القوة تلوَ القوة؛ وكانت آياتُها والله أعلم أول ما أُنزلت على فاتحة الأنبياء سيدنا آدم ﷺ، ثم ثنى بها رب العالمين على جميع الأنبياء والمرسلين، وهذا هو السبب الذي من أجله جعلت آيات سورة الفاتحة، توقيفيًّاً، في أول المصحف الشريف، علماً أن ترتيب نزولها لم يكن كذلك وهي مدنية، والله أعلم، وهي أم القرآن وهي سبع آيات ويثنى بها في الصلاة في كل ركعة فريضة كانت أو نافلة، وفي المأثور عن الرسول ﷺ أنه قال: «**لا صلاة بلا فاتحة**» وقيل عنه ﷺ:«**أنه من صلى صلاة بغير فاتحة فهي خِداج**» والسؤال المهم هنا هو كيف كان سيدنا إبراهيم والأنبياء جميعاً يُصَلُّونَ صلاتهم التامة صلوات الله عليهم أجمعين، ألم يكونوا يقرؤون الفاتحة؟ كذلك يمكننا

ملاحظة، أن كلمات سورة الفاتحة، لا تزال آثارها وبقاياها ومعانيها، موجودة في كتب النصارى، وطقوس الطوائف والملل القديمة، مثل البوذيةّ والصابئة والكلدان والآثوريين.

فمثلاً ماذا تعني لفظةُ (آمين) التي يرددها الناس جميعاً في أنحاء العالم، والتي من الواضح أنها مأخوذةٌ من اسم الله (المنّان) وذلك عند حذف الأحرف الزائدة: العلة وردها إلى جذرها الأساسي لتصبح (مَنّ) والله هو الذي يمنُّ علينا بالإجابة، وهي تعني أيضاً (أمنن) علينا يا ربُ بالإجابة، فكيف تحولت إلى أن أصبحت صيغةُ أمرٍ يُوجَّه من الأدنى إلى الأعلى فقالوا أنها تعني استجب يا رب؛ فكيف يُوجِّه الأدنى أمراً إلى الأعلى ويطلب منه التنفيذ فكيف يطلب الجنديُّ من قائده، وكيف يطلب العامل من مديره، هل يقول له استجب؟ ولله المثل الأعلى.

هذا وإنَّ ولفظة (المُصحف) جاءت من التصحيف أي نسبة إلى الكتابة المكتوبة على الصُحف، من أوراق أو غيره، مجموعةً ومرتبة في المُصحف بما فيها من تآلفٍ لجملٍ أو لألفاظٍ وتراكيب بأشكالٍ ورموز لها معانٍ متفق عليها عادةً بين الكاتب والقارئ؛ ولكن ما الفرق بين لفظ الكتاب ولفظ القرآن ولفظ المصحف ثم ما معنى الآية؟

فبينما لفظ (القرآن) يشير إلى كل ما أوحي به من الله من القول وحياً إلى الرسول العربي الأمي الكريم أنزله الله على قلبه ليقرأه الرسولُ على الناس كافة، ليسمعوا ويبصروا، فهو قراءة الله تعالى إلى الناس كافةً، وهو عربي مبين أي رباني المصدر، وليس للبشر أي دور في إنشائه أو تنزيله وهو إمام، له مهمة في حياة البشر جميعاً كفاعل وكمحرك وكدافع وكمنير وكحكم للناس كافة فهو المرجع وهو الميزان وهو المسطرة التي يجب أن يقيس عليها الناس جميعاً كافة شؤونهم، الأمر الذي أُمر به الرسول ﷺ ليُبَلِغَهُ للناس كافة لأنَّ فيه إعلاءً لذكرهم أي رفعاً لشأنهم، وهو غير ذي عوج وهو يهدي للتي هي أقوم، وهو للحكم وللعقل وفيه من الوعيد ما هو رادعٌ لمن ألقى السمع وهو شهيد[1].

فإذا كان من الواجب علينا أولاً (كعرب مسلمين) أن نحدد الفرق بين تعبير (فاتحة القرآن) وتعبير (فاتحة المصحف) فإن من الواجب علينا أيضاً (كعرب مسلمين) أن نحدد أولاً الفرق بدقة بين لفظ (القرآن) ولفظ (المصحف) كما أنّ علينا أولاً (كعرب مسلمين) وبناءً عليه أيضاً يجب أن نحاول تبيان الفرق بين معنى (الآية) التي في المصحف ومعنى (الآية) التي في القرآن العظيم، لأنّ الفرق بين مدلولاتهما واسع جداً وكبير! وينحصر مدلول (الآية) التي في المصحف في نظمها وترتيب ورودها وشدة وروعة بلاغتها وأناقة وعذوبة لحنها وجرسها عند تجويدها، ولإدراك مفهوم (الآية في القرآن) يقتضي لكل مؤمن؛ دائماً النظر الشامل والقراءة المليِّة المستمرة المتصلة في المصحف ككل وربط الأمور وجمعها وتشكيلها واستنتاجها من السور التي في المصحف كافةً ثم الوصول إلى لوحة واحدة كاملة متكاملة بلسانٍ عربي مبين وبفهمٍ عربي مبين ثم تداول هذا الفهم العربي المبين بين المسلمين بحرية ودون قيود وهذا اسمه التدبر، وقد تعود الناس على الاعتقاد بأن (الآية التي نزلت في القرآن) إنما هي الآية التي كتبت في المصحف وهذه هي الحقيقة، ولكن ما الفرق بين الألفاظ المحددة فيه كتابةً بين إشارتين والقرآن العظيم؟ فاختلفوا في عدها وقراءتها، الأمر الذي أدى بالمسلمين في العصر العباسي المتأخر؛ إلى اختراع (فن التجويد) والتوسع فيه وهو لم يكن من

التزوير والافتراء على العرب قديم

والواقع فإن الروايات العديدة والمتعددة، للسيرة النبوية المعظمة في جميع المصادر، المتوفرة وكلها ترجع إلى رواية أبن إسحاق، لأن ابن إسحاق كان أول من جمع السيرة النبوية وأول من كتبها ورواها ولكنه كان شعوبيا حاقداً وكارها للعرب؛ لذلك فإن رواياته تحتاج دائماً إلى مراجعة وإلى إعادة تحقيق وإعادة تدقيق ومقابلتها مع صريح القرآن الكريم

قبل لأنه ليس أساسياً، حتى صار في حياتهم من مستلزمات قراءة القرآن وحفظه، ناهيك حتى تفهم القرآن في رأيهم - عن ضرورة معرفة علوم اللغة العربية وإعرابها؛ من قواعد ونحوٍ وصرف وإملاءٍ وغيره، وهولم يكن من قبل، الأمر الذي أحال واجب التفكر في آيات الله إلى أصحاب الشهادات العليا وأحالت إليهم وإليهم فقط أمر فهم (القرآن العظيم) وأوقفته عليهم (على عقولهم) ليعودوا فيملوه على الناس، علماً أن القرآن العظيم نزل للعالمين أي للناس جميعاً وليس لأحدٍ أن يحتكر فهمه وكان التفكُّر فيه أمر عين وعلى الجميع يقع واجب التفكر والعمل.

وهكذا تحول الناس جميعاً طوال حياتهم، الأمم والأجيال وفي جميع مراحل التاريخ إلى مجرد طلاب علمٍ عند عدد محدد من العلماء؛ ليُحَرِّموا على الناس جميعاً حقهم في أن يَتَفَهَمُوا القرآن المجيد أو أن يستوعبوه، وتجاهلوا عن قصد أن العلاقة في الإسلام يجب أن تكون أساساً بين العبد وربه مباشرة بدون وساطة، ولكنهم ـ العلماء عبر التاريخ - قد اهتموا في (المصحف) كمُصحف وصحائف وتوسعوا في الاشتغال[1] به كشكل وأنشؤوا من أجل ذلك المدارس؛ فأهملوا عبر الزمن (القرآن العظيم) ولم يحاولوا مطلقاً إلا لماً إدراك آياته البينات والولوج إلى مضامينه التي لاتُحد، ولاحاولوا التفكر في عِبره أو مقتضيات أحكامه المنزلات ولاسجدوا حق السجود لقراءته كأمر إلهي ولاوقع ولا استقر في أفئدتهم ولاشكل وجدانهم بخشوع ففي حين كان القرآن العظيم من مهامه - في حياة الناس - أن يكون مُبيناً للبشر أي فاعلاً مفعِّلاً لهم ومنيراً وكاشفاً وموضّحاً لطريقهم ومحركاً ومعداً وموضباً ومصنِّعاً ودافعاً ومحفزاً وإماماً لهم جميعاً، فإذا بهم قد حولوه مع مرور الوقت إلى مجرد شيء من الأشياء الواضحة في حياتهم (وتحول القرآن العظيم إلى مجرد مصحف) وكفى الله المؤمنين القتال، وتحول (القرآن المجيد) في حياة الناس - من حيث النتيجة إلى مجرد شيء من الأشياء التي وضعت على الرف، واكتفى المسلمون به مع مرور الزمن (ككتاب مكتوب) وقاموا بتجويد قراءته وتنويعها وبتبجيل وتقبيل الأوراق المخططة والمزخرفة وشجَّعهم على ذلك أعداءهم؛ فأعرضوا عن التوغل في معانيه ومضامينه ومراميه واستنكفوا عن فهمه، وأخذوا ينظرون إليه (ككتاب مكتوب على الورق) يحترمونه ويُجِلُّونه ويرفعونه عن الأرض ويخافون عليه من الدنس، ثم قاموا بتشكيله وزخرفته وحفظه مُجوداً ومُلحَّناً وكرَّرُوا قراءته ونوعوها واعتنوا بحفظه على سبعة أحرف.

وبالصحيح من الحديث، والمأثور من الأقوال والأشعار والأنساب؛ والمشهور من سنن الأوائل وحكمة الحكماء، لإزالة المتناقضات غير المنطقية؛ عند جمعها للأضداد من الصفات والمواقف! للكثير من عظماء الشخصيات العربية التي كان الله سبحانه وتعالى، قد هيأها وأعدها لقبول رسالته، فلم تكن ولم تجري الأمور ولا التحولات صدفة من غير ميعاد، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤ ﴾ [الأنعام:١٢٤] بل إن العصر الأول للإسلام، فيه تلاقت السماء مع الأرض في زمان محدد، ومكان محدد، فكانت الشخصيات في صدر الإسلام، جميعها كانت مرسومة، منذ الأزل لتكون معدنا ومادة حاملة للإسلام وأمثلة تحتذى وشهداء.(١)

---

(١) بالتالي فهل هو صحيحٌ القول الذي يقول، بأن الزواج كان عند العرب على عشرة أنواع وهل صحيح ما قيل من أنَّ العرب كانت تعرف ما سميً بزواج الاستبضاع؛ كما رُوِيَ عن السيدة عائشة في صحيح البخاري؟!

إذا كان هذا الخبر صحيحاً فليقل لنا مروِّجوه أيٌ من الصحابة الكرام أو من رجالات العرب عامة كان ناتجاً عن هكذا زواج وهل فعلاً كانت العرب في ما سميّ بالجاهلية هل صحيحٌ أنها كانت تأكل الحمر الأهلية وتمارس ما سميّ بزواج المتعة، وأن الرسول ﷺ كان قد حرم ذلك في المدينة فمن الذي كان يأكل لحم الحمير؟ ومن الذي كان يعمل الفاحشة ويرتكب الزنى من العرب هل صحيح أن وأد البنات كانت عادة عربية؟ وأنّ الآية الكريمة التي نزلت من السماء، وكانت تختص بالعرب وحدهم، وأن العرب كانوا مجرمون وليس لديهم رحمة؛ إلى هذه الدرجة إلى درجة أن الروايات تلصق هذه التهمة بسيدنا عمر بن الخطاب؟ ويرويها العلماء دعاة العلم إذا كان هذا صحيحاً !

فأيٌ من الصحابة الكرام أو الشخصيات العربية المعروفة أيٌ منهم كانت له أخت أو ابنة كانت قد ووئدت فعلاً ؟ وهل صحيحٌ أن سيدنا عمر بن الخطاب كان قبل إسلامه يصنع في الصباح صنماً من التمر ثمَّ يأكله في المساء ؟ هل صحيحٌ أن يهودياً كان في مكة يضع القذارة والأوساخ عند باب الرسول الأعظم ﷺ؟ هل كان المشركون من العرب يفعلون ذلك ؟ أهكذا تتصور السيرة المعظمة أهكذا تطرح طرحاً مثالياً؟ هل توفي الرسول الأعظم في المدينة وكان عليه دينٌ ليهودي ؟ وكيف يستوي هذا الخبر مع الخبر الذي يقول أنه اجتمعت الأموال من الصدقات عند الرسول الأعظم ﷺ فوضعها في مسجد المدينة وكانت كومة كبيرة، فجمع الناس وقال لهم أعبُ لكم عباً أم أعد لكم عداً ؟

وهل صحيحٌ أن يوم عاشوراء كان يجهله الرسولُ ﷺ؟ بحيث لم يكن ﷺ يعرف عنه شيء وذلك كما جاء في بعض الأحاديث الموضوعة؛ أنه حتى إذا قَدِمَ إلى المدينة، فوجد اليهود يحتفلون، فسأل عنه اليهود، فقالوا له هذا يومٌ نجى اللهُ به سبحانه وتعالى موسى من فرعون، فقال ﷺ، نحن أحق به من يهود، فطلب من المسلمين صيامه هل يستقي الرسول أخباره من اليهود أم من الله سبحانه وتعالى؟! فأين أصحاب العقول ثم أنه ورد في القرآن الكريم لفظ ميكال ولفظ ملك الموت فكيف يرد في الأحاديث الصحيحة أو نقبل منهم، لفظ ميكائيل ولفظ عزرائيل؟

إن السيرة النبوية الشريفة والمشرفة تحتاج إلى عناية العلماء، العلماء[1] لا البسطاء السطحيين[2]، وذلك لإضاءة معانيها العالمية والكونية، وتحتاج إلى خبراء في غاية الفهم

(١) وبالتالي فهل أتى على العرب المسلمين حينٌ من الدهر كان كلٍ منهم، أو كل خادم مسجد فيهم عالماً فلكياً ؟

(٢) وهل هؤلاء فعلاً من العلماء... هل يحق لهم أن يتحدثوا باسم الإسلام؟ ومن الذي أجاز لمثل هؤلاء الأشخاص الذين لا نعرف عنهم، ولا أحد يعرف عنهم أي شيء من الذي رشحهم للتحدث في قضايا الإسلام والمسلمين وعلى الطريقة الأمريكية (أنت تسأل ونحن نجيب!) وفتاوى على الهاتف فتاوى وقصص أنبياء مستمدة أكثر فصولها من التوراة، توراة اليهود، وهي تقدم بطريقة حديثة مبتكرة ثم أصبح لكلٍ منهم مجموعة من الكتب والشرائط المسجلة والأقراص الليزريّة والمعجبون وهكذا أصبحت تلك الشخصيات الإسلامية تعرض وتباع وتنافس إلى جانب أحط وأوضع الفنانات العاريات وهل الإسلام الدين الإلهي دين السماوات والأرض وما بينهما، صار يؤخذ أو يمكن أن يؤخذ أو بات علينا وعلى الناس أخذه أو فهمه من القصاصين والحكواتية، من على شاشات التلفزة والإنترنت، بدل أن ينطلق كل مسلم، وكل عربي إلى كتاب الله مباشرة، إلى القرآن الكريم ليحاول هو شخصياً فهمه، وتدبره، واستيعاب الهدي والحكمة التي فيه والاستنارة بنوره، وما المانع ولماذا نتصور، أو نصوِّر الأمرَ دائماً على أن الجمهور والناس جميعاً، غير قادرين على الفهم، وأنَّ شخصاً واحداً فقط يمكنه الفهم.

علماً أن الدين الحنيف لم يكن هكذا، أفكلما طلع علينا شخصٌ أرخى لحيته ولبس عمامة أو دشداشة من خريجي القنوات الفضائية، الذين ليس لهم من مهمة إلَّا استلاب الإنسان العربي المسلم والسفر به إلى المجهول في متاهة لا تنتهي من المهاترات أو في الكشف عن المعجزات العلمية؛ بهدف كف بصره، وسد أذنه، وإغلاق عقله وفمه، إن لم يكن لقطع لسانه، إن القضية ليست في القدرة على الاستعراض، الثقافي والمعلوماتي أو في غزارة المعلومات والبروز ولا هي في القدرة على الإدهاش والقدرة على الإثارة وإثارة الفضول، فهذا كله ليس له علاقة بالعلم، فمتى ستبدأ العقول العربية الحقيقية بالتحرك؟ ومتى ستبدأ العقول العربية المتأصلة بالفهم والتفكير إن هذا الوضع تماماً هو ما أوصت به، وأكدت عليه اللجان الأمريكية، لإعادة تشكيل الإسلام الحديث، إن هذا الوضع تماماً هو ما رسمته أنامل الخبراء اليهود من أجل إسلامٍ خالي الدسم منزوع الشوكة ذلك أنهم ينظرون إلى الإسلام والعرب، على أنهم خصم يجب أولاً نزع سلاحه، قوته، وقدرته على الوقوف، والمواجهة، وسحب همته، ونشاطه، والإبقاء عليه جثة هامدة، في ثلاجة، باقيةٌ دائماً تحت السيطرة وهم يضمرون للعرب والإسلام ألد الخِصام وبالتالي بالنسبة لهم، يجب أن يبقى الخصم ضعيفاً خائر القوى متقَّهاً مكبلاً ومشوهاً، ويعملون على إبطال جميع مؤثراته المحتملة بحيث يستحيل إلى مستحاثات توضع في المتحف الزراعي كدلالة على التخلف المنتهي أو كوسائل إيضاح للطلاب قسم التاريخ وعلم الاجتماع والأطفال والمتطفلين من أصحاب الأسئلة التي لا تنتهي إن الأمر بالنسبة لهم يتطلب اجهاض العرب واجهاض الإسلام.

في خطة محكمة، تنهي أمر العرب والإسلام إنّ هذا ما يسعى إليه اليهود وأمريكا المهودة إنّ هذا المجال برمته ليس له علاقة بالإسلام الحقيقي الدين السماوي وهو لا يمت بصلة إلى الإسلام العربي الصحيح لأنّ الإسلام أساساً هو دين الله أ دينٌ يدين به الإنسان من آدم عليه السلام إلى يوم يبعثون فهو أساساً، هذا الدين ليس له علاقة بالسياسة ولا بالإعلام أو الإعلان ويجب أن لا يكون له علاقة بالسياسة والإعلان، والإعلام الحالي أبداً لأنه نوعياً الدين السماوي الإلهي فهو لا يمت بصلة للسياسة والإعلام الحالي أبداً، أبداً، لأن الأساس أن تُستوحى هذه الأمور الحياتية بأكملها من الدين الإلهي، كيفيتها، لا أن يكون الدين الرباني، أداة لدي أبناء الدنيا، أو وسيلة لتحقيق نجاحاتهم، فالدين الإلهي كان قبل

والإتقان، لإبراز قيمها الشمولية ودلالاتها الواسعة بطريقة إبداعية خلاقة، تناسب مقام رسالة رب العالمين والوحي الإلهي والرسول الكريم، الأمر الذي لم يتم إلى الآن؛[1]

ويذكر علي الجارم وعبد السلام هارون في مقدمتها عند تحقيقهما لسيرة ابن هشام، عن ابن إسحاق كيف أن هذه السيرة (كتاب سيرة ابن هشام، عن ابن إسحاق) كانت قد اشتملت وانطوت على الكثير الكثير من الخلط؛ عندما ركزت، وأكدت، وكذبت، فأظهرت مثلا سلبية شخصية الصحابي الجليل سيدنا (أبي سفيان بن حرب) وكذلك فعلت في شخصيات أولاده، الصحابة الكرام، أبطال الفتح العظيم، (زياد بن أبى سفيان ـ ابن أبيه، وهذه عند العرب، كناية بطولية مجيدة، وليست كما أولت، وفهمت عند البعض؛) و(يزيد بن أبي سفيان) القائد البطل في فتوحات بلاد الشام و(معاوية بن أبي سفيان)، وذرية أبي

السياسة وأساليبها وخططها وبرامجها ووسائلها، بينما السياسة والإعلام في هذه الأيام تستثمر دين الله وتستخدمه، وتجعل منه برامج مثيرة ومسلسلات تاريخية مشوهة لقد أصبح الدين الحنيف في العصر الحديث أصبح وسيلة مثل كل الوسائل يستعملها البعض أو الكثيرون للوصول إلى أهدافهم الدنيوية إن الدين العربي الحنيف بريء من هذا الوضع وهو بريء من هذه الأجهزة وهو بريء من هذه الحالة وهو بريء من هؤلاء الأشخاص الماضي الذين بالحقيقة لا يمثلون، ولم يكونوا يمثلون، إلا أنفسهم.

إنّ الإسلام العربي الحنيف أصلاً لم يكن يحتاج إلى هذه الأجهزة أو هذه ولا إلى هكذا أشخاص إن الإسلام هو، ما هو موجود، في القرآن الكريم، فقط الشريعة الإلهية وهو ليس ولم يكن موجوداً في أفواه وأمعاء الوعاظ أو الخطباء أو المنشدين ولا القصا ولا الحكواتية ولا شرائط تسجيلاتهم إن الإسلام العربي الحنيف موجود فقط ضمن كتاب الله أ، إن القرآن الكريم هو المَعِيْن الأساسي، للدين الحنيف، فعلى كل عربي، حر واعي مدرك عليه العودة إليه ليستخرج منه بنفسه ودون واسطة كل عربي بإمكانه العودة إلى القرآن دائماً ومباشرة دون وسيط ليستخرج بنفسه ولنفسه النسغ الكامل من المصدر الرباني الأساسي مباشرة دون مساعدة من الآخرين وهو ليس بحاجة ولا يحتاج؛ إن الدين الإلهي لا يحتاج أساساً إلى من يساعدك على فهمه، إلا إذا كنت أنت عاجز! أو عديم القدرة على الفهم والواقع يقول إن المريض فقط هو الذي يطبق عليه نظام الحمية فيقال له كل من هذا الطعام أو تأكل من هذا الطعام وصاحب الفكر والعقل السليم لايحتاج إلى توصيات وهو ينطلق إلى كتاب الله مباشرة، فقط حاول إنه كتاب الخالق أ، الله رب العالمين الأقرب إليك وهو سبحانه وتعالى، يعرف كل واحد فينا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ وذلك على العكس مما هو حاصلٌ الآن حيث تقزمت الهامات وخضع الكبار للصغار.

(١) سيأتي من بعدي نبياً اسمه أحمد : إذاً فهل كان الرسول ﷺ هل كان أسمه قبل البعثة أحمد؟ هل كان لفظ (محمد) لفظٌ كونيٌ يوازي لفظ (آدم) الكوني أيضاً ويكافئه بحيث كان سيدنا آدم عليه السلام البداية وكان سيدنا محمد ﷺ مسك الختام؟ إننا إذا تأملنا الأصل الثنائي للَّفظين فسنجد آدم = دم، ودمَّ هي دبَّ، محمد = مد فهل هي بدَّ.

سفيان التابعين الأبطال والغر الميامين، والكثير من الشخصيات العربية، مثل تشويهها لشخصية الوليد بن المغيرة، الذي قال عن القرآن الكريم عندما سمعه في وقت مبكر قولته المشهورة، (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق، وما هو من قول البشر، فقيل له أصبئت؟ فقال لا ولكنني أقول ما أجده في نفسي..) وهو القائل عن القرآن الكريم: إنه والله ليس هو بالشعر: لقد عرفنا الشعر هزجه ومديده وطويله، وما هذا الذي سمعناه بشعر...)

بينما ركزت السيرة، سيرة ابن هشام، وسلطت الأضواء على عم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، الذي أصبح حبر الأمة رضي الله عنه وكانت قد رويت عنه، وأضيفت له الأحاديث الكثيرة والأخبار، وكان رضي الله عنه قد ولد في مكة عام الحصار، وكان عمره عندما توفي الرسول الأعظم ﷺ إحدى عشرة سنة والله أعلم، والسبب طبعا هو أن السيرة النبوية أصلا كان قد كتبها ابن إسحاق (١٠٠ـ ١٥٢هـ) للمنصور أبو جعفر، عندما كان في الحيرة؛ حيث تقرّب بها ابن إسحاق من العباسيين، وابن إسحاق الذي عرف عنه تشيعه، كان مولى ، وكان جده قد أسر في الأسر الأول، من عين تمر، إلى المدينة المنورة، وكان يقال عنه أنه كان يحمل عن اليهود، والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول، وأصحاب الحديث كانوا يضعفونه، ويتهمونه، ويروى أنَّ هشاماً الأموي، عندما كان واليا على المدينة، كان قد رقق له رأسه، وضربه أسواطا، ونهاه عن الجلوس في مؤخرة المسجد، قرب النساء؛ مات ابن إسحاق في حران، شمال الجزيرة الفراتية سنة ١٥٢هـ وكان المروج لسيرة ابن إسحاق بطل آخر من أبطال الشعوبية، اسمه ابن هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، وكان ابن هشام قد صنف للمأمون! ولجعفر بن يحيى البرمكي السيرة النبوية والمبتدأ والخبر، وكتب المغازي،

ولابن هشام هذا، كتاب (أخبار العباس بن عبد المطلب) وكتاب (الموؤدات) وكتاب (خطبة علي رضي الله عنه) وكتاب (قيس عيلان) وكتاب (ألقاب قيس عيلان) وكتاب (المثالب) وكتاب (النواقل) وكتاب (إدعاء معاوية زيادا)! وكتاب (أخبار زياد بن أبيه) وكتاب (المشاجرات) وكتاب (المعاتبات) وكتاب (المشاغبات) وكتاب (حديث آدم وولده) وهذا

منسوخ من توراة اليهود وكتاب (رفع عيسى عليه السلام) وهذا منسوخ من إنجيل النصارى) وكتاب (المسوخ من بني إسرائيل) وهذا فيه حشد للخرافات والأقاويل والأوهام وكتاب (أخذ كسرى رهن العرب) وكتاب (أخبار مسيلمة الكذاب) وغيرها من الكتب(١) التي تكاد تفصح عن نفسها من خلال عناوينها فهل كانت هذه الكتب، وغيرها، تشكل خطة شاملة لسحق وتدمير الحقيقة العربية، أو الإسلام؟ هل كانت هذه الكتب مرسومة لهدف بعينه، أم كانت ترمي إلى تمويت وإماتة الشموخ العربي، والقضاء عليه في مهده واستمرارية انحلاله وهزيمته عبر القرون.

و(القرآن العظيم) والذي نزل من السماء، أساساً هو خطابٌ للأنفس العاقلة، والتي تعقل المعقولات (الآيات المنتشرةُ في أرجاء هذا الكون العظيم)، والتي لديها استعداد لتفعيل تلك المعقولات (الآيات)، والتأثر بها في الداخل؛ وتفعيلها وإعادة إنتاجها إلى الخارج، سلوكاً إيجابياً مجدياً منتجاً بناءً، ومن ثم للتفكر، وللعمل على وحدة الذات والارتقاء بها والصعود إلى الأعلى والتقدم إلى الأمام، فالتفكر هو إعادة إنتاج ما دخل إلى إدراكنا من الآيات، أو ما أدركناه من الآيات، ثم عملنا على تفعيلها وإعادة إنتاجها وابداعها جديدة إلى الخارج؛ وكل نشاط ليس فيه إعادة إبداع وتكوين وخلق وإنتاج إيجابي مجدي ومفيد للمجتمع، فإنه لا يُعد تعقلاً ولا تفكراً، ولكنه خداع يخدع فيه الإنسان نفسه؛

القرآن العظيم هو كلام الله تعالى مهمته الأساسية أنه رافعةٌ للأنفس، وهو يتعامل مع الأنفس، وليمدَّها بالقدرة والامكانيّة، والفهم والادراك والوعي، والميزان، ويعمل على تربيتها (الأنفس) ورفع مستواها، وليس ولم يكن (القرآن العظيم) خطاباً للأجساد؛ ولا هو محركٌ للأجساد؛ وهو لم ينزل من السماء لكي يتوجه للأجساد؛ فهي (الأجساد) تستمد حاجاتها من الأرض، بينما الأنفس مرتبطة بالسماء وتستمد معطياتها من السماء[٢].

---

(١) هذه العناوين لابن هشام موجودة ومرتبة في كتاب الفهرست لابن النديم، وفي كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي.

٢ – إن قارئ كتاب تاريخ الطبري سيلاحظ تأكيد الطبري، عند روايته للفتوحات الإسلامية(٢) علىٰ موضوعي الجزية والخِراج، وكأن الفتوحات الإسلامية، كان لا همّ لها إِلّا الجزية والخَرَاج، وسقط المتاع وحطام الدنيا، هل هذا صحيح؟ هل هذه هي

الحقيقة؟ وصار الصحابة الأعلام والعظماء والنجوم الأبطال والذين المفروض أنهم النجوم المتلألئة التي أنارت وكانت لنا وللعالم منبع الهدىٰ والهداية والعلم والحكمة، صاروا علىٰ يدي الطبري وغيره من المؤرخين، مجرد أبطال فلم كاوبوي، تحكمهم الأنانية والأثرة والدوافع والغريزة والسياسة ألا ساء ما يتخيلون، الأمر الذي أسهم في عملية إجهاض نهوض الأجيال العربية، وكرس خمولها ردحاً طويلاً من الزمن، كذلك تركيزه علىٰ المَقَاتِل، مقاتل الخلفاء ومقاتل الرجالات، بحيث أخرج لنا تاريخاً ملئاً بالفواجع والمؤامرات والدسائس، لم يدع شكلاً من أشكال الجريمة إِلَّا ووصفها ولصقها ، ولا طريقة من الطرق ولا فناً من فنون التعذيب، إِلَّا أحصاها ووصفها وألصقها وشملها وضمها إلىٰ كتابه، قطع رؤوس وسمل عيون وبقر بطون، بشكل يجعل القارئ يشمئز من العرب والمسلمين، وأمرائهم وأبطالهم ورموزهم، ويضع الكثير من إشارات الاستفهام في ذهن القارئ، حول العرب والإسلام.

لقد تحول فيه الصحابة الكرام، والتابعون العظام، هؤلاء الأفذاذ الذين لامسوا العلياء أصبحوا في كثيرٍ من الأحيان عند الطبري أطفالاً يلعبون ويتشاكسون ويتحاسدون ويتباغضون ويتعادون، ويبحثون عن سقط المتاع، كغيرهم، تسيرهم غرائزهم، تارة جبناء، وتارة أغبياء، لقد أصبحوا أمثلةً لا تحتذىٰ..

أهذا هو الهدف من كتابة التاريخ؟ بينما الحقيقة كانت غير ذلك، لقد كان الهدف من الفتح الإسلامي العمل علىٰ نشر الدين الإسلامي الإلهي التوحيدي الأساسي، ومبادئه وأخلاقه وقيمه ومُثُلِهِ، وإقام العدل ورفع الظلم وإحقاق الحق، كانت الجيوش والمجاهدين في خدمة الدين، ولرفع رايته السامية، فهل تشكل كتب الطبري، أو الكتب التي نهجت نهجه في التفسير والتأريخ فهماً صحيحاً للقرآن، أو هي التاريخ الحقيقي للعرب والمسلمين؟ إن الكتب التي جاءت بعده تنقل عنه حرفاً بحرف وجملة جملة كانت تحذوا حذوه بثقة مطلقة، فهل نحن مضطرون إلىٰ ذلك؟.

أبداً إن أقل ما يمكن أن يقال، إن كتب الطبري والكتب المماثلة هي لاشيء سوىٰ أنها تصنيفات موسوعية كبيرة، عامة وشاملة وواسعة، فيها الكثير من الحكايات والشواهد الأدبية، والحكم والأمثال والأقوال والأشعار التي لا يخفىٰ علىٰ القارئ النبيه، أهميتها وفائدتها، ولكنها لم تكن فيه موظفة توظيفاً يخدم العروبة ولا الإسلام، إن محمد بن جرير الطبري رحمه الله كان مصنفاً للمعلومات بشكل لم يخدم العرب ولا الإسلام، خدمة حقيقية أبداً، وأكثر من ذلك، فإن قارئ كتب الطبري سيخرج في النتيجة بانطباع سيئ للغاية، عن كل تلك الشعوب والأقوام والأشخاص، الذين أرخ لهم الطبري، والذين نفذوا هذه الأدوار في تاريخ الطبري، الذي تحول فيه الصحابة الكرام والتابعون العظام، هؤلاء الذين لا مسوا العلياء بمجدهم وسؤددهم، أصبحوا عند الطبري وفي كثيرٍ من الأحيان مجرد أطفالٍ يلعبون بمصير الدين والأمة؛ ويتشاكسون ويتصارعون ويتحاسدون ويتباغضون؛ ويبحثون عن سقط المتاع كغيرهم تسيِّرهم غرائزهم تارة وتارة جبناء وتارة أغبياء لقد أصبحوا عند الطبري أمثلةً لا تُحتذىٰ، إن لم نقل، إنّ قارئ كتاب الطبري، بالنتيجة سيصل إلىٰ مرحلة، سييأس فيها من نهوض العرب والمسلمين، إن لم يحقد عليهم، أو يصنفهم مع الأوغاد الغادرين، فهل كان هذا هو مراد الطبري، ومدرسته التأريخية

والتفسيرية، أهذا هو الهدف من كتابة التاريخ، وهل من الواجب علينا الوقوف عنده، وهل هو من المحرم علينا نقد حكاياته أو تجاوزها، يقول الطبري، حدثني فلان وحدثني فلان، ولكن من هو فلان؟ هل دقق أحدٌ في مستندات الطبري أو في وثائقه أو في رواياته أو في معلوماته أو في ترجيحاته إذا كانت صحيحة أم لا لا أحد يعرف.

إننا ندرك ونحن علىٰ يقين، بأنّ كون العرب المؤمنين أمة الأمم، وأنّ امتلاكهم للماضي العريق الرائع والعظيم، ووجود قدرات وثروات، كثيرة وعديدة، جعلها الله كوثراً كامناً فيهم، هذه العوامل، سوف لن تكفي، وحدها لتأهيلهم ـ تأهيل العرب المسلمين ـ لاستلام زمام قياد العالم، في هذا العصر؛ وليس من الوارد ولا هو من المعقول أن نتقدم اليوم إلىٰ الحكومة الأمريكية، وإلىٰ اليهود بطلب أن يتنازلوا ببساطة، عن ريادتهم للعالم، وأن يفسحوا المجال للعرب! إنّ الأمر يحتاج لأن يُعدَّ العربُ المؤمنون أنفسهم، وأن يُهيئ العربُ المؤمنون ذاتهم، قال تعالىٰ: ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ (الرعد: ١١) إنّ الأمر يبدأ بالإدراك والوعي والفهم، بل يجب أولاً أن تدب الحياة في الشخصية العربية؛ وأن تتنامىٰ الطاقات والهمم لدىٰ كل عربي، تأهباً واستعداداً لقيادة العالم.

وليس تفسير الطبري بأحسن حال، إن قارئ تفسير الطبري بالنتيجة لن يفيد منه كثيراً إِلَّا وهماً؛ بحيث يذهب منطقه وعقله بلا عودة، في متاهات غير واقعية ـ من خلال الإسرائيليات ـ التي شحن الطبري فيها تفسيره، الأمر الذي شتت معاني التنزيل العربية الأصيلة، وضيّعها أيما إضاعة، إن القرآن العظيم لا يحتاج إلىٰ تفسير أصلاً، لقد توهم الناس في أهمية التفاسير، والحقيقة أن التفاسير كانت وبالاً علىٰ الفهم الحقيقي للقرآن المبين، لقد أصبحت بديلاً عن النص الأساسي، عن كتاب الله، فالأصل أن تكون المعاني معاني التنزيل العزيز مطلقة، لكل إنسان أن يفهم وأن يتصور ما يستطيعه، بحسب قدرته وإمكانيته، من آفاق الألفاظ القرآنية المجيدة، لينهض وليحاول النهوض وليصعد بنفسه إلىٰ المستوىٰ الأعلىٰ، إلىٰ مستوىٰ كلام الله، فيحاول بذل الجهد والتفكير؛ لا أن ينزل بكلام الله إلىٰ المستوىٰ الأدنىٰ، بحيث أحبط الهدف الأساسي، هدف جعل الناس يتفكرون، فقام المفسرون بتحديد المطلق، وصادروا اللامحدود، في معانٍ خاصة ضيقة محدودة أساءت كثيراً، ولم تفد أبداً، بحيث أُهبطت المعاني الرائعة وبسطت.

وغاب عن بال المفسرين أن القضية في قراءة القرآن الكريم تربوية بالأساس، غرضها رفع مستوىٰ الناس حضهم علىٰ النهوض، ومحاولة الصعود إلىٰ الأعلىٰ، كان هدف القرآن الكريم شد الناس إلىٰ فوق، فقام المفسرون بإنزال القرآن إلىٰ تحت، لقد أصبح القرآن علىٰ يد المفسرين، دون أن يدروا، أو أنهم كانوا يدرون، أصبح علىٰ يدهم أقرب إلىٰ قصص أبي زيد الهلالي، وعنترة بن شداد، إن العربي كان سيفهم المراد من القرآن العظيم، دون الرجوع لأي تفسير، وذلك بفطرته السليمة، وكانت التفاسير في البداية للعناصر الأعجمية التي دخلت الإسلام، وكان هذا الأمر مطلوباً لهم، لكن ما لبثت أن أمليت الطريقة علىٰ الفهم العربي، وعلىٰ العرب أنفسهم، لقد شكلت التفاسير في كثيرٍ من الأحيان حجاباً حاجزاً، بين حقيقة النص الإلهي وبين العقل، فأبعد عن الفهم، وعمل علىٰ إخراج العقل عن المسار الطبيعي وعن السياق الطبيعي المنطقي، الموصل إلىٰ جوهر

فليس صحيحاً أنّ معنى التدبّر في القرآن العظيم، منحصرٌ في الحفظ والدراسة والرواية! بل يتعداه إلىٰ التَفَكّر وتفهُّم الخطاب، وأكثرُ من ذلك، أنّ التدبر يعني التَفَعُّل والتفعيل، فالقائد الذي يدبِّر قيادته يفعِّلها، والمدير الذي يدبِّر إدارته، يفعِّلها أيضاً، يجعلها حيوية نشيطة، في حركة دائمة مفيدة ومنتجة، إنّ الله عز وجل الذي يدبِّر الأمر من السماء إلىٰ الأرض، يُفعِّل هذا الكون يُفَعْلِّ مخلوقاته ويمدهم بالحيوية وبالحياة، كل شيء بأمره يديره يفعِّله من السماء إلىٰ الأرض، يمده بالطاقة والحياة (هذا ويعمل المفاعل النووي، أو المفاعل الذرِّي علىٰ تفعيل المادة، وذلك عن طريق رفع حرارتها، إلىٰ درجات عالية وكبيرة جداً، آلاف الدرجات، ولمدد طويلة، بحيث تتحول مباني ذرات المادة، من ذرات لمعادن خسيسة أو رخيصة، مثل الحديد، لتتحول إلىٰ ذراتٍ لمعادن ثمينة، وباهظة مثل الذهب، وأكثر من ذلك فإذا استمر التسخين للمعدن في المفاعل النووي، فإنه بالإمكان تحويل هذا المعدن إلىٰ أشعّة حرارية أو ضوئية؛ ومعروفٌ أن كمية صغيرة من معدن اليورانيوم المخصَّب يمكن أن تأخذ سفينة فضائية إلىٰ القمر، وتعود بها إلىٰ الأرض وأن كمية صغيرة من اليورانيوم كافية لإضاءة مدينة بأكملها) وهذا قريبٌ جداً من معنىٰ التَدَبّر، إن التدبر في المعنى العربي يعني التفعّل، أو أن تَنْفَعِلَ بالقرآن العظيم، أي أن تتحول من كائن عادي إلىٰ أن تكون مشعاً ومضيئاً، وأن تضيء كل من اقترب منك، أو نظر إليك، أن تمده بالطاقة والحيوية، هكذا كان الرسول ﷺ وهكذا كان الصحابة الكرام، لأن القرآن بالأساس هو الجامع ومنبع الحركة ومركز وبؤرة التفعيل للكون، ولجميع المخلوقات، وهو أشبه بالمولِّد للطاقة وللحيوية وللعلم، والممد لجميع مخلوقات الله ومن خلاله يتم الدفع

المعنىٰ، المعنىٰ العربي للمفردات، والتأويل العربي الحقيقي للنص العربي، والدلالة المبينة المباشرة للآيات الكريمة، لقد عملت التفاسير علىٰ إبعاد العقل وتشتيته في مسارات أُخَرْ، أخرجته عن السبيل الطبيعي المؤدي مباشرة إلىٰ روح النص، وبعد، فهل هذه هي وظيفة التاريخ؟ وهل هذه هي وظيفة التفسير؟.

والتحريك الإيجابي لا السلبي القرآن ليس ورقاتٍ مكتوباً عليها بين دفتين (القرآن ناموس الكون) والفرن العالي، الذي تتجوهر فيه النفوس والأرواح والعقول والأفهام إن من يقرأ القرآن ومن يحمل القرآن، ومن يجمع القرآن، ومن يرتل القرآن، عليه أن يكون مركزاً مشعّاً ومضيئاً ومنيراً ومعلماً رائداً عَلَمَاً ومحط أنظار، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ليؤمكم أقرأكم للقرآن، وأقرأكم يعني أجمعكم، وأجمعكم يعني أوعاكم، وأفهمكم للقرآن، إن قارئ القرآن، إذا كان صادقاً في تَدَبّرِهِ للقرآن الكريم، فإن الله تعالى سيُفعّله، وسيجعل منه عالماً، وعالماً كبيراً، وسيفتح عليه وسيمده بالفهم وبالعلم الشامل وبالذكاء والمعرفة والقوة، إن القرآن العظيم مفاعل نووي، بل هو أكبر مفاعل نووي في العالم، يُفَعِلُ مخلوقات الله يُخرجها من الظلمات إلىٰ النور، إذا عرفنا كيف نفهمه يرجع الفضل، جميعه، إلىٰ القرآن الكريم، فلولا القرآن الكريم لبقي الناسُ في كل المجتمعات، علىٰ حالتهم الأولىٰ، ومعروف أن احتكاك أوربة بالمسلمين، والأساس هو القرآن، كان هو الشرارة الأولىٰ التي أشعلت التقدم العلمي والمعرفي عند الغربيين في كل المجالات، والذين صاروا يرفلون به الآن، ويستعلون به علىٰ باقي مخلوقات الله في العالم؛ إن القرآن الكريم هو الذي فتح الباب، وهو الذي أنار في العيون وفي البصائر، لا أديسون، ولولا القرآن لبقي الرومان روماناً، والبيزنطيون بيزنطيين، بدائيين ليس إِلَّا[1]، وقد أُبعد العرب عن الفهم الحقيقي للقرآن ، فلم يتمكنوا إلىٰ الآن من التفاعل أو التَفَعّل، ولا استطاعوا، إلىٰ الآن، أن يستمدوا الدفقات من كتاب الله، القرآن، ولا يزالون يمضون وقتهم في تجويد وتعلم التجويد؛ وبالمناسبة فقد أمرنا ربنا بالترتيل وليس بالتجويد، وكان علم التجويد

---

(١) إن أوربة التي أخذت من العرب المسلمين كل أسباب البناء، واستفادت من العلوم العربية الإسلامية في الطبيعة والكون، إلىٰ أقصىٰ الدرجات، لأن ذلك كان ضرورياً لهم، لبقاء أجسادهم في القسم البارد من الكرة الأرضية، وتوفير سعادتهم فيها؛ أما الروح، فإنّ الروح هي في مستوىٰ رفيع جداً لم تتهيّأ أوربة لتفهمه، وتوفيره لنفسها، وذلك من مأدبة القرآن الكريم، ومن سرادق الإسلام، الدين السماوي العظيم، (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين) مرجع سابق.

قد بدأ مع مجموعة من العميان في العصر العباسي، الذين كانوا يبحثون عن عملٍ أو مهنةٍ، يتكسبون أو كانوا منها يسترزقون، فكان أن أجادوا فن تجويد القرآن الكريم، ثم نشأت المدارس، وصارَ لهذا الفن معلمون لتعليم التجويد وقواعد التجويد، وتحول الأمر إلىٰ هدف أساسي وقبل ذلك لم يكن هذا الموضوع هاماً، ولا مطروقاً، ولا هو محبذ في حياة العرب والمسلمين، إذ تكرست حياة المسلمين لهذا الهدف؛ بينما لم يكن قبل ذلك يشكلُ شيئاً أساسياً، ولا يجوز أن يكون التجويد بأي حال بديلاً عن الترتيل؛ الترتيل الذي أمر به الله تعالى، إنه الترتيل الموصل إلىٰ الفهم ونذكر هنا أن الترتيل أمرٌ قديم أمر به الله كل الأمم السابقة، ولاتزال آثار وبقايا آثار هذا الأمر الإلهي موجودة لدىٰ النصارىٰ، في الكنائس بشكلٍ ملحوظ، وهي تنبينا عن أنها كان لها أصلٌ في اللسان العربي المبين! وكذلك يمكن ملاحظة الملاحظة نفسها، في عبادات وصلوات العديد من الديانات الأرضية المنتشرة في الهند وبلاد الفرس والصين وحتىٰ (الأنكا) والهنود الحمر، سيلاحظ أنهم جميعاً يرتلون، عند قراءة نصوصهم الدينية؛ إن الترتيل أمرٌ إلهي منذ الأزل، وقد انحرف هذا الأمر عن أصله العربي المبين، مثلما انحرفت باقي الأوامر؛ أشتاتاً أشتاتاً، كان الهدف من الترتيل العربي تعميق أثر المعنى للّفظ، وجعله يملأ الكيان كيان قارئه وكيان سامعه تاركاً أثراً لا يمحى، ومحولاً النفس الإنسانية إلىٰ طاقة إيجابية عاملة وبناءة، لا خاملة؛ ولا بائسة ولا يائسة، ولم يكن الغرض منه تجميل اللفظ أو بعث النشوة أو الغبطة والسرور، وكذلك لم يكن الأمر أمر قراءة القرآن الكريم، وقفاً علىٰ المناسبات كما يفعل التجويد، إن الترتيل ترتيل القرآن يعني قراءة القرآن كما نزل، كما كان يقرأه الرسول ﷺ كما قرأه جبريل عليه الصلاة والسلام، كما سمعه من الله تعالى إن الترتيل أن يقرأ القرآن وأن يكون القرآن دائماً رطباً كما نزل. إن الترتيل يعمِّق الفهم والوعي العربي للنص العربي، فـ(العرب) مفهومٌ يدل على الأشياء الواردة أو المنزَّلة من الله سبحانه وتعالى دون تدخل البشر فيها....

أو أنها كانت قبل تدخل الناس فيها، قبل خلطها أو قبل دمجها بغيرها كانت ((تتصف بالعروبة)).. وهي التي خلقها الله تعالى من قبل، من حيث الطريقة في الحياة، وهي تلك التي بقيت نقيّة طاهرةً صافية على الفطرة، أي أنها بقيت كما خلقها الإله رب العزة، ولذلك نقول (الحصان العربي) و(الجمل العربي) ذو السنام الواحد، و(الشجرة العربية) عن النخيل؛ و(الطب العربي) و(الصمغ العربي) و(السمن العربي) عن الطب القديم والتقليدي أي قبل تدخل البشر؛ ... كما هو (الفرآن العر بي العظيم) و(الحكم العربي) و(اللسان العربي) و(النبي العربي) وهكذا فإن مدلول لفظ (عربي) يدل على الفطرة الأولى وهي صفة لما كان لا يزال على الفطرة كما خلقه الله سبحانه وتعالى، وهو دلالةٌ على الطبيعة الأساسيّة، وفي المعاجم الكثير من الصفحات التي فيها شروحات توضح ذلك.. ففي (القرآن العربي العظيم) قد ورد مفهوم (عرب) بمختلف الصيغ إحدى عشر مرّة، ومرة واحدةً (عُرُباً أترابا) وهم أهل الجنة في الجنّة، وقد ورد لفظ (أعراب) إحدى عشرة مرّة ! وفي كلٍ من (لسان العرب) لأبن منظور، وفي (تاج العروس للفيروز أبادي) أكثر من أربعين صفحة تتحدث عن مفهوم العروبة؛

إنَّ لفظ (الأعراب) يُقصد به نفيُّ الصفة العربية وإنكارها عن الموصوف الذي كان يدَّعي أنه (عربي)؛ بينما سلوكه يدل على عكس ذلك!!! فالأعراب يقطنون الأرض العربية ويتحدثون باللغة العربيّة؛ ولكنهم للأسف الشديد، فإنَّ طريقتهم في الحياة مختلفة عن الطريقة الربانيّة الأساسيّة عن طريقة (العرب) وهم على العكس من ذلك تماماً.

إنهم يسلكون سلوكاً مختلفاً! غير رباني؛ سلوكاً تمليه المصالح والأهواء والدوافع الخاصةّ وقد خضعوا للشيطان! إنهم لم يعودوا ((عرباً))؛ لقد أصبحوا (أعراباً) لقد خرجوا من ((دائرة العروبة الربانيّة)) على الرغم من لون جلدتهم العربي وعن لغوهم باللغة العربيّة

والواقع فإنَّ مفهوم (الأعراب) مفهوماً قرآنياً ولم يكن موجوداً قبل القرآن العظم؛ ولم يعرف الأدب العربي مفهوم (الأعراب) إلا بعد نزول الوحي على الرسول محمداً صلى الله عليه وسلّم، وفي العصر العباسي استخدمت (الشعوبيّة) التي تَحَكَّمَتْ في ـ الفترة العباسيّة ـ بالدولة والحياة والدين؛ ولا تزال إلى يومنا هذا تهيمن على الثقافة والعلم والتاريخ العربي، فإنها لا تزال تقول عن العرب أعراباً ... إمعاناً في الإساءة للعرب الربانيين، وذلك إمعاناً في عدائهم الصريح للعرب، كذلك فإنَّ الكثيرون الكتاب العرب والمسلمين يقلدون في ذلك الشعوبيّة المعادية للعرب ولدين العرب ويخلطون كما تخلط الشعوبيّة جهالةً منهم [1] قوله تعالى (لقومٍ يعلمون) [1]

١ـ إنَّ الفرق بين مفهوم (عرب) ومفهوم (أعراب) ورد في اللسان العربي المبين، ؟! فـ(العرب) مفهومٌ يدل على الأشياء الواردة أو المنزَّلة من الله سبحانه وتعالى دون تدخل البشر فيها.... أو أنها كانت قبل تدخل الناس فيها، قبل خلطها أو قبل دمجها بغيرها كانت ((تتصف بالعروبة)).. وهي التي خلقها الله تعالى من قبل، من حيث الطريقة في الحياة، وهي تلك التي بقيت نقيّة طاهرةً صافية على الفطرة، أي أنها بقيت كما خلقها الإله رب العزة، ولذلك نقول (الحصان العربي) و(الجمل العربي) ذو السنام الواحد، و(الشجرة العربية) عن النخيل؛ و(الطب العربي) و(الصمغ العربي) و(السمن العربي) عن الطب القديم والتقليدي أي قبل تدخل البشر؛ ... كما هو (الفرآن العر بي العظيم) و(الحكم العربي) و(اللسان العربي) و(النبي العربي) وهكذا فإن مدلول لفظ (عربي) يدل على الفطرة الأولى وهي صفة لما كان لا يزال على الفطرة كما خلقه الله سبحانه وتعالى، وهو دلالةٌ على الطبيعة الأساسيّة، وفي المعاجم الكثير من الصفحات التي فيها شروحات توضح ذلك.. ففي (القرآن العربي العظيم) قد ورد مفهوم (عرب) بمختلف الصيغ إحدى عشر مرّة، ومرة واحدةً (عُرُباً أترابا) وهم أهل الجنة في الجنّة، وقد ورد لفظ (أعراب) إحدى عشرة مرّة ! وفي كلٍ من (لسان العرب) لأبن منظور، وفي (تاج العروس للفيروز أبادي) أكثر من أربعين صفحة تتحدث عن مفهوم العروبة؛

بينما لفظ (الأعراب) يُقصد به نفيُّ هذه الصفة وإنكارها عن الموصوف الذي كان يدَّعي أنه (عربي) بينما سلوكه يدل على عكس ذلك!!! فالأعراب يقطنون الأرض العربية ويتحدثون باللغة العربيّة؛ ولكنهم للأسف الشديد فإنَّ طريقتهم في الحياة مختلفة عن الطريقة الربانيّة الأساسيّة عن طريقة (العرب)، وهم على العكس من ذلك تماماً، إنهم يسلكون سلوكاً مختلفاً! غير رباني؛ سلوكاً تمليه المصالح والأهواء والدوافع الخاصةّ وقد خضعوا للشيطان! إنهم لم يعودوا عرباً؛ لقد أصبحوا (أعراباً) لقد خرجوا من ((دائرة العروبة الربانيّة)) على الرغم من لون جلدتهم العربي وعن لغوهم باللغة العربيّة .... والواقع فإنَّ مفهوم

الأعراب مفهوماً قرآنياً ولم يكن موجوداً قبل القرآن؛ ولم يعرف الأدب العربي مفهوم الأعراب إلا بعد نزول الوحي على السول محمداً صلى الله عليه وسلّم، وفي العر العباسي استخدمت الشعوبيّة التي تحكمت في الفترة العباسيّة بالدولة والحياة والدين ولا تزال إلى يومنا هذا تهيمن على الثقافة والعلم والتاريخ العربي فإنها لا تزال تقول عن العرب أعراباً ... إمعاناً في الإساءة للعرب الربانيين، وذلك إمعاناً في عدائهم الصريح للعرب، كذلك فإنَّ الكثيرين من الكتاب العرب والمسلمين يقلدون في ذلك الشعوبيّة المعادية للعرب ولدين العرب؛ ويخلطون كما تخلط الشعوبيّة جهالةً منهم .. (وظلم ذوي القربى أشد مضاضةً) .

١ ـ (مفهوم العلم) قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤) ﴾ [الرحمن: ٤] فالعلم هو تنزيل الآيات وجعلها علامات في الحياة تدل على الطريق وتهدي إلى الحق، والعلم أيضاً ما يثبت وقوعه بالواقع كحقيقة مستمرة متكررة وثابتة في الحياة وذلك بالتجربة، وفي المختبر أيضاً، بينما في الآية الكريم فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد (علَّم القرآن) قبل خلق الإنسان، وفي ما بعد فقد عَلَمَ الله سبحانه وتعالى الإنسانَ (البيان) أي الكيفيَّة التي سيتعامل بها الإنسانُ مع العلامات، أي الآيات والدلالات الواضحة المعلمة في هذا الكون العظيم والدالة على الطريق القويم.

وقد ذكر في القرآن الكريم لفظ (علم) ١٢ مرة، وفي مختلف الصيغ الأخرى (٧٧٧) سبعمائة وسبع وسبعون مرة، وهي دائماً تشير وتدل وتعني وتشتمل على معنى العمل والعمق والأعلى والدعوة والعالم والعام والعلامات والاعلان والاشتهار والعلانية، فالعلم هو الشيء الذي يخضع أو ينتج عن التجارب العلمية، في المختبر أو في الحياة ويشعرنا بالثقة، والعلم هو الذي يحدد الاحتمالات الأكثر رجوحاً في المستقبل، وسوف تزداد قيمة هكذا علم كلما اثبت قدرته على تنبيهنا إلى الاحتمالات التي لم تكن بديهيّة (بالنسبة لنا) وذلك لو غضضنا الطرف عنها وقصرنا – في رؤيتنا للأمور – على ما نلمسه في واقعنا الراهن، ولكن المستقبل لم يعد يحتمل أن يترك للمجهول، بل أصبح من الواجب على كل عربي مسلم يفكر أو يعقل أو يعي، أن يحدد تصوراً علمياً واضح المعالم والملامح للمستقبل وأن يحاول إدراكه، وبقدر وضوح الرؤية، للخطط والخطوط العريضة وحتى التفصيلات الجزئية وامتدادها إلى مسافات زمنية أبعد مستقبلاً، وبقدر تنمية مقدراتنا على إثرائها بتفاصيل دقيقة ومحددة علمياً سيتحقق النصر والنجاح وتجاوز الحاضر، والحضارة والحضور البشري إنما يبدأ بالعلم بالبيان، أي بفهمه للآيات المنتشرة والمنشورة، ويتبدى ذلك من استيعاب التجربة، وهذه صفة العقلاء والمتفكرين والراسخين في العلم أصحاب اليقين، أصحاب البيان، الذين أوتوا الحكمة، فلقد خلق الله تعالى الإنسان وعلمه البيان، لم يُعَلِّم اللهُ تعالى البيانَ لغير الإنسان، من الكائنات (لذلك كان الإنسان كيانا بذاته) فمفهوم (العلم) و(العالم) يعمل في البرانيّة (الظاهر)، بينما (المُصلح) يعمل في الأنفس الإنسانية الدخيلة أو (الجوانية) القابلة للوعي (نفوس أبناء الأمة والوطن) والوعي يولِّدُ الانبعاث والتجدد ويؤدي إلى القوة والنمو المطرد، وسيكَوُّن الوعيُ بالطبع فيما إذا كان مُخطط له، فإنه سيشكل رؤيا وطابعاً عاماً يطبع الحياة، إنَّ الوعي هو الذي سيصلنا بالفكرة الصحيحة الموجودة في العقل المُفكر قبْلاً.

إننا نخدم أنفسنا من خلال الانتباه لقوة عقلنا، يجب أن ننتبه لآيات الله تعالى، المنتشرة في هذا الكون، وأن نلحظها بجوارحنا ووجداننا، وأن نعيها ونفهمها، وأن نعلم أنَّ الثقة والإيمان بالله تعالى طريق كل نجاح ومدخلاً لكل انتصار، فالأساس أن يكونَ كل مبحثٍ علميٍ عبارة عن (فكر منظم) و(عقل يتحرك)، لأنه بالإضافة إلى كونه نشاطٌ عقليٌ وفكريٌ بالغ الرقي ويهدف إلى المعالي من الأمور[1]، فإنَّ من أهم سماته أنه ينبع من الإحساس والشعور الباطني والتأمُّل، وهو مبنيٌّ على التحليل العلمي، ويقوم على اهتمام وانتباه ووعي من الباحث للآليات والإجراءات التي تجعل من بحثه موضوعاً مرتباً ومنظَّماً... وليس اعتباطياً ولا عشوائياً، وهو لا يرمي إلى تحقيق الأهداف دون تخطيط مسبق أو إعداد؛ بل يتوصل إلى النتائج من خلال الخُطى الحثيثة والمدروسة باتجاه الهدف المحدد.

إنَّ مفهوم العالم أو (البرفسور) في الجامعات الأوربية وأمريكا تعني الشخص الذي حصل على الدكتوراه منذ أكثر من عشر سنوات وقد أمضاها في التدريس في الجامعات ومعاهد الأبحاث، وكانت له اسهامات واضحة وابحاث واكتشافات علمية بارزة، بحيث أنه أضاف شيئاً جديداً إلى المجال الذي تخصص به من فروع البحث العلمي، تُرى ما هو مفهوم (العالم) في الدول العربية؟ لأنّ طرح السؤال بشكلٍ خاطئ يوصل دائماً إلى نتائج كثيرة خاطئة، وأن طرح السؤال بشكلٍ صحيح يؤدي دائماً إلى نتيجة واحدة صحيحة، وأنّ الفكر النيِّر هو الخير العميم وأن العِلمَ فيه مفاتيح الحرية، وتاريخ العلم الحقيقي الإبداعي يعلمنا أن جميع الباحثين الحقيقيين أصحاب النظريات الخلاقة، كانوا وإبان طرحهم لأفكارهم قد تعرضوا للكثير من النقد والرفض ولربما تعرضوا للسب والشتم والاعتداء وأكثرهم ماتوا فقراء معدمين منبوذين من مجتمعاتهم)[1] إنَّ المدخل الحقيقي للعلم يتجلى في (النباهة) وسرعة البديهة وحسن التصرف والأدب الجم والذكاء الحاد والقدرة على الربط بين المعلومات الصحيحة والاستنتاجات الموائمة والخروج بالنتائج المفيدة للناس، فالعلم بجوهره جاهزية فكرية وعملٌ مضني ومستمر، وليس العلم مجرد ذاكرة تستوعب أو تجمع المعلومات، والعالم ليس فجرد فأرٍ في المكتبات[1]، ولكن من الذي قال بأنَّ العالم هو مجرد وعاء للعلم وغير ملزم بالتفكير، أو أنه مجرد ناقل أمين للمعلومات، حيادي سلبي وغير منحاز ؟!

فالعلم لا يتأتى بمجرد خلع الصفات على الشخصيات، والدعاية الاعلامية لها أو لكونها مشتهرة واسعة الانتشار؛ وليس ولم يكن (العلم) بمجرد حمل الكتب المجلدة أو حفظها وقراءتها أبداً وهو لا يتأتى لكون الإنسان طاعناً بالسن، ولا بلبس المئزر ووضع العمامة، ولا بالمداومة على حضور الحلقات الصوفية والسلفية أو الشيعيّة أبداً، وبالتأكيد فإنَّ المفهوم القديم للعلم لم يعد في هذه الأيام يُقنع العاقلين ولا حتى الأطفال منهم، وخصوصاً الذي ينصُّ على أن العلم بالنقل وليس بالعقل!

والعلم إضافة إلى أنه يعمل على توطيد علاقة الطفل بوطنه وأمته وزرع الثقة به، مع تعميق انتمائه للمجموعة، والتأكيد باستمرار على حاجة الوطن والأمة إلى هذا الطفل الإنسان، وانتظار أمته له ولجهوده الفكرية والعملية والأمل به وبمستقبله، وتوظيف كافة التطلعات والأهداف لدى الأطفال عند اطلاعهم على العلوم المختلفة، وربطها مع تطلعات الآخرين، وتعويد الأطفال منذ نعومة أظفارهم على (الشعور والحس الوطني المشترك) وتأجيج المشاعر الوطنية لديهم.

قال تعالى: ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾: فالذي لا يسمع ينقطع عن الحق، وعن الأمر كله؛ إنَّ القرآن العظيم للناس جميعاً فهو بشيراً للمؤمنين، ونذيراً (للكافرين والملحدين) وفيه ترغيب وترهيب، لكنَّ أكثر الناس قد أعرضوا عنه أو عن الالتفات إليه، فلم يستجيبوا إليه كبشيرٍ ونذير، ولقد أمعنوا في ضياعهم وابتعادهم عنه، لد أصموا آذاهم وسدوها عن سماع الحق، ونذيراً قوله تعالى (بشيراً ونذيراً) أي دافعاً إلى الحق فهو إماماً منيراً مصباحاً يشق الطريق في الأمام، وهو دافعاً يدفع الناس ويحثهم من الخلف، قوله تعالى (فأعرض أكثرهم) أي أعرض أكثرهم عن سماع الحق، وعن اتباعهم للحق، لأنهم عن عمدٍ قد قطعوا اتصالهم بالحق؛ وقرروا عدم سماع الحق، وقد اعتادوا على الباطل وادمنوه وأدمنوا الوضع القائم، مع أنه باطل وخطأ، قوله تعالى: (لا يسمعون) أي لا يعلمون ما هو الضروري وما هو الهام والمهم لهم؛ فالسمع هو الحاسَّة الأساسيّة والضرورية والهامة للفهم والوعي والانتباه والإدراك، وبعد ذلك يأتي البصر، و(بشيراً ونذيراً) أنَّ البشرى والنُذُر هو ما يُميز آيات الكتاب العظيم؛ والبشير والنذير كلتا الحالين مهمة جداً

وفي المحيط: عَلِمَهُ: عَرَفَهُ، وعَلِمَ هو في نفسِه، ورَجُلٌ عالِمٌ وعَلِيمٌ، وعَلَّمَهُ العِلْمَ تَعْليماً وعِلاَّماً، وأعْلَمَهُ إياهُ فَتَعَلَّمَهُ، والتِّعْلامَةُ: العالِمُ جِدّاً، والنَّسَّابَةُ. وعالَمَهُ فَعَلَمَهُ كنَصَرَهُ: غَلَبَهُ عِلْماً، وعَلِمَ به: شَعَرَ به، والأَمْرَ: أتْقَنَهُ، كتَعَلَّمَهُ، والعُلْمَةُ، بالضم وعَلَمَهُ: وسَمَهُ، والعَلامَةُ: السِّمَةُ، كعَلَّمَها، والفصلُ بينَ الأَرْضَيْنِ، ومَنْصوبٌ في الطَّريقِ يُهْتَدى به، كالعَلَمِ فيهما. والعَلَمُ، محرَّكةً: الجَبَلُ الطويلُ، أو عامٌّ، ج: أعْلامٌ وعِلامٌ، ورَسْمُ الثَّوْب ورَقْمُهُ، والرَّايَةُ، وما يُعْقَدُ على الرُّمْحِ، وسَيِّدُ القومِ، ج: أعْلامٌ، ومَعْلَمُ الشيءِ كمَقْعَدِ: مَظِنَّتُه، والعَلْمِ ما يُسْتَدَلُّ به، والعالَمُ: الخَلْقُ كُلُّهُ، أو ما حَواهُ بَطْنُ الفَلَكِ، ولا يُجْمَعُ فاعَلٌ بالواوِ والنونِ غَيْرُهُ وغَيْرُ باسَمٍ. وتَعالَمَهُ الجَميعُ: عَلِموهُ، والعُلامِيُّ، بالضم: الخَفِيفُ الذَّكيُّ والعَلْماءُ: الدِّرْعُ، واعْتَلَمَهُ: عَلِمَهُ.)

لا يمكن أن نطلق صفة (العلميّة) على الأبحاث المدمرة أو غير الأخلاقيّة أو التي لا تبحث في الأمور التنموية والمفيدة لحياة البشر، أو التي لا تهدف من حيث النتيجة إلى ما يفيد الناس! فكلُّ بحثٍ غير إيجابي وغير منتج ولا يهدف في نهايته إلى المعالي من الأمور (الرقي والحضارة)، فهو بالمفهوم العلمي بحثٌ غير علمي.

لكل إنسان المؤمن والكافر معاً؛ فلا غنىً لكل إنسان، من أجل كماله؛ عن البشير والنذير معاً، إنه بهما معاً يستدِّلُ على الطريق ويصل إلى الحق والخير، وبغيرهما ينحرف ويضل الطريق؛ وهي أبرز مهماتها (الآيات) التي هي للناس كافةً، والغريب أنَّ أكثر الناس الذي تولوا عنها وأعرضوا عن سماعها وأداروا ظهرهم لها، فإنهم لم يلاحظوا تلك الميزات في الآيات الواضحة والُمعلنة؛ فهو دعوة إلى الحق، ولكن الذين لا يسمعون يحدث بينهم وبين العالم من حولهم (فجوة) تسبب انقطاعاً، وبالتالي فإنَّ عملهم وسلوكهم في هذه الحياة سيكون مخالفاً ومنحرفاً عن الحق وما يدعو إليه.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝ ﴾ : وقوله تعالى: (ومن بيننا وبينك حجاب) فإنَّ (من) هي للابتداء الغاية، والمعنى أنَّ الحجاب كائنٌ ابتداءً منا وابتداءً منك؛ والمسافة بيننا مستوعبةٌ وهي مسدودةٌ لا فراغ فيها، وهي تشير إلى نبوِّ أسماعهم عن سماع الحق وادراكه، ومجهم له وامتناع تواصلهم معه، لقد ارادوا تبرير انحرافهم عن الحق واتباعهم للباطل، فادعوا أن عقولهم وأفهامهم موجودةٌ في صناديق مغلقةٌ ومقفلةٌ، لا يمكن فتحها، وهي لا تُفتح بسهولةٍ، إنهم يُبررون عدم سماعهم للحق وعدم استجابتهم للحق، وعدم انتباههم للنداء الرباني، بآنَّ آذانهم مسدودة نهائياً، وأنَّ بينهم وبين الحق حواجز كثيرةٍ، أخيراً وعندما حصلت المواجهة المتصاعدة والتي احتدمت بينهم وبين الحق، قالوا للحق وباستهتار وتحدي واضح (أوضح تعندهم وتعنتهم): أنْ أعمل ما تراه مناسباً لك، ونحن أيضاً سنعمل ما نراه ومنسباً لنا ولمصالحنا؛ وقوله تعالى (فاعمل إنا عاملون): أي اعمل لغايتك ولما تدعو إليه، إننا عاملون لغايتنا وعلى ما نحن عليه؛ وقوله تعالى: (قلوبنا في أكنَّة) أي دواخلنا مطمئنةٌ لواقعنا هذا، ونحن في أمان وسلام من خلال معتقداتنا الحاليّة؛ التي سبق وأن ألفناها

وتعودنا عليها وانسجمنا معها.. وهي تملأ علينا حياتنا، ونحن لسنا على استعدادٍ للإيمان أو التصديق بما جئتنا به من الحق، وأنَّ ستاراً سميكاً وحاجزاً مرتفعاً، وانسداداً في الرؤية أمامهم، وتملؤهم الأغلال والقيود النفسيّة والعقليّة ؛ وقالوا ومن الواضح أنهم ليسوا على استعداد ولا مجال مطلقاً للإيمان ليؤمنوا بما جئت به من الحق؛ لذلك فلسانُ حالهم يقول دعنا على طريقتنا وابقى أنت على طريقتك! وليعمل كلٌ منا بما يراه مناسباً له ولحياته؛ يعني أنهم إنما يريدون أن يعدموا الهدف من الرسالة والوحي، لقد قطعوا ـ عن عمدٍ ـ كل اتصالٍ لهم بالحق؛ وقرروا عدم سماع الحق، وقد اعتادوا على الباطل وادمنوا الوضع الخطأ؛

قوله تعالى : (كتابٌ فصلت آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون) أي كتابٌ اتخذت في آياته القرارات والأحكام القطعيّة والفاصلة والنهائيّة التي لا رجعة فيها، وهذه الآيات ربانيّة فطريّة طبيعيّة سنة الله تعالى في خلقه، وهي قديمةٌ أزليةٌ لا يمكن أن تتغير أو أن تتبدل، وهي موجهةٌ إلى قومٍ وإلى أناسٍ يعلمون ، أي يستوعبون أو المفروض أنهم يستوعبون؛ كون هذه الآيات فيها إنذار خطير وبشرى عظيمة، لكن المفاجأة الكبرى للعقل والمنطق البشري، أنَّ أكثرهم قد أعرضوا عن البُشرى والنذارة وقد تبين بالواقع أنَّ أكثرهم كانوا لا يسمعون ولا يعقلون أساساً فلا يسمعون الإنذار ولا يلتفتون إلى البشرى، لأنَّ لسان حالهم يدلُّ على أن قلوبهم متحجرة وقاسية وهي في منأى، فلا يصل إليها النداء، ولا الإنذار ولا البشير وأنَّ آذنهم مسدودة. وفي المقابل قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ (الكافرون) .

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ﴾: قل (إنما) (إنَّ ـ ما) الأولى: تشير إلى الأساس الحق، وهو

أنه (النبي)، أنه كله صلى الله عليه وسلم مجرد بشر مثلهم (وإنَّ) هنا للقضية الشخصية، وإنَّ (إنَّ ـ ما) إنَّ للتوكيد والتأكيد الشديد، و(ما) للشمول وهي هنا تشمل جميع ما أُحِيَ به إليه، وإنَّ القضية منحصرةً في ماأُوحِيَ به إليه، أنه من عند الله تعالى، وقوله تعالى: (أنما) الثانية للقضية الأساسية والعامة (أنَّ ما) إلهكم إلهٌ واحد، فيها تأكيد على وحدة الإله العظيم، وأنه تعالى واحدٌ لا شريك له، وأنه إله للعالمين، {قل (إنما) الأولى تعني الاشتمال والإجمال للأمر كله، وهو أن الرسول ليس إلا مجرد بشرٌ مثل كل البشر، ولكن يوحى إليه؛ فهنالك بشرٌ كثيرون، لكنكم تستمعون لما يقوله الرسول لأنه يوحى إليه؛ بينما قوله تعالى: (أَنما) إلهكم إلهٌ واحد، أي ليس لديكم بالأساس غير إله واحد تعبدونه، وأنه واحد لا شريك له، الأمر هنا فيه نفي مطلق للتعدد، لقد امر الرسول الأعظم وكذلك المؤمنون من بعده بأن يقولوا، ورداً على مواقف الناس الذين لا يعلمون أن يقولوا (إنما أنا بشرٌ مثلكم) : (قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إلهٌ واحدٌ فاستقيموا إليه واستغفروه وويلٌ للمشركين) أي المطلوب بشكل رئيسي هو عدم تعدد الآلهة، وأنَّ عليهم التوحيد، توحيد الآلهة وتوحيد المجتمع وتوحيد الكلمة بين الناس وعدم الاختلاف، و(فاستقيموا إليه) أي كونوا على سراطه المستقيم واستغفروه؛ أي اعملوا بما أمركم به ولا تتشتتوا في الدروب المضلة والأوهام، واطلبوا من الله تعالى وحده الدعم والتأييد، فقط منه لا من غيره، وويلٌ للمشركين، أي اكد لهم بسلوكك العملي أنك مجرد بشرٍ مثلهم من لحمٍ ودم؛ ولكن أكد لهم أيضاً؛ أنَّ القضية الأساسيّة ... هي أنك إنما تتلقى وحياً من الله تعالى، وهذا الوحي يقضي بأنَّ الناس جميعاً قويهم وضعيفهم، غنيهم وفقيرهم، كبيرهم وصغيرهم، نساؤهم ورجالهم، الأسود والأبيض منهم، وفي جميع الأمم وفي جميع العصور، إنما إلههم جميعاً إلهٌ واحد، فإنه لا إله غيره سبحانه وتعالى، وأنه لا إله لهم سواه عز وجل، لذلك فإنَّ عليهم جميعاً أن يستقيموا

إليه، وباتجاهه، وأن لا يختلفوا فيما بينهم، وأن لا يستنكفون عن عبادته وطاعته، وأن لا يشركوا به شيئاً، (أنما إلهكم إلهٌ واحد) وأنَّ لا إله لكم إلا الله تعالى، وأنَّ جميع الآلهة التي تتخذونها ليست بشيء وأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له، والوَحْيُ: الإِشارة والكتابة والرِّسالة والإِلْهام والكلام الخَفِيُّ، وكلُّ ما أَلقيته إِلى غيرك. يقال: وحَيْتُ إِليه الكلامَ وأَوْحَيْتُ. ووَحَى وَحْياً وأَوْحَى أَيضاً أَي كتب؛ والوَحْيُ: المكتوب والكِتاب أَيضاً، وفي التنزيل العزيز: وأَوْحى ربك إِلى النَّحْل، وفيه: بأَنَّ ربك أَوْحى لها؛ أَي إِليها، فمعنى هذا أَمرها، ووَحَى في هذا المعنى؛ وأَوْحى: أَوْمَأَ، وفي التنزيل العزيز: فأَوْحى إِليهم أَنْ سَبِّحوا بُكْرَة وعَشِيّاً؛ أَي أَشار إِليهم، والوَحْيُ: ما يُوحِيه اللهُ إِلى أَنْبيائه. وقال الزجاج في قوله تعالى: وإِذْ أَوْحَيْتُ إِلى الحَوارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بي وبرسُولي؛ قال بعضهم: أَلْهَمْتُهم وأَمرتهم؛ وقال الله عز وجل: وأَوْحَيْنا إِلى أُمِّ موسى أَن أَرْضِعِيه؛ قال: الوَحْيُ ههنا إِلقاءُ الله في قلبِها ، قال: وما بعد هذا يدل، والله أَعلم، على أَنه وَحْيٌ من الله على جهة الإِعلامِ للضَّمانِ لها: إِنَّا رادُّوه إِليك وجاعلوه من المرسلين؛ وقيل: إِنَّ معنى الوَحْي ههنا الإِلهام، قال: وجائز أَن يُلْقِيَ الله في قلبها أَنه مردود إِليها وأَنه يكون مرسلاً، ولكن الإِعلام أَبين في معنى الوحي ههنا . قال أَبو إِسحق: وأَصل الوحي في اللغة كلها إِعلام في خَفاء، ولذلك صار الإِلهام يسمى وَحْياً؛ قال الأَزهري: وكذلك الإِشارةُ والإِيماءُ يسمى وَحْياً والكتابة تسمى وحياً. وقال الله عز وجل: وما كان لِبَشر أَن يُكَلِّمَه الله إِلا وَحْياً أَو من وراء حِجاب؛ معناه إِلا أَن يُوحيَ إِليه وَحْياً فيُعْلِمَه بما يَعْلمُ البَشَرُ أَنه أَعْلَمَه، إِما إِلهاماً أَو رؤْيا، وإِما أَن يُنزل عليه كتاباً كما أُنزِل على موسى، أَو قرآناً يُتْلى عليه كما أَنْزَله على سيدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه وسلم ، وكل هذا إِعْلامٌ وإِن اختلَفت أَسبابُ الإِعلامِ فيها[1].

---

١ – ١ إن سورة النجم تَقُصُّ على الناس قصّة الرؤية الحقة، التي من الله تعالى، والتي تعقب التفكير الساعي إلى الحق. فالتفكير

عملية ذاتيّة ذهنيّة قائمة على التركيز، والتعاطي مع الوحيٌ والإيحاء، والالهام الوارد من الله تعالى، وفيها تدفُّقٌ وتكرار إيحاء وتنوُّع في الصورة والرأي، والتفكِّيك والتحليل للمفاهيم والألفاظ، ولما تحتويه من المعاني والمضامين والصور، ثمَّ ربطها وتركيبها تركيباً منطقياً بنَّاءً إيجابيّاً واعياً ومفيداً، ثمَّ أنَّ من أغراضها الخطاب، والتواصل مع الأخر (علماً أن ماهية الألفاظ هي الأعماق التي يَعْبُرُ إليها المفكرون المؤمنون متجاوزين شكلانيَّة الأحرف أو حتى تموضعها، فالقرآن الكريم كان قد نَزَلَ وهو يتنزَّل بالمضامين، وذلك على الرغم من المشاغبات الكثيرة؛ ولم يُنَزَّل برسم محدد للحروف ولا للقراءة؛ بل تُرك رسم الحروف والقراءة موضوعاً طبيعيّاً للناس) واللغة ليست كتابةً للأحرف ورسماً لأشكالها ولا هي لهجةٌ محددةٌ فحسب، بل هي ألفاظٌ ومفاهيم ومضامين ومكونات تكوِّن الذات الداخليّة للفرد والمجتمع، ونقصد الألفاظ والمفاهيم والصور والصيغ التي تحمل بالأساس روح الأمة وماضيها ونَفَسَها، فاللغة (المفاهيم) تحدد طبيعة التفاهم وشكله ومستواه الحضاري في أيِّ مجتمع، ويجب أن لا تكون خشبيةً وغريبةً وصعبة، ولكنه (التفكير) حتى ينتصر على القيود الإقليدية المقيِّدة وعلى القواعد المكبِّلة، فإنه يحتاج على الدوام إلى قدرةٍ وإرادةٍ وإدارةٍ وقيادة ذاتيّةٍ هائلةٍ وثقة بالنفس، والفرق شاسعٌ وواسعٌ بين الخطاب الذي يكون من العقل للعقل، وبين مجرد النداء أو الصوت الذي يُصات أو يخرج من الفم إلى صيوان الأذن؛ ولذلك فإنَّ (التفكير) يحتاج باستمرارٍ إلى طاقةٍ عاليةٍ وعُلْيَة مستمدَّةٍ، ونهرٍ ومددٍ لا ينقطع ولا ينضب من خالق هذا الكون ﷻ، والعلم والفهم والقدرة على تلقي ما يُوحى والإلهام، والتفقُّهِ والتفقيه والتوجُّه والتوجيه منه سبحانه وتعالى.

إنَّ الإنسان الواعي المِقْدام يُوجِّهُ إلى عقله الباطن أوامرَ واضحة ويُلزمه بالحق، فإذا تعثر الإنجاز نتيجة الظروف وفي فترة ما، فمن المفروض أن يكون الانسانُ مهيأ دائماً لتجاوز العقبات ولإعادة التشكيل والمواكبة والمتابعة، ولأنَّ قضية الحرية واحدة، وهي مستمرة لا تتوقف، فوجود النكسات والعقبات شيءٌ طبيعي؛ ولكن النصر للحق حتميٌ، إن التخطيط والتنظيم والاعداد والتوضيب والتهيئة أمرٌ أهم بكثير من الانجاز النهائي أو تحقيق الهدف، بل هو الإنجاز بحد ذاته، لأنَّ المفكرين يؤمنون بأن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة، وأنَّ عود ثقابٍ صغير يمكن أن يشعل بيدراً بأكمله؛ إن الآراء الفاسدة تسبب للإنسان الكوارث والدمار، للأفراد والمجتمع، ولكنَّ الرأي الصحيح هو الذي يُسَطِّرُ مفاهيمه وفق الحق، وهو الذي كوَّنَ الأمم وأنتج الحضارات للبشرية في جميع العصور.

إن الفكر هو خروج اللامرئي والكامن والهائل من الأعماق وتكوُّنه من جديد (تحويل الضمني إلى صريح) لذلك يجب التركيز على الدوافع النفسية والإلهامات والإيحاءات الربانية (الوحي والإلهام: إحدى حالتين يصادفهما كل إنسان في الحياة، أثناء سعيِّه وتفكُّرِهِ، وهو تلقي من عالم الوجود، إنه يصادفُ حالة الفجور وحالة التقوى، وعليه أن يختار كسلوك إمّا الفجور أو التقوى، والمؤمن بتوفيقٍ من الله تعالى ولأنه عاقل، فإنه يزكي (يطهر) نفسه ذاتياً ويبادر لاختيار التقوى أي الصلاح دائماً، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ [الشمس: ٩].

وقوله تعالى(فاستقيموا إليه): أي وجهوا أنظاركم إليه دائماً، وتوجهوا إيه دائماً، ولا تميلوا عن سبيله، فتطلعوا إليه وراقبوه واسمعوا أوامره واستجيبوا إليه، فلا تخالفوه ولا تختلفوا فيما بينكم، وانتظروا منه لا من غيره، واجعلوه تعالى مقصداً لكم جميعاً، وقوله تعالى: (واستغفروه) أي اطلبوا منه عز وجل المغفرة لما فرط منكم من الذنوب حال كونك أشركتم به، فاجتهدوا في أعمالكم في الحياة لتقديم الأحسن والأفضل والصالح والمفيد، تبتغون فيه وجه الله تعالى، فتستغفرون فيه لكم وللمؤمنين كافة (المؤمن يعمل بشكل جماعي) ولمنفعة الجماعة، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ محمد. فالمؤمن العاقل ينطلق للعمل وهو يشعر بالأسف على ما فات من الضياعات...، إنه حتى يكون إيجابياً باستمرار فإنه عليه دائماً أن يشعر نفسه بالتقصير مع الله تعالى...لكي يدفعها للعمل والاجتهاد والمثابرة على العمل والصلاح والاحسان دون كللٍ ولا ملل، وهذا الشعور إيجابيٌ بناء ومنتج ومُفعِّل، يبعد النفس عن الركون للأهواء (فالمتسابق في حلبة السباق، إذا ما شعر بأنه انتصر؛ بقرب وصوله للنهاية، فلربما دعته نفسه إلى الخمول والتراخي، أما إذا كان يُشعر نفسه بالتقصير دائماً لتبقى متحفزةً وتبذلُ على الدوام قُصار جهدها) الشعور بالنصر قد يؤدي إلى غرور النفس والتباطؤ بالحركة والتراخي بالعمل وإلى التحول عن الجدية.

بينما إشعار النفس الدائم بالنقص والتقصير يحفز على استمرار بذلِ الجهد وتكرار المحاولة والجدَّية، الكلام في هذه الآية موجهٌ لكل مؤمن وصَلَتْهُ الرسالة، بأنَّ عليه أن يؤمن؛ وأن يبادر للعمل، وأن يبذل أقصى ما يستطيع للتحضير لموعد قيامها، وأن يجتهد لذلك جاءت:

(فأعلم) هنا فعل أمر[1] أي: أعمل وجسِّد ذلك عملياً ... واجعله سلوكاً لك، وقوله تعالى: (فاعلم) أي عليك عملياً، ومن الآن فصاعداً أن تتأكد وأن تكون على ثقةٍ بأنه ليس هنالك

١ ـ قوله تعالى: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فهذا الخطاب الجليل والعظيم ليس ولم يكن للرسول الكريم فحسب، كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسرين، وإنما (قُلْ) هنا، فعل أمر موجه إلى كل مؤمن، في كل زمان وكل مكان، منذ سيدنا آدم إلى يوم يبعثون، لذلك فإن﴿قل هو اللهُ أحد﴾ هذا الأمر قديم جداً، وقد أُمِرَ به جميعَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فأمروا بها أممهم من لدن أدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى سيدنا محمد خاتم المرسلين، وهي هنا للتنفيذ العملي والامتثال التطبيقي لأوامر الله سبحانه وتعالى التي وردت في متن كتابه الكريم، وليست هنا لمجرد الكلام فقط؛ **قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون* كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون* إنَّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ﴾** (٢-٤الصف) وهذا الأمر أمرٌ دائم لا يتوقف ولا ينتهي على مر الزمن موجه إلى كل مؤمن، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها، وقل هو الله أحد أمرٌ إلهيٌ ينطوي على مجازٍ وأبعادٍ وأعماقٍ مطلقةٍ غير محدودة ولا مُقَيَّدَةٍ، وهي هنا لا تعني مجرد الذكر باللسان؛ فهنالك آياتٍ أخرى كثيرة في القرآن الكريم تحضنا على الذكر وعلى أهمية التسبيح، وهنالك فرق بيِّن وواضح في اللسان العربي المبين بين الذكر والتسبيح بالقلب واللسان؛ وبين القول الذي من شروطه أن يتبعه الفعل إن لم يكن هو الفعل في حد ذاته !

إنَّ وجود هذا الأمر الجليل والعظيم ﴿قل هو الله أحد﴾في خاتمة كتاب الله الكريم، مع أنَّ هذا الأمر، موجودٌ في كل سورة من القرآن الكريم وفي كل أية من أول القرآن الكريم إلى خاتمته وهي تدعونا إلى توحيد الله تعالى، وتشير علينا ويأمرنا الله سبحانه وتعالى في مسك الختام بالقول الفعَّال والانفعال بها في القرآن العظيم دون غيره، أن يصبح القرآن الكريم لا غير هو سلوكنا وخُلقنا وطريقة حياتنا ومنهاج عملنا وتعاملنا مع أنفسنا ومع الآخرين وأن يكون فهمُنا وعلمُنا وفكرُنا منطَلِقاً من أقوى قوةٍ في هذا العالم، من القرآن العظيم، ويأمرُنا بتنفيذ أوامره وتحقيقها عملياً وحياتياً على الأرض؛ والانتهاء عن نواهيه، والالتزام بحديد القرآن العظيم ومحدداته الكمالية المجيدة ، فالقول هنا من القيام، القيام بالامتثال وبالتنفيذ والتجسيد والتحقيق العملي لما هو مسطورٌ في القرآن المجيد وتجسيده أفعالاً في الحياة وليس (قل) هنا ليست لمجرد التفوُّه والكلام والذكر، والذكر فقط كما ذهب إلى ذلك أكثر المفسرين من الصوفية والسلفية والشيعة؛ بل هنالك آيات كثيرة في القرآن الكريم غير هذه الآية تحضُّ على الذكر، وكذلك فإن لفظ ﴿ أَلله أحد ﴾١ تعني الحالة التطبيقية التنفيّذية الجهادية العملية؛ ولم يكن المقصود منها هنا الصفة النظرية كما لو كانت تعني الله واحد، بل هنالك فرق في الفهم العربي بين أن تقول (الله واحد) وبين أن تقول (الله أحد) كذلك فإنَّ كل أمرٍ بالمعروف وكل نهيٍ عن المنكر في القرآن الكريم هو أمر عام ويشمل جميع المسلمين. من آدم عليه السلام إلى يوم يُبعثون، ولهذا كان الختام في كتاب الله هو التأكيد على ذلك وتكريسه وجوباً، فحوى لكل ما هو موجودٌ في القرآن الكريم بين دفتيه والله أعلم، وقل تعني: في اللسان العربي المبين: صيغة أمر بمعنى افعل ، ونفِّذ ، ومارس، وأعمل وكان يقال لملوك اليمن الأقيال لأن أقوالهم كانت تُنَفّذُ فوراً وتتحول إلى أفعال؛

من إله غير الله سبحانه وتعالى، ولذلك فعليك أن تطلب منه، ومنه فقط؛ أن يغفر أخطاءك وأخطاء المؤمنين والمؤمنات، والله سبحانه وتعالى يعلم، وهو مطلق العلم بماضيكم وحاضركم ومستقبلكم، وبالتالي فهو تعالى يعلم أحوالكم الثابتة والمتحولة؛ والمتغيرة والمستقرّة؛ و(فاعلموا) أي كونوا على علمٍ ومتأكدين وعلى ثقةٍ ... وايقنوا وسلموا واطلبوا من الله سبحانه وتعالى المغفرة والسماح واطيعوه عملياً، من خلال العمل الصالح والسلوك الحسن، لعله يمحو للناس أخطاءهم التي صدرت عنهم في ما مضى عندما كانوا في ضلال وضياع، ويتجاوز عنها قال تعالى: ؛ وهذا خطابٌ موجهٌ إلى كل مؤمن، وفيه أمرٌ له بأن يفتح ذهنه وينتبه ويعي ويدرك بأنه ليس هنالك إلا إلهٌ واحدٌ وهو اللهُ سبحانهُ وتعالى، وأنَّ عليه أن يبدأ (كل مؤمن) بالتفعيل والتفكير عملياً وانتاجياً بهذا الاتجاه، وأن يجعله منطلقاً له في كل أمر؛ وأن يعمل جاهداً لمنفعة المؤمنين والمؤمنات، جميع المؤمنين، ويجسد ذلك بالعمل والانتاجيّة وليس نظرياً (لأنَّ أمر الاستغفار ليس نظرياً) وأن يتمنى لهم جميعاً الخير دائماً وأن يدعو الله تعالى أن يغفر له أخطاءه وأن يدعوا الله تعالى ليغفر اللهُ تعالى أخطاء المؤمنين والمؤمنات، ثم أنه عليه أن يدرك أيضاً أن الله تعالى يعلم ومذكورٌ في كتابه السرمدي متقلب أحوال الناس جميعاً مبتدأهم وخبرهم[1] وقوله تعالى (لذنبك وللمؤمنين) يدل على أنَّ المؤمن يستغفر لذنبه عن نفسه ولعامة المؤمنين، فلمؤمن ليس شخصاً منعزلاً وهو لا يعيش وحيداً بل هو كيان اجتماعي دائم الصلة مع الآخرين، تنبع صلته مع الاخرين من صلته بالله تعالى، وقوله تعالى (فأعلم) أي أن القرآن العظيم العلم فيه ليس قضية معلومات نظرية أبداً ...

١ ـ ذنب: الذَّنْبُ: الإِثْمُ والجُرْمُ والمعصية، والجمعُ ذُنوبٌ، وذُنُوباتٌ جمعُ الجمع، والأَذْنابُ: الأَتْباعُ، جمعُ ذَنَبٍ، كأَنهم في مُقابِلِ الرُّؤُوسِ، وهم المقَدَّمون. والذُّنابَى: الأَتْباعُ، وأَذْنابُ الأُمورِ: مآخيرُها، على الـمَثَلِ أَيضاً. والذَّانِبُ: التَّابِـعُ للشيءِ على أَثَرِهِ؛ يقال: هو يَذْنِـبُه أَي يَتْبَعُهُ؛ قال الكلابي: وجاءَتِ الخيلُ، جَمِـيعاً، تَذْنِـبُهْ واسْتَذْنَبَه: تلا ذَنَبَه فلم يفارقْ أَثَرَه. والـمُسْتَذْنِبُ: الذي يكون عند أَذنابِ الإِبلِ، لا يفارق أَثَرَها؛

وإنما هو أمرٌ تنفيذيٌ عمليٌ انتاجيٌ ايجابيٌ حيويٌ مفيد باستمرار، يقالُ أنَّ الفرق بين المآل والصَير، آتٍ من الفرق في المرجع لكل طائفة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَـٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾: والواقع فإن الحياة في الدنيا ليست منفصلةً عن الآخرة، كما يتصورها البعض، بل هي امتدادٌ لها ومتصلة بها اتصالا وثيقاً، وكل ما نفعله في الدنيا سيستمر تأثيره إلى الآخرة؛ وكل ما سنجده في الآخرة إنما هو استمرارٌ لما قدمته أيدينا في الحياة الدنيا، ففي الدنيا مقدمات الآخرة، والآخرة إنما هي نتائج تلك المقدمات؛ والفرق كبير جداً ـ في هذه الحياة المتصلة ـ بين المؤمن الحق، وبين غيره من الكفّار والمشركين والمنافقين، لأنَّ الإيمان عبارة عن حركةٌ فعَّالة متقدمةٌ موجبةٌ، مثمرة منتجة، متصلة دائماً، جوهرية أساسية أصيلة غير محدودة؛ وموضوعةٌ على الهدى، متنامية وتتجه باستمرار إلى الحق، وكلُّ مؤمنٍ يجب أن يكون في حياته إماماً وقائداً ورائداً حراً بناءً وفعَّالاً، كيِّساً فطناً صادقاً شجاعاً وكريماً، ويرتكز في أحكامه على القرآن العظيم، يستقي ويستمد منه العلم والعقل، دائم الإحسان ويعمل الصالحات، ويعلِّم الناس الخير، وهو بالنسبة لهم يجب أن يبقى مركزاً للأمر والأمان والثقة المطلقة.

و(الكفر) وهو نكران الحق، و(الاشرك) وهو التعدد والتشتت والضياع واختلاط وخلط في الأهداف والغايات؛ و(النِفاق) وهو المؤامرة ومحاولة الختل والمكر والإيهام والخديعة، والكفر والإشراك والنفاق؛ إنما هي أشكالٌ متعددة لمضمون سلبي واحد، مؤداه إلى حالةٍ

من التقاعس والبوار والسلبية المقيتة والشح[1] بينما الإيمان النظري؛ شكلاني يتصف بالسلبيّة والمحدوديّة والانقطاع، وهو منغلق على نفسه غير مثمر ولا منتج على الإطلاق، يراوح في مكانه ويدور حول نفسه، متقوقع مضمحل خامل، تفوح منه على الدوام رائحة الكسل والخمول والبخل الشديد، مأزوم ومهزوم رعديد وجبان، تتولَّد منه ويخلف المآسي والمحن، ودائماً هو منشغلٌ وفي حالة دفاعٍ عن نفسه؛ لأنه خالي الوفاض[2]، قوله تعالى: (وويلٌ للمشركين): ثمّ أن الله تعالى قد هدد المعاندين المصرين على الشرك وتوعدهم بقوله تعالى وويلٌ للمشركين، وقد وصفهم (الذين لا يؤتون الزكاة) أي هم الذين ليس منهم نفع مطلقاً، قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾ (الماعون)، فالزكاة هي الطهارة وهي الطهارة للنفس، قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ

١ ـ الشُّحُّ والشَّحُّ: البُخْلُ، والضم أَعلى؛ وقيل: هو البخل مع حِرْصٍ؛ وفي الحديث: إِياكم والشُّحَّ الشُّحُّ أَشدُّ البخل، وهو أَبلغ في المنع من البخل؛ وقيل: البخل في أَفراد الأُمور وآحادها، والشح عام؛ وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف؛ وقد شَحَحْتَ تَشُحُّ وشَحِحْتَ، بالكسر، ورجل شَحِيحٌ وشَحاحٌ من قوم أَشِحَّةٍ وأَشِحَّاء وشِحَاح؛ وقوله تعالى: سَلَقُوكم بأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً على الخير أَي خاطبوكم أَشدَّ مخاطبةٍ وهم أَشِحَّةٌ على المال والغنيمة؛ والخيرُ: المالُ ههنا. ونفس شَحَّة: شَحِيحة؛ والشُّحُّ: حِرْصُ النفس على ما ملكت وبخلها به، وما جاء في التنزيل من الشُّحِّ، فهذا معناه كقوله تعالى: ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأُولئك هم المفلحون؛ وقوله: وأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ؛ قال الأَزهري في قوله: ومن يوق شح نفسه فأُولئك هم المفلحون؛ أَي من أَخرج زكاته وعف عن المال الذي لا يحل له، فقد وُقِيَ شُحَّ نفسه؛ وفي الحديث: بَرِئَ من الشُّحِّ من أَدَّى الزكاة وقَرَى الضَّيْفَ وأَعطى في النائبة؛ وفي الحديث: أَن تتصدق وأَنت شَحِيح صَحيح تَأْمُلُ البقاء وتَخْشى الفقر؛ والشَّحْشَحُ والشَّحْشاحُ: الممسك البخيل؛ ورجل شَحْشَحٌ: سَيِّءُ الخُلُق؛ لسان العرب لأبن منظور.

٢ ـ يقال للمكان الذي يُمْسِك الماء الوِفاضُ والمَسَكُ والمَساكُ، فإِذا لم يُمْسِكْ فهو مَسْهَبٌ. الوِفاضُ: الوِفاضُ الجلدة التي توضع تحت الرَّحى. وِقاية ثِفالِ الرَّحى، والجمع وُفُضٌ؛ والوَفْضةُ: خَرِيطةٌ يَحْمِلُ فيها الرَّاعي أَداتَه وزاده. والوَفْضةُ: جَعْبةُ السِّهامِ إِذا كانت من أَدَمٍ لا خشبَ فيها تشبيهاً بذلك، والجمع وِفاضٌ. وفي الصحاح: والوَفْضةُ شيء كالجَعْبَةِ من أَدَمٍ ليس فيها خشب؛ لسان العرب لأبن منظور.

لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾: (الأثيم) الكثير الإثم، الفاجر، المعاند الذي يكون مع الباطل والمعادي للحق جهاراً نهاراً، المستمر في عناده، لا يعود للحق مع رؤيته للحق؛ وهو مرتكب الذنب عن سابق إصرار [١] فإنه على الرغم من سماعه ورؤيته للآيات، فإنه يُصِرُّ ويقيم بعناده الشديد على رأيه في الكفر وعلى نكرانه للحق وتجاوزه له، وعدم الاعتراف به؛ متعاظماً بنفسه عن الانقياد للحق، استكباراً وتجبراً، فهو يتمادى بفكره ونكرانه للحق متعاظماً لنفسه، ولأهوائه عن اتباع الحق، لذلك استحق أولئك المعاندون (الويل) فالويل هو العذاب الخاص، والمخصص لتلك الفئة من الكفار، وهو العذاب الشديد، إنه يعني أشد أنواع العذاب، فهو دون أي رأفة ودون أي رحمة؛ ذلك أنَّ المكذبين كانوا أعتى أنواع الكفّار بحيث كانوا يرون الحق ويحيدون عنه، وقد مارسوا أشد وأقسى أنواع الكبائر وهو الكذب والجحود والبهتان، و(الويل) هو العذاب المضاعف، الشاق الشديد، وهو خاص بالذين مارسوا في حياتهم ظلم الناس، وكانوا قد أساؤوا عمداً؛ وهم القاسية قلوبهم من ذكر الله تعالى، المجرمون الجاحدون لآيات الله تعالى، والكذب هو أكبر وأسوأ كبيرة، ويتصف أصحابه بقساوة قلوبهم، لذلك فسيكون الويل لهم! والإِفْك: الكذب. وأَفَكَ الناسَ: كَذَبَهُمْ وحدَّثهم بالباطل، قال: فيكون أَفَكَ وأَفَكْتُه مثل كَذَب وكَذَبْته. الإِفْكُ في الأَصل الكذب والإِفْك: الإِثم.

هل آن الأوان ليدرك العرب المسلمون مطلع الألفية الثالثة أن الفتوحات العقلية والفكرية هي أهم بكثير ويجب أن تتحقق قبل سعيهم إلى الفتوحات العسكرية وأن

---

١ ـ الإِثْمُ: الذَّنْبُ، وهو أَن يعمَل ما لا يَحِلُّ له. وفي التنزيل العزيز: والإِثْمَ والبَغْيَ بغير الحَقّ. وقوله عز وجل: فإِن عُثِر على أَنَّهما استَحقّا إِثْماً؛ أَي ما أُثِم فيه. وقوله عز وجل: إِنَ شَجرَةَ الزَّقُّوم طَعامُ الأَثِيم؛ قال الفراء: الأَثِيمُ الفاجر، وأَثُومٌ من قوْم أُثُمٍ؛ التهذيب: الأَثِيمُ في هذه الآية بمعنى الآثِم. يقال: آثَمَهُ اللهُ يُؤْثمه، على أَفْعَله، أَي جعله آثِماً وأَلفاه آثِماً. وهو فَعِيل من الإِثم. والمَأْثَم: الأَثَامُ، وجمعه المَآثِم. (لسان العرب)

الوصول إلى تحقيق النجاح والتفوق والنصر والانتصار يجب أن يكون أولا في الفكر والعقل والوجدان وهذا أولى بل ويجب أن يسبق في الأولوية هدفهم في السعي إلى تحقيق الانتصارات العسكرية على أرض المعركة مع الأهمية البالغة للانتصار العسكري على العدو في أرض المعركة وإلا فما الجدوى من انتصار الحمقى والمجانين والمغيبين والمغفلين وفاقدي الوعي والفهم متى سيدرك العرب المسلمون أن القيمة الحقيقية للإنسان كانت دائما في إيمانه بالله العظيم وأنه لا دنيا لمن لا يحيي دينه وإن إحياء الدين لدى الإنسان يكون في تجليات أدائه لضروب الواجب تجاه المجتمع والناس، وحمل القضايا الوطنية بكل صدق وأمانة والدفاع عنها في كل موقع وفي كل محفل، وأن العبادات كلها كانت مفتاحا لذلك ومدخلا يوجب على الإنسان الولوج منه إلى أعلى مستويات الإحسان وأنه لادين للمنقطع ولادين للمنبت وأن بطن الأرض أولى بأولئك الذين لايملكون المشاعر والأحاسيس الوطنية مع الدين السماوي وليس لديهم روح الثورة ضد الظلم وضد التخلف وضد الأعداء وضد القيود المقيدة للحرية الربانية العادلة وأن كثيرا من الأحياء هم بالحقيقة أموات يمشون على الأرض وأن بعض الأموات بالواقع هم الأحياء!

السيرة النبوية العطرة

القرآن العربي المبين، العرب الذين كانوا يفهمونه فهماً، كان دائماً ينحى المنحى الجميل وذلك على عكس الأخذ الأعجمي الجبري غير المبين فكيف آلت السيرة النبوية على يد ابن اسحاق وابن سعد وصولاً إلى عبقريات العقاد [١] والذي أضاف إلى الركام ركام؛ فتحولت السيرة إلى مجرد رواية أشبه بسيرة عنتر وأبو زيد الهلالي؛ غير مثمرة وغير فاعلة وغير منتجة فهي، هذه الروايات بإسلوبها الميت، وخلال خمسة عشر قرناً، خلال كل تلك المسافة التي فصلتنا عن العصر الأموي فإن السيرة لم تنتج عملياً إلا الهباب ولم تعطي لأجيال العرب المسلمين إلا الخمول والتواكل والنزاع والاختلاف والتخاصم والافتراق والعداء بين الفرقاء المفترقين والذين أساسهم جميعاً عرب موحدين! وقد آن الأوان للعرب المسلمين لأن يعيدوا النظر في الأسلوب الذي كتبت فيه تلك السِيَر والذي لم يكن ذا جدوى أبداً وخلال ثلاثة عشر قرناً [٢]، في حين أن السيرة النبوية المعظمة المفروض أن تكون مشعلاً يُشعِّل

---

(١) ولاريب أنَّ طريق التغريب هو ما بعثه المستشرقون وحملوا عليه تلاميذتهم ومن استهواهم عملهم ومن حول المنهج القرآني، والمنهج الفلسفي، ونجد ذلك الخلاف الواضح بين ما كتبه عباس محمود العقاد، في كتابه الفلسفة القرآنية وردَّ عليه في ذلك الدكتور محمد أحمد الغمراوي حيث يقول:(ينبغي أن ينتبه المسلم إلى أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام؛ فالعقاد ابن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شيء كثير، وليس كل ما كتبه المستشرقون عن الإسلام يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب تتفق وما قرره القرآن الكريم،لكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد! فهو ينظر إلى القرآن الكريم من خلال ما أعتقد منها ويبدو أن من بين ما أعتقدهُ العقاد نظرية (فريزر) في نشوء الأديان، فهي عنده(الأديان) ليست سماوية ولكن أرضية (بما فيها الإسلام!) نشأت بالتطور والترقي إلى الأحسن! ومن هنا تفصيل العقاد للإسلام على الأديان فهو أخرها وإذاً فهو خير؛ ومن هنا تفضيله ما سماه الفلسفة القرآنية على غيرها من الفلسفات، إن لم يكن هذا هو تفسيرُ إطلاقِ اسميه (العنوانين) الغريبين على كتابيه (عبقرية محمد) و(الفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغي أن ينتبه إليه القارىء عن كتاب من التبعية إلى الأصالة أنور الجندي١٩٧٧م

(٢) ومثلاً على ذلك فإنه عندما تولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلافة المسلمين فقد شكل مباشرة مجلساً الأهل الحل والعقد من الذين بقوا أحياء من أهل بدر، الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، امتثالاً للنص القرآني الذين وعدهم الله سبحانه وتعالى بالنصر والفتح القريب وقد كان سيدنا عمر بن الخطاب يؤثرهم ويتفاءل بهم في كل شيء ويستشيرهم ويجعل منهم الأمراء والقادة في كل مكانٍ وزمانٍ يتواجدون به؛ وخصوصاً في المعارك و المواجهات مع الأعداء، ولذلك فإن سيدنا عمر بن الخطاب أمر بأن يكون سيدنا أبو عبيدة بن الجراح هو الأمير في معركة اليرموك

وليس سيدنا خالد بن الوليد لأن سيدنا أبو عبيدة بن الجراح كان بدرياً وخالد بن الوليد لم يكن بدرياً.. رضي الله عنهم أجمعين، فكيف رويت السير وتناقلتها الأجيال بعنعناتها! وفيها أن سيدنا عمر بن الخطاب كان حاقداً على سيدنا خالد بن الوليد وأن هذا الحقد كان من زمن الجاهلية وصوروا للأجيال أن سيدنا عمر قد جرد سيدنا خالد من منصبه حقداً عليه وعملوا للقصة ذيول طويلة وتخيلات لا تنتهي؟ وأيضاً فإنَّ ما صار يُدعى بقصة (فدك) فإنها برمتها مختلقة مع ما لها من ذيول وتخرصات وتخيلات كلها موضوعة وموظفة لتخدم منهاجاً شعوبياً محدداً ومرصوداً كان قصده التشويه والإساءة وكانت القصة من أساسها مختلقة لا وجود لها على الإطلاق، مثل ما روجوا لقضيةٍ كانت مختلقة ومفتعلة أيضاً وجيروا لها آيات القرآن الكريم عندما أرادوا تعليل أو أختلاق أسباب لنزول الآيات، الأمر الذي لم يكن مطلوباً ولا مفيداً إلا للحاقدين الشعوبيين ونسوا أو تناسوا أن القرآن العظيم هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي في اللوح المحفوظ! وهي القضية أو الكذبة التاريخية التي أرادوا بها الإساءة إلى ذات للرسول الأعظم ﷺ وحياته وصحابته الكرام.. القصة التي اختلقوها عن السيدة عائشة رضي الله عتها زوجة الرسول الأعظم ﷺ بقصد إلحاق الأذى برسالة الإسلام وثلمها وخرمها وتشويهها وتلطيخ صورتها النقية الطاهرة المضيئة،وقالوا بأنَّ سورة براءة نزلت بخصوص تلك الحادثة التي لم تحدث أصلاً ولا حصلت أساساً إلا في عقول أولئك الخونة الغادرين الذين تعمدوا الإساءة لمجد الرسالة الربانية الطاهرة والدليل هو أن الله سبحانه وتعالى قد قال لنبيه ﷺ ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [المائدة:٦٧]، فكيف تتصورون أن تكون العصمة من الناس التي تكفل بها الله سبحته وتعالى لنبييه، ألم تكن عامة وشاملة هل سيسمح رب العالمين لتجري مقاديره جلا جلاله باتجاه تشويه صورة نبيه ورسوله وصحابته الكرام عبر التاريخ؛ الذين وعدهم رب العهالميين بالحسنيين، وكان قد غفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر آلا ساء ما يتخيلون وساء ما يفترون، فهذه المفتريات التي وضعت في العصر الفاطمي والبيوهي والصفوي قد دخلت في عصور الإنحطاط كتب ومناهج الجهلة من أهل الشيعة والسنة أيضاً؛وهي مفتراة من أساسها والله المستعان.

وذلك تماماً كما دخلت عليهم الكثير الكثير من القصص والأساطير القديمة التي افتراها اليهود لأفشال الإسلام وإجهاض مسيرته وتدمير مستواه العظيم، وباتوا يعتقدون بها جازمين وهي غير صحيحة بالمطلق ولم تحدث أبداً من مثل قصة شق الصدر التي كان أصلها اسطورة قديمة موجودة في كتب الأساطير والآلهة القديمة وهي قصة خاصة بالمتخلفين والمعاقين ولم يكن الإسلام المتقدم؛ إسلام الفكر والعقل إسلام الحضور الراقي للقيم العليا، هذا الإسلام العربي الذي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الأساطير التي هي من لوازم التخلف الحسي وحالة الجهل الذهني والنفسي والضياع المدمر للعقل البشري. والتي ليس لها مبرر أبداً فالدين الراقي والإيمان الراقي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الترهات أبداً، ولكنها من لوازم الجهل والجاهلين! للأسف الشديد والغريب أن الوعاظ وعلماء العامة يؤكدون عليها ويتشدقون بها من على المنابر وفي المجالس دون وعي لسبة آثار مثل هذه الوايات على عقول الأجيال، ما يؤدي إلى شلل العقول وتلف الأفكار والعجز الكامل والعقم، والعامة من الناس لا تدرك أن هذه الروايات أصلها موجود في أساطير ما قبل التاريخ وقصصها الوثنية، كذلك القصص التي اخترعوها عن أن الرسول ﷺ قد تعرض للسحر أو للتسمم، كل ذلك كان افتراء بافتراء كان قد وضعه الوضاعون وقد تشربها الجهلة من أهل السنة الذين لم يكونوا ليدركوا فأدخلوها في كتبهم وأصَّلوا لها جهالة منهم وكان من المفروض أن يرفضوها بقضها وقضيضها ومن الأساس لأنها لا تنسجم مع

ويُشَغِّل ويحرك ويُنير ويدفع ويثّور[1] وينوِّر ويفعِّل مخلوقات الله في العالم إيجابياً إلى الأمام والأعلى، فهل كانت السيَّر التقليدية مصممة تصميماً ومفصلة تفصيلاً وعلى مقاسنا لتجعلنا خاملين مرددين نشتهر بالبلادة الفكرية؟ فهل نجحوا بذلك وإلى حدٍ بعيد؟ ولنا أن نتأمل الصوفية والسلفية والشيعة بمختلف أشكالهم، وكذلك كانت التفاسير العديدة والمتعددة التي لا تزال على حالها كما انتجها لنا وكما صمموها لنا وكما فصلها لنا (ابن منبه) و(ابن الكلبي) و(ابن جرير الطبري) أولئك اليهود القادمون من اليمن وطبرستان؛ فكانت تأويلاتهم وتفاسيرهم قيوداً تقيد حركتنا وكمامات تكمم فيها عقولنا في حين حجروا على الأفهام العربية الحرة (والمعروف أنه كانت هنالك وحتى نهاية القرن الثالث الهجري مئات الآراء والأفكار والنظريات والأفهام والتأويلات والشروحات ووجهات النظر العربية كلها تم الحجر عليها وتم محوها وتم تشويهها وتم تبديدها وإضاعتها بشكلٍ قصديٍ ومتعمد لصالح تفسير الطبري ولتتسود أراء بعينها كانت أعجميَّة شعوبية خاطئة وغير صحيحة، حلَّت محل الأصل العربي الصحيح ولم يعلموا أنه عندما يحضر الأصيل في يومٍ من الأيام فسيبطل حتماً عمل الوكيل، وذلك بمشيئة الله وهذا هو الحكم الإلهي القدر الذي لامناص منه، حول فكانت تلك التفاسير وتلك السير لتكون قوالب على مقاسنا المصمم لنا خصيصاً!

الإسلام الصحيح دين الله سبحانه وتعالى وخاتمة رسالاته سبحانه وتعالى ولكن الجاهل يفعل بنفسه أكثر من ما يفعله عدوه به إن الجاهل أقدر على الإضرار بنفسه وهو أخطر على نفسه من عدوه!

(١) الأساس أن تكون الثورات الحقيقية في الحياة الإنسانية هي ثورات الأنبياء والمرسلين والمبعوثين من الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين لينقضوا الواقع السالب الخَرِب الآسن المعتاد ويقلبوه ويغيروه للأفضل؛ وليبنوا للناس مناهج ثورية فذة ترفض العبوديَّة والذل والهوان وتعشق الحرية إلى الله الواحد القهّار ليعلموا الناس الخير، فكيف صوَّروا وأبدلوا للناس وأفهموهم أن الفلاسفة اليهود مثل ماركس ولينين وكاسترو وغيفارا يمكن أن يحلوا محل الأنبياء؟ كيف صوروا لهم وأقنعوهم أن مثل هؤلاء يمكن أن يكونوا بديلاً عن أنبياء الله وأن فلسفاتهم العقيمة يمكن أن تكون بديلاً عن رسالات الله سبحانه وتعالى؟بلى فكل كلمة في القرآن المجيد الأساس أنها ثورة وثورة عارمة ولكن من الذي قرأ القرآن قراءة عربية؟

الضحى

الضحى: الضحى من النهار بعد طلوع الفجر وقبل الظهر، وضحى بنفسه، وقدّم ذبيحة لله تعالى، وبذل تضحية وتبرع من ماله وقدّم من جهده وعلمه لله تعالى،

وحرف (الضاد) يشير دائماً إلى التجميع والتراكم والدفع باتجاهٍ محددٍ كالتضحية والدفاع أو المعاناة، إنه أحياناً يوحي بالضغط والضيق والضياع والبخل ولكنه من جهة أخرى يبهر بكونه عنواناً للضوء فهل كان الضوء انعكاساً للنور المركز الأساسي الله أعلم، وعند البعض تشكل الدفع الشديد غير المحدود، مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهايته وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإن الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، والإضمار من الضمور وهو الهزال والضعف والإخفاء والغياب والضاد مع الدال الطاء التاء من مجموعة واحدة والضاد لها نظير وهو حرف (ظ) (ظلّ – ضلّ) والله أعلم.

ويعتقد أن الألف من الإيلاف، وهو المستقيم، وهو أساس الأحرف كلها، والأحرف كلها أساسها (ألف) ومع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ، وهي غيرها إذا كانت في الوسط، كذلك فإن الحركات الظاهرة والمقدَّرة تؤثرُ في منحى معنى الحرف العربي، وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وهو يشير إلى المبدأ والمصدر والمدلول العام معاً. فكل لفظٍ يُرادُ به القول بأنه المبدأ والمصدر والمدلول العام معاً.

فكل لفظٍ يراد به القول بأنه مبدأ أو مصدر أو أساس أو مدلولاً عاماً فإنه تدخل فيه (الألف) مثل: لفظ الجلالة (الله) وأبٌ وأمٌ وأخٌ[1] وأباريق (من البريق) وإبليس وهو (مبدأ الشرور) في

(١) (يا أخا العرب) و) يا أبن أخي) هذا النداءُ كان متداولاً بين العرب وكثيرُ الاستعمال وشائعٌ لديهم وله مدلول رائع وعظيم يدلُ على أنَّ (صلة الأخوة في مجتمع العروبة) كان لها معنى لم يكن يفتقر إلى مددٍ من القبيلة أو الإقليم أو الحسب

العالم وأخت وأتقاكم واتخذ وأرائك وأمة من (الأم) وهي الأساس والموئل والأمة المثال والنموذج(١) والإلهام من الله وهو ما يُعرَضُ على الإنسان من الخارج أو ما يره وما يسمعهُ وما يُحسهُ وما يُفكر به، كل ذلك بخيره وشره يُعتبر إلهاماً قال تعالى ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝** ﴾ [الشمس:٨]، وموضوع الفرق بين الوحي والإلهام فالوحي من الله ويأتي من داخل الإنسان في اتجاهٍ محدد لاخيار فيه جامعاً مانعاً دافعاً ليس للإنسان خيارٌ في فعلهِ أو عدم فعله بل لابد من فعله فقد أوحى الله ﷻ إلى أم موسى وأوحى لعبده ما أوحى بينما الإلهامُ يختار الإنسان من مادتهِ ما يُناسبث شاكلتهُ من الفجور أو التقوى.

والألف في الألوان (أبيض وأسود) إنما هي مضافةٌ أو زائدة من الأمام وهي للتفضيل والتعميق والتخصيص والذكورة، وتقابلها الألف اللاحقة (بيضاء وسوداء وحمراء وخضراء وزرقاء وصفراء سمراء حولاء حمقاء عيناء) وهي علامة التأنيث والعموميّة والارتباط والتلازم والاستمرارية (الإطلاق) والفوقيّة.وكذلك قولهم عيناء وحسناء وجيداء وكحلاء هذا وقد اتخذت هذه الصيغة تاريخياً (الألف كلاحقة) وضعاً مقدساً أو صارت لدى الشعوب القديمة دلالةً على قداسة الاسماء وإنّ أصل لفظة (داريّا) هو (داريّاء) و(اشبيليا) هو (اشبيلياء) و(طبريّا) هو (طبريّاء) و(سوريا) هي (سورياء) وهي (صورياء) نسبة إلى إمبراطورية (صور) التي قامت في التاريخ القديم وامتدت إلى البحرين وشملت بلاد الشام وغيرها، ولفظة (جلاء) تعبيرٌ يفيد اللاعودة والإطلاق إضافة إلى عمومية في الزوال أو الإزالة المكانية والله أعلم.

أو النسب أو غيره؛ مما يدلُ على أن (رابط العروبة) كانت أقرب إلى الدين الطبيعي (العرف) قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وهي أي العروبة ليست مجرد مألوفات ذهنيّة أو عادات مرعيّة أو تخيلات وأوهام، وإنما هي ما احتضنته بيئتهم وحنت عليه نفوسهم، من القيم والمبادئ والمثل والأخلاق الرفيعة، ولعل (الإخاء) في العروبة على قدمه وما يلزمه من الالتزام؛ ومن النزوع إلى الوحدة (التوحيد) مع الآخرين (النزوع إلى القول الحسن والأعمال الصالحات) فهو يدل على المثالية وهو الشيء الثابت في تاريخ العروبة والزمن العربي المديد.

(١) آن: أمون، وأمونه أسماءٌ شائعة في الريف العربي السوري، وكافة الأرياف العربية، وهي من اللغات والأساطير العربية القديمة وتعني القمر؛

و(الواحد) هو (الأول) وهو (الأحد) ﷻ، و(آدم) هو أول من دب على الأرض وجال فيها وأكل منها هو وزوجه، وآل وآلاء وآية وأمن وأول وابن كلها دلالة على (الألف) الأولوية والبدء؛ والألف في (لا الناهية ولا النافية) لها دور بارز وهو الحسم والوقف والمنع القوي من جهةٍ أعلى للفعل وللعمل الذي تمثله اللام والله أعلم. ولفظ(أَوَّاهْ) أي عائدٌ إلى الله بقوة عائدية؛ وفالق (الإصباح): أي مُحدث الانقلاب والتغيير من حالٍ إلى حال النقيض، إنها قلب الشيء الثابت إلى نقيضه، ولفظ (أرض) المفترض أنه دلالة على البدء الرحب والمنشأ والتكوين والتشكل التام، وأنه كانت فيها البداية (الألف مقدمة)، بينما لفظ (سماء) فدلالة على نهاية الاتجاه أو نهاية المسار وهي فيها النتيجة والمآل وإليها المسير والمصير، وأنَّ فيها النهاية (الألف لاحقة)،

و(الياء) حرف الولادة والحيوية والنمو والحياة والدفع والاندفاع والنداء، وإذا كانت في بداية اللفظ فهو حرف مكاني (مضارعة)، وهو عكس النوم والموت، أما إذا كانت ما قبل الأخير فإنها تشير إلى الديمومة والاستمرارية والملازمة والبقاء في الصفات، زمانياً ومكانياً مثل (جميل) و(حبيب) و(صبيب) و(بخيل)، ولكن (مريج) هل تعني مريب؟

وهي بالإضافة إلى كونها من أحرف العلة! إلا أنها ايضاً حرف التمديد والبقاء والنداء، وحيثما أتت فهي تعبيرٌ عن طول الفترة للفعل أو الاسم والصفة مكانياً وزمانياً، وأوضح مثالٍ على ذلك هو أسماء الله الحسنى: السميع، العليم، الحكيم البصير، العزيز، الحليم، الكبير، العلي، العظيم، الغني، الحسيب، الكبير، القوي، الولي، الحفيظ، الكفيل، وكذلك نقول الجميل والقبيح والصريح والطويل والقصير والرفيع والسمين وإلى آخره فإنَّ إضافة الياء يعني أن اللفظ مستمرٌ وله ديمومة وامتداد والله أعلم، واضافة (حرف الياء) إلى (اللفظ) من الأمام يُفيد الإيحاء بامتداد الفراغ، أما إضافتها في الوسط ما قبل الأخير فإنها توحي بامتداد صلاحية الأحرف الأخرى في اللفظ والله أعلم. ولفظة (يأس) هل تحصل من بعد الأمل ومن بعد التأكد والتحقق والتثبت ثم يأتى الفشل فيكون الآياس واليأس؟

إضاءات وخواطر من سورة (الضحى) المباركة

تشكل السور في القرآن العظيم، الملفات الأساسية التي يجب أن تُنَزّل وتخزّن في وحدات داخل دماغ كل إنسان ليعقل ويفهم ولإعداد النظام فيه؛ ليصبح عاقلاً ومفكراً تفاعلياً منتجاً ومثمِّراً ومفجراً للطاقات المادية والمعنوية المخزّنة فيه اساساً؛ وحتى لا يكون سكونياً سلبياً وخاملاً، بهيمةً تهيم ككل البهائم، دون ارتباطٍ وارتباطٍ تشعبيٍ أَمْثَل، بل ايجابياً بنَّاءً يهدفُ إلى كماله المعنوي والمادي أيضاً؛

فليس هنالك (فكر مجرد) وليس هنالك (عقل مجرد) كما ادعت الفلسفة، وإنما هنالك وحدات ودرجات وصُحُف و(سُوَر) عقلية وفكرية تنزَّلت من السماء، كانت هي (العقل الكلي) و(الفكر الكلي) والعلم السرمدي والموجه الأساسي[1] للإنسان العاقل، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ الرحمن.

أي أنَّ على الإنسان الواعي الطموح للفهم، أن لا يكفَّ عن محاولة الاستبيان والاستدلال من القرآن المنتشر والمُعَلَّم في هذا الكون الواسع، وكان على الإنسان الواعي الحصيف المتأمل، على الدوام، محاولة الاقتباس، اقتباس الملفات من (العقل الكلي)، المنزل من السماء، وتنزيلها على جهازه الخاص، محاولة استيعابها ثم استثمارها والعمل بها.

---

١ ـ ولذلك فإنَّ الاحتكام في القضايا والمشكلات الحياتية يجب أن يكون دائماً للحق المنزَّل من السماء، وليس لما تعتقده أنت أو ما أعتقده أنا... أنه صح أو خطأ ؛ القضية في الحق ليست نسبيّة أبداً، فالعقل ليس عندك ولا هو عندي ولا يمتلكه أحد من البشر، بل هو ما نزل من السماء وهو غير منحاز.

مع التأكيد أنَّ فهم السور في القرآن الكريم يجب أن يكون بعيداً عن التشويش الذي يسببه ما سمي بأسباب النزول! فلا يوجد أسبابٌ لنزول القرآن على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم البتة ولا يجوز.

وقوله تعالى: (وأما بنعمة ربِّكَ فحدِّث) وإن أتت في نهاية سورة (الضحى) المباركة، لكنها والله أعلم، فهي أساساً مَنَاطُ السورةِ ومدارُها والهدف والمآل منها، أن نجعلَ نِعَمَ اللهِ تعالى هي المجال الحيوي والمحرك الرئيسي لدوافعنا وغرائزنا وطموحاتنا ومحطّ آمالنا، ولب كلِّ قضية ومحورها في حياتنا، ومقر ومركز الانشداد والاهتمام للمفكرين المؤمنين الصالحين .

لا الأمور العارضة والآنيَّة الزائلة، الاستهلاكية التي تعمل فقط على تلبية الدوافع والغرائز والأهواء التي لا تنتهي ولا ترتوي حاجاتها ولا تنطفئ طموحاتها وأبداً تسعى للزيادة.[1]

والضُّحَى: (الواو) المراد منها الإشعار بالقوة غير المحدودة للفظ المرافق لها، و(الضحى) وهو الحالُ في الأوج من قمة الوعي والادراك، وهو أعلى مستويات الانتباه والصحوة والحضور، وهو الإقدام، وهو تعاظم النهار والضوءُ واستمراره، ويقابله (الليل): عالم غير المرئيات، أي حالُ عدم وضوح الرؤية، إنه عالم الخفاء والغِيَاب والاستتار، ، وهو الادبار وهو على عكس الإقبال، ومجاله الابتعاد عن الصحوة والوضوح والضياء، فهو عكس الوعي وعكس الادراك وعكس الانتباه، إنه العالم العميق المجهول، وإذا سجى: أي إذا

---

١ ـ حَدَثَ: نقيض قَدُمَ، والحديث نقيض القديم، والحديث الشيء الجديد الذي لم يكن موجوداً، والحَدَثَان مبتدؤه وأوله، والحَدَثُ: الفتى، والإبداءُ والإبداعُ، وكلُّ شيء قريب المدَّة والعهد فهو حَدَثٌ، والحديث: الخبر، والحديث الإجلاء بالصقل والغَسْلَ، والمحدِّثُ: الصادقُ الحَدْسِ والحديث، وهو المُلهَمُ الذي يخبر حَدْثَاً وفِراسَةً، والأحدوثة: ما يُتحدَّثُ به، وهي الأعجوبة، وحَدَثَ الأمر: وَقَعَ. والحثُّ: الاستعجال، والحرثُ العمل والكسبُ.

غطَّى واستغرقَ وطال السكن ودام، والساجي: الكامن المستتر والمتمدِّد والممدود والهادئ والمختفي أو الذي يخفي الأسرار.

لذلك فإن هنالك في الكون ـ بالنسبة للإنسان ـ عالمين اثنين، عالم الضحى وعالم الليل، عالم الحضور وعالم الغياب[1]،

(ما ودَّعَكَ ربُّك): والخطاب أيضاً لكل إنسان في كل زمان ومكان يستعد للفهم، أي ما تركك ربُّكَ ولا انقطع عنك ولا فارقك، وما تخلى عنك أبداً، في جميع تلك الحالات من حالات حياتك، {وتعبير (وما ودَّعَكَ) يعني في اللسان العربي مبالغة في معنى المفارقة} (وما قلى) أي ما ملَّ منك وما بَغَضَكَ ولا استهتر بك ولا استغنى عنك أبداً، ولكن المنطق السليم والحكمة التي يجب تحصيلها، أنه تعالى ينتظر من الإنسان أن يسعى لينال مرتبةً، أن يكون التعويل لديك أيها الإنسان، على الآخرة أي على النتيجة المترتبة على المقدمات والسعي والجهود التي عليك بذلها وتقديمها، وليس على الأولى، أي ليس على البداية والحالة الراهنة، {فالدنيا بأسرها مشوبة بالأكدار منغّصة بالعوارض البشرية، وكانت الحياة فيها كأحلام النائم، أو كظلٍ زائل، وهي طريقٌ للآخرة، وسبباً لنيل ما أعدهُ الله تعالى لعباده الصالحين، من الخير العظيم بما يفعلونه فيها من الأعمال الموجبة للفوز بالجنة وكان فيها خير، فكل حالٍ يزول .. وكل وضعٍ يتغيَّر.. ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، هذا الأمر الذي يجب أن يثق به المؤمن المرتبط بالله العظيم، وهذه هي الحكمة البالغة من الحياة أساساً، أن يثق وأن

---

١ ـ في لسان العرب لأبن منظور مادة (سماء): أنَّ كل ما غاب عنك فهو في سماء. لذلك فإنَّ قوله تعالى: (رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم مؤمنين)٧الدخان، أي أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الربُّ على جميع المجالات والعوالم الحاضرة والغائبة.

يكون على يقين، أنّ الله سبحانه وتعالى لن ينسى أحداً من خلقه، وأنه تعالى من المؤكد أنه سوف يعطي المؤمن حتى يرضى عاجلاً ام آجلاً.

(وللآخرة خيرٌ لك من الأولى): ودائماً اللام في البداية للتوكيد، وهذا تذكيرٌ للإنسان لكل إنسان، أن الحياة بطولها وعرضها عبارة عن مرحلة فيها الكثير من الوهم، وهي مجرد مرحلة وسوف تمضي بكل ما فيها، وأن الآخرة هي الباقية، وبالتالي على العاقل أن يعمل للبناء في تلك الدار الآخرة، وأن يجعلها مجالاً لطموحاته الحقَّة، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ ٦٤غافر.

وتركيب (حتى ترضى) يشير إلى أن (الرضى) أساساً هو الاستقرار الذي يتحقق عند منتهى الطلب لدى الإنسان، أي عندما تُلبى جميع حاجاته، وهو غاية الحركة لديه، ويحدث (الرضى) عندما تهدأ جوارح الإنسان واحاسيسه ودوافعه وغرائزه وتكف عن الطلب وابداء الرغبة في الحاجة إلى المزيد من كل أنواع النِعَم لتلبية تلك الدوافع والغرائز والتي لا تنتهي لديه.

فالرضى، هي الغاية الحقيقية أو الحالة الذي يجب أن يتجه إليها سعيٌّ وحركة الإنسان المؤمن الفاهم والمتفهّم، فالتفكير بها (حالة الرضى) هو الشيء المهم والأهم في القضية، وتكمن فيها السعادة الحقيقية التي ينالها المؤمن الحق عادةً، ويُحرم منها الكافر الظالم المُعاند للحق، وبالتالي على المؤمن أن يتجه إلى تنظيم حياته وترشيد متطلباته، وتهدئة نفسه، واحلال القناعة الطبيعية الرشيدة مكان الطلب المتأجج لتلبية الغرائز والدوافع، والتي لا تنتهي إذا اطلقنا لها

العنان مهما حاولنا تلبيتها، فالأساس أن يرضى الإنسان بما قدر عليه من خلال سعيه والله أعلم.

(ألم يجدك يتيماً): وهذا لخطاب بالأساس موجهٌ لكل إنسان يطمح لامتلاك العقل ويبدي استعداد للتفكير، لأنَّ (اليتيم) هو كل كائنٍ هو بحاجة ويحتاج إلى من يعينه ... ولا يجد من يعينه، وبالتالي فإنَّ كل إنسان كان في البداية يتيماً، وأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي جَيَّرَ له المُعين والرزق والعطف والحنان، وهيأ له الظروف المناسبة لنموّهِ نموّاً مطرداً... بين أهله وجيرانه والبيئة التي عاش فيها، وقد أواهُ الله تعالى وألجأه إليه فأعانه ورفع عنه العناء والنَصَبْ والفاقة والتعب، وأزاحَ عنه الهموم ومختلف الأعباء والمقاساة والفقر[1].

إنَّ وجود الإنسان في أي مرحلة من مراحل حياته، دليلٌ على أن حاجات كثيرة قد لبِّيت له حتى وصل إلى هذه المرحلة... وقد أواه الله : أي أمَّنه وأمَّنَ له ما يحتاجه فعلاً... وهو أيضاً المكان المأوى والرقة والحنان، ولفظ (ووجدك) يشير إلى البدايات وتُذكِّر بالبدايات والله أعلم.

والضلال: الضياع والهلاك وهو ضدّ الرشاد، وهو الابتعاد عن الهداية وعن الطريق الموصل إلى الحق مباشرةً، وهو الغفلة، بينما الهدى: هو الوعي والرشاد والدلالة على الطريق القويم، وهو التوضيح والبيان والتعرُّف إلى الطريق، والهدى السير الحسن باتجاه الحق. وهذا ينطبق على كل إنسان.

لذلك وبناءً عليه على الإنسان أن يسلك الطريق الصحيح بدايةً من حيث النتيجة؛ وهو قوله تعالى: (فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر)، وهنا يكمن حلُّ أمهات المشكلات

---

١ ـ والعائل الفقير المحتاج، وكانت لديه أسرة يعولها من زوجة وأولاد وأهل وكان ملزمٌ بهم، والعائل من كان يحتاج إلى المعونة والى الاستعانة من قوتٍ وعزم وجهد ومال، والعائل المغلوب على أمره واشتدَّت عليه الأمور وتفاقمت.

الاجتماعية وأساسها في كل مجتمع انساني قويم، إنها في ضرورة وجود نظام للتكافل والتضامن الاجتماعي، يكون فيه لليتيم وللمعوز حقوقاً واجبة الأداء،[1] مترتبة على كل إنسان في المجتمع نابعةً منه من ضميره ووجدانه؛ كواجبٍ المفروض أن يؤديه كل من يعيش في المجتمع العربي المسلم حيال المجتمع.

قال تعالى: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ سورة الضحى.

جاء في الأثر: (أنه من أولي معروفاً فليكافئ به فإن لم يستطع فليذكره فإنَّ من ذكره فقد شكره) والحمد لله رب العالمين.

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (الشرح) وأنها وجودها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وأنها شاملةٌ وعامةٌ، وتطال الجميع من المؤمنين والناس أجمعين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً.

الشرح: البيان والتوضيح والتفسير للأمر، التبسيط ، وشرح صدره وخاطره، أرحه وشرح الأمر بسَطَه وقطعه، للتوضيح . ولحرف (الشين) في لهجات العرب تبادلٌ مع الكاف خصوصاً إذا كان لاحقة وهو حرف يفيد السبق والتقدم والأولوية، مثل

[1] ـ هذا النظام أخذته المجتمعات في العالم وطبقته في الدول الغربية، وهي تتكفل بكل مواطن فقير وكل عاطل عن العمل، وتخصص له راتباً يكفيه ويعفيه من السؤال .

الشهيد، شفيع شفيق شهيق شريد شمال شدّاد شن شلّ شح شج شر شمّ شطّ شظّ شع: يدل على التشظي والتشعب والنشر والانتشار المادي والمعنوي على كل صعيد وفي كل اتجاه كانتشار القوانين والأعراف والتقاليد وأشعة الشمس وسنن الله سبحانه وتعالى والسنن: تعني الطرق، وهو حرف الشيوع ويمكن أن يدل على (الشفقة) و (الشنق) كل ذلك بحسب ما يليه من الأحرف التي تحدد أو توجه مساره لأداء المعنى المطلوب. و(كتاباً متشابهاً مثاني):متشابه: فيه معاني عميقة وقوية يلزمها بحث وتحتاج إلى تعمُّق وتفكُّر وتدبر، قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾) [يونس:٣] ما من شفيعٍ إلا بإذنه: أي ما من أحدٍ يستطيع خرق نواميس الكون وقوانينه إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، أي بسلطان أو علمٍ يُلهمه رب العالمين لأحدٍ من خلقه لتجاوز قوانين الطبيعة.

وحرف (الشين) يكاد يكون نصف حرف الصاد؛ مثلما كانت (الخاء) نصف (الحاء) والله أعلم ولا يقال للمرأة (شيباء) ولكن (شمطاء) وهو أن يتخلل في رأسها البياضُ السوادَ وشمط: خلطَ نصفه، ولفظة (شبَّ) تعني نصف رجل، أو الرجل غير المكتمل، قال تعالى: (وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾) [الأنبياء:٨٢] فهل كانت دلالة لفظ شيطان هنا تعني المبدع أو الفنان الشاطر والحاذق بدلالة قوله تعالى: (وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ).

بينما حرف (الراء) فهو حرف الرسوخ والبقاء والتكرار، (نقول رأس الرمح ورأس الجبل ورأس الشجرة ورأس القبيلة ورأس الأمر ولكل شيء رأس كذلك نقول (رب البيت) و(رب العمل) و(رب الأسرة) و(رب الدولة) وهو الرأس والمدبر لها، وهو عند البعض يعني مجرد التكرار أو النسخ، بينما حرف الراء فيه صفاء واحتمالٌ للخير كثير أو سدٌ للنقص وسدٌ للعيب كبير! ويشير إلى الحركة والتحرك والمواجهة:

والدفع ويتحدد كل ذلك من خلال الحروف اللاحقة في اللفظ، و(الراء) من الأحرف النورانية في فواتح السور وهو حرف معنوي يفيد التكرار،

خواطر وإضاءات من (سورة الشرح)

القرآن الكريم رسالةٌ موجهةٌ من السماء من عالم الغيب من الله سبحانه وتعالى، إلى الإنس والجن جميعاً، وبالتالي فهو موجهٌ إلى كلِ من وصلته هذه الرسالة (البرقيّة) فوعاها، والكلام الذي فيه ليس للرسول صلى الله عليه وسلم فحسب، أي أنَّ هذا الكتاب البرقيّة الكتاب (القرآن العظيم) موجّهٌ إلى كل (إنسان عاقل) الذكر والأنثى، الصغير والكبير القويُّ والضعيف، ويجب على كل واحد منهم، تلقيه مباشرة دون عوائق ودون وسائط، ودون تسلسل (دون عنعنات) وليس عن طريق أحد؛ وإنما على كل إنسان أن يَنْظُرَ إليه، على أنه يَتَنَزَّلُ عليه مباشرة من الله سبحانه وتعالى لدعمه، وذلك كما جاء في القرآن الكريم، عندما أُلْقِيَّ بالكتاب إلى ملكة سبأ فقالت مباشرةً قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ النمل.

فعلى كل إنسان عاقل وهو هدف الخطاب، أن يبذل قصارى جهده من أجل الارتفاع بذاته إلى المستوى الذي يستطيع به فهم القرآن الكريم، العالي المستوى كونه رافعة، وليس إلى تبسيط القرآن العظيم وإنزاله إلى تحت إلى المستوى إلى الأدنى! لأنَّ القرآن العظيم هو الرافعةُ التي وجدتْ لترفعنا، والتي تهدف بالأساس إلى رفعنا، والأساس أنَّ القرآن العظيم هو

الإمام وهو المُبين، فكيف تمَّ تحويله إلى شيءٍ يجب شرحه وبيانه !! فالدين في الإسلام ليس حكراً على رجال الدين.

هذا وإنَّ القرآن العظيم كتابٌ ذو مقاصد، و دائماً يهدف إلى رفع مستوى الإنسان للأعلى، وهو مُحكَّمٌ ومُحْكَمٌ، كإحكام السلاح إلى الهدف؛ قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ ﴾ هود، أي أنَّ كلَّ آيةٍ فيه لها غرضٌ محدد، وهي متجهةٌ باتجاه الهدف المحدد لها، وهو لا يحيد، وهو حقٌ ليس فيه تناقضٌ ولا نسخٌ لأيٍ من آياته، ولا زيادة ولا نقصٌ، لذلك يجب فهمه ودائماً بإيجابية ووجدان إيجابي وضمير، وإيمان به، وهو (القرآن العظيم) لا يمكن فهمه إلا من قبل أولوا الألباب، قال تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩ ﴾ البقرة، ولا يمكن فهمه من قبل الملحدين والحاقدين.

والقرآن الكريم لا يمكن فهم مراميه وإدراك مقاصده، عن طريق تفسير المفردات فحسب، أو من خلال النقل، كما جرت عليه العادة في التفاسير التقليديّة، وإنما هوَ كُلٌّ متكاملٌ، والسورة فيه يجب النظر إليها على أنها عبارة عن (لوح) أو لوحة متكاملة، رسالة برقيّة متكاملة، وبالتالي لا يمكن فهم أو ادراك الجزء من اللوح ـ اللوحة أو الرسالة إلا إذا كان ضمن موقِعِهِ من كامل اللوحة ككل، لأنَّ فهم الآية في النص متعلقٌ بما قبلها وبما بعدها.

﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ : ألم نُمهِّد و نُعِّدَّ ونهيئ لك بالأساس صدركَ للإقبال على الحق وتَقَبُّلِ الإيمان والإسلام دين الفطرة ؟ و(شَرَحَ) يعني أوضح وفَتَحَ وقطعَ وبتَّ في الأمر، وشَرَحَ: أزال الغموض، وفتح الصدر الذي يمكن أن يكون مغلقاً وذلك بإذهاب ما يصدُّ عن الإدراك والفهم، والشرحُ: البيانُ والفهمُ والحفظُ، وشرحَ اللهُ صدرهُ أي وسَّعه لقبول الحق فاتَّسع، فأصبح له وبه رغبةً.

ولفظُ (الصدر) في اللسان العربي المبين: يعني أعلى ومُقَدَّمُ كلِّ شيءٍ وهو أوله، والصدر الرئيس والأول والمقدَّم، وهو في الإنسان موضع الإرادة وصوادر الأفعال، فهو (العنوان) و(القمَّة) و(الأعلى) دائماً، ولكنه معنوياً وهو من الداخل والباطن، وهو محلُّ أحوال النفس، و(الصدرُ) لفظةٌ معنويّةٌ تشير إلى (النفس) أو (الذات) وما يكمُنُ فيها، فإذا كان (الظهرُ) بالنسبة للجبل هو قِمَّتُهُ أو الأعلى والظاهر منه، ومن الخارج؛ فإنَّ مفهوم (الصدر) للإنسان هو القمة أو الأعلى أو (الأعمق) ولكن من الداخل الباطن.

(فالصدرُ) في الآية الكريمة: مفهومٌ معنويٌ يُشيرُ إلى دائماً (النفس الإنسانيّة) الدخيلة والعميقة ... والتي عادةً ما تكون المَوَّجِهَةُ، وهي مملوءةً بالدوافع والرغبات، أو مثقلةً بالهموم والقضايا والمشكلات والأفكار والفلسفات والمعتقدات المختلطة؛ والتي (الدوافع والرغبات) في كثيرٍ من الأحيان ليس لها أساس، ولم يكن لها أساساً سماوياً أبداً، بل هي مخترعات من عنديات البشر، أعباء اخترعوها وتنكبوها، ليهلكوا أنفسهم بحملها ولم يُنزِّل

الله تعالى بها سلطان. قال تعالى:﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ الأعراف.

ففي حين أنَّ الله سبحانه وتعالى كان قد خلق الإنسان بدايةً وبالأساس دون أعباء، دون هموم ودون متاعب ودون أوزار؛ وقد حَطَّ عنه تلك الأوهام، إلا أنَّ الإنسان في الحياة، بذاته قد تنكَّب تلك الأعباء والمشاق المستجدّة والعديدة وتورط بحملها!

الأمر الذي جعل الإنسان في منهكاً متعباً وخائر القوى، فهو لا يقوى على شيء، وفقط يلهث وراء (حاجته) إنه يحتاج دائماً إلى (الاستهلاك) كائنٌ سالبٌ ومستهلكٌ ليس إلا، بينما بالأساس(الإنسان) كيانٌ قد خُلِقَ للتَفَكُّر بآيات الله ودوام الاتصال به سبحانه وتعالى.

وكان الله سبحانه وتعالى قد ألقاها عن كاهله وعفاهُ من حملها، لأنَّه جلّ جلاله بالأساس قد خلق الإنسان في هذه الأرض حراً طليقاً من غير قيود ولا أغلال، إنما عزيزاً شامخاً موصولاً بالسماء، لكنّه (الإنسان) وبسبب وَهْمِهِ وعنْدِهِ ووسوسَةِ الشيطان قيّدَ نفسه، وورطها بحمل تلك الأثقال والأوزار. قال تعالى:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ الزمر، وفي مختار الصحاح: وضع عنك وزرك: أي أزال وأنزلَ عنك همومك والأعباء، (وخفف لك وعنك التكاليف).

الانتقاض: الانتكاث، قال تعالى: ﴿ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۚ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ يس، وأنقض ظهرك أي الأمر الذي حطَّم ظهرك من ثِقَلِ الأحمال والأعباء، و(النقيض): صوت الحمل الثقيل وأثره على الجسم الحامل، وهو أيضاً (الانحناء) في الظهر والضعف الشديد، وأنقض صيغة تفيد التكثير، وهي تشير إلى الأحمال الكثيرة والثقيلة، والأوزار للنفس مفهوم معنوي يقضُّ مضاجع الإنسان من الداخل ويهلكه، وهي مثل الأحمال الماديّة الثقيلة جداً، والتي عادةً ما تُهلك الظهر وتقسمه، الله سبحانه وتعالى أساساً قد ألقى عن الإنسان تلك الأعباء والهموم ولم يكلفه ما لا طاقة له به.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴾: أي أنَّ الله سبحانه وتعالى بالأساس قد رفع للإنسان شأنه وأعلى ذكره، قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ﴾ التين، ولكنّ الإنسان بطبيعته يميل وينشدُّ إلى الأوهام والخرافة وينخدع بالسحر والشعوذة، فيهبط إلى أسفل سافلين قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ ﴾ التين، والرفع: التبليغ، والتقريب، وهو حمل الشيء القيِّم إلى الأعلى وعدم التفريط به؛ والله سبحانه وتعالى يرفع من يشاء ويخفض من يشاء، وفي مختار الصحاح: أنَّ الذِكْرُ السيف وذكْرُ الرجل: حِدَّتُهُ، والذكرُ الحفظُ، وهو ضدُّ النسيان، والذكر الصيت والثناءُ، والذكر الشرفُ، وذِكْرُ اللهِ تعالى أي رفعُ شأنه في حياتنا دائماً جلّ جلالهُ (أوامره ونواهيه) والالتزام بها.

والعسرُ: الضيق في الأمر وفي النفس وفي الحياة، وهو ضدُّ التَيْسِير والسهولة، وهي أحوال، وهي مستويات، وتتناوب بين الشدَّة والرخاء والصعوبة والسهولة، والضيق والفَرَج، واليسر: التوفيق والتَهَيُّؤ، وهو اليُمْنُ بعد كل عسر، واليسار: السعة والغنى بعد الفقر، والتمكُّن بعد الضعف، واليسر السهل الليِّن، وكلُّ حالٍ يزول، وباستمرار تزول الأحوال لتنبع في حياتنا أحولٌ جديدة، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام.

وفَرَّغَ: أخلى، وفرغتُ إذا خَلَوْتُ من الهموم والمشاكل، وهذه الأوضاع ليست واحدة، ولكنها متعاقبة وتتلو بعضها بعضاً، وهي متبدِّلة ومستمرَّةٌ في التدّفُّق والتغيُّر، وليس في القرآن العظيم تكرار، وإنما للتعبير عن التدفق والاستمرارية في تعاقب الأمور الظروف والأحوال وفرغتَ أي: من أية مسؤولية وهْميّة وليست حقيقية، ونَصَبَ: أقامَ، وأنْصَبْ: فعل أمر للقيام بالمبادرة، ولذلك على الإنسان ان يستمر، وأن يبقى على اتصل بالله سبحانه وتعالى، وأن يُبقي على هذا الاتصال مفتوحاً، لتلقي الوحي والإلهام من الله سبحانه وتعالى، لكي لا يضيع في المتاهة التي لا تنتهي، والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

فالقرآن الكريم عربيٌ مبين، قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ ٢٨الزمر، ولذلك يجب محاولة فهمه بأسلوب عربيٍ مبين، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ

﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ
رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾ سورة الشرح. صدق الله العظيم.

الأعلى

البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (الأعلى) و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، وهي تشير إلى أنَّ (سورة الحشر) كياناً مستقلاً، وملفاً وركناً أساسياً يجب على كل عاقلٍ الإلمام به والاطلاع عليه.

وأنه حق، وأنَّ الخطاب فيه للجماعة وعن الجماعة، وأنه شاملٌ وعام، ويطال الجميع في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ في مقدمة اللفظ لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً،

الأعلى: الأسمى، الأرفع، الأعلى شأناً، الأقصى أعلى مستوى القائد الأعلى المثال الأعلى، ويعتقد أن الألف من الإيلاف، وهو المستقيم، وهو أساس الأحرف كلها، والأحرف كلها أساسها (ألف) وهو يشير إلى المبدأ والمصدر والمدلول العام معاً، فكل لفظٍ يُرادُ به القول بأنه المبدأ والمصدر والمدلول العام معاً فهو يبدأ، وتدخل فيه (الألف) مثل: لفظ الجلالة (الله) رب العالمين، وأبٌ وأمٌ وأخٌ[1] وأباريق (من البريق)، وإبليس وهو (مبدأ الشرور) في العالم، وأخت وأتقاكم واتخذ وأرائك وأمة من (الأم) وهي

(١) (يا أخا العرب) و) يا أبن أخي) هذا النداءُ كان متداولاً بين العرب وكثيرُ الاستعمال وشائعٌ لديهم وله مدلول رائع وعظيم يدلُ على أنَّ (صلة الأخوة في مجتمع العروبة) كان لها معنى لم يكن يفتقر إلى مددٍ من القبيلة أو الإقليم أو الحسب أو النسب أو غيره؛ مما يدلُ على أن (رابط العروبة) كانت أقرب إلى الدين الطبيعي (العرف) قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وهي أي العروبة ليست مجرد مألوفات ذهنيّة أو عادات مرعيّة أو تخيلات وأوهام، وإنما هي ما احتضنته بيئتهم وحنت عليه نفوسهم، من القيم والمبادئ والمثل والأخلاق الرفيعة، ولعل (الإخاء) في العروبة على قدمه وما يلزمه من الالتزام؛ ومن النزوع إلى الوحدة (التوحيد) مع الآخرين (النزوع إلى القول الحسن والأعمال الصالحات) فهو يدل على المثالية وهو الشيء الثابت في تاريخ العروبة والزمن العربي المديد.

الأساس والموئل والأمة المثال والنموذج[1] والإلهام من الله وهو ما يُعرَضُ على الإنسان من الخارج أو ما يره وما يسمعهُ وما يُحسهُ وما يُفكر به، كل ذلك بخيره وشره يُعتبر إلهاماً قال تعالى (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾) [الشمس:٨]، وموضوع الفرق بين الوحي والإلهام فالوحي من الله تعالى ويأتي من داخل الإنسان في اتجاهٍ محدد لا خيار فيه جامعاً مانعاً دافعاً ليس للإنسان خيارٌ في فعلهِ أو عدم فعله بل لابد من فعله فقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى أم موسى وأوحى لعبده ما أوحى بينما الإلهامُ يختار الإنسان من مادتهِ ما يُناسب شاكلتهُ من الفجور أو التقوى.

والألف في الألوان (أبيض وأسود) إنما هي مضافةٌ أو زائدة من الأمام وهي للتفضيل والتعميق والتخصيص والذكورة، وتقابلها الألف اللاحقة (بيضاء وسوداء وحمراء وخضراء وزرقاء وصفراء سمراء حولاء حمقاء عيناء) وهي علامة التأنيث والعموميّة والارتباط والتلازم والاستمرارية (الإطلاق) والفوقيّة، وكذلك قولهم عيناء وحسناء وجيداء وكحلاء هذا وقد اتخذت هذه الصيغة تاريخياً (الألف كلاحقة) وضعاً مقدساً أو صارت لدى الشعوب القديمة دلالةً على قداسة الاسماء وإنّ أصل لفظة (داريّا) هو (داريّاء) و(اشبيليا) هو (اشبيلياء) و(طبريّا) هو (طبريّاء) و(سوريا) هي (سورياء) وهي (صورياء) نسبة إلى إمبراطورية (صور) التي قامت في التاريخ القديم وامتدت إلى البحرين وشملت بلاد الشام وغيرها، ولفظة (جلاء) تعبيرٌ يفيد اللاعودة والإطلاق إضافة إلى عمومية في الزوال أو الإزالة المكانية والله أعلم.

و(الواحد) هو (الأول) وهو (الأحد)، و(آدم) هو أول من دب على الأرض وجال فيها وأكل منها هو وزوجه، وآل وآلاء وآية وأمن وأول وابن كلها دلالة على (الألف) الأولوية والبدء؛ والألف في (لا الناهية ولا النافية) لها دور بارز وهو الحسم

(١) آن: أمون، وأمونه أسماءٌ شائعة في الريف العربي السوري، وكافة الأرياف العربية، وهي من اللغات والأساطير العربية القديمة وتعني القمر؛

والوقف والمنع القوي من جهةٍ أعلى للفعل وللعمل الذي تمثله اللام والله أعلم. ولفظ(أَوَّاهْ) أي عائدٌ إلى الله بقوة عائدية؛ وفالق (الإصباح): أي مُحدث الانقلاب والتغيير من حالٍ إلى حال النقيض، إنها قلب الشيء الثابت إلى نقيضه، ولفظ (أرض) المفترض أنه دلالة على البدء الرحب والمنشأ والتكوين والتشكل التام، وأنه كانت فيها البداية (الألف مقدمة)، بينما لفظ (سماء) فدلالة على نهاية الاتجاه أو نهاية المسار وهي فيها النتيجة والمآل وإليها المسير والمصير، وأنَّ فيها النهاية (الألف لاحقة)،

و(العين) هو حرف الإياب والعودة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى بقوة وعلانية إيجابية (هُدنا) (عُدنا) ويُلاحظُ التبادل بين (الهاء) و(العين) وهو حرفٌ حلقيٌ قد يدل على مراد عميق له تبادل محتمل ودائم في اللهجات العربية مع الهاء والعين والحاء والغين والخاء مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم.

إنَّ حرف العين هو حرف المعيّة والانضمام والالتصاق والعمل المتواصل، مشتملاً على حرفين؛ الجر (على) و(عن) ولفظُ (عرب) تحليله (ع رب) وتحليله أنه نسبة إلى رب العالمين، الأحد سبحانه وتعالى وكل شيء يتصل برب العالمين فهو عربي، ولفظ (عجم) (ع جم) وتحليله النسبة إلى (الجم) وهو الكثير؛ و(عبري) ع بر، نسبة إلى البريّة الأرض وهو مقلوب (عرب)، ونقول عين الشمس وعين الماء وعين الإعصار وعينٌ جارية وعين اليقين وعين الشيء ذاته والعين الأمر والعون ونقول العين(للجارحة) وللقرية، فحرف العين يدل على عمقٍ مادي ومعنوي مخصوص وواضح (فكلما ذكرنا العرب تذكرنا الخيمة والغنم والبادية) ولكن للأسف الشديد فقد تحول هذا المفهوم العظيم، ووصل إلى هذا المستوى الخطير من الازدراء وأين ذهبت الحضارات العربية الآشورية

والكنعانية والأنباط والآراميون التي لم يخلق مثلها في البلاد قال تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ [الفجر:٨].

وحرف (اللام) يدلُّ على الانتماء والاحتواء، وتأتي كحرفٍ أحادي محض بمعنى عند وبعد وفي وعلى وإلى ومن ومع، وأحياناً تأتي زائدة قياسية أو سماعية وأحياناً تكون جواباً للو ولولا وجوباً أو الموطئة للقسم، وتكون أحياناً جازمة وأخرى ناصبة،

ومما صرح عن معانيها أنها تستعمل للملك والتمليك وشبه الملك والتمليك والاستحقاق والاختصاص والنسب والتعليل والتبليغ والتعجب والاستغاثة والتفسيرية والبيان والصيرورة، وهي تشير إلى العمل والشغل والقعل والحركة القويّة والطويلة والنشاط الدائم والتحريك والزحزحةْ، وليلة القدر: أقدار ومقادير العظمة والحضور والتبدي والإيجاد، وهي حرفٌ معنويٌ أساساً، واللام الناهية عبارة عن وقفٍ للفعل أو للنهي عنه وكذلك (لم) كذلك في لا النافية فإنها نفيٌ مطلقٌ للفعل والله أعلم، وهنالك تبادلٌ واضحٌ في العربية بين اللام والنون، فيمكن أن تحلّ اللام مكان النون أو بالعكس (اسماعيل- اسماعين).

و(الياء) حرف الولادة والحيوية والنمو والحياة والدفع والاندفاع والنداء، وإذا كانت في بداية اللفظ فهو حرف مكاني (مضارعة)، وهو عكس النوم والموت، أما إذا كانت ما قبل الأخير فإنها تشير إلى الديمومة والاستمرارية والملازمة والبقاء في الصفات، زمانياً ومكانياً مثل (جميل) و(حبيب) و(صبيب) و(بخيل)، ولكن (مريج) هل تعني مريب؟

وهي بالإضافة إلى كونها من أحرف العلة! إلا أنها ايضاً حرف التمديد والبقاء والنداء، وحيثما أتت فهي تعبيرٌ عن طول الفترة للفعل أو الاسم والصفة مكانياً وزمانياً، وأوضح مثالٍ على ذلك هو أسماء الله الحسنى: السميع، العليم، الحكيم البصير، العزيز، الحليم، الكبير، العلي، العظيم، الغني، الحسيب، الكبير، القوي، الولي،

الحفيظ، الكفيل، وكذلك نقول الجميل والقبيح والصريح والطويل والقصير والرفيع والسمين وإلى آخره فإنَّ إضافة الياء يعني أن اللفظ مستمرٌ وله ديمومة وامتداد والله أعلم، واضافة (حرف الياء) إلى (اللفظ) من الأمام يُفيد الإيحاء بامتداد الفراغ، أما إضافتها في الوسط ما قبل الأخير فإنها توحي بامتداد صلاحية الأحرف الأخرى في اللفظ والله أعلم. ولفظة (يأس) هل تحصل من بعد الأمل ومن بعد التأكد والتحقق والتثبت ثم يأتي الفشل فيكون الآياس واليأس؟

إضاءة وخواطر من (سورة الأعلى) المباركة

إن قارئ القرآن العظيم، إذا كان صادقاً في تَدَبّرِهِ للقرآن الكريم، فإن الله سبحانه وتعالى سيُفعّله، وسيجعل منه عالماً، وعالماً كبيراً، وسيفتح عليه وسيمده بالفهم وبالعلم الشامل وبالذكاء والمعرفة والقوة، إن القرآن العظيم مفاعل نووي، بل هو أكبر مفاعل نووي في العالم، يُفَعِلُ مخلوقات الله، يُخرجها من الظلمات إلى النور، إذا عرفنا كيف نفهمه، [يرجع الفضل، جميعه، إلى القرآن الكريم، فلولا القرآن الكريم، لبقي الناسُ في كل المجتمعات، في كل أنحاء العالم، على حالتهم الأولى، ومعروف أن احتكاك أوربة بالمسلمين، والأساس هو القرآن، كان هو الشرارة الأولى التي أشعلت التقدم العلمي والمعرفي عند الغربيين، في كل المجالات، والذي صاروا يرفلون به الآن، ويستعلون به على باقي مخلوقات الله في العالم؛

إن القرآن الكريم هو الذي فتح الباب، وهو الذي أنار في العيون وفي البصائر، لا أديسون، ولولا القرآن، لبقي الرومان روماناً، والبيزنطيون بيزنطيين، بدائيين ليس إِلّا[1]

(١) إن أوربة التي أخذت من العرب المسلمين كل أسباب البناء، واستفادت من العلوم العربية الإسلامية، في الطبيعة، والكون، إلى أقصى الدرجات، لأن ذلك كان ضرورياً لهم، لبقاء أجسادهم، في القسم البارد من الكرة الأرضية، وتوفير

وقد أُبْعِدَ العرب عن الفهم الحقيقي للقرآن، فلم يتمكنوا إلى الآن من التفاعل، أو التَفَعّل، ولا استطاعوا، إلى الآن، أن يستمدوا الدفقات من كتاب الله عز وجل، القرآن العظيم، ولا يزالون يمضون وقتهم في تجويد وتعلم التجويد.

إنَّ السبب الرئيسي والأساسي الذي حال دون انتشار الإسلام ويمنع انتشاره إلى الآن في أوربا والعالم؛ هو عدم وجود فهم عربي حقيقي للقرآن الكريم، وانتشار وذيوع تلك التفاسير والترجمات المُشَوَّهَة والمُشَوِّهَةَ، والغير حقيقيّة عن القرآن الكريم كتاب ودستور المسلمين[1]،

سعادتهم فيها؛ أما الروح، فإنّها في مستوى رفيع جداً لم تتهيّأ أوربة لتفهمه، وتوفيره لنفسها، وذلك من مأدبة القرآن الكريم، ومن سرادق الإسلام، الدين السماوي العظيم، (السيرة النبوية وأوهام المستشرقين)

١ ـ تعددت التفاسير وتنوعت! وقيل بأن هناك تفاسير صوفية؛ وتفاسير سلفية؛ وتفاسير لغوية، وتفاسير علمية، وتفاسير للقرآن بالقرآن وتفاسير القرآن بالأثر، وتفاسير القرآن بالرأي، وتفاسير المعتزلة، وتفاسير الشيعة، وتفاسير السنة، وهناك من ادعىٰ أنه جمع صفوة التفاسير، وهناك من زاود بادعائه، فقال بصفوة الصفوة!! مئات التفاسير القديمة والحديثة، ويتوهم الناس، ويعتقدون بأهمية كل هذه الكتب؛ والحقيقة أنّ جميع هذه الكتب كانت، أو أكثرها قد شكلت عبئاً تلبد علىٰ العقل العربي وعلىٰ الفكر العربي، وكبله، والعرب أصلاً لم يكونوا بحاجة تلك التفاسير ليفهموا القرآن الكريم، وهذه التفاسير مجرد مصنفات، أو موسوعات ضخمة تحتوي علىٰ منوعات ومعلومات، ربما تكون مفيدة، لكنها جميعها لا ترقىٰ إلىٰ أن تكون تفاسير للقرآن العظيم، الكثير من كتب التاريخ وكتب التفسير، أشرف علىٰ تحقيقها وتحقيق مخطوطاتها بدايةً المستشرقون، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وطبعت بداية علىٰ مطابع الإرساليات التبشيرية! وهم الذين نشروها أول مرة، ليدخلوا عباد الله من العرب والمسلمين في دوامة لا يخرجون منها، هذا وإن تداول العديد منها ووضعها بين أيدي الناس، شيء ليس فيه كبير فائدة، وإن إعادة طباعتها بأعداد هائلة، وبمجلدات متعددة وبأربع ألوان؛ وحث المسلمين علىٰ اقتنائها، وإيهامهم بأهميتها، أمرٌ غريب ومستغرب، لأن المستفيد من كل ذلك في النهاية هم أصحاب المطابع والتجار، وأولئك الذين يدفعون عباد الله إلىٰ شراء تلك الكتب المتعددة، والتي لها مضمون واحد؛ متكرر؛ لم يكن ليقدم خطوة واحدة، إلىٰ الأمام باتجاه فهم القرآن العظيم فهماً صحيحاً، وهم واهمون، والله المستعان، والقرآن العظيم فهمه، لم يكن يحتاج إلىٰ كل هذا الأمر حتىٰ يُفهم. والله أعلم.

اليهود، وأمريكا المهوَّدة، والصليبية العالمية المهوَّدة، في أوربة وغيرها، لا تستطيع القضاء على الإسلام؛ ومن المؤكد أنها لا تستطيع محاربة الإسلام بحد ذاته؛ لأنَّ الإسلام دين الله سبحانه وتعالى، المنتشر في أنحاء الأرض، فمنذا الذي يستطيع محاربة الله جلَّ جلالُه، لكن اليهود، والقوى العالمية المهوَّدة تستطيع فقط شنَّ الحرب على المسلمين، والتنكيل بهم في كافة أنحاء العالم، وأن تعمل على إضعافهم وتكبيلهم بكل أنواع القيود، وإعاقة تقدمهم والسيطرة عليهم، وعلى دولهم؛ وتستطيع أيضاً حرف وتشويه صورة الإسلام الصحيح، في عقول الناس المسلمين، وفي العالم، الإسلام الرباني الحنيف، الإسلام الحقيقي، الإسلام كما نزل من الله سبحانه وتعالى، عربياً غير ذي عِوَج، صراطا مستقيماً، يدل على الله تعالى، مبيناً يخاطب العقول، ويدعو إلى التفكير، والتفكُّر، ويحضُّ على العلم والتعلم، فطرة الله السليمة. إن اليهود والقوى العالمية المهودة، لا تستطيع القضاء على الإسلام أبداً؛ وهي من المؤكد أنها تدرك ذلك! وهي أيضاً وحتماً لا تريد ذلك! لا تريد القضاء على الإسلام، بل تريد جعل الإسلام وتعمل على نشره؛ أعرجاً أعوجاً أشوهاً، ليولد الإسلام في نفوس الأجيال خديجاً ميتاً قبل الولادة، بحيث يتحول الدين الإسلامي بعد تشويهه إلى عامل إعاقة لحياة المسلمين، وإلى عقبة كأداء، تحول دون وصول الإنسان المسلم، والمجتمعات الإسلامية إلى الانتصار والعدالة، وهكذا يصبح المسلمون أنفسهم بعد انخراطهم في دوامة التجهيل، يعملون على التخلص مما يعوقهم حياتياً! فيتصادم المسلمون بهذا الإسلام المشوه، ويتصارعون معه صراع الجهل مع الجاهلين، لا هو حقيقي، ولا هم حقيقيون! لاشك أن اليهود الأذكياء ملتزمين بمنهج إبليس في حربه الحاقدة على المؤمنين الصادقين، فاليهود لا يستطيعون بدورهم الانفكاك عن تبعيّة الشيطان[١]، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ

---

١ ـ لذلك فإنّ من الطبيعي أن تجد اليهود والصليبية العالمية المهودة، في كل مراحل التاريخ، يدعمون ويشجعون الأشكال

ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ
فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ
يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي
لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا
صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ الحجر.

قال تعالى:﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ
أَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ
صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا

العديدة، والصور الكثيرة للإسلام المشوه؛ الإسلام العاجز، الإسلام المريض، إسلام لا يقوى على الحركة، إسلام في حالة الفلكلور والأزياء الشعبية، إسلام العادات والتقاليد؛ إسلامٌ يعمل من الذاكرة المخزَّنة، ومسلمون مُحَرَكون كالدمى العرائس، ملونين، ومتعبين، ومتهالكين، بحيث يسهل القضاء عليهم، في كل حين، وفي كل مكان، وفق الخطط والبرامج، وذلك بعد التمتع بمشهدهم الحزين. لذلك فإنَّ دول العالم المتقدم، الحقيقة، لا ترفع (الفيتو) الآن على الإسلام الفارسي، ولا على الإسلام الأمريكي، ولا على الإسلام الفرنسي، أو الإنكليزي؛ إنها لا ترفع (الفيتو) على أيٍ من الفرق الصوفية، وليس لديها أي اعتراض على السلفية الشكلانية المتحجرة، أبداً؛ ولا على التشيع بكافة أشكاله وصيغه وطوائفه ونحله، بل على العكس تماماً، إننا نجدها تدعم كل هذه الأشكال المنحرفة عن الدين العربي الرباني الصحيح، الفِرَق التي باتت تعمل بموجب الذاكرة، و(الكونترول) الذي يجعل الإنسان إنساناً آلياً يتحرك ويستجيب، وينفذ ما يطلب منه بالتأثر، والتأثير عليه؛ من على البعد؛ هذه الفرق التي أضافت إلى الإسلام الحنيف ما أضافته من أهوائها؛ فحولت الإسلام وتعاليمه العظيمة، وأنزلته من عليائه، إلى السقم والتدني وحالة الانحطاط، بحيث آلت به إلى كدان ولجام ورسن طوائفي وفئوي لتكديش العرب المسلمين، وإبقائهم في أدنى مستوى. إنَّ الغرب المعادي للإسلام العربي الرباني يشنُّ في هذه الأيام حرباً شعواء، لا هوادة فيها، متعددة الأنماط والأشكال والمستويات، على الإسلام العربي الحنيف، فهل عَقِلَ المسلمون العرب هذه الحقيقة، ووعوها؟

تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٨﴾ الأعراف

إن العرب يفهمون القرآن الكريم، بلسانهم المبين، على أنه رسالة من الخالق عز وجل، إلى خلقه جميعاً، إلى كل واحد فيهم، أنسهم، وجنهم، كبيرهم، وصغيرهم، ذكرهم، وأنثاهم، وهو ليس بحاجة إلى تفسير، لأنه رسالة خاصة من الله لأ إلى كل واحد من مخلوقاته، فعلى كل واحد من عباده أن ينهض بنفسه، وأن يرفع من مستوى تفكيره، وأن يعمل على تطوير قدراته، حتى يصل إلى مستوى القرآن الكريم والعظيم؛ لا أن يحاول النزول بالمعاني أو إنزال المعاني القرآنية من المستوى المراد في القرآن الكريم إلى المستوى الأدنى!

إن من أهداف القرآن الكريم رفع الأفهام والصعود بالمستويات، فعلى الإنسان أن يحاول دائما، أن يرقى بنفسه وقدراته الخاصة ليفهم القرآن الكريم، لا أن يعمل على تبسيط القرآن الكريم وألفاظه ومفاهيمه العظيمة إلى المستوى الأدنى!

إن هذا العمل قلبٌ للمطلوب؛ فالقرآن الكريم ليس نصاً أجنبياً ليترجم، وليس قصيدة شعرية ليشرح، القرآن رسالة من الله سبحانه وتعالى لك، ويجب عدم تدخل الأطراف الأخرى، في الرسالة الخاصة؛ وهناك قولٌ مأثور عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إنّا كنا لنستحي، أن نسأل الرسول عليه الصلاة والسلام، عن معنى الآية. وبالتالي فالفهم العربي يقولُ أنّ كلَّ كلمة من القرآن الكريم، هي من كلام الله عز وجل، ولا يمكن أن تُنسخ أو أن تتبدل، أليس كلَّ حرفٍ من حروفِ القرآن الكريم مكتوب في اللوح المحفوظ (١)؟

١ ـ إلى هذا العصر لم يستطع العرب، واحد من العرب؛ لم يقم بترجمة القرآن الكريم إلى اللغات العالمية، الإنكليزية، والفرنسية والروسية والألمانية والإيطالية، وغيرها (وإنما قام بهذه المهمة مستشرقون، وربما كانوا يهوداً، أو مهودين، وكانت أعمالهم

قال تعالى: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ﴾ : فلكل مخلوقٍ فلكٌ أو مسارٌ إلهي رباني يدورُ فيه لا يتعداه، أيها الإنسان (والخطاب لكل إنسان)؛ اجعل عملك وسلوكك ونشاطاتك في حياتك كلها تدور وتسير في سبيل الله تعالى، وليس إلى أي جهة أخرى؛ الإنسان وعلى جميع المستويات مرتبط في حياته بالكثير الكثير من الروابط والعلاقات، وهو يخضع لها بطريقة أو بأخرى، رب الأسرة، ورب العمل والحرفة والمعلم وغيرها من المجالات المهيمن عليها، ولفظة (ربك الأعلى)(١) أي الرب المهيمن على الجميع، ربُّ ما يُحيط بالسموات والأرض

تنطوي دائماً، أو في أكثر الأحيان، على تآمر واضح، ضد الإسلام، و ضد الدين الإسلامي والعرب، حيث قدموا لشعوبهم، ترجمات مشوّهة، وصدروها بمقدمات أساءت إلى الدين الحنيف، فأفحشوا في تحريف المراد بالنص القرآني، وهم عندما ترجموا القرآن الكريم، لم يترجموه على أنه كتاب من الله سبحانه وتعالى، بل ترجموه في الغالب على أنه أفكار وأدب، وفلسفة وثقافة وعبقرية محمد صلى الله عليه وسلم، إلا نادراً منهم) عن السيرة النبوية والمستشرقين، مصدر سابق.

١ ـ وطبعاً كان ذلك لوجود فروق ـ لسانياً ـ وبالتالي معنوياً؛ بين مدلول لفظ (الله) ومدلول لفظ (رب) فإنَّ هذا الأمر بالنسبة للباحثين قد يعني الكثير مما يساعد على الفهم والله أعلم. مع ملاحظة أنها محركة، فإنها في اللسان العربي المبين لا يمكن أن تكون مخصصة في جهة محددة؛ ذلك أن ربَّنا هو (رب العالمين رب السمٰوات والأرض وما بينهما رب العرش العظيم) ففي القرآن الكريم العربي المبين لم تأتِ لفظة (رب) التي بمعنى (الخالق) مخصصة لجهة معينة أبداً، ولا يجوز أن تكون مخصصة مطلقاً، وإنما هو دائماً (رب العالمين) ربٌ للجميع، وهذا هو الفرق الجوهري بين (الرب) في الإسلام بالمفهوم القرآني العربي المجيد، وبين (الرب) عند اليونان الوثنيين والمسيحيين المثلثين واليهود الذين لديهم رب خاصٌ بهم!

لاسيما وأننا نلجأ إليه ونعوذ به من شر ما خلق أي من شر أشر ما خلق وهم في القرآن الكريم تحديداً الشياطين واليهود! و(القاف) في العربية تقويةً (للكاف)، كما في (كاسم، وقاسم) والله أعلم والحمد لله رب العالمين، وفي المعجم: انفلج وانبلج وانفلق: والفَلَجَ الشقُّ والقسمُ من كل شيء والفالوجة قطعة من الأرض تخصص للزراعة، والفلتُ والانفلاتُ: الانطلاق من القيد بأي بمعنى، أو الخروج من الاسر والفلت: الفجأة والفلاليج فلاليح.

لذلك ومن خلال قراءة (سورة الفَلَق) بأكملها وربطها بما قبلها وما بعدها، فإننا سنستطيع الاستدلال، بعد تقليب اللفظة عربياً على المنهج المبين، فإننا سنجد أنها ربما كانت (الفَلَقْ) أقرب شيءٍ أنها مقلوبةٌ من (الفَلَكْ) والفلك هو ما يحيط بالأرض وما يحيط بكل الأجرام السماوية، وهو المجال، أو المجالات التي تسبح فيه الأجرام السماوية، الكواكب والنجوم وكل

جميعاًﷻ، فهو رب العالمين ورب المجالات (الأفلاك) التي تسبح أو تُسبِّح فيها الأجرام السماوية، الكواكب والنجوم وكل المخلوقات من الذرة إلى النجمة، في جميع المجالات والطبقات؛ والفلَكُ تعني أيضاً كل مسار محدد لكل مخلوق ولكل شيء، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الشعراء ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٩].

فلفظة (رب) في القرآن الكريم لم تأتي ولا مرة، لجهة فردية خاصة أبداً، وإنما كانت دائماً دلالة على ربٍ للجميع، السمٰوات والأرض وما بينهما، وليس في الإسلام أرباب، ولا يقال في الإسلام: رب الينبوع ولا رب النهار ولا رب الليل أو رب الشمس، ولكن يقال رب العالمينﷻ، على هذا الأساس ينبغي فهم الآيات في القرآن العظيم، و(ربك الأعلى) تعني القائم والمُتابع لكل مجال ولكل وقت، وهو جلّا جلاله أساسُ كل شيء من الأحوال والأوضاع، وإليه مآل كل شيء.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ ﴾: التسوية [1]عمليّة تأتي بعد الخلق، وهي إتمام الخلق ومتابعته حتى الكمال، الأجساد والأفهام؛ أو حتى يصل إلى مرحلة الكمال... (الذي خلق)

المخلوقات من الذرة إلى النجمة، ولكل مخلوق فلك أو مسار يدور فيه لا يتعداه، والفلَكُ تعني أيضاً كل مسار محدد لكل شيء فهل كانت (رب الفَلَقْ) تعني (رب الفلك) أو (رب الأفلاك) لاسيما أننا نلجأ إليه ونعوذ به سبحانه وتعالى من شرِّ ما خلق، وهم في القرآن الكريم تحديداً: الشياطين واليهود! والله أعلم والحمد لله رب العالمين.

١ ـ ساوى الشيءُ الشيءَ إذا عادَلَه. وساوَيْتُ بينَ الشَّيْئَيْنِ إذا عَدَّلْتَ بينَهما وسَوَّيْت. ويقال: فلانٌ وفلانَ سواءٌ أَي مُتَساويان، وقَوْمٌ سواءٌ لأَنه مصدر لا يثنى ولا يجمع. قال الله تعالى: لَيْسوا سَواءً؛ أَي لَيْسوا مُسْتَوينَ. الجوهري: وهما في هذا الأَمرِ سواءٌ، وإن شئتَ سَواءَانِ، وهم سَواءٌ للجمع، وهم أَسْواءٌ، وهم سَواسِيَةٌ أَي أَشباهٌ مثلُ يمانِيةٍ على غيرِ قياسٍ؛ قال الأَخفش: ووزنه

الذي كوَّن الأرض والسماوات السبع والأقوات، قال تعالى: ﴿ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ : قدّر كلّ شيء الأرزاق والأعمار والأقوات والأحداث والأوقات والأمور جميعاً، قدر الأبعاد والمسافات والأوزان والأحجام والأنواع وكل شيء قدره رب العالمين بشكل دقيقٍ ومناسب، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان، فقدر أجناس الأشياء والمخلوقات وأنواعها وأفعالها وأقواتها وآجالها، فهدى كل واحدٍ منها إلى ما يصدر عنه وما ينبغي له، ويَسَّرَهُ لما خُلق له، و(فهدى) أي فدلّا إلى الحق والصواب والخير والعدل والعروبة والبيان، وأنقذ من العجمة والبهيميّة والضلال، و(القرآن الكريم) كتاب رب العالمين، الأساس أنه إيجابي فعَّال باستمرار؛ وهو منتج دائماً ويدفع للإنتاج والعطاء، وهو بعكس الصوفي والسلفي والشيعي؛ أصحاب الأفهام السلبية الجامدة!

فَعَلْفِلَةُ قال: وسِوىً وسُوىً بمعنى غيرٍ كقولك سَواءٌ. قال الأَخفش: سِوىً وسُوىً إذا كان بمعنى غيرٍ أَو بمعنى العدلِ يكون فيه ثلاثُ لغاتٍ: إن ضمَمْتَ السين أَو كسَرْت قَصرْتَ فيهما جميعاً، وإنْ فتحتَ مَددْتَ، تقول مكان سِوىً وسُوىً وسَواءٌ أَي عَدْلٌ ووَسَطٌ فيما بين الفريقين؛ ومكان سِوىً وسُوىً: مُعْلَمٌ. وقوله عز وجل: مكاناً سِوىً، وسُوىً؛ قال الفراء: وأَكثر كلام العرب بالفتح إذا كان في معنى نَصَفٍ وعَدْلٍ فتَحوه ومَدُّوه، والكسْرُ والضمُّ معَ القَصْر عَرَبيّانِ، وقد قرئ بهما. وسَوَّى الشيءَ وأَسْواهُ: جعلَه سَوِيّاً. وهذا المكان أَسْوى هذه الأَمكنةِ أَي أَشدُّها اسْتِواءً، حكاه أَبو حنيفة. وأَرض سَواءٌ: مُسْتَوِيةٌ. ودارٌ سَواءٌ: مُسْتَوِيةُ المَرافِق. وثوبٌ سَواءٌ: مسْتَوٍ عرضُه وطولُه وطبقاتُه، ولا يقال جملٌ سواءٌ، الفراء: سْوى الرجلُ إذا كان خَلْق ولدِه سَوِيّاً وخَلْقُه أَيضاً، واسْتَوى من إعوجاجٍ. وقوله تعالى: بَشَراً سَوِيّاً، وقال: ثلاثَ ليالٍ سَوِيّاً؛ قال الزجاج: لما قال زكريّا لربّه اجعَلْ لي آيةً أَي علامَةً أَعلم بها وقوعَ ما بُشِّرْتُ به قال: آيَتُكَ أَن لا تكلِّمَ الناسَ ثلاث ليالٍ سَوِيّاً؛ أَي تُمْنَع الكلامُ وأَنت سَوِيٌّ لا أَخرسُ فتعلَم بذلك أَن الله قد وهبَ لك الوَلَدَ، قال: وسَوِيّاً منصوبٌ على الحالِ، لسان العرب.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ : (أخرج) أي أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الذي أخرج من عالم الغيب إلى عالم الوجود، (المرعى): وهو ما ينجم في الأرض من الأعشاب، من البقلِ والحشيش والكثير الكثير من أنواع النباتات، لترعاه (تأكله) مباشرةً الحيوانات العاشبة فهو غذاءٌ لها، ليتحول من خلالها إلى غذاءٍ لكم؛ إلى اللحوم والألبان ومشتقاتها وإلى جلود وصوفٍ وأشياء كثيرة ستنفع الإنسان (الهدف دائماً هو الإنسان).

قال تعالى: ﴿ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾: (فجعله) أي فحوله، وفيه أهم وأرقى وأتم أنواع الغذاء، و(غثاءً) تعني (غذاءً)، أن حرف (الثاء) هو أصل (الذال) وقد تحول إلى (ذال)؛ وإلا فما في القرآن ألفاظٌ عدميّة كما نصّت عليه التفاسير ولا ينبغي توقع ذلك![1]

إلا أن المعاجم في هذا اللفظ وفي هذا الموضع، قد اعتمدت وأخذت عن الطبري وتأثّرت به، عندما قال بأن الغثاء وهي العشب الجاف أو اليابس؛ والله أعلم، و(أحوى) وهي تعني (أحيا)، حيث الإبدال بين (الياء) و(الواو) واردٌ في اللسان العربي المبين، لأنّ (الواو) حرف قوة؛ ولفظة (أحوى) فيها قوة وتفضيل وتكثير ، مثل أقوى وآوى وأضوى وأسوى وأعوى وأغوى وأهوى، و(أحيا) أي أكثرَ حياةً .

قال تعالى: ﴿ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾ ﴾: [1]

(سنقرئك): أي سنجعلك قادراً على قراءة (على فهم) كل ما تراه وتسمعه مما حولك في هذا

---

١ ـ القرآن المجيد لا يمكن أن يُفهم إلا بالوجدان والضمير الحي والإحساس المرهف، والغريب أن يُستنتج أو أن يؤوِّل المفسرون، وطوال العهود الماضية لفظة (غثاءً)، على أنها تعني الحطام والأعشاب اليابسة !؟؛ ولا ندري كيف فهموا ذلك؛ لأنَّ الأمور في السورة أعلاه، من بداية السورة المباركة، فهي تصعد إيجابيّاً إلى فوق من علٍ إلى أعلى، فما بالهم أهبطوا المعنى؛ ونزلوا به إلى الحضيض؟ بحيث أعدموا فجأة ما أخرجه الله تعالى أساساً وكان من أجل الحياة، وإذ بهم يعدموه قبل أن يؤدي هذا المرعى وظيفته في صناعة الحياة. فحطموا المرعى قبل أن تأكله الحيوانات الذي أخرجه الله تعالى من أجلها ولها!

الكون الواسع، من المعطيات والظواهر الطبيعيّة والفلك والقوانين الفيزيائيّة والكيميائية و(الميكانيكية) في كافة المجالات وأن تربط بينها؛ وتحلل وتركب الصور والمعلومات، وتفكّك ثمّ تعيد التركيب، ولكي تستنتج وتعلم، وسنهبك القدرة على استيعابه وتحليله وتركيبه، لإدراكه وفهمه، والقدرة على تأويل الأحداث ومعرفة شيء عن المستقبل{القرآن للمستقبل والحياة وليس للماضي ولا للممات} قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾ يوسف.

والإنسان المؤمن يتلقى ويلتقط الإشارات المبثوثة والواردة والمرسلة، ويتنبه لها، ويعيها ويفهمها، ثمَّ يرتقي بها، (فلا تنسى): والخطاب من حيث المبدأ لكل إنسان أنَّ عليه أن لا يُهمل، أي لا تغفل عن التفكر والتعقل والاستبيان، فلا تضيِّع الفرصة ولا تفقد الأمر؛ ولا زمام المبادرة، ولا تبدد ما يوحى إليك من العلم والإلهام؛ وذلك لتفهم وتعي وتدرك، ولكي تتميّز عن البهائم! وتتخلص من العجمة، فلا تنسى ولا تُضَيِّع ولا تُهمل أيَّ شيء.

فكل شيء يجب أن تتأمله لتفهمه وتعيه، إلا ما شاء الله تعالى لك أن تنساهُ؛ وكان مؤجلاً لظرفٍ آخر؛ أو أن تهمله مما لا يُفيدك حالياً؛ إلا ما كان بسبب العوامل الطبيعيّة والاضطرارية التي قد تصادف البعض من الناس، بينما الإنسان مهيأ فعلاً ليفهم كل شيء؛ ولفظة (فلا تنسى) فيها نهي عن النسيان؛ أي نهي عن الإهمال والترك؛ ولفظة (سنقرئك) فيها دوام واستمراريّة إقراء؛ والخطاب أساساً لكل إنسان مؤمن، لذلك على كل إنسان

---

١ ـ والنِّسْيان، بكسر النون: ضدّ الذِّكر والحِفظ وتَناساه وأَنْساه إِياه، وقوله لأ: نَسُوا اللهَ فنَسِيَهم؛ قال ثعلب: الله لأ لا يَنْسى إنما معناه أنهم تركوا الله لأ فتركهم، فلما كان النِّسْيان ضرباً من الترك وضعَه موضعه، وفي التهذيب: أَي تركوا أَمرَ الله لأ فتركهم من رحمته، وقوله تعالى: فنَسِيتَها وكذلك اليومَ تُنْسَى؛ أَي تركْتَها فكذلك تُتْرَكُ في النار ،ورجل نَسْيانٌ، بفتح النون: كثير النِّسْيانِ للشيء، وقوله عز وجل: ولقد عَهِدْنا إلى آدمَ من قَبْلُ فَنَسِيَ؛ معناه أَيضاً تَرَكَ لأَن النَّاسِي لا يُؤاخَذُ بِنِسْيانِه.

مؤمن واجب أن يبقى جاهزاً ومهيأً لاستقبال الأفكار الجديدة والعلوم التي سيُعلِّمها اللهُ تعالى للإنسان، وقد وعد الله تعالى بأن ينصر المجتهد؛ ويُنجح مسعاهُ ويدفعه قدماً لينتصر وليحقق مساعيه، قال تعالى:﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ البقرة، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ﴾ الرحمن، إن القراءة للظواهر الطبيعيّة والعلاقات والروابط العلمية وإدراكها والبيان، كلهُ عملية منوطةٌ بالإنسان الكامل فقط؛ الذي يمتلك القدرات والإمكانيات العقلية والنفسية، وهو مهيأ؛ وليس الجاهل أو العاجز أو المتمارض أو المتهالك أو المستهلك دائماً والعبد للحاجات والشهوات، قال تعالى:﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ : الخطاب هنا للناس جميعاً، يطلب منهم النظر إلى أربعة أمور إلى (الإبل) وإلى (السماء) عالم الغيب، وإلى (الجبال)، وإلى (الأرض) عالم الوجود.

والله سبحانه وتعالى: (يعلم الجهر وما يخفى) أي أنه تعالى مطلع على الأفئدة والحقيقة ويعلم النوايا، لذلك على الإنسان أن يصدق النيّة؛ والله سبحانه وتعالى يعلم ما يناسب الناس فيخرجه لهم؛ في الوقت المناسب والمكان المناسب، ولديه الكثير الكثير من الأمور التي يؤجلها ربُّ العالمين إلى ما يناسبها من الأوقات والأماكن، إنه تعالى يعلم ما ظهر وما بطن، ويعلم الإعلان والإسرار، فعلى الإنسان أن يحاول بذل أقصا ما يستطيع من الجهد الخيّر والإحسان والعمل الصالح المنتج والفعّل والمؤثّر، لا السلبي ولا الخاسر ولا الهدّام، (فلا تنسى): أي فلا تُهمل ولا تبدد ولا تُضيّع ولا تترك، بل احفظ

قال تعالى: ﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ ﴾ :
(التذكرة للمؤمن والحجة على الكافر!) أي أننا سنُسَهِّلُ لك سبيلك إلى الخيرات، لما هو نافعٌ، وندفَعُكَ إلى سبيل الحق الذي لا يحيد، وعليك أيها الإنسان الواعي والفاهم والمدرك، إذا ادركت أن تنقل، ما أقرأكَ الله تعالى ، أن تنقله وتنشره للآخرين ممن حولك؛ إذا كانوا قادرين على الانتفاع بقراءة الله تعالى، فالقانون الإلهي ينصُّ على أن كل من يخشى الله تعالى فإنه سوف يتفكَّر ويتفاعل ويفكر فيُنتج، وأنَّ البعض من الناس سينأى بنفسه عن التفكُّر؛ والتذكرة فيها إعذار وإنذار، والذي يخشى الله تعالى فقط هو من سينتفع بالذكرى (بالتفكُّر؛).

ولفظة (فَذَكِّرْ) في هذه الآية والله أعلم أنها تعادل لفظة (فَفَكِّرْ)؛ إن لم نقل أنها أعلى مراحل التَفَكُّر، والواقع أنَّ مؤدى مفهوم ودلالة (الذكر) في القرآن الكريم عموماً وفي جميع المواقع، يشير صراحةً إلى مفهوم ودلالة عين (الفكر)، ونحن لو أبدلنا ـ نظرياً ـ لفظة (فكر) مكان لفظة (ذكر) في أي آية من آيات الله تعالى التي في القرآن الكريم وفي جميع الصِيَّغ، لظهر ذلك جلياً.

وفي القرآن الكريم فإنَّ النسيان هي حالة ذهنيّة سالبة يفقد فيها الإنسانُ القدرة على التركيز واستحضار المعلومات أو الصور أو الأحداث، وتغيب تلك الأشياء عن ساحة وعيه وشعوره وتغوص في الماضي.

بينما (الإدِّكار) بالدال المشددة عكسها تماماً ؛ الذي يعني مجرد الآليّة الذهنيّة التي يقوم بها الدماغ السليم لاسترجاع الماضي من الذاكرة البعيدة أو القريبة! صوره والمعلومات وكافة الأحداث، وجعلها ماثلةً في الشعور والوعي لا تغيب؛[١].

١ ـ والبعض يفقد ذاكرته؛ وهنالك أدوية لتنشيط الذاكرة، فالذاكرة قضيّة لها علاقة بوضع الدماغ من الناحية الصحيّة.

أما (التذكُّر) بالذال؛ فإنه في القرآن العظيم، وبعيداً عن الفهم الصوفي والسلفي والشيعي، فإنه عمليّة نفسيّة تفاعليّة إيجابيّة كبرى، بل هي أرقى مراحل الفكر وخلاصته؛ لأنها تعني تفعيل الأفكار وجعلها منتجةً مولِّدةً، بحيث تؤدي إلى إيجاد الحلول لمشكلات الإنسان المادية والمعنوية، البيئية والذاتية، في الأولى والآخرة؛ وفي جميع الاتجاهات، إنها مسألة تفاعليّة إيجابية بّناءة، لا تقف عند حدود أبداً، لأنَّ الذكُّر قضيّة عميقة وعمليّة إيجابيّة بناءة تنطوي على ارتفاع بالمستوى وارتقاء وتتولد عنه القيم والمبادئ العظيمة[1].

والمقصود منها الدفع إلى التفكير وتوجيه العقول إلى العمل المنتج الفعَّل، لأنَّ التذكُّر عمليّة عقليّة محضة، وهي مفتاحٌ على العقل ومنطلقةُ إلى التفكير، والأمر بالتذكير يستدعي التفكير الفعّل والمنتج؛ وليس المقصود منه مجرد التذكر بالمعنى السالب، مجرد الوعظ).

قال تعالى: ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ : إنَّ الذي سينأى بنفسه عن الفهم والإدراك والوعي والتفكُّر؛ سوف يجرُّ نفسه باتجاه الشقاء، أي إلى النقيض من اليسر ويحرمها، هذا هو بالتالي من سيصلى النار الكبرى، التي من سماتها أنَّ من يدخلها ويخلد فيها في العذاب فإنه لا يموت فيها ولا يحيى، و(ثمَّ) للتراخي في مراتب الشدَّة، لأنَّ التردد بين الموت والحياة أفظع من صلى النار الكبرى، والله أعلم.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ ﴾ : قد حرف تحقيق، والمعنى

---

١ ـ (ذكّر) على وزن (فكّر)؛ وهي تشترك في حرف (الراء) و(الكاف)؛ والذال والفاء أحرف متقاربة، و(التفكير) هي اللفظة الفعَّالة والمنتجة؛ لأن التذكُّر هو أعلى مراحل الوعي والتفكير، والمقصود منها دفع العقول إلى العمل المنتج (الفعّال) ، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد.(بينما لفظة (ذكّر) بالمؤدى الصوفي والسلفي والشيعي، الذين أفقدوه من محتواه، فقالوا أنه يعني مجرد التنبيه ولفت الأنظار لمن كان ناسياً !

أنه قد حقق النجاح وانتصر كل من تطهرَ وطهَرَ نفسه من الرجس والشبهات وخلصها من كل ما يُعيق اتصالها مع الله الخالق لأ، اتصالاً وثيقاً واستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والفهم والوعي ، ثمَّ استقام على الطريق ، طريق الهدى والإيمان بالله لأ ، من تزكى: من تطهر من الشرك وآمن بالله وحده وعمل وسَبَّحَ بطريقته الحسنى بمنهاج الله تعالى، وكان عمله الصالح زاكياً نامياً، والزكاة في الأنفس والأعمال والأموال، والفَلاَحُ: الفوز والنجاة والبقاء في النعيم والخير والبقاء أو ما يبقى؛ (وذكر اسم ربه فصلى): أي ذكر موقفه يوم القيامة وأعماله وما أنجزه ومعاده، وأدرك الحق، وأنشأ علاقةً مع ربه ليس فيها انقطاع، وحافظ على صلته بالله تعالى يستمدّ منه العون، والنتيجة أنَّ من يتزكى هو الفائز، والخلاصة أنَّ من يكن دائماً مع الله تعالى فهو ولا شك سينتصر في النهاية، وهو الذي سيذكر اسم ربه فيندفع للاتصال به سبحانه وتعالى، عودةٌ أو التفات إلى المقدمة، الآية الأولى.

قال تعالى: ﴿ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ : (بل) فيها إضرابٌ عن كلامٍ مقدَّر وأحوال؛ يدل عليها السياق تمَّ الإشارة إليها عند الحديث عن (الأشقى الذي يصلى النار الكبرى)، أي أن الناس لا يفعلون ما طُلب منهم، وذلك لإحلال أوضاع وأحوال أخرى، سيتخلون عن الحق وينحازون للترف والكماليات، وسوف ينزعون للمخالفة وإلى الخروج عن الحق، متناسين الآخرة، إنَّ الناس أكثرهم يجنحون إلى الحياة الدنيا متناسين الآخرة؛ والتي هي الخير كله وهي الأبقى (لو كانوا يعقلون أو لو كانوا يتفكرون) ولأنَّ الدنيا زائلة في جمع

الحالات، والآخرة فيها الحياة الحقيقية، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، إن هذا الأمر كان منصوصاً عنه في الرسائل والكتب التي نزلت على الأولين على إبراهيم وموسى.

(إنَّ هذا) إشارة إلى كل ما ورد في السورة من أولها إلى آخرها، أنه كان منزّلاً وثابتاً في الصحف الأولى وهي الشرائع الأولى، صحف إبراهيم وموسى، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ آل عمران، وأنَّ جميع الأنبياء والرسل، كانوا قد بلّغوا وأدَّوا ذات الرسالة والأمانة، (الإسلام) شكلاً ومضموناً؛ وأنَّ صحف إبراهيم وموسى هي الصحف الأولى؛ وذلك على العكس مما يدعي الكثيرون ممن لا يدرون شيئاً عن الحق، فالصحف قديمة والكتابة قديمة والورق والقرطاس قديم، والقراءة والكتابة قديمة، وفيها شرع الله لأ والقيم والمثل الراسخة.

سورة (الكوثر) ما معنى الكوثر؟

لقد أعطى الله تعالى المؤمنين الكوثر، أي الشيء الكثير، بل هي الكثير الكثير من كل شيء، الذي يغنيهم، أي أنه تعالى قد أعطاهم الدعم اللامحدود ولفظة (أنحر) في الآية الثانية من سورة الكوثر لا تعني اذبح ولن تعني ولايمكن أن تعني أذبح، ولا هي أمرٌ بالذبح! كما ذهب إلى ذلك معظم المفسرين، وكيف يستمر الذبح مع استمرار الصلاة وديمومتها؟ ولكنها عربياً تعني أنَّ المؤمن ليس جباناً، وأن عليه المواجهة وعدم الهروب وعدم الرضوخ وعدم الاستكانة للأراجيف، والرد على الكفار، والتقوّي بالصلةِ مع الله والصلاة له وحده لا لغيره، والثقة بالله الخالق، وعدم السكوت على افتراءات المفترين مهما بلغت قوتهم، ومهما تعددت واتسعت جبهاتهم وذلك من التناحر لأنَّ النحر هو الرقبة، والرقبة المشدودة إلى الأمام، المنتصبة المرفوعة مع الرأس، في مقابل وفي مواجهة الخصم، إن التناحر معناه العربي هو المجابهة والمواجهة، فقد أعطى الله، أعطى المؤمنين الكوثر، أي الشيء الكثير، بل هي الكثير الكثير من كل شيء الذي يغنيهم، أي الدعم اللامحدود، وذلك إذا أفاقوا وإذا فَهِمُوا وإذا تعلموا وإذا طرحوا الجهل ونبذوا الخرافة، وأخذوا بالأسباب، بالعلم، والوعي، وتذكر التفاسير الشعبية غر المنطقية، ولاالدقيقة أنَّ المقصود بالكوثر في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ۝١** ﴾ [الكوثر:١] أنه نهر في الجنة، وربما يكون في الجنة نهرٌ يسمى الكوثر والله أعلم، ولكن لفهم سورة ﴿**ٱلۡكَوۡثَرَ**﴾ فهماً صحيحاً يكون لعمري هكذا تفسير من الأخطاء الشائعة والتي لا أصل لها، بل حُشِيَتْ بها عقول العرب المسلمين، لأن معنى الكوثر في اللسان العربي المبين والله أعلم، فهو الكثير الكثير من كل شي، وهي لكل مؤمن وعداً من الله فإذا كانت الآية مكيَّة، وقد نزلت في بداية الدعوة وكان المصدقون بها قلة قليلة، فكيف يخرج عليهم الرسول ﷺ، في مكة في بداية الدعوة ليقول لهم إن الله قد أعطاني نهراً في الجنة وما هو مبرر هكذا قول في حينه! أين العقلاء!

القص في القرآن الكريم، لا يعني الرواية؛ بل يعني الدلالة على الهدف

وكذلك فإنَّ في القرآن الكريم، وفي سورة يوسف تحديداً، التي يمرُّ عليها الناس، العرب المسلمون، على أنها قصةٌ من القصص! بمعنى الرواية؛ وهذا خطأٌ بالغ؛ ويعتقدون أنها إنما وردت في القرآن الكريم لتروى فقط، لمجرد معلومة تاريخية، ويعتقدون أيضاً، وكما ورد في أسباب نزولها! أنها إنما نزلت في مكة لتسلو عن رسول الله محمد ﷺ، على أثر رجوعه أو عودته من الطائف، من عند أخواله، وهو ﷺ، حزينٌ مُدمَّى[(١)]؛ على حد قول المفسرين[(٢)] وانَّ الله سبحانه وتعالى قد أنزل عليه سورة يوسف ليخفف عنه حزنه! فقص عليه القصة![(٣)] على أساس أنَّ من سَمِعَ بمصيبةِ غيره خَفَّتْ عليه مصيبته! أو يقولون أن الرسول ﷺ، كان قد سُئل من قِبل أحد اليهود سؤالاً تعجيزياً! وامتحاناً له؛ فاستمهل الرسول ﷺ حتى جاءه الوحي فقص عليه القصة! وتتكرر هذه الصيغة أو هذا الحل أو هذا الجواب يتكرر لدى

---

(١) وهنا تبالغ القصص الشعبية الواهمة والمتوارثة، تبالغ في وصف الإساءة، وتقول أن الرسول ﷺ تعرض للإهانة؛ وحاشا وكلا أن يحصل مثل هذا الأمر لرسول الله ﷺ ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى معه، ومن كان الله معه فكيف يُهان؟ بل عقول الناس في خطر!

(٢) وغاب عن بال المفسرين الذين نقلوا، وكان الطبري إمامهم؛ أمثال ابن كثير الإمام، وجلال الدين السيوطي الإمام أيضاً؛ والذين تصوروا واهمين، أن فهم القرآن الكريم، ممكن في حال تجزيئه وانفراط عقده، وأنّ موضوعه ومُشْكِلَهُ ينحلُ بمجرد محاولة تفسير المفردات؛ وهكذا تحول الموضوع عندهم، إلى أن هناك مفردات على حد زعمهم، في القرآن الكريم، كانت غير عربية، وغير مبينة، وعصيَّة على الفهم، فتصدوا لتلك المهمة، واشتغلوا في مهمة شرح كلام الله، كلام ربّ العالمين، الخالق المبدع المصور، الذي لم يكن يحتاج إلى شُرَّاح، وعندما كان يحصل في أفهامهم أو أوهامهم تناقضات، كانوا يلجؤون إلى ما هو بزعمهم (علما الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول) فتنحلُّ مشكلتهم. فغفر الله لهم.

(٣) ففي مقدمة الشهنامة للفردوسي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، أن الفردوسي لما خاف ذهاب تاريخ الفرس وضياعه، أمام ثقافة الإسلام ومده العظيم، كان قد ألف كتاب الشهنامة وحاول فيه جمع تاريخ الفرس المجوس، وبعد ذلك أقام الفردوسي في بغداد، فلما أقام في بغداد فترة، وعلم أنّ الخليفة العباسي المقتدر بالله، والناس في بغداد، لم يستحسنوا كتابه (الشهنامة) الذي كان في تاريخ ملوك المجوس الكفار! أخذ الفردوسي، وهو في بغداد، أخذ في نظم قصة (يوسف وزليخة) فأعجب بها الخليفة، وكذلك أهل بغداد؛ وزادوا في إكرامه! وقبل ذلك، فإنَّ العرب لم تعرف ولم تعترف، بلفظ زليخة، هذا اللفظ التوراتي المصدر اليهودي المنشأ، والذي لم يذكر في القرآن الكريم أبداً، ومنذ ذلك الحين بدأ التطبيع مع الثقافة اليهودية!!

المفسرين، عند كلامهم عن كل قصة وردت في القرآن الكريم؛ أصحاب الأخدود، وأهل الكهف، وغيرها! وما دروا أنهم بذلك قد أفسدوا المقصود، وأطاحوا بالغرض، وحرفوا المسار...

سورة يوسف ليست رواية عن الماضي، بل هي إشارة، ونبأ ونبوءة، عن المستقبل

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

إنهم لم يدروا إن سور القرآن المبين لم تكن، مجرد رواية نزلت على الرسول الكريم لتذهب عنه الهم، والحزن، أو لتسليته كما ذكرت ذلك التفاسير، أو كما هو موجودٌ في رؤوس الكثيرين من خاصة العرب المسلمين، بله العامة، وكيف سُطحت المعاني وأذهبت الأهداف لمثل هذه السورة القرآنية المجيدة؟

أما الحقيقة فإن معنى القصِّ، والقصص، في اللسان العربي المبين، شيءٌ أخر، لايدركه

إِلَّا العربي، الذي يهدف إلى البيان[1]، قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ [يوسف: ١-٢]، لقد ربط الله سبحانه وتعالى العرب بالعقل، فلا عقل دون عرب، والعرب قيادة العقل، أو هي سَوْقَاً إلى العقل، لعلكم تعقلون، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [الرحمن: ١-٣]، وقصَّ آثارهم يقصها قصاً، وقصصاً، وتقصُّها تتبعها بالليل، وقيل هو تتبع الأثر في أي وقت كان.

والقصُّ الدلالة على الطريق الصحيح، وأحسن القصص أحسن السبل الصحيحة التي تقود إلى اليقين، وكل ذلك سيتحقق بسبب أننا أنزلنا عليك هذا القرآن، ولقد كُنْتَ من قبل أنْ تتبين هذا القرآن في ظلال مبين، وهذا البيان موجه لكل قارئ للقرآن وإلى الأبد، وعبر الزمان والمكان، إلى يوم يُبعثون، وليس للرسول ﷺ فقط.

---

(١) البيان، هو مستوى من الفهم عالٍ جداً، بل هو أعلى مستوى للفهم، وينطوي على استعمال عالٍ، فعَّال للعقل والمنطق، بكل مراحله؛ من ذكاء وذاكرة ووعي وانتباه وفطنة وشعور مرهف، وإعمال وتنشيط لكافة الحواس، من أجل تحقيق أفضل النتائج.

إنَّ البيان نافذتك على العالم، لكنَّ هذه النافذة من طبقتين، واحدة تُفتح على العالم من الداخل، أو يجب أن تعمل على فتحها من داخلك، إلى الداخل، باتجاه الداخل، والطبقة الأخرى تفتح من الداخل، أو يجب أن تعمل على فتحها من داخلك وإلى الخارج، باتجاه الخارج، ولا بد من فتح الطبقتين معاً حتى يتم الاتصال الصحيح مع العالم، الذي لا بد منه هذا الاتصال، لتحقيق الأهداف العظيمة والنبيلة، فالبيان، هو الشيء الأساسي الذي يميز الإنسان عن باقي الكائنات الحية! لكن البيان أساسه من الله سبحانه وتعالى، توفيقٌ منه عز وجل، فإن شاء الله سبحانه وتعالى، فتحت النوافذ، وإلا بقيت مغلقة. وقد ضرب الداعية الإسلامي الدكتور راتب النابلسي مثالاً جيداً لتوضيح معنى لفظة البيان فقال: أحياناً يعتزم أو يقرر إنسان ما السفر إلى بلد معين، في زمنٍ محدد، وعن طريقٍ محددة، ثمّ أنه يُخبَّرُ أو ينمو إلى مسامعه، أن الطريق التي كان ينوي سلوكها، مغلقة ومقطوعة لسبب ما، وأن فيها خطورة بالغة، عند ذلك فإن الإنسان العاقل سوف يتخذ الإجراء المناسب، يُصدِّق الخبر الصادق، فلا يسافر في هذا الطريق، أو يؤجل سفره حتى ينزاح الخطر، وتصبح الطريق آمنة؛ أما الإنسان غير العاقل، فإنه لا يعبأ بالخبر الصادق، وسوف يسافر ملاقياً المصاعب، أو أنه يرجع بعد المعاينة الحسيَّة، والتجربة الشخصية؛ فهو لا يصدق حتى يرى ولايصدق حتى يعاين، وحتى يُجرب بنفسه؛ فكان الإنسان العاقل، هو الذي يستفيد من البيان، بينما الإنسان غير العاقل، لا يستطيع الاستفادة من البيان، مثله مثل الحيوان، لأن الحيوان لا يمكن أن يفهم الخبر، والخبر مهما كان مهماً فإنه لن يفيده لأنه في جميع الحالات كحيوان تحركه دوافعه وغرائزه وهو سيسلك الطريق التي يندفع بها بدوافعه، وسيتوقف عند الحواجز الطبيعية بشكلٍ طبيعي؛ وهكذا سيستوي الإنسان الذي لا يستفيد من البيان سيستوي مع الحيوان، بل ربما كان أضلُّ سبيلا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الأنعام: ١٣٠]، قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ [الكهف: ٦٤] أي رجَعا من الطريق الذي سبق وأن سلكاه، يقصان الأثر، أي يتبعانه، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص: ١١]، فالقصُّ اتباع الأثر، والقصُّ أحسنه يحصُلُ ويتحقق، بما يُوحِيْهِ اللهُ سبحانه وتعالى من القرآن المبين، الذي أنزله من لدنه من عنده.

وكان هذا القرآن عربياً مبيناً لعل الناس، جميع الناس، يعقلون، إنَّ كون القرآن الكريم عربياً فإنه يتوجب على الناس جميع الناس، من الجنة والناس، أن يعقلوه، فالقصُّ اتباع الأثر، وفيه تتبع الهدف المثال، وفيه تحقيق غاية، وهي تستهدف الوصول، إلى الحالة المبينة الواضحة، الحق، وبإتباع الأثر يتم، أو يقتضي هذا الإتباع الخروج من الغفلة، إن القص يعني ورود الخبر الصحيح، والقصُّ البيان(١)، وهو تصحيح للخبر، الخبر الذي ذكرته التوراة اليهودية بشكلٍ خاطئ، فإن القرآن الكريم أعاد قصَّهُ بالحق للمسلمين المؤمنين، فكيف يعود العرب للاستسلام لمقولة التوراة المزورة الخاطئة التي كتبوها بأيديهم!

لقد كانت الرؤية في سورة يوسف، قد تجسدتْ حقيقةً، وهي نبأ ولكن كان مقصودٌ منها أن هناك هدفاً جليلاً وعظيماً سيتحقق، وغاية عظيمة سيتم الوصول إليها في المستقبل؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أتمَّ نعمته على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق وكذلك سوف يجتبيه ليتمَّ

---

(١) (جاء في لسان العرب، لابن منظور: أن القاصَّ الذي يأتي القصة على وجهها، كأنه يتتبع معانيها وألفاظها، وفي الحديث: لا يقصُّ إلَّا أميرٌ أو مأمور أو مُختال، أي لا ينبغي ذلك إلَّا لأمير يَعظ الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا، وأما مأمورٌ بذلك فيكون حكمه حكم الأمير، ولا يقصُّ مكتسباً! أو يكون القاصُّ مختالاً يفعل ذلك تكبراً على الناس، أو مرائياً، يُرائي الناس بقوله وعمله، ولا يكون وعظه وكلامه حقيقة.. ومنه الحديث أن بني إسرائيل لما قصوا هلكوا، وفي روايةٍ أنهم لما هلكوا قصوا! أي اتكلوا على القول، وتركوا العمل فكان ذلك سبب هلاكهم، أو العكس فإنهم لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص) لسان العرب لابن منظور الجزء ١١ دار إحياء التراث العربي.

نعمته عليه وعلى آل يعقوب، إن ربك عليمٌ حليم.

كان سيدنا يعقوب لا يأمن أولاده الآخرين على يوسف وأخيه، كان سيدنا يعقوب متزوجاً بأكثر من امرأة؛ لقد كذب إخوة يوسف في موضوع يوسف، كان سيدنا يعقوب يعلم من الله سبحانه وتعالى، حقيقة ما حدث، وما فعله أبناؤه، لكن الله سبحانه وتعالى أوحى له أن لا يصارحهم بحقيقتهم.

قال الذي اشتراه من مصر بسعرٍ بخس؛ ومصر هنا نكرة غير معرَّفة، وبالتالي فإنّ معناها المدينة المركزية، أو البلد، التي تتبع لها مجموعة قرى وبلدات، وليس بالضروري أن تكون مصر وادي النيل، فالاسم في وادي النيل حديث نسبياً! بل هي إحدى المدن الهامة، فيها ملك كان عادلاً، ويحمل هم الناس ويعمل لمصلحتهم، على شريعة ما، وفي هذه المدينة يوجد سوق، تباع فيه البضائع ومن ضمنها العبيد؛ وكان عندهم أربابٌ متفرقون، أو تعدد في الأرباب وكان يوسف طفلاً فقيراً، أعزلاً، يعيش في لجَّةِ البادية البعيدة كثيراً عن تلك المدينة، كان مستحيلاً، ومن غير المنطقي ومن غير المعقول، أن ينتقل طفلٌ من البادية البعيدة ليصبح ملكاً للبلاد، كل البلاد!

لاسيما وأن الملك في تلك الأيام كان يحكم مملكته إما وراثياً، أو بالقوة الهائلة، قال تعالى: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ** ﴾ [يوسف: ٢١] لقد جاء يوسف في مكانة كريمة، وعلى طريق مناسبة، كان ذلك بتقديرٍ من الله سبحانه وتعالى ورعايته، لينضج بمشيئة الله سبحانه وتعالى، وبأمرٍ منه سبحانه وتعالى ليتعلم تأويل الأحاديث، والله غالب على أمره، والناس لا يعلمون، ولمَّا بلغ أشده وآتاه الله حكماً وعلماً، وكان سيدنا يوسف محسناً، وكان الحكم والعلم جزاء المحسنين.

يقول تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿ **إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾** ﴾ [يوسف: ٣٨]، فهل كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، هل كانوا مجهولين في مصر تلك؛ ألم تكن

رسالتهم قد وصلت إلى تلك البلد أم أن تلك البلد (مصر) كانت بعيدة جداً عن باديتهم؛ أم أن البلاغ والرسالة التي كانت في آل إبراهيم قد ظلت محصورة في بقعة محددة معينة، إلى أن جاء دور سيدنا يوسف لتنتشر إلى كافة أنحاء العالم في ذلك الزمان(١)، الذي قدر له أن يدخل أولاً بيت الوزير (العزيز) فيطلع على سير العمل، ويكتسب ويتعلم كيف تدار المملكة وكيف تحل الأمور العظام، لقد تربى وتمرس على الحكم من صغره!

وصارت لديه خبرة وهذا هو السبب الذي جعل الملك عندما كلمه، يدرك إمكانية سيدنا يوسف وقدرته على إتقان العمل، نفس عمل العزيز، (لاشك أن النبوة والكتاب والعناية الإلهية كانت هي الأساس) لقد خاطبوه بقولهم يا أيها العزيز، ثم إنه لما كان قد دخل السجن من قبل كان قد عانى وصبر، وكان من المحسنين، وقد هيَّأ الله له الظروف، ثمَّ إنَّ الملك نفسه قد استخلصه في هذه المرة، قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ**

---

(١) أما الملك المؤيد عماد الدين أبو الفداء إسماعيل صاحب حماه، فقد كاد يقترب في تاريخه من حقيقة ماقلنا من نزع ثقته بالتوراة (اليهودية) وبالتواريخ القديمة لعدم رجوعها لأصلٍ مضبوط، حيث اعتمد على النسخة اليونانية؛ وبرهن على فساد السامرية والعبرانية! ولكنه نهج منهج غيره من المؤرخين وتخبط كما تخبطوا في تقدير المدد والأعمار وفي متابعتها!

وسنورد لك من الآيات الدالة على تحريفها ما فيه مقنع إنشاء الله تعالى، أولاهما قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾** ﴾ [البقرة: ٧٥] فقوله ﴿ **مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ** ﴾ يرد دعوى التحريف خطأً ويثبت التحريف العمد زيادة على كل تحريف. ثانياً: قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾** ﴾ [آل عمران: ٧٨] أخرج الطبري في تفسيره عن ابن عباس ما نصه: قوله ﴿ **وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ** ﴾ وهم اليهود، كانوا يزيدون في كتاب الله ما لم يُنزل الله تعالى. أهـ.

قال ابن جرير: «وأصل اللَّي الفتل والقلب. ثالثها: قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ **مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ** ﴾ [النساء: ٤٦] رابعها: في سورة المائدة قال تعالى: ﴿ **يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ** ﴾ [المائدة: ١٥] خامساً قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ **يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ** ﴾ فثبوت تحريفهم وكتمانهم ينفي غلبة الظن بصحته» من كتاب أغاليط المؤرخين للدكتور أبو اليسر عابدين،ص ٦٣، مكتبة الغزالي بدمشق ١٩٨٩م

﴿إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ [يوسف: ٥٦]، فصار وزيراً مسؤولاً عن الميرة أولاً ثم فيما بعد ليخلف الملك وليصبح في النهاية ملكاً للأرض، كل الأرض، كانت هذه مشيئة الله سبحانه وتعالى، إن الرحلات بين البادية والمدينة (مصر) كانت موسمية، وتعددت وكثرت خلال سني الجفاف؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: ١٠٣] وهو ذكرٌ للعالمين، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ١٠٥﴾ [يوسف: ١٠٥]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [يوسف: ١٠٩]، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف: ١١١]، فهل فهم الناس حقيقة المراد من القصص في القرآن الكريم؟ قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾ [النساء: ٧٨]، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

وهكذا فإن الدماغ الشعبي وبتأثير بالغ من التفاسير الشعوبية، والعقلية الواردة أساساً من التوراة اليهودية، والتي كانت سائدة قبل الإسلام في بلاد فارس! فوردت إلى العقل العربي المسلم، مع ما ورد إليه، من العقائد الشعوبية إبان انفلات زمام الأمور، إثر الانقلاب الشعوبي العباسي، وسيطرة الأعاجم منذ ذلك الوقت، على الدين والدنيا، وقد شكل هذا الفهم لآي القرآن الكريم، مع مرور الوقت، تشكيلاً خاطئاً ومنحرفاً وشائعاً، لدى عامة الناس المسلمين والعرب، وُطمسَ على سمعهم، وأبصارهم فما عادوا يستبينون الُمراد، واسترسلوا في السطحية، ودخلوا القفص، وأطبق عليهم الفخ؛ وهكذا أصبحوا يدورون في

مكانهم، أو يراوحون في نفس المكان دون إحراز أي تقدم يُذكر ومنذ ألف ومئتي سنة![1].

وغاب عن بالهم أنه في القرآن العظيم، لا ينبغي فهم الآية من القرآن الكريم بمعزلٍ عن موقعها في السورة، ولا عن موقعها في القرآن العظيم ككل، فالقرآن الكريم عقدٌ واحد، وإذا انفرط العقد، لم يعد عقداً، بل مجرد قطعٍ متناثرةٍ، قد تكون ثمينة جداً، وجميلةً جداً، ولكنها لم تعد عقداً، وكذلك فإن السورة الواحدة في القرآن العظيم، كل سورة من القرآن الكريم، عند فهمها، يجب عدم النظر إليها على أنها آيات معزولات عن بعضهم البعض، لأنها تشكل لوحة متكاملة لا انفصام بين أجزائها (آياتها) أبداً فإذا انفصلت أجزاء اللوحة الواحدة وتقطعت، أو حجبت بعض عناصرها عن الأنظار، فإنه لن يعود بالإمكان إطلاقاً فهمها، فهماً صحيحاً، موصلاً، غير ذي عِوَجٍ، أو فهم موضوعها، كلوحة متكاملة، إنها لم تعد في هذه الحالة لوحة

---

(١) أما الماضي فللعرب منه موقفان:

أ – موقف يرى ذلك الماضي مكتفيا بذاته فهو غير محتاج إلى رافد جديد ولذلك فلا حاجة لان يظل مفتوحا لالتقاط ما يأتي به الزمن، على العكس من ذلك: إن جري الزمن في رأي هؤلاء لا يفعل سوى أن يبدد ذلك الماضي أو يطمسه، فالأفضل إذن أن نغلق الماضي وأن نعتبره كاملاً وأن ننقله برمته إلى الحاضر لنجعله يمتد نحو المستقبل. لقد رأينا أن انغلاق الماضي على ذاته ليس سوى تحجر ذلك الماضي وتحجرنا معه وصيرورته ماضيا ميتا معدوم التوتر نحو المستقبل، مقطوع الصلة به، وبذلك ينقلب الماضي حدا وينهار بعد المستقبل لأن المستقبل لا يصنع الا ابتداء من الماضي المفتوح على النمو والصيرورة.

ب– وأما الموقف الثاني فيلعن الماضي ويرى فيه سبب الجمود والتأخر، والحل في رأي أصحاب هذا الموقف أن نقطع الصلة بذلك الماضي وأن نصنع المستقبل دون معطيات سابقة.

لقد رأينا أيضاً أن حذف الماضي يعني حذف المستقبل لان الماضي هو ما نحن عليه، هو ماهيتنا، ونحن نصنع المستقبل بدءاً من هذه الماهية، فإذا حذفنا الماضي فنحن نحذف ما نحن عليه، ونصبح أداة المستقبل للغير، وهكذا نرى الموقفين يؤديان إلى نفس النتيجة وهي انهيار المستقبل. أما بُعد المستقبل فمنهار لدى العربي المعاصر لسببين: السبب الأول: هو أن انهيار بعد البقاء وخضوعه للمصادفة يجعل المستقبل يحذف توقعنا اياه ويغرقنا في الحاضر. إن الشروط السيئة والكوارث المتواصلة تجعل العربي المعاصر يرتمي شيئا فشيئا في اليأس واللامبالاة وبذلك يزداد تمزقا وغوصا في مستنقع الحاضر.

والسبب الثاني هو أن المستقبل حامل القضية وهو موجود بها، والعربي المعاصر لا يملك القضية المشتركة كما نرى، فهو مبلبل بين شتى القضايا المتعارضة، والقضية التي نقصدها هنا هي التحقق العيني للنزوع الاصلي، فليس هناك مضمون واقعي مشترك ينعقد عليه ما يشبه الاجماع، ولذلك نجد العربي المعاصر تمزقه اتجاهات كثيرة وتحول بينه وبين توقع قضية مشتركة يحملها مستقبل واحد.

أما بعد المعرفة فمفقود لدى العربي أيضا، وقد قلنا ان المعرفة هي الرؤية في القضية، والقضية ثمرة الحوار، وكلاهما في مستوى واحد هو مستوى المعاني، ونحن نرى وجودنا الحاضر الناقص بدءا من مستوى المعاني، ومادمنا دون هذا المستوى لانهيار بعدي البقاء والمستقبل فنحن بلا رؤيا. نحو حضارة جديدة لأحمد حيدر، مصدر لاحق.

أبداً

فالحقيقة أنه لم يكن هناك يهود عرب أبداً، وعبر التاريخ، بل كان اليهود وعلى مر الزمن غرباء عن هذه الأرض العربية، يعملون جواسيس، وأدلّاء على العرب الموحدين، جلبوا من أقصى الأرض، خداماً للفرس والرومان واليونان، قادوا الحملات ضد العرب الموحدين وهاهم الآن، في العصر الحديث، يقودون الحملات؛ وقد تآمروا مع الصليبية العالمية المهوَّدة، والذين هادوا من الشعوبية الحاقدة، وهم الآن يعدون العدة للقضاء على العرب نهائياً وإزالة شأفتهم وإلغاء ذكرهم، ومسح وجودهم عن الخارطة[1].

---

(١) (إن النجاح اليهودي المعاصر في بسط الهيمنة ومد الأذرع الأخطبوطية في معظم أنحاء العالم، والتحكم بالنظام الاقتصادي العالمي، وبالأوضاع السياسية لدولٍ كثيرة كبرى وصغرى، وبالحياة الاجتماعية والثقافية، نشراً للفوضى، والقيم المادية والفردية والإفساد الأخلاقي والإداري، من أجل تحطيم المجتمعات وجعلها سَلِسَةَ الانقياد، مطواعة، بهيمية النزوات، والشهوات، مخدرة العقول، قد جعل الكثير من الأوساط يتساءل عن سر قدرة أربعة عشر مليون يهودي على بسط مثل هذه السيطرة!

وتحقيق مثل هذا التحكم الهائل في مقدرات العالم، إنَّ المسألة أكثر تعقيداً من حصرها بمدى انتشار الماسونية وواجهاتها، أو مدى نفوذ اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، والمافيا اليهودية في روسيا؛ وغيرها من البلدان؛ أو السيطرة اليهودية التقليدية على أسواق المال والذهب، أو التغلغل اليهودي في الكنائس الغربية والشرقية... كل هذه عوامل معروفة ولها وجاهتها، إنَّ ما يعيشه العالم اليوم، كان حصيلة تراكماتٍ تاريخيةٍ طويلة وجهود قرونٍ، لا سنواتٍ معدودة، كما يتوهم الكثيرون من العرب المسلمين؛ وقد تم من خلالها تهويد حضارة مهيمنة بأكملها، وبالتالي فقد تمَّ لهم تهويد مجتمعات كثيرة بوعيها، أو من غير وعي) ص٣٠٠ القوى الفاعلة د.خير الدين عبد الرحمن دار الجليل دمشق ١٩٩٦

العروبة شعور رائع بالانتماء الحضاري إلى أمةٍ الأمم

معلوم أنّ العروبة ليست عرقاً، ولا جنساً مغلقاً أو مقفلا أو قومية محدودة، بل هي شعور رائع بالانتماء الحضاري إلى أمةٍ الأمم، وهذا الشعور ليس وقفاً على جنسٍ معين من البشر، بل يمكن لأي من الناس في العالم الدخول في الأمة العربية، فقط عليه أن يخلص الدين لله الواحد، ويصدِّق رسوله الكريم، وأن يحبّ العرب، وأن يتحدث على أرضهم بلسانهم، اللسان العربي المبين، فالعروبة جنسية مفتوحة، غير مغلقة، كما هي الحال في القوميات الأخرى، إن العرب المسلمين، ومنذ قرون، يتعرضون لاعتداء اليهود والاستعمار الأوربي، وهم يعيشون كفاحاً وجهاداً مستمراً ضد اليهود والاستعمار الأوربي الأمريكي المهود، بل يجب أن يعيشوا هذه المواجهة بطرق عديدة، مناهضة لليهود وعملاء اليهود والجهاد العربي الإسلامي لا يعني جهاداً بالحرب والقتال فقط، بل إنّ هناك أنواعاً من الجهاد والنضال متعددة يجب على كل عربي مسلم ممارستها جميعها ضد أعداء الله والعروبة في كافة الميادين وذلك بالإضافة إلى استمرارية الكفاح المسلح المشروع ضد أعداء الله سبحانه وتعالى ثمّ ضد أعداء الوطن، يجب على كل عربي مسلم تربية أولاده على حب العرب والإخلاص للعروبة المسلمة، وطناً منشوداً هو مركز الإيمان، وأمة مؤمنة لا أروع هي أمة الأمم وذلك على الرغم من الواقع المرير، وأن اليهود هم مصدر الفساد في العالم وعلى العربي المسلم أن يعمِّق إيمان أولاده بالله العظيم وانتماءه إلى العروبة وإحساسه بالعروبة وبالروح الوطنية العربية وأن يمجِّد انتماءه لهذه الأمة العظيمة ناقلا إليهم الحقد على أعداء العروبة وعلى ضرورة الانتقام من أعداء العروبة انتقاما شديداً، على أنّ العروبة هي مادة الإيمان ومعدنه وأن يثقوا بالله العظيم، وأن وعده الحق وأن النصر قريب.

إن هذا الوضع، الصراع بين العرب المسلمين واليهود، والصليبية المهودة لن ينتهي أبداً إنه موضوع عقائدي لدى اليهود، ولن ينتهي إِلا إذا انتهى اليهود من الوجود وإذا خرج

اليهود من اليهودية وهذا مستحيل! أو أن يخرج العرب من إسلامهم وعروبتهم وهذا مطلق مستحيل قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾الفتح، لذلك فإن القضية والمعركة بين العرب من جهة واليهود وأعوانهم من الشعوبيّة من جهة ثانية، مستمرة ولا يمكن أن تتوقف، أو أن تنتهي.

ويشير القرآن الكريم إلى وحدة الدين الحق، وهو يشير أيضاً وبوضوحٍ، إلى وجود تعدد في الشعوبِ والقبائل، وذلك في الخلق والخلق وفي الطبيعة الخلقية وفي التركيب الاجتماعي الخلقي لقد ربط الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم الاختلاف أو التباين، الذي هو موجود بين الشعوب، وبين الاختلاف أو التباين الذي هو موجود بين الذكر، والأنثى وذلك ليعلمنا بوضوح ولم يقل الله أنه خلقنا شعباً واحداً، ولم يقل قبيلة واحدة، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾الحجرات، وقال عزّ من قائل : ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ الحجرات.

فكانت الدولة في المدينة المثال الذي سيحتذى من قِبلِ المسلمين في العالم ليقيموا على منوالها، والرسول الكريم ﷺ منذ اللحظة الأولى لهجرته قد عمل على تحقيق كيانٍ للمسلمين العِراب المؤمنين بالله أولا ليكونوا في مجتمعهم الجديد، المثال الإسلامي(١) الرباني الذي

---

(١) للأسف الشديد فإنّ الوهن والتراخي والانحراف قد أصاب العرب المسلمين، بعد عصورٍ من الانحطاط، فطرأ على المفاهيم الأساسية في الدين الحنيف، تبديل وتحريف، فبينما كان الإسلام الحنيف عبارة عن مدرسة يدخلها الإنسان العربي لينهض وليرتفع وليرقى وليبقى دائما في الطليعة وفي حال نهوضٍ وارتقاء ففي الإسلام لا يوجد توقف وفي الإسلام لا يوجد خمول ولا مكان للخاملين، إنما هناك في الإسلام العربي استمرارية وديمومة في العمل والجهاد على كل المستويات والأصعدة وفي كل المجالات والاتجاهات والإنسان مطالبٌ خلال حياته في كل يوم أن ينجح،وأن يحقق النصر وأن يستمر في العمل على الارتقاء والنجاح، لتحقيق النصر، وليس مسموحاً في الإسلام العربي التوقف أو المراوحة في المكان إن الإسلام العربي بالمفهوم العربي دائما يرقى بالأنفس والعقول والحياة للدنيا والآخرة، وممنوعٌ فيها المراوحة في المكان، إن العروبة عملٌ مستمر ونضالٌ دائب،

سيحتذى عند باقي الشعوب المسلمة ذلك أنه كان على العرب أولا تأسيس كيانٍ إسلامي، إنموذجاً يحتذى، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ البقرة[1]، بينما كان الشهيد هو الذي يجرئ القوم على التقدم، فكيف عالج كتّاب السيرة النبوية والمفسرون المفاهيم الإسلامية الأساسية؟

إنّ الشهيد في اللسان العربي المبين هو الثائر وهو المناضل وهو الذي يجرئ القوم على التقدم، وهو من يشهد له على السبق في الجهاد والكفاح والشهيد من يبذل سعيه في السبق والجري، والشهيد هو الذي يسبق إلى الحرب ويضرب لقومه للمؤمنين بنفسه المثال شجاعةً وبسالةً، متحملا كل النتائج مضحيًّاً بنفسه بحياته، بغية حثهم على التقدم وتحقيق النصر والشهيد من استشهد في سبيل الله أو من قتِل مجاهداً في سبيل الله سبحانه وتعالى فالإسلام بطبيعته ثورةٌ، وثورةٌ مستمرة وحرقة وتوقٌ للحرية وانطلاقٌ لتحقيقها، فمن الذي جعل من الإسلام مجرد ركام يتلبد على قلوب الصوفية والسلفية؟

نعم لقد عمل الرسول العربي الأمي ﷺ على تأسيس هذا الكيان العربي الإسلامي النموذج، الحيوي المشرئب نضارة وسمواً ليحتذى عند باقي الشعوب، فيقتدون به منبعاً للسياسة الربانيّة كان ذلك إبان الهجرة المباركة مباشرةً ولكن من هو الذي قرأ القرآن الكريم ففقهه حقاً، أو هو وعاه وفهمه أو تأمل السيرة النبوية النضالية الجهادية فوعاها، والحقيقة أن الإنسان هو الثوري (الثورة هي عدم الجمود فكرياً وثقافياً وعلمياً وحتى في الفكر الديني

فهل كانت الصوفية أو السلفية أو الشيعة وفيّةً لهذا الجانب الأساسي من الإسلام العربي؟ وأين هو موضع الطائفيين في باقي الطوائف، الذين كانوا يتكنون بالإسلام، ويتمسحون له؟ والذين وقفوا في الماضي عند نقاط تجمدوا عندها ودخلوا معها إلى الثلاجة، ولم يعد بمقدورهم، بعددهم وعدتهم عمل أي شيء سوى الكلام، بل لقد أصبحوا مثل الكثبان الرملية، يخضعون للرياح والأعاصير العاتية، وأسلموا كلياً، على الرغم من حجمهم الواسع نظرياً لكن بالواقع فإنّ مصيرهم كله قد أصبح في يد الاستعمار، يتحركون وفق عصا (المايسترو) الاستعمارية.

(١) أمة وسطاً أي: مجموعة مركزية تتجه إليها الأنفس وتشرئب إليها الأفئدة وتقتدي بها باقي الأمم وهي القدوة والمثال الذي سيحتذى، والله أعلم.

فإن الثورة تشمل الفكر الديني أيضاً) لا غير وأن الإنسان الذي لم تكن نفسه تحدثه بالثورة والنضال والتغيير والانقلاب الفكري والثقافي والعلمي وبروحٍ وطنية عالية بطن الأرض أولى له من ظهرها، قال ﷺ «**من لم تحدثه نفسه بالجهاد فبطن الأرض أولى به**» أو كما قال ﷺ.

لأن التقدم والانتصار والحرية وانجاز الديمقراطية لايمكن تحقيقه من خلال الجزئيات والنتف والتنقيط البطيء غير الشافي ولا الناجع والذي لايؤدي إلى الإنبات الحقيقي والحضارة إن الإصلاح الجزئي فيه هدرٌ للطاقات وتبديدٌ وضياعٌ للأهداف، كذلك فعل كتّاب السيرة النبوية المعظمة عندما قام معظمهم بتجريد تلك السيرة من فقهها وفهمها العربي الثوري المبين، فصاغوها صياغة أعجمية جامدة وميّتة غير مبينة وغير أساسية وغير أمينة وغير مؤثرة إلا سلبياً وعبر العصور؛ وغير ما كانت عليه، إنّ كتاب السيرة النبوية الشريفة كتبوها بما يناسب أهواءهم وأذواقهم ومراميهم وأهدافهم، المعلنة والباطنية[1] فقاموا بتفصيل سيرة

(١) وكذلك تم افتراء وتزوير ما سميّ بالصحيفة (أو اتفاق الموادعة)! التي قِيل بأن الرسول ﷺ قد وقعها مع أهالي المدينة، بما فيهم اليهود عند وصوله إلى المدينة، إن هذا الادعاء باطل حتما وهو غير صحيح مطلقاً لأن الرسول الأعظم ﷺ والذي كان متصلا مع الله أ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾الأحزاب، وهو النبيّ، والرسول من الله ﷻ وكان معه القرآن الكريم وهو دستور الكون ودستور العالمين، وبالتالي فهو لم يكن بحاجة لأن يكتِب لليهود كتاباً آخر لينظِّم معهم العلاقة، إنّ علاقة الرسول ـ مع كل الأطراف كان ناظمها كتابٌ من الله ﷻ لا كتاب بين الرسول وبين اليهود! فالرسول الذي كان مؤيداً من الله لم يكن ﷺ، يحتاج لتأييد اليهود أبداً، وإلا لما كان رسولا ولما كان نبياً مؤيداً، إن الكلام عن موادعة أو صحيفة أو اتفاق بين الرسول ﷺ وغيره ممن كان في المدينة وهو كلام مفترى وفيه نظر، كذلك فهو غير منطقي ولا ينسجم مع طبيعة الأمور ويتناقض مع ما جاء في القرآن الكريم تماما لقد ذمّ القرآن الكريم اليهود في ثمانية مواضع في السور الأوائل من القرآن العظيم، إن القرآن الكريم لم يذكر اليهود بخير أبداً، بل لعنهم وسخط الله عليهم والقرآن مكتوبٌ في اللوح المحفوظ وليس كما يتوهم الناس الجهلاء من أنه نزل بحسب الطلب، والحقيقة أن أهل المدينة المنورة الأنصار كانوا جميعاً موعودين وكانوا ينتظرون نبياً، لقد كانت المدينة «يثرب» قاعدة الأنبياء السابقين جميعاً. كان سكان المدينة الأنصار على موعد مع ظهور النبي، إن انتظار ظهور النبي كان لسكان المدينة العرب الأنصار وليس لليهود كما تروج السِّير الشعبية والشعوبية! والله أعلم، فالرسول ﷺ والذي كان عند دخوله إلى المدينة قد أرخى زمام ناقته، لا يثنيها به، كان لا يمر بدار في المدينة من دور الأنصار إلا قالوا: هلمّ يا رسول الله إلى العدد والعدّة والمنعة، فيقول ﷺ : «خلوا سبيلها فإنها مأمورة» حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم، كذلك فإن الرسول ﷺ كان قد سماها المدينة وكان اسمها (يثرب) ومعنى

كانت خلواً من كل ما يوجب على الإنسان القيام به أو التحرك إليه وباتجاهه؛ لقد باتت تدخل العقول وتخرج منها دون أي هدف؛ فقط كانت تحشى بها الذاكرة تلك الذاكرة العاجزة المجهضة والتي لاتقوى على الوقوف بله النهوض والتوجه بهدف شلِّها تماما ومنعها من الحركة لقد كتبوها لتكون أقرب إلى الرواية أو المسرحية التي تجعل هذا الإنسان وهو يستعرض أو يستمتع وعلى مرِّ الزمان! جعلته يسلو وينسى فقط أو يستمتع ويأسف على ما مضى فقط فيصرف حياته في السرد والاستماع إلى السرد ويدور في حلقة مفرغة ويكرر الاستماع غير المنتج؛ وغير الإيجابي؛ بل السلبي المثبط للعزائم والهمم والعادم، والمغيب في المتاهات وعدم الجدوى، إنّ كتّاب السيرة النبوية وكتّاب المغازي بدءاً من ابن إسحاق إلى ابن هشام إلى الواقدي إلى ابن سعد إلى ابن كثير الدمشقي إلى البلاذري الفاطمي وإلى معظم تلك الكتابات التي كانت عبارة عن طبخات طبخت في العصر الانحطاطي الشعوبي العباسي التي كتبت فيه، ثم أعيد تحضيرها وإنتاجها وتوضيبها في الفترة التي كانت وبامتياز شيعية فارسية محضة، أو صوفية شعوبية رومية محضة، وذلك من البرامكة إلى البويهيين إلى الفاطميين إلى القرامطة إلى السلاجقة إلى

كل هذا أن الرسول ﷺ كان الآمر الناهي في المدينة وكان سكان المدينة جميعهم خاضعين لسلطته ولا حاجة لأن يكتب ﷺ كتاب موادعة لأيٍ من الأطراف، والإسلام الذي كان قد سبق في دخوله إلى المدينة، سبق وصول الرسول إليها بعشر سنين، كان مجتمع المدينة مهيّأً لوصول الرسول ﷺ وكان وعد الله الحق، وقد تفشّى الإسلام في المدينة كلها تمهيداً لوصول الرسول ﷺ.

ناهيك عن أنّ اليهود لم يكونوا طرفاً مؤثراً في المدينة أصلاً، فاليهود ليسوا من سكان المدينة أصلاً، وقد جاؤوا من قبل اليمن قبل مبعث الرسول ﷺ بحوالي مائة وخمسين سنة، سكنوا أطراف المدينة في القرى ولم يكن مسموحاً لهم السكن في المدينة بين العرب، وهناك فرق شاسع بين مفهوم اليهود وبين مفهوم (الذين هادوا) من العرب، ومعروفٌ موقف أهل المدينة عندما سأل الرسول الأنصار عن موضوع أن يعطوا بعض القبائل الأخرى من العرب قسما من ثمار المدينة، لضمان عدم اعتدائهم على المدينة أو لضمان وقوفهم على الحياد، وكان أهل المدينة في حينه في موقفٍ صعب أثناء الحصار في الخندق والأحزاب؛ فأجاب سعد بن معاذ رسول الله ﷺ إن كان هذا الأمر من الله، فقال ﷺ: «بل هو شيء أصنعه لكم لأدرأ عنكم»، فقال زعيم الأنصار سعد بن معاذ ، قوله المشهور: لا والله لا نعطيهم شيئاً لقد كانوا من قبل لا يأخذون منا شيئاً أو قال نواة تمرة، أبعد ما أعزنا الله بالإسلام وبك يا رسول الله! فكيف ينسجم هذا الكلام مع خبر الصحيفة أو ما سميّ بدستور المدينة التي أبرزها اليهود في خرا سان زمن البويهيين، مدعين أنهم وجدوها في غمدٍ لسيف أحد صحابة الرسول ﷺ، الحقيقة أنّ الإيمان كان قد تفشى في المدينة المنورة منذ بداية الدعوة في مكة، وقبل وصول الرسول إلى المدينة بفترة طويلة، كان سكان المدينة جميعهم قد دخلوا في الإسلام؛ بينما بقي البعض من المنافقين لما يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهؤلاء القليل كانوا ثلاثة أقسام.

الصوفيين العثمانيين، بحيث إنهم فيما كتبوا من سردٍ قد استكملوا فيه صناعة الرواية المناسبة التي كان قد بدأها المفسرون الذين كتبوا في تفسيراتهم للقرآن العربي المبين أشياء كثيرة ما عدا الفهم الصحيح، الفهم الذي كان يوصل مباشرة إلى الحقيقة المبينة للنص العربي والفهم العربي الذي لم يكن يحتاج أساسا إلى تفسير أبداً، والحق أن التفاسير والسير وكتب التاريخ والفقه برمتها كانت وبالا على الفهم العربي الصحيح.

لقد كان المسلمون عامة بخير قبل تدوين تلك الكتب، التي أعاقت المسلمين العرب عن الهدف الذي كان واضحاً قبل كتابة السِير وقبل كتابة التفاسير؛ والذين كانوا بغنىً عن كل تلك الكتب التي أضنتهم وأعاقت وصولهم وسدّت أمامهم كل سبيل إلى الفهم والتعقل، ودمرت، على مر الزمن، الرؤيا الصحيحة والواضحة عندهم، أو التي كانت واضحة قبل التفاسير وقبل السير وقبل نشوء المذاهب وقبل نشوء المعتقدات والأيديولوجيات الشيعية والصوفية والسلفية وتفرعاتهم وطوائفهم ونحلهم التي هي جميعها (عللها)، كما كانت في ابتعادها بنسبٍ متفاوتة عن الأساس العربي المبين للنص الإلهي؛ وغاب عن بالهم أن الإسلام ليس عقيدةً خاصةً تعتقد، ولا هو معتقداً[1] وليس

(١) إن لفظة (عقيدة) لفظة غير إسلامية أساساً! ولا هي عربية ولم تنزل من السماء أبداً وهي دخيلة على الإسلام إلى دين الله ولم ينص عليها القرآن المجيد مطلقا ولا حديث الرسول ﷺ أبداً، وقد طبقت على الإسلام تطبيقا تعسفياً؛ فقالوا بمفهوم العقيدة الإسلامية، ظلما وعدواناً وذلك نظيراً للعقيدة المسيحية؛ والعقيدة اليهودية والعقيدة الإمامية، وكذلك العقائد في باقي الأديان الأرضية والطائفية، وكذا كانت المعتقدات السياسية (الأيديولوجيات) ذات المنشأ التعصبي الملي أو العرقي أو الإقليمي أو المصالحي، وكل هذه الأوهام كانت بعيدة عن دين الإسلام الحنيف العربي المبين والذي أساساً هو رحمة للعالمين، فمن الذي ألبس الإسلام، الدين الرباني، تلك الأزياء العقائدية المعّقدة الخاصة والضيقة! والألوان والضجة الصاخبة والطقوس المليئة بالأوهام ومن غريب تأثير مفهوم العقيدة على الإنسان أنها تجعل هذا الإنسان مقلداً تقليداً أعمى غير واعٍ، فهي تطمس عقله، وفي لقاءٍ لي مع إعلامي جزائري بارز سألته إذا كان عربياً فقال لا أنا مسلم، فقلت ولكن ماذا تعني لفظة عرب في رأيك فأجاب إجابات عديدة ومختلفة أتى فيها على آراء جميع الفلاسفة والمفكرين الغربيين من روسو إلى نيتشة إلى ماركس إلى سارتر، وذكر كل الفلسفات القديمة بدءاً من التوراة اليهودية إلى الفلسفات اليهودية الحديثة واستعرضها جميعاً ولكنه لم يذكر القرآن أبداً ولم يعول عليه مطلقاً مع أن لفظة عرب قد نصّ عليها القرآن بمختلف الصيَّغ ٢٢ مرة فقلت له أيها المسلم العتيد أنت تتحدث بعقلٍ يهودي دون أن تدري، كذلك كان سؤالي لأحد المناضلين الفلسطينيين الأشاوس الذين كانوا قد أمضوا ستة عشر عاما في سجون الاحتلال وكان ذا لحية؛ سألته: هل أنت عربي وماذا تعني لفظة عرب في رأيك؟ كان أول شيءٍ نطق به هو يقول اسبينوزا! ومعروفٌ أنّ (اسبينوزا) فيلسوف يهودي يروج له اليهود على أنه كان مناهضاً لليهودية

مذهباً خاصاً يتخذ أو يتمذهب فيه الإنسان، وليس أفكاراً أو رؤىً تشرع من أهواء الناس أو من مصالحهم أو عواطفهم أبداً [1] (لقد شكلت التفاسير عند أهل المذاهب بديلا عن القرآن العربي الواضح والمبين لكي يتثنى لهم تمرير أغراضهم) بل الإسلام دين الله عزّ وجل الدين الذي ارتضاه لعباده منذ خلق الله سبحانه وتعالى الخلق وإلى يوم يبعثون فسيبقى الإسلام دين الله الحق الذي لا إله غيره، وعلى العباد الإيمان به كما نزل عربياً مبيناً؛ بجميع كتبه وبجميع أنبيائه من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، غير ذي عِوج وعلى البشر جميعاً حمل هذا الدين المبين الواضح وتجسيده حياتياً عطاءً لاينتهي عطاءً بلا حدود في كل اتجاه وعلى كل صعيد، في كل زمان وفي كل مكان، قال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴿١٢٥﴾** ﴾النساء، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾** ﴾الأنعام، فالمسلم الأساس أنه سِراج منير، فلقد كان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن ﷺ وكذلك كان صحابته الكرام المهاجرين والأنصار وكل التابعين بإحسان، القرآن العربي المبين، فكيف آلت السيرة النبوية على يد ابن إسحاق وابن سعد وصولا إلى عبقريات العقاد والذي أضاف إلى الركام ركام فتحولت السيرة إلى مجرد رواية أشبه بسيرة عنترة وأبي زيد الهلالي؛ غير مثمرة وغير فاعلة وغير منتجة فهي، هذه الروايات بأسلوبها الميت، وخلال خمسة عشر قرناً، خلال كل تلك المسافة التي فصلتنا عن العصر الأموي فإن السيرة لم تنتج عملياً إِلا الهباب، ولم تعطى لأجيال العرب المسلمين إلا الخمول والتواكل، والنزاع

ومعروفٌ أن اليهود كانوا إذا أرادوا الترويج لبضاعة يهودية وأرادوا محاربة القيم والمبادئ العربية الإسلامية كانوا يجعلونها أو كانوا ينشرونها على أنها من شخصٍ منفصلٍ عن اليهود، وأنّ اليهود غير راضين عنه أو أن هذا الشخص هو معادٍ لليهود وبذلك كانوا يضعون السم في الدسم كان هذا الأسلوب يسري بها فيه كالنار في الهشيم كانوا يزرعون كل ما يريدون إيصاله وغرسه في الرؤوس الحزينة الرؤوس الفارغة والتي كان اليهود يعملون على ملئها بنظريات ومقالات مثل نظريات ومقالات اليهودي اسبيونوزا ودارون وفرويد واينشتاين وديورانت فكان جواب صديقي المناضل العتيد على طريقة اللهجة الغزاوية، الذي كان يفتخر بأنه من غزة هشام وأنه مسلم عربي عندها خطر لي سؤال وددت لو أنني سألته وسمّ اليهود يجري في عروقهم كيف يقاومون وقد حشيت عقولهم بالنظريات التوراتية والأفكار التلمودية والصور والشخصيات اليهودية كيف؟ ولكنني للأسف لم أستطع أن أسأل أحداً مثل هذا السؤال!

والاختلاف والتخاصم والافتراق والعداء بين الفرقاء المفترقين والذين أساسهم جميعاً عرب موحدون!

وقد آن الأوان للعرب المسلمين لأن يعيدوا النظر في الأسلوب الذي كتبت فيه تلك السِير والذي لم يكن ذا جدوى أبداً وخلال ثلاثة عشر قرناً(١)، في حين أن السيرة النبوية

(١) ومثل ذلك أنه عندما تولى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خلافة المسلمين شكل مباشرة مجلساً لأهل الحل والعقد من الذين بقوا أحياء من أهل بدر، الذين غفر الله لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، امتثالا للنص القرآني الذي وعدهم الله ـ بالنصر والفتح القريب.. وقد كان سيدنا عمر بن الخطابس يؤثرهم ويتفاءل بهم في كل شيء ويستشيرهم ويجعل منهم الأمراء والقادة في كل مكانٍ وزمانٍ يتواجدون به؛ وخصوصاً في المعارك والمواجهات مع الأعداء، ولذلك فإن سيدنا عمر بن الخطاب أمر بأن يكون أبو عبيدة بن الجراح هو الأمير قي معركة اليرموك وليس خالد بن الوليد لأن أبو عبيدة بن الجراح كان بدرياً وخالد بن الوليد لم يكن بدرياً، فكيف رويت السير وتناقلتها الأجيال (بعن عناتها)! وفيها أن سيدنا عمر بن الخطاب كان حاقداً على سيدنا خالد بن الوليد وأن هذا الحقد كان من زمن الجاهلية وصوروا للأجيال أن سيدنا عمر قد جرد سيدنا خالد من منصبه حقداً عليه وعملوا للقصة ذيولا طويلة وتخيلات لا تنتهي، وأيضا فإنّ ما صار يدعى بقصة (فدك) فإنها برمتها مختلقة مع ما لها من ذيول وتخرصات وتخيلات كلها موضوعة وموظفة لتخدم منهاجاً شعوبياً محدداً ومرصوداً كان قصده التشويه والإساءة، وكانت القصة من أساسها مختلقة لا وجود لها على الإطلاق، مثل ما روجوا لقضيةٍ كانت مختلقة ومفتعلة أيضاً و جيروا لها آيات القرآن الكريم عندما أرادوا تعليل أو اختلاق أسباب لنزول الآيات الأمر الذي لم يكن مطلوباً ولا مفيداً إلا للحاقدين الشعوبيين ونسوا أو تناسوا أن القرآن العظيم هو كلام الله ﷻ الذي في اللوح المحفوظ! وهي القضية أو الكذبة التاريخية التي أرادوا بها الإساءة إلى ذات الرسول ﷺ وحياته وصحابته القصة التي اختلقوها عن السيدة عائشة زوجة الرسول ﷺ بقصد إلحاق الأذى برسالة الإسلام وثلمها وخرمها وتشويهها وتلطيخ صورتها النقية الطاهرة المضيئة وقالوا بأنّ سورة براءة نزلت بخصوص تلك الحادثة التي لم تحدث أصلا ولا حصلت أساساً إلا في عقول أولئك الخونة الغادرين الذين تعمدوا الإساءة لمجد الرسالة الربانية الطاهرة والدليل هو أن الله أ قال لنبيه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦ يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٣٧ ﴾ المائدة، فكيف تتصورون أن تكون العصمة من الناس التي تكفل بها الله ـ لنبييه، ألم تكن عامة وشاملة؟ هل سيسمح رب العالمين لتجري مقاديره أ باتجاه تشويه صورة نبيه ورسوله وصحابته الكرام عبر التاريخ؛ الذين وعدهم رب العالمين بالحسنيين، وكان قد غفر لهم ما تقدم من ذنبهم وما تأخر، آلا ساء ما يتخيلون وساء ما يفترون، فهذه المفتريات التي وضعت في العصر الفاطمي والبويهي والصفوي والعثماني، قد دخلت في عصور الانحطاط كتب ومناهج الجهلة من أهل الشيعة والسنة أيضاً؛ وهي مفتراة من أساسها والله المستعان، وذلك تماما كما دخلت عليهم العديد و الكثير من القصص والأساطير القديمة التي افتراها اليهود لإفشال الإسلام وإجهاض

المعظمة المفروض أن تكون مشعلا يشعِّل ويشغِّل ويحرك وينير ويدفع ويثّور[1] وينير ويفعِّل مخلوقات الله في العالم إيجابياً إلى الأمام والأعلى، فهل كانت السِّير التقليدية مصممة تصميما ومفصلة تفصيلا على مقاسنا، لتجعلنا خاملين مرددين، نشتهر بالبلادة الفكرية؟ فهل نجحوا بذلك وإلى حدٍ بعيد؟ ولنا أن نتأمل الصوفية والسلفية والشيعة بمختلف أشكالهم، وكذلك كانت التفاسير العديدة والمتعددة التي لا تزال على حالها كما أنتجها لنا وكما صممها لنا وكما فصلها لنا ابن منبه وابن الكلبي وابن جرير الطبري القادمون من اليمن وطبرستان فكانت تأويلاتهم وتفاسيرهم قيوداً تقيد حركتنا وكمامات تكمم فيها عقولنا في حين حجروا على الأفهام العربية الحرة والمعروف أنه كانت هنالك وحتى نهاية القرن الثالث الهجري مئات الآراء والأفكار والنظريات والأفهام والتأويلات والشروحات ووجهات النظر العربية كلها تم الحجر عليها وتم محوها وتم تشويهها وتم تبديدها وإضاعتها بشكلٍ قصديٍ

مسيرته وتدمير مستواه العظيم، وباتوا يعتقدون بها جازمين، وهي غير صحيحة بالمطلق ولم تحدث أبداً، من مثل قصة شق الصدر التي كان أصلها أسطورة قديمة موجودة في كتب الأساطير والآلهة القديمة، وهي قصة خاصة بالمتخلفين والمعوقين ولم يكن الإسلام المتقدم، إسلام الفكر والعقل إسلام الحضور الراقي للقيم العليا، هذا الإسلام العربي الذي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الأساطير التي هي من لوازم التخلف الحسي وحالة الجهل الذهني والنفسي والضياع المدمر للعقل البشري. والتي ليس لها مبرر أبداً؟ فالدين الراقي والإيمان الراقي لم يكن يحتاج إلى مثل تلك الترهات أبداً، ولكنها من لوازم الجهل والجاهلين للأسف الشديد والغريب أن الوعّاظ وعلماء العامة يؤكدون عليها ويتشدقون بها من على المنابر وفي المجالس دون وعي لما تسببه مثل هذه الروايات على عقول الأجيال، ما يؤدي إلى شلل العقول وتلف الأفكار والعجز الكامل والعقم، والعامة من الناس لا تدرك أن هذه الروايات أصلها موجود في أساطير ما قبل التاريخ وقصصها الوثنية! كذلك القصص التي اخترعوها عن أن الرسول ﷺ قد تعرض للسحر أو للتسمم، كل ذلك كان افتراء بافتراء كان قد وضعه الواضعين وقد تشربها الجهلة من أهل السنة الذين لم يكونوا ليدركوا فأدخلوها في كتبهم وأصّلوا لها جهالة منهم وكان من المفروض أن يرفضوها بقضها وقضيضها ومن الأساس لأنها لا تنسجم مع الإسلام الصحيح دين الله وخاتمة رسالاته، ولكن الجاهل يفعل بنفسه أكثر من ما يفعله عدوه به، إن الجاهل أقدر على الإضرار بنفسه وهو أخطر على نفسه من عدوه!.

(١) الأساس أن تكون الثورات الحقيقية في الحياة الإنسانية هي ثورات الأنبياء والمرسلين والمبعوثين من الله رحمة للعالمين لينقدوا الواقع السالب الخرِب في العالم الآسن المعتاد ويقلبوه ويغيروه للأفضل وليبنوا للناس مناهج ثورية فذة ترفض العبوديِّة والذل والهوان وتعشق الحرية إلى الله الواحد القهّار ليعلموا الناس الخير، فكيف صوّروا وأبدلوا للناس وأفهموهم أن الفلاسفة اليهود مثل ماركس ولينين وكاسترو وغيفارا يمكن أن يحلوا محل الأنبياء؟ كيف صوروا لهم وأقنعوهم أن مثل هؤلاء يمكن أن يكونوا بديلا عن أنبياء الله وأن فلسفاتهم العقيمة يمكن أن تكون بديلا عن رسالات الله بلى فكل كلمة في القرآن المجيد الأساس أنها ثورة وثورة عارمة ولكن من الذي قرأ القرآن قراءة عربية؟

ومتعمد لصالح تفسير الطبري ولتسود آراء بعينها كانت أعجميّة شعوبية خاطئة وغير صحيحة حلّت محل الأصل العربي الصحيح ولم يعلموا أنه عندما يحضر الأصيل في يومٍ من الأيام فسيبطل حتما عمل الوكيل وذلك بمشيئة الله سبحانه وتعالى وهذا هو الحكم الإلهي.

كذلك جعلوا (النسيء) اختصاص عربي؛ فأولوا آيات الله سبحانه وتعالى التي في القرآن الكريم والتي نزلت للعالمين تنهاهم عن فعل النسىء وحصروا كل المثالب البشرية بالعرب فقالوا: كانت العرب وكانت العرب! (ويلاحظ على الوعّاظ والخطباء أنهم إذا أرادوا الحديث عن السلبيات والتخلف في هذا العالم تمثلوه بالعرب أو أصبح العرب هم النموذج المفضل عندهم! فيقولون: كانت العرب في الجاهلية تشرب الخمر؛ وكانت العرب قبل الإسلام تئِد البنات؛ وكانت العرب قبل الإسلام تغزوا بعضها بعضاً؛ وكانت العرب قبل الإسلام تعبد الأوثان!

وكأن هذه الأمور وغيرها كانت اختصاص عربي وكأن باقي الشعوب لم تكن بحاجة القرآن الكريم، وإذا أرادوا الحديث عن الإيجابيات وحدثونا باسم المسلمين عامة وأتوا بالأمثلة من غير العرب، وغاب عن بالهم بأن النسيء كان في ذلك الزمن ديدن الروم والفرس والهنود والأحباش وغيرهم من الشعوب إلى جانب العرب، فلماذا يعملون على تصوير العرب قبل وبعد الإسلام على أنهم مصاصي دماء؟ وأنهم وحدهم عبدوا الأوثان وأنهم وحدهم كان لديهم عبيد وأنهم وحدهم كانوا يشربون الخمر وأنهم وحدهم كانوا يمارسون الغزو والغارات، لقد تناسوا بأن القرآن الكريم كان للعالمين وأن ما فيه من خطاب كان للناس كافة وبالتالي فكل الناس معنيين بما في القرآن وليس العرب وحدهم بل اليهود والشعوبية آلت على نفسها الطعن على العرب والإساءة إليهم وكلما سنحت الفرصة في كل ناحية وفي كل مناسبة لقد وظفوا آيات القرآن الكريم لتنفيذ أهدافهم الشيطانية الدنيئة والخبيثة.

القرآن الكريم والمشاعر الطبيعية والفطرية لدى الإنسان

ألم يؤكد القرآن الكريم على المشاعر الفطرية للإنسان ألم يخاطب الله المشاعر الفطرية لدى

الإنسان وكان من هذه المشاعر حب الأفراد لذوي أرحامهم إن الناس الذين يفتقدون إلى هذا الحب الفطري وأشباهه من المشاعر والعواطف نحو ذوي الأفضال والأيدي البيضاء إن الذين يفتقدون إلى هذه المشاعر وأمثالها يعتبرون مرضى وأحياناً فهم يحْمِلون من الحقد ما هو مدمر فعلاً، لأنّ الافتقاد للمشاعر الإنسانية حب الأب لأولاده وحب الأم لأطفالها وحب الأطفال لآبائهم وحب الأصدقاء والزملاء والناس جميعا بما يرضي الله سبحانه وتعالى وبرهم أحياءً كانوا أم أمواتا وود الأقرباء من الأصول والفروع في العشيرة صلتهم صلة رحمهم وبرهم وحب البلدة أو البيئة القريبة الوطن الصغير، أو القريب التي ترعرع بها الإنسان فقد تأثر وأثر بها بمعطياتها العديدة ومزاياها الخاصة والعمل على خدمتها وصيانتها وحب الخير والتزمت له حب العدل والإنصاف والانتصار له؛ حب الجمال والنظافة والتعصب لها كل ذلك يعد من الإيمان إذا افتقد الإنسان إليه يعد فساداً للفطرة وهو الصمم والعمى في البصيرة، وقد قِيل أنّ من لم يخشع قلبه عند سماعه للقرآن العظيم من لم يخشع قلبه لذكر الله سبحانه وتعالى من لم يخشع قلبه للجنازة، فهذا يعني أنه لا قلب له وعليه أن يبحث لنفسه عن قلب!

إنّ مثل هذا الإنسان يعد فاقداً للشعور فاقداً للإحساس لأي شعور ولأي إحساس وهو في الحقيقة غير قادر على الإحساس بالانتماء إنّ مثل هذا الإنسان غير جدير بالحياة، وسط الجماعة، فهو قتيل أنانيته، محرومٌ من الفضيلة، مطرودٌ من نعمة الخيرية، الأمر الذي أكد عليه وعلى ضرورة تحقيقه، في القرآن الكريم رب العزة ﷻ، وقد ربط لنا الله في محكم تنزيله، الإيمان بالله ﷻ بالعمل الصالح يحدث هذا الانسلاب غالباً لأولئك الذين يعشقون أنفسهم ويعبدون أهواءهم، الذين ليس لديهم انتماء وعن هذا الأمر تتحدث سورة محمد قال تعالى: ﴿ **وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾** ﴾محمد، فالاجتماع والمؤانسة يعتبر من أرقى صور الأخلاق وأكثرها فطرية وقد تبين أن الخير كل الخير فيما انشرح به وله صدر الإنسان وأنّ الشر كل الشر فيما يحاك في قلبه.

العروبة كيانٌ إسلاميٌ، ونموذج يُحتذى للأمم الأخرى

الحرب في العالم تجري الآن على الإسلام العربي فقط، فعلى أثر انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، أعلن الجنرال (جوهر دوداييف) قيام دولة الشيشان عام ١٩٩١ وذلك أسوة بباقي شعوب الاتحاد السوفيتي التي بادرت فعلا إلى إقامة دولها المستقلة، ولكن أمريكا والاتحاد الأوربي الذي كان قد قدم يد العون لـ(لتوانيا) و(الأرمن) وغيرها فإنهم على العكس من ذلك تماما قاموا بتحريض روسيا على قمع الشيشان وثائر شعوب (القف قاس) ووقفوا في وجه طموحاتهم لنيل الحرية والاستقلال عن روسيا أواخر القرن العشرين، ففرضت روسيا الحصار عليهم ١٩٩١ ثم شنت عليهم حرباً غاشمة١٩٩٤ وقامت قواتها بتدمير العاصمة (غروزني) والمدن الشيشانية الأخرى فوق رؤوس آلاف المدنيين العزّل، وذلك على مرأى ومسمع من العالم، وكان القادة الروس عام ١٩٩٤يستمرون في تنفيذ وصايا القيصر الروسي (نيكولا الثاني١٨٤٠م) والتي كشف عنها النقاب وهي تقول:(بأمر من سيد العالم، فإن قيصرنا السامي يأمر بتصفية هذا المرض، الذي يسمى الإسلام، يجب حرق قراهم، وإجهاض نسائهم الحاملات، وإبادة كل الرجال القادرين على حمل السلاح) لذلك فقد كانت عمليات الإبادة الجماعية، والمقابر الجماعية، وسياسة الأرض المحروقة كانت هي السياسة التي استعملتها واتبعتها بشدة القوات الروسية في قمع الشعب المسلم في الشيشان!

كانت القوات الروسية تقوم بسحق المقاومة سحقاً، بحيث انقلبت البلاد خلال فترة وجيزة إلى جحيمٍ عن طريق عمليات التدمير الشامل لكل المنشآت، بدون استثناء وحرّموا ومنعوا المساعدات الإنسانية التابعة للأمم المتحدة والصليب الأحمر أو أي شكلٍ من أشكال المساعدات أو مدّ يدِ العون بشكلٍ كامل منعوها من الوصول إلى الإقليم أثناء وبعد المعارك الطاحنة، بما فيها محاولة رئيس وزراء ماليزيا (مهاتير محمد) الذي أعلن وقتها عن رغبته في أن يكون وسيطاً دولياً لحل المشكلة بين روسيا والشيشان، وقامت هناك عمليات إعدام جماعية، وكذلك عمليات التطهير العرقي للألوف المؤلفة من السكان، ولم تتوان القوات الروسية عن قصف سيارات الإسعاف و المشافي وعن تدمير أماكن العبادة وضرب القرى والأحياء الشعبية بشكلٍ عشوائي في المدن الشيشانية ومورست عليهم شتى صنوف التعذيب والاضطهاد في المعتقلات إضافة إلى الاغتيالات التعسفية وسلب وحرق القرى والبيوت والمزارع، وتم استخدام الأسلحة المحرمة دولياً بغية إرهاب الناس وإخضاع السكان كما حصل في المسألة الأفغانية تماماً، الأمم المتحدة اعتبرت أن المسألة الشيشانية شأن روسي داخلي! لذلك لم تتدخل شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوربي، لقد صمتت أمريكا صمتاً كاملا على ما كان يحصل في (القفقاس) في حينه، وبالمقابل صمتت روسيا على ما حصل في أفغانستان والعراق ولبنان لاحقاً، وقبل ذلك وبعد ذلك في فلسطين كذلك صمتت أمريكا على ما حصل في يوغسلافيا من المذابح التي قام بها الصرب للمسلمين مدعومين من روسيا ظاهرياً بالرجال والعتاد ومن الدول الأوربية الصليبية باطنياً ومن أمريكا المهودة إعداداً خفياً وترتيباً وتهيئة للأجواء لتتم عملية ذبح المسلمين في مشهدٍ علني واضح متفق عليه وعلى مرأى ومسمع من العالم كله ولكن دون أن يحزن عليهم أحد أو يعلن أحدٌ عليهم الحداد!

كذلك كان الأمر منذ أن قامت قوات القيصر الروسي في عام ١٨٥٦ باحتلال (القفقاس) مما أدى إلى عقد معاهدة

باريس والتي اتفقت فيها دول الحلفاء وكافة الفرقاء في ذلك الوقت، على التزام الصمت تجاه ما قامت به القوات الروسية في (القفقاس) في ذلك الحين، من عمليات قتلٍ وتدمير للمسلمين هناك، وعندما جوبه المندوب الإنكليزي إلى تلك المفاوضات في برلمان بلاده أثناء نقاش المعاهدة لِما أبداه من تسامح وتساهل في الاتفاق مع روسيا، أجاب إجابة تاريخية كان من المفروض على العرب الأعراب عدم نسيانها، بل وكان عليهم وضعها كالحلق في آذانهم لو كانوا يفقهون أو يعلمون أو لو كانوا حاضرين أو لو كانوا متواجدين أو لو كانوا واعين لما يجري أو لِما أعدّ، أو لما كان يعد لهم من نهايات! فقد قال المندوب البريطاني إذ ذاك: إنه لا يمكن أن نكون مسلمين أكثر من المسلمين أنفسهم! وهو يشير بذلك إلى الموقف التركي إذ ذاك، الذي سكت على قيام روسيا باحتلال (القفقاس) ولم يحرك ساكناً ١٨٥٦م كان هذا كلام المندوب الإنكليزي إلى اتفاقية باريس إذ ذاك والتي وقِّعِتْ بين الدول المتحالفة وروسيا، وفي عام ١٩٤٤م تعرضت شعوب الشيشان والأنغوش وقبل ذلك التتار، وهي المناطق الإسلامية القريبة من روسية في (القفقاس) إلى أكبر عملية نفيٍ واقتلاع جماعيٍ عرفته البشرية، حيث نقلوا وهجروا جماعياً إلى المناطق الشمالية من الاتحاد السوفيتي.

كذلك تم اغتيال الرئيس الشيشاني الذي كان قد عمل على تحرير افخاذيا ١٩٩٣م وذلك أثناء إجرائه مكالمة هاتفية مع وسيط دولي في جنوب البلاد عام ١٩٩٦ كانت روسيا تتهم شعوب المسلمين في القفقاس بالأصولية والإرهاب، لذلك ففي عام ١٩٩٧ أعلن الرئيس الشيشاني أصلان مسخادوف، أن بلاده أصبحت، ومنذ الآن جمهورية إسلامية، وباتت تحكم وفق الشريعة الإسلامية والدين الحنيف، وهدد بأنه سيعلن أنّ اللغة العربية ستكون، أو أنها يمكن أن تكون اللغة الرسمية في البلاد، إذا استمر التآمر على المسلمين من قبل روسيا المدعومة بمواقف الدول الصليبية المهودة في العالم فهل سمع نداءه أحدٌ من العرب هل أثّر قراره الجريء على أحدٍ من العرب هل كان لصوته صدى أي صدى من قبل أحدٍ من العرب الغائبين فلو كان قد أعلن عن رغبته في جعل اللغة الصينية لغة رسمية في القفقاس؛ لنهضت الصين بأجمعها لنجدته؛ لو أعلن عن رغبته في جعل اللغة الفرنسية لنهضت فرنسة كاملة لنجدته؛ لكنه أعلن سيجعل اللغة العربية لغة القرآن العظيم، لغة لبلاده فلم يشعر به أحدٌ من العرب، ولم يستجب لندائه أحدٌ من العرب ولم يتفاعل مع إعلانه أي أحدٍ من العرب لماذا؟

إنّ الدين الحق والذي هو الإسلام والمتمثل بالقرآن الكريم يؤكد ويثبت ما كانت عليه العادات[1] والتقاليد الفطرية، العربية الأصيلة والأعراف والتقاليد والقواعد الفطرية العربية

---

(١) في كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي وصفٌ دقيق لأعياد اليهود وعاداتهم وتقاليدهم وحتى لصلاتهم من الواضح جداً أنّ (المقريزي) كان خبيراً في شؤون اليهود إلى درجة كبيرة، ولكنه في وصفه للصلاة عند اليهود يصور الصلاة الإسلامية، الصلاة القديمة للعرب قبل بعثة الرسول ﷺ، إن هذه الصلاة صلاة بني إسرائيل وليست صلاة اليهود فصلاة اليهود معروفة اليوم وصلاة اليهود فيما مضى كان فيها بكاء وصياح ولطم وتصديةً،ونواح ودعاء بالبوار على الأمم الأخرى من غير اليهود وصلاة اليهود ليس فيها خشوع ولا تضرع، بل فيها كلام والتفات وحركات بدون قيود مفروضة (عن كتاب هداية الحيارى، لابن قيم الجوزية، دار مكتبة الحياة بيروت)، وكانت بدون وضوء ثم إن اليهود الذين احتكّوا بالمسلمين تعلموا الوضوء من المسلمين وأدخلوه على صلاة اليهود كان هذا الأمر أيام استلمهم يهودي من المنطقة العربية واستمر ذلك على عهد ولده ثمّ لما آل الأمر إلى أشخاصٍ آخرين رجعوا عن الوضوء قبل الصلاة عندهم وصلاتهم لم يعد فيها لا ركوع ولا سجود وإنما يقرأ عليهم الحاخام فقرات من التوراة باللغة العبرية وهم في حالة لم يعد فيها جميع الحاضرين يكترثون لما يقول فليس لديهم خشوع ولا تضرع، إنهم لا يخشون إلههم (يهوا)! وهي موضّحة في كتاب (العبادات في

المتعارف عليها في الحياة العربية والقوانين المقوِّمة لسلوك ومنفعة ومصلحة الجماعة العربية وبالتالي الإنسانية كافة والتي كانت دائما وأساساً منبثقة عن إيمان العرب الربانيين بالحق والعدل والخير والسلام والذي كان أساسه عندهم الإيمان بالله ﷻ فإنّ **الحياة العروبية (الربانية) تقتضي أن يتحقق فيها تكافؤ للفرص لجميع القاطنين على بطاح الوطن العربي في**

الأديان السماوية) لـ عبد الرزاق رحيم صلال الموجي، كذلك كانت أعياد اليهود أعياداً وثنية الأساس وليست ربانية أبداً هذه الأعياد التي كانت أساساً عربية ربانية ثمّ إن اليهود حرّفوها فصارت عندهم عيد الفطير بدل عيد الفطر وهكذا! والدليل هو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥ ﴾ البقرة، لقد فرض الصيام صيام شهر رمضان،على المؤمنين المسلمين، من قديم ولعله من أيام آدم عليه السلام وكان في نهاية شهر رمضان عيد لدى المؤمنين المسلمين، وهذا الأمر قديم قبل البعثة النبوية المحمدية، مثله مثل الصلاة التي كانت قديمة والحج أيضاً كان قديما من أيام إبراهيم، وربما من قبل والله أعلم وكذلك الزكاة التي كانت قديمة جداً. أيضاً، كانت كل هذه الفروض قد فرضها الله على عباده منذ الأزل، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ البقرة، وهذه الآيات تشمل جميع من آمنوا السابقين، الذين كانوا يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وكانوا ينفقون مما آتاهم الله من فضله أي كانوا يؤتون الزكاة، فالصلاة والزكاة فروضٌ قديمةٌ ومن سيؤمنون إلى يوم يبعثون،وكذلك صيام شهر رمضان كان قديماً، فحرفه اليهود عن موضعه واشتغلوا بالتخفيف منه، والتخفف، كما اشتغلوا بالتخفف من كافة الفروض الأخرى، وقاموا بتحوير مفهوم الصيام عن حقيقته وتدرجوا في ذلك حتى أصبح عند النصارى مجرد التوقف أو الامتناع عن أكل الدسم ويتشددون في ذلك ويكتفون به! ثم إن المفكرين العرب المسلمين العلماء صاروا يتصورون الحقيقة مقلوبة! وباتوا يتحدثون عن أنواع الصيام وكأن الله قد فرض أشكالا متعددة من الصيام كيف يفعل ذلك وهو ﷻ، واحد وكان دينه واحداً أليس الدين عند الله الإسلام؟ بلى والله.

جميع مجالات الحياة والنشاط الإنساني بحسب الكفاءات وفي الحدود القصوى من الحريات (الأصل الإباحة).

تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص في التعليم والحياة الاقتصادية كي يظهر المواطنون في جميع مجالات النشاط الإنساني كفاءاتهم على وجهها الحقيقي وفي حدودها القصوى، مع مراعاة أن التعليم وكل ما له مساس بالتربية العربية (تربية الأجيال العربية) يجب أن يكون وقفاً على الكوادر العربية المؤمنة بالانتساب للأمة العربية، وبالتالي فهي كانت دائما مستمدة من الدين الحنيف (التآلف والانسجام في الحياة العربية بين جميع المنتسبين للأمة العربية) إنّ العروبة كيانٌ إسلاميٌ مؤمنٌ رائد ونموذج يحتذى للأمم الأخرى الأساس أنّ الله سبحانه وتعالى قد كلفهم جميعهم وقد هيأهم جميعهم وقد أعدهم جميعهم لهذا الغرض، لاشك في ذلك أبداً قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾ البقرة، لذلك فإنّ اليهود والصليبية المهودة في جميع أنحاء العالم يعرفون ويدركون هذا الأمر تماماً.

لأنه أساساً، لم يكن الإسلام عندما نزل القرآن الكريم على الرسول العربي محمد ﷺ وبالتالي لم يكن الإسلام قد انتشر في العالم في ذلك الوقت ولم يكن المسلمون منتشرين قبل بعثة الرسول محمد ﷺ، بل كانت النصرانية وغيرها، كانت هي السائدة طبعاً، والقرآن الكريم واضحٌ، في أنّه كان في خطابه لبني إسرائيل، وهم العرب عامةً، أولا الذين هادوا منهم، ومعنى الذين هادوا، أي الذين حادوا عن الطريق الصحيح، ونكسوا في الميثاق (وهؤلاء غير اليهود؛) وكان الخطاب ثانياً للنصارى، وهم الذين قالوا لسيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (نحن أنصار الله) عندما سألهم (من أنصاري إلى الله) فسماهم القرآن الكريم (النصارى) وليس الأمر كما يشيعون

في بعض الأوساط من أنّ لفظ النصارى أطلق في عصر الرومان على فئة منشقة عن المسيحيّة الرومانية كما يدعون، والمقصود بها أتباع المجاهد (آريوس) الذي بقي يناضل وينادي بالتوحيد ووقف في وجه الوثنية الرومانية التي اخترقت الدين السماوي التوحيدي الحقيقي وحوّرتْه والصابئون أيضاً كانوا مستهدفين في القرآن الكريم.

وكانت المهمة الأساسية للقرآن الكريم وللرسول العربي الأمين هي تحويلهم جميعاً، من أوضاعهم المنحرفة إلى الإسلام إلى الإيمان الحقيقي وقد خاطبهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم على أنهم (نصارى) في ١٤ آية وعلى أنهم (آل كتاب) في ٣٢ آية، وخوطبوا مباشرة على أنهم (آل الإنجيل) مرة واحدة، وعلى أنهم من (بني إسرائيل) ٤١ مرة وذكر القرآن الكريم سيدنا عيسى بن مريم ٢٥ مرة، وسماه المسيح ١١ مرة، وذكر أمه السيدة مريم ٣٤ مرة، والحواريون ٥ مرات والأحبار ٤ مرات، ومرات كثيرة قال عنهم (الذين آمنوا) ثم استطردت قائلا له: فيا صديقي إن القرآن الكريم، ككتاب عربي نزل من السماء، كان لكل العرب، ولكل العجم! على اعتبار أنهم عرب أيضاً ولكن غير مبينين وأنهم على عِوج، ولكن طِلِب منهم أن يعودوا فيستقيموا فالجميع بالنسبة للقرآن الكريم هم أعراب سكان المدن وسكان البادية والروم والفرس وقريش وكل الآخرين كانوا بالنسبة للقرآن الكريم أعراباً، ونصارى وآل كتاب فالنصارى كانوا المعنيين به أساساً ويجب عليهم الآن أن يكونوا معنيين به وفي جميع الحالات النصارى العرب يجب أن يكونوا معنيين بفهمه وبدراسته هذه هي الحقيقة يا صديقي.

والواقع أنه على كل عربي أصيل أياً كان انتماؤه! أن ينظر إلى القرآن الكريم بحبٍ، على أنه كتابه الخاص موجهاً له بالذات؛ ثمّ ما الذي يمنعك أو يمنع كل مسيحي عربي من قراءته ودراسته وفهمه، لماذا أنت تنكب على دراسة الفلسفة اليونانية والأدب الأوربي الحديث والتاريخ العالمي، وتفهم اللغة الإنكليزية، وتتحدث الفرنسية بطلاقة، وتعلمت الكمبيوتر، وتدرس اللاهوت في الفاتيكان، ولم تقرأ القرآن إلى الآن ولم تطلع على شيء من السيرة النبوية الصحيحة، ولا الآحاديث الشريفة ولا حتى الشعر العربي ولا الحكمة العربية وتقول أنك عربي وتعتز بكونك عربياً! وأنت منقطع عن أي رابط يربطك بالعروبة (وهذا الوضع، وهذا الحال، ينطبق تماما على كل الفئات والنحل والطوائف، والفرق التي تعيش على بطاح الأرض العربية، وتسمي نفسها بأنها عربية، وأحياناً إسلامية وتنضوي أو تتصف بأنها عربية من حيث الشكل بينما أكثرها في الواقع؛ تسلك سلوكاً مختلفاً، وربما كان حياتياً مناقضاً للعروبة وللإسلام معاً! وهم يعيشون على الأرض العربية ولكنه من المؤكد أنّ هذا الوضع في جميع الحالات كان قد نتج عن خطأ تاريخي ومرحلة تاريخية قد مضتْ والآن يجب وتقتضي المصلحة الوطنية لمن يفهم؛ أن يصحِّح هذا الخطأ فوراً) وهكذا فإنه في المدارس العربية في جميع البلاد العربية، يتم إخراج التلاميذ غير المسلمين من حصص دراسة الديانة الإسلامية، فلماذا لا يترك الطلاب العرب، غير المسلمين، في درس الديانة الإسلامية على الأقل ليأخذوا فكرة صحيحة عن الإسلام؟ بدل أن يستمروا كلّ حياتهم ينظرون إلى الإسلام بجهالة وعدائية ليس لها مبرر إِلا مصالح فئوية ضيِّقة، أبعد ما تكون عن الروح الوطنية الحقة! ياصديقي وهنا قاطعني هذا الصديق المحترم قائلاً: لكني سبق وأن قرأت

القرآن من زمان وأعرف منه بعض الآيات؛ فقلت له: نعم أنت عندما قرأت بعض آياته قرأتها بهدف محدد من باب الفضول وأنت كنت تتوقع أنه مليء بالأخطاء... أنت لم تقرأه على أنه الكتاب العربي العظيم الذي يجب عليك كعربي أن تحبه وتحترمه، وتعتزّ به، تحت جميع الظروف لذلك لا يمكن لك أن تفهمه أبداً، القرآن الكريم بالذات لا يمكن فهمه إِلا إذا قرِئ بحب! فمثلا لو كان لك صديق سافر إلى بلادٍ بعيدة وأرسل لك رسالة، لك بالذات، فإذا أخذت أنا الرسالة وقرأتها إنني بالتأكيد لن أفهم منها شيئاً أبداً وهذا شيء طبيعي فهي لا تعنيني وليست موجهة ليّ، بينما هي بالنسبة لك، تدغْدِغ مشاعرك؛ لأنها تحمل ذكريات ومشاعر، قد مرت بك في مراحل الطفولة والشباب، وهذه الرسالة هي لك خاصة بك، مشتركة بينك وبين صديقك، فأنا لم أكن موجوداً بينك وبينه في تلك الأيام الخالية، وهو قد يرمز لك رموزاً وقد يلمح لك تلميحات عن حوادث، وعن أسرار، أنت الوحيد القادر على فهمها!

فقال: نعم بالتأكيد وفعلا أنا لي صديق قديم في أمريكا لاتزال بيني وبينه مراسلات،حتى زوجتي عندما تقرأها فهي لا تفهم منها شيئاً، علما أنني أجدها مليئة بالمشاعر وهي تعني لي الكثير فقلت عظيم جداً وكذلك القرآن الكريم لن يستطيع أحدٌ فهمه، إِلا إذا قرأه بحب، وإنك أيضاً لن تستطيع فهمه، إِلا إذا قرأته أنت بحب؛ على أنه رسالة موجهة إليك بالذات، لا إلى غيرك! حاول أن تفعل ذلك وسترى كيف يفتح لك الكون خزائن أسراره، في كل اتجاه وهنا لا حظت أن الدهشة قد علتْ وجه هذا الصديق وكأنه فوجئ بهذا الكلام فقلت له جرِّب

ولن تخسر شيئاً إن لم تربح كل شيء ثم إنك أنت كعربي أقدر من غير العربي، على فهم القرآن وكشف أسراره، أقدر من المسلم غير العربي الذي يؤمن بالقرآن والإسلام ولكنه لا يقرأ العربية ولا يفهم العربية فهو لن يكون أكثر منك فهما لهذا الكتاب وأنت العربي وابن البيئة العربية وسلالة النجب من العرب فقال: بالتأكيد فقلت له: يا صديقي قيل لي أنه في بعض الدول الإسلامية غير العربية، هناك يجلس أحد الأئمة من غير العرب، لتفسير القرآن وهو لايعرف شيئاً عن اللغة العربية، لا قراءة العربية ولا كتابة العربية وعمره أكثر من ثمانين سنة ويجلس في أحد أكبر الحسينيات هناك، وله مريدون بالآلاف يستمعون إلى دروسه ويأخذون عنه الدين والشريعة الإسلامية وهو لا يعرف إلى الآن أن يتحدث أو أن يفهم اللسان العربي المبين، بل يفتح القرآن الكريم ليقوم بتهجئة بعض الآيات من القرآن بلسان أعجمي غير مبين، ثم يبدأ الشرح بلغته غير المبينة! فما يدرينا ما يقول هذا الشيخ الإمام للناس هناك هل يقول لهم أشياء صحيحة عن الإسلام وعن العرب هل يتحدث عن إسلام صحيح، هل يمكن له ذلك وهو لا يعرف العربية كما قيل؛ فإنه في حياته اليومية هناك لا يتحدث العربية؛ فهل يتمثل بحق الإسلام العربي أو هل يفهمه فينقله بأمانة وصدق! إننا لا ندري بماذا يحشي عقول مريديه وآذان سامعيه إنك ياصديقي كونك عربياً فأنت أقدر من ذلك الشيخ على قراءة القرآن الكريم وفهمه لأنّ هذا الشيخ القابع هناك، قد صار عمره أكثر من ثمانين سنة، وهو لا يزال يأنف من التحدث بالعربية، فماذا تتوقع أنه يعرف عن القرآن، لذلك فشيء طبيعي أن تراهم هناك يمارسون شعائر وعادات وثنية تماما وتحت اسم الإسلام فقال صحيح أنا لاحظت ذلك في جنوب شرق آسيا عندما كنت هناك فقلت له بل أكثر من ذلك لأن بعض هذه العادات

والمعتقدات الغريبة عن جوهر الإسلام قد عادت ووردت إلينا إلى هنا، وقد تجد بعض المسلمين يمارسونها على أنها إسلامية وهي غير ذلك.

ثورة وحرية وهوية

إنني أرى المجتمع العربي ينبثق جاهدا من تحت ركامات التاريخ متأثرا باللقاء التصادمي مع الغرب وبالرغم عنه، إنه يتجدد محاولا أن يتعلم كيف يُنَمِّي قدراته الإبداعية من خلال ممارسته للكفاح (ويبدو أنه يتأخر في بعض الأحيان) تحت عبء من الهيمنة المزدوجة : داخلية وخارجية. ونحن اليوم بعد أكثر من قرن تَصْدُقُ علينا دعوة (براهيم اليازجي) رغم كل الإنجازات التي لا يجوز إنكارها مهما تعثرت الولادة: تنبهوا واستيقظوا أيها العرب الكرام، د. حليم بركات مرجع سابق

وإنك تجد أمة العرب المسلمين، وعددها أكثر من مليار ونصف المليار كلها تتربع وتنبطح على الأرض مريدة مصغية ومنبهرة ومطيعة لكلام الشيخ (فقط لكبر سنه أو لطول لحيته أو لكبر وضخامة عمامته)؛ هذا الشيخ الذي قد يكون متخلفا سنينَ ضوئية عن الحضارة والتحضر أو عن الحضور، أي عن الفهم والوعي؛ فالتخلف يودي بحياة الأمة إلى الدرك الأسفل، والعرب المسلمون مستسلمون ومُنساقون وراء هذه الظاهرة الصفوية الفاطمية المملوكية العثمانية،

فهي ليست عربية وليس لها علاقة بجوهر الدين الحنيف لأنها لم تكن في صدر الإسلام، وهم لا يدرون أن الإسلام أساسا دين مجيد، وليس دين السكون والسلبية والعجز، ولكنه دين ثورةٍ وحرية وانتاجية، ففي الدين الحق إما أن تكون عالما أو جاهلا؛ وإذا كنتَ جاهلاً فيجب عليك أن تعمل وأن تناضل لتكون في البداية وعالماً وفي الطليعة، وليس لك أن تفتخر بتخلفك؛ وليس هنالك في الإسلام حلاً وسطاً بين أن تكون عالماً وأن تكون جاهلاً، فأنت إما عالم أو جاهل، وأن لفظ (مُتعلم) لغةً في الدين كان خطئا كبيرا!

إنك ترى العربي المسلم وطوال القرون الخالية، ومنذ صغره إلى أن يصبح على (العكاز) يداوم على الإصغاء للشيخ، وهو يقول عن نفسه أنا مجرد متعلم؛ صوفية وسلفية وشيعة، مع أن الأنبياء عليهم السلام جميعهم كانت مهمتهم تحرير الناس وإزالة العوائق والقوانين والقواعد والإملاءات المفروضة على العقول والأنفس التي لم ينزل الله سبحانه وتعالى بها

سلطانا، ولكنها كانت من أوهام الناس وخيالاتهم، فهي مجرد خرافات وسحر أسود كان قد فرض فرضا في بعض الظروف التاريخية التي ساد فيها الجهل والهبوط الحضاري إلى أدنى مستوى، وكان فيها الإنسان مجرد كائن حي، ولكن متى سيصبح هذا الإنسان عالما؟ متى سيفهم؟ أو متى سيعطى الحرية ليفهم أو ليحرك عقله ووجدانه؟ متى سيتحرر الإنسان العربي من قيوده وأغلاله المقيدة؟ قال تعالى :ﮋﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞ□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ﮊالنجم.

بينما لدى الشعوب الأخرى، ينال مرتبة (البرفسور) شخص وقد أعطى وأبدع وأنجز وهو لم ينهي العقد الثالث من عمره!! فلماذا يثقون بأنفسهم ونفقد الثقة بأنفسنا؟ وبالتالي من أين يستمد اللسان العربي قوته؟

إن من المهم أن يعلم أن (الحرية) مفهوم قرآني أساسي، وبالتالي عربي مبين، فالقرآن الكريم أساسا هو كتاب الحرية وكتاب الثورة وكتاب الإنتاجية، والألفاظ الدالة على الحرية في القرآن العظيم كثيرة جدا.

وتحرير ومحررا والحر، تتكرر في آيات الله كثيرا، وهي تشير إلى تحرير الإنسان من العبودية، وإلى إطلاق حاله، من الأغلال والقيود، أيا كانت هذه القيود مادية أو معنوية، فالأنبياء والرسول جميعهم إنما بعثوا لتحرير البشرية من قيودها المقيدة، قال تعالى:{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف : ١٥٧] وكانت الأغلال تعني القيود المعنوية التي تطوّق الناس من الداخل وتأسرهم... لتعيق الفهم الصحيح للأمور والقضايا.

(تنتهي حريتك عدما تبدأ حرية الأخرين) لقد أضحى هذا القول سالبٌ وغير كافٍ للتعبير عن الجوهر العظيم للمفهوم العربي للحرية، ويجب أن يعلم كل عربي مسلم أن عليه القول: (إنني أدافع وأقدم كل ما أستطيعه لكي تتمكن من تحقيق حريتك ولكي تحصل على حياة شريفة مترعة بالكرامة)، لأن الحرية لا تكون إلا على قدر الوعي وعلى مساحة ما نملكه

من العلم والمعرفة.. والرسالات السماوية والأنبياء إنما بعثوا لتحرير الناس من العبودية ورفع القيود والآصار المادية والمعنوية.

وإن أحدث تعريف (للديمقراطية) يقول: أن الديمقراطية هي (إلغاء جميع السلطات) فلا ينبغي أن يتسلط الإنسان على الإنسان؛ وتحت أي من الظروف، بل يجب العمل على تحرير حياة الناس من تسلط السلطات، وقد (رأينا أن القضية هي أحد اسلوبي الحياة الرئيسين، أنها أن يتجاوز الفرد حياته الحاضرة نحو هدفٍ ما، فهي ليست سوى هذا التجاوز أو هذا النزوع نحو... قبل أن يتحقق في أي مشروع عيني ولكن هذا النزوع أو هذا التجاوز للحاضر لابد من أن يتجلى في مشروع عيني وفي تحققٍ مُشَخَّصٍ، وهذا المشروع قد يكون الفناء الصوفي أو الابداع الفني أو الكشف العلمي أو قيادة الشعوب ذلك ما رأيناه.

إن الفرق شاسعٌ وواسع بين مفهومي الذكاء الحيواني الذي طرحه الفكر اليهودي الغربي، وبين الفهم الإنساني أو المفهوم العربي الأساسي للذكاء الفهم الإنساني الذي يدعو إليه الإيمان الحقيقي هذا الإيمان بالمفهوم العربي الذي في القرآن الكريم والذي ينطوي على الذكاء والذاكرة والفهم والوعي والإرادة والحرية والرغبة في السموّ والرقيّ والكمال، الكمال والتكميل الرباني للإنسانية الموصل إلى أعلى عليّين لاسيما إذا ساد هذا الوعي في الجماعة الواعية، والمجتمع الواعي، والمؤلف من مجموعة من الأذكياء مجموعة من الواعين الكل يعمل والكل ينتج والكل يسير إلى الأمام وينظر إلى الأعلى «ولا ينفينّ هذه الحقيقة، ما هو عليه واقع العرب الراهن فهذا الهبوط شيءٌ طارئ وسيزول بإذن الله تعالى»

بينما الفكر الأوربي، ولاشك، قد توقف عند حدود المخطط اليهودي الصارم الذي الْجَمَهُ، وحدد له معطياته الأرضية العبرية البرية، إن الخلافة الأوربية ليست الصورة الحقيقية عن الخلافة التي أرادها الله سبحانه وتعالى لمخلوقه الأثير! بل إنَّ الخلافة الأوربية والغربية عموماً خلافةٌ منحرفةٌ ومشوهةٌ وبعيدة كل البعد عن المراد الإلهي، فليست واحدة، نظرة الحَطَّاب، أو الفحَّام إلى الأشجار والغابة، ولايمكن أن تكون واحدة، أو أن تتحد مع نظرة الأديب والشاعر والعالم، إنَّ الحطّاب لايرى في الشجرة والغابة، إلَّا الحطام؛ بينما الشاعر والأديب والعالم فإنهم يرونها عالماً مفعماً بالحياة والجمال، من أجل ذلك، فإن النظرة للخلافة أو لمفهوم الخلافة ليست واحدة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾

[الأحزاب: ٧٢].

ان هذا التحقق الواقعي للقضية يخلق شعورا بالنحن لدى المرتبطين به، فنجد مثلا جماعة الفنانين، جماعة العلماء، جماعة الاشتراكين، جماعة الرأسماليين...، وهذا (النحن) قد يكون ضيقا، فهو يبدأ باثنين مثل (النحن) الزوجي حيث يرتبط الزوجان بقضية هي حياتهما المشتركة، وقد يكون عابرا مثل (ركاب سيارة معطلة) فهم يؤلفون النحن إلى أن تنتهي الرحلة، ولكن يكون أحيانا على درجة عالية من الشمول والثبات مثل جماعة الاشتراكين أو الرأسمالين ولكن هذا النوع من النحن، مهما تكن درجته من الشمول والثبات فهو متعلق بالهدف أو المشروع الذي ترتبط به الجماعة يبقى ببقائه ويزول بزواله، ولكن ما هذا النزوع نحو قضية دون تعيين، هذا النزوع الذي يؤلف أحد اسلوبي الحياة الرئيسين، وهل هو وضع أصيل لا يرجع إلى سواه؟

هناك تجربة سيكولوجية ذات دلالة أو (نطولوجية) هادية في هذا المجال، هي تجربة الانخلاع من الآخر اطلاقا مع اليقين بعدم اللقاء معه مرة أخرى، مثل تجربة اغتراب الفرد أو انعزاله المطلق، ففي هذه الحالة لابد من أن يتهافت هذا الفرد المعزول على مستوى العيش وينعدم لديه النزوع نحو القضية اطلاقا.

والسؤال الآن هو: لماذا يؤدي حذف الآخر إلى تهافتنا عن مستوى القضية؟ ولماذا لا تقوم القضية بدون التواصل مع هذا الآخر والحق أنه ما من قضية فردية على الاطلاق، وأشد التجارب اغراقا في الفردية أنها تنشد المشاركة، لننظر في تجربة الفنان والمتصوف فهما يبدوان أشد ذوي القضايا اغراقا في الفردية، ولكن الفنان مع ذلك ينشد من يتذوق فنه ومن يشاركه في رؤاه وهو من أجل ذلك يسجل هذه الرؤى ولننظر في تجربة الصوفي، غنه حقا يرفض العالم، ولكنه مع ذلك يصطفي من هذا العالم مريدين وأتباع، من أجل هذا الاصطفاء فهو ينشر تجربته على الناس في الكتب، إن جميع ذوي القضية كانوا يخاطبون الآخر، وينشدون النحن، وإن لنرى ذوي الرسالات جميعا ينشدون الآخر ويقيمون معه حوارا يدل على ذلك تلك الآثار التي تركوها)[1] وكانت الشورى في محاورة الناس حول شؤونهم

(١) أحمد حيدر، نحو حضارة جديدة، مرجع سابق.

وشؤون حياتهم وليست ولم تكن مبررا للإملاءات عليهم لتكريس وتسويد الظلم والرسالات السماوية مهمتها الأساسية كانت إزالة الحواجز والقيود والعقد والخرافات والأساطير والوثنية والكفر والإلحاد، فالتحرير كان جوهر كل الرسالات السماوية، ولكنها تحولت عبر الزمن على أيدي رجال الدين المتخلفين إلى غطاء سميك يحجب الهواء النقي عن رئتي الإنسان.

يجب العمل على تجلية المعاني العربية المبينة المبينة والكشافة والكاشفة التي هي في القرآن الكريم، تجلية صافية بعيدة عن قيود التفاسير المقيدة الساجنة للمعاني، يجب اطلاق المعني التي في كتاب الله ﷻ لتبين للناس أن الحق في القرآن الكريم فقط وليس في المقولات (الطبري ومن تبعه ممن مارسوا على العرب المسلمين السحر الأسود الذي أذهب عقولهم وشل قدرتهم على التفكير مئات السنين فهل آن الأوان للتحرر من تميمة الطبري وأمثاله؟ (التفكير دون معوقات أو عوائق أو حدود) وبالتالي فإن السلفية والصوفية والشيعة، أبعد ما تكون عن العقل والتعقل والفكر والتفكر معا، إنهم مجرد مقلدين وهم جميعا على الرغم من ادعاهم التفكر والفهم؛

لكنهم على الحقيقة يعيشون في حالة صعبة، في غيابة الجب وغيابة الجهل وغيابة الجمود، محجوزين في جثامين يتوهمون في طرائقهم العقيدية (الإسلام دين وليس عقيدة؛) أنهم على حق، وهم عنه أبعد ما يكونون والله المستعان على يصفون، لابثين في جلابيب الجهل جاحظين؛ ليسوا حاضرين ولا واعين، ولكنهم يتوهمون أنهم على حق ، قال تعالى: ﭽ□ □ □ ى ى ﯨ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ﭼ الروم. إنهم لا يدرون أن الفرق كبير بين (العقيدة) أو (العقائدية) أي مايعتقده أو ما يرتئيه الإنسان، وبين (الدين الرباني) والذي هو النظام والمنهاج الرباني المنزل الذي يتحتم على الناس العقلاء إتباعه. وأننا يجب أن نقدم القرآن العظيم إلى العالم تقديما نصيّاً علمياً مُفَعِلاً للعقول محرضا ومثيرا للأفكار موصلا لليقين، وليس مجرد تفسير املائي خرافي واهم ومعجز، ولا تأويليا ولا سياسيا ولا عقائديا معطلا.

وبالتالي ما الذي فعله العرب المسلمون من إجراءات ذاتية وقائية للسلامة في المساجد العربية علماً أن المسجد هو النقطة المركزية في مشاعر العرب المسلمين وفي حياة العرب المسلمين فهل ضُرِبَ المركز في حياة العرب والمسلمين إذاً فالنصر والانتصار يجب أن يكونا أولاً في الفكر والعقل والوجدان العربي مع الأهمية البالغة للانتصار العسكري الذي يجب تحقيقه على العدو في أرض المعركة! وما جدوى قوتك في الخارج إذا كنت ضعيفاً في الداخل فهل آن الأوان للعرب المسلمين الآن أن يدركوا أنهم أصبحوا مستهدفين كعرب مسلمين من قبل اليهود والصليبية العالمية المهودة لأنهم عرب ومسلمون؟

وأنّ عليهم الآن أن يدركوا أنَّ إعمال العقل والوعي والتفكُّر هو الطريق الصحيح والممكن والسبيل الأساسي للنجاة من كل مآزقهم الحالية ولتحقيق النصر على أعدائهم، في كل المواقع! هل آن الأوان ليدرك العرب المسلمون مطلع الألفية الثالثة أنّ الفتوحات العقلية والفكرية هي أهم بكثير، ويجب أن تتحقق قبل سعيهم إلى الفتوحات العسكرية وأن الوصول إلى تحقيق النجاح والتفوق والنصر والانتصار يجب أن يكون أولاً في الفكر والعقل والوجدان وهذا أولى بل ويجب أن يسبق في الأولوية، هدفهم في السعي إلى تحقيق الانتصارات العسكرية على أرض المعركة مع الأهمية البالغة للانتصار العسكري على العدو في أرض المعركة.

وإلّا فما الجدوى من انتصار الحمقى والمجانين والمُغيَّبين والمُغفلين وفاقدي الوعي والفهم متى سيدرك العرب المسلمون أن القيمة الحقيقية للإنسان، كانت دائماً في إيمانه بالله العظيم، وأنه لا دنيا لمن لا يحيي دينه وإنَّ إحياء الدين لدى الإنسان يكون في تجليات أدائه لضروب الواجب تجاه المجتمع والناس، وحمل القضايا الوطنية بكل صدقٍ وأمانةٍ، والدفاع عنها في كل موقعٍ، وفي كل محفل، وأن العبادات كلها كانت مفتاحاً لذلك، ومدخلاً يوجب على الإنسان الولوج منه إلى أعلى مستويات الإحسان وأنه لا دين للمنقطع ولادين للمنبت وأنّ بطن الأرض أولى بأولئك الذين لا يملكون المشاعر والأحاسيس الوطنية مع الدين السماوي وليس لديهم روح الثورة ضد الظلم وضد التخلف وضد الأعداء وضد القيود المقيِّدة للحرية الربانية العادلة وأنَّ كثيراً من الأحياء هم بالحقيقة أموات يمشون على الأرض، وأن بعض الأموات بالواقع هم

الأحياء! كما يجب على المؤمن، أن يؤمن؛ بجماع فكره وعقله وقلبه وأن يمارس بسلوكه هذا الإيمان أداءً إيجابياً بناءً، متوجاً بالبذلِ والعطاءِ.

فمتى سيدرك العرب المسلمون، الذين أغرب بهم، أنه لاقيمة البتَّة لإنسان العيش، وأن القيمة كل القيمة عند الله سبحانه وتعالى لإنسان القضايا العادلة والسامية والنبيلة فكيف سيذهب العرب إلى مجابهة أعدائهم، قبل اكتشافهم وقبل معرفتهم لذاتهم كيف سيذهب العرب لمجابهة اليهود دون أن يقوموا أو قبل أن يقوموا أولاً بمحاولة اختراق اليهود أو بمحاولة تفكيك اليهود، لقد قام اليهود باختراق وتفكيك العرب والمسلمين فعلاً ومنذ قرون؛ فمتى ستصبح القدرة على الفهم والوعي والإدراك والرصيد من الإيمان العميق والقيم النبيلة السامية والمثل العليا؟ متى ستصبح هي المحددات الأساسية للزواج العربي الإسلامي، واختيار الشريك في الزواج العربي الإسلامي.

متى سيدرك الشباب العربي الإسلامي أن الجهل يمكن التغلب عليه دائماً عندما تتوفر لدينا إرادة المعرفة، وأن لذائذ العقول باقية وأنّ لذائذ القلوب باقية أيضاً أما لذائذ الحواس فسرعان ما تمضي، وأن عليهم أن لا يضيعوا الحكمة بين الشباب والجمال، وأنّ عليهم أن يفتحوا عقولهم وقلوبهم وأن يعلموا أن الفرصة تفضل دائماً العقل الذي يكون دائماً على استعداد متى سيعود العرب المسلمون إلى إرضاع أبنائهم وبناتهم مبادئ الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والمروءة والشرف والمجد، والروح الوطنية العالية مع الحليب متى سيعود العرب المسلمون ليعتقدوا أن الطفل من أطفالهم إذا لم يكن يحمل منذ الطفولة مبادئ الشهامة والنخوة والخير والعدل والاستعداد للتفكير بحرية وحب الوطن والدفاع عنه والذود عن الحرمات والمقدسات كل ذلك بعد الإيمان بالله الواحد، أنه إذا لم يكن كذلك، فهو طفلٌ خاسر ليس له حقٌ في شرب الماء ولا في تنفس الهواء وذلك بغض النظر عن التشويه الحاصل وعلى الرغم من كل التردي وعلى الرغم من كل الانحراف المعمم الآن.

ومتى سيتعلم الأطفال العرب أن العلم الكثير يقربنا من الله سبحانه وتعالى وأن الفكرة الجديدة الصحيحة لا يعوقها إِلَّا الجهل الشديد وأن التفكير الخلاّق يتطلب خفوت الصوت وسكون أعصابٍ وهدوء وأن الشخص الذي يصغي جيداً يستطيع أن يفكر جيداً، وأن المسائل

الهامة التي لا نعرف عنها الكثير هي تلك التي يجب أن نشبعها درساً وأنّ علينا ان لا نضيِّع أوقاتنا في مناقشة المسائل التافهة وأن عبقرية الإيمان بحاجة دائمة إلى جرأة وإقدام، وأنَّ عبقرية السؤال هي أهم بكثير من عبقرية الجواب! وأنّ طرح السؤال بشكلٍ خاطئ يوصل دائماً إلى نتائج كثيرة خاطئة، وأن طرح السؤال بشكلٍ صحيح يؤدي دائماً إلى نتيجة واحدة صحيحة.

وأنّ الفكر النيِّر هو الخير العميم وأن العِلمَ فيه مفاتيح الحرية، فإلى أن يصل العرب المسلمون، بأجيالهم اللاحقة إلى هذا المستوى الرفيع من الفهم والوعي والحضور والذكاء العميق الهبة التي يعطيها الله سبحانه وتعالى للأصفياء من عباده المؤمنين، فإنني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يهدينا سواء السبيل والحمد لله رب العالمين.

وأن الله سبحانه وتعالى قد كنز لنا في القرآن الكريم والمبين و المبيِّن كنوزاً سينفض الزمن عنها كل الغبار الذي كرسه المفسرون وستنفرج وستنثر لألاؤها وجواهرها عندما يريد الله لها أن تتحقق ولا مبطل لمشيئة الله سبحانه وتعالى حين يحين ميلادها، فالقرآن الكريم والذي يعرض لأشياء لا تخطر على قلب بشر لابد من تحققها بإرادة فوق إرادة البشر، فالأوطان تبنى على كاهل الأحرار وليس على ظهور العبيد.

اضاءت وخواطر من سورة التحريم المباركة

(الزواج) رابطة إنسانية أساسية أولى، وهي عقدة اجتماعية تسمى (عقدة النكاح)، تهدف عند المسلمين العرب إلى تأسيس وبناء (الأسرة) وتشكيل قوامها، ويتعاهد فيها الزوجان (الزوج والزوجة) على احترامها وعلى دوامها واستمراريتها طوال العمر، ووفق التوجيه الإلهي قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ البقرة.

كذلك ضَبَطَ اللهُ سبحانه وتعالى لنا أمر هذه (الرابطة الأسرية) عن طريق تحديد حدود الله فيها، وتحريم المحرمات من العلاقات، وبيان وتحليل ما هو حلالٌ من الأمور في الأسرة، وجعلها منتجةً ومجديةً، وفق الحق، والعلم والعقل والمنطق والحكمة والبر والإحسان والصلاح.

ولما تعاهد الزوجان (عند عقد القران) وأشهدوا الله على تعهدهم، وأشهدوا الناس؛ صار المطلوب منهم الالتزام بذلك التعهُّد؛ وأن يبروا بأيمانهم دائماً، وأنَّ عليهم عدم الحنث بها، وأن لا يجعلوا الله عرضة لأيمانهم؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ النساء، وهذا يعني أن (الزواج) عند العرب المسلمين ليس مجرد نزوة أو غريزة، بل هو علاقة إنسانيّة فيها استمرارية والتزام وتلازم وضمان وتعهد وكفالة

وحصانة واخلاص كل طرف للطرف الآخر؛ قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»![1]

إنَّ مطلع (سورة التحريم) فيه توجيه صارم إلى كل مؤمن ومؤمنة، أنَّ موضوع (الأسرة) أساساً كان موضوع رابطة ربانيّة مقدّسة، وتُمْنَحُ فيها الثقة المُطْلَقَة، والأمانة المطلقة، وقد كَفِلَ الدين والنظام الإسلامي العربي استمراريتها ودَعَمَها وعزَّزَها، وحَضَّ على أن تكون (الأسرة) مبنيّةٌ على أُسُسٍ وعلاقات سليمةٍ وصحيحة وراقية دائماً، والأسرة سميت (أسرة) لأنَّ بين أفرادها علاقات وأسرار يجب صيانتها والمحافظة عليها[2].

وأنها عندما تختلُّ العلاقةُ في (الأسرة) بين الزوج والزوجة، وينعدم التقدير والاحترام المتبادل والثقة وتنعدم بينهما الأمانة؛ وتفتقد إلى الآراء السانحة، ويبدأ التفريط من قبل كل

---

١ ـ إنّ من خوارم الإيمان بالله تعالى، وخوارم الروح الوطنية والانتماء للجماعة؛ أن يكون الإنسان كفوراً أو خواناً أو كذاباً أو مؤذياً أو مرتشياً أو محتالاً، أو أن يكون غير شريف، أو غير كريم، أو غير أمينٍ على الأموال والأعراض والأسرار؛ أو أن لا يكون صاحب نخوة، أو أن لا يكون صاحب مروءة ونجدة، أو أن لا يكون شجاعاً، أو أن لا يكون وفياً! أو أن لا يكون محسناً، فمن الذي أظهر فتنة الاختلاف بين الدين والإيمان، وبين المشاعر الوطنية العربية، ألم يقل رب العزة ﷻ في القرآن الكريم: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء، إن الروح الوطنية تتطلب رجالاً أشداء على الكفار الأعداء، رحماء على الأهل في المجتمع والوطن، إن انحراف وانحطاط وتدني مستوى الوعي والفهم لدى الناس في المجتمع العربي، قد أضعف الروح الوطنية العربية، وقد جعلها في ادنى مستوى، حتى بات الإنسان في الوطن العربي، لشدة ضعف الروح الوطنية العربية، أو انعدامها، يحمل أوساخ نفسه وأوساخ بيته وأوساخ محله، ويلقيها في الخارج، في الشارع، غير مكترث وغير مهتم بالآخرين، وهو لايفكر بأنَّ هذا التصرف دليلٌ على انحطاطٍ ودونية؛ ما بعدها دونية؛ لأن ما يلقيه الإنسان المتخلف من الأوساخ في الخارج، من المؤاكد أنه سيعود عليه – فوق رأسه – أضعافاً!

٢ ـ والسِّرُّ: من الأَسْرار التي تكتم. والسر: ما أَخْفَيْتَ، والجمع أَسرار. ورجل سِرِّيٌّ: يصنع الأَشياءَ سِرّاً من قوم سِرِّيِّين. والسرِيرةُ: كالسِّرِّ، والجمع السرائرُ. الليث: السرُّ ما أَسْرَرْتَ به. والسريرةُ: عمل السر من خير أَو شر. وأَسَرَّ الشيء: كتمه والإفشاء معناه أَسروها من رؤسائهم؛

طرف بالواجبات الأساسيّة حِيَالَ هذا المكون والكيان الرباني، وتهتز الثقة وتُفتَقَد الأمانة؛ حينها يصبح التحلل من (القسم) أو (اليمين) الذي انعقد أثناء الزواج، يصبح التحلل منه واجب يقتضي أن يُمارس؛ على الرغم من قساوته وصعوباته وآثاره المادية والنفسية والمعنوية؛ وتصبح الكفارة هي الحل، فالضلالات التي يقود إليها السكوت عن الأخطاء؛ هي أخطر بكثير من تلك التي يقودُ إليها الجهل؛ والله وحده يعلم خطورة وحجم النتائج السيئة التي يسببها التغاضي عن الأخطاء والسماح بتداولها، لقد أباح الشرع للرجل التحلل من تعهده وحلفانه، إذا وجد أن الأمور تجري في أسرته من سيئ إلى أسوأ، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ **وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ** فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ النساء، وهي تُحَلِّلُ للحالِفِ ما كان قد حرّمَهُ على نفسهِ، ما دامَ لا يضر بالآخرين، وبعد تسديد الحقوق لهم، إذا كان لهم عليه حقوق.

فالإسلام ينظر إلى الناس جميعاً، وكذلك إلى (الذكر والأنثى) على أنهم من نفسٍ واحدة؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء، والرسول الكريم إمام المؤمنين، وهو يعلم تماماً أن ليس لأحد أن يحرِّم ما أحلَّ الله تعالى، وذلك كما جاء في مطلع سورة التحريم: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيم) فظاهر الآية يشير إلى أن الرسول كان قد حرَّم أمراً كان الله تعالى قد أحله!، فكيف يفعل ذلك وهو رسول الله؟ وهذا ما يُسمى (المشكل) بالنسبة للعقول والأفكار، عندما تبدأ تعمل على فهم القرآن الكريم، لأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يحرم أو يحلل من عندياته؛ وقضية التحريم والتحليل هو يعلم

أنها إلى الله تعالى، لا إلى غيره مطلقاً، والأمر في سورة التحريم ليس كما وصفه المُفسرون الصوفيون والسلفيون والشيعة أبداً!

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف. بل هو طرحٌ لقضيّةٍ حيويةٍ وقويةٍ وموجودةٌ بالواقع؛... يُراد لها أن تصحح ... وهذا هو الأسلوب القرآني الأمثل في طرح المسائل والقضايا ولفتِ أنظار الناس إليها وإلى ضرورة علاجها العلاج الرباني الجذري؛ عن طريق وضع السؤال المباشر؛ إنَّ هذه القضايا (إفشاء الأسرار الأسرية والهامّة)[1] يجب أن لا تتكرر في حياة المؤمنين، لأنَّ المؤمن كيِّس وفطِن ولا يفرِّط، وهم يعالجون مشاكلهم وقضاياهُم وهمومهم متعاونين، ويجدون لها الحلول الجذرية المناسبة، ويحسمونها مسترشدين بتوجيهات رب العالمين.

لكن لماذا جعل الله سبحانه وتعالى (الطلاق)[2] مرتان والثالثة هي البائنة، ولماذا جعل حل عقدة النكاح حصراً بيد الزوج، ولِمَ يجعلها بيد المرأة؟ قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى

---

١ ـ والجاسوس: في عمله ليس لديه أجهزة اتصال لاسلكية ولا حيِّز سري للغاية وليس له اتصال بعناصر مشبوهة، ولكنه يساعد كل إنسان لديه استعداد ونوايا سيئة ضد وطنه؛ إن الجاسوس يمده هؤلاء بالمال ويدفعهم دفعاً، فالتجسس صار طريقة قديمة (كلاسيكية) في اكتساب المعلومات! أما معنى (الجاسوس) فهو: صاحب سر الشر، و(الجاسوس) هو ابليس اللعين وعلى عكسها تماماً فإنَّ (الناموس) هو صاحب سر الخير والناموس الأكبر هو جبريل عليه السلام، و(الحاسوس) و(القاشور) السنة التي تذهب بالمال و(الفاعوس: الحية والقاموس وسط البحر والساهور غلاف القمر، والقانون: الأصل، والكانون الثقيل الروح التي تبدل أحياناً بالياء وأحياناً أخرى بالجيم المصرية القريبة من الكاف ويدل على الجمع والكثرة، وهاؤم الألفاظ البادئة بحرف (الجيم) من القرآن الكريم:

٢ ـ الطلاق: هو التفريق بين الزوجين، ولكنّه لتحقيقه ينبغي اتباع (حدود الله تعالى) والشروط والقواعد والأوضاع الإنسانية،

ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء، لذلك قال تعالى في سورة التحريم: ﴿ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾، لقد أصبح الحق في هذه المسألة واجباً مطلوباً أن يمارس عند الضرورة، وفي الوقت المناسب وفي المكان المناسب، كما امر رب العالمين، كعلاج لعلةٍ ظهرت وهي موجودة، وليس كسلاح بيد الزوج يشهره في كل لحظةٍ يتهدد به زوجته.

من هنا فإنَّ **فهم** (سورة التحريم) يجب ان يكون مباشرة من النص، دون المرور بما سُميَّ علم؛ (الناسخ والمنسوخ) ولا بما سُميَّ علم؛ (أسباب النزول)، وليس من خلال الروايات ولا الخيالات ولا من خلال فيض الخاطر، ولا التصورات المضافة والمقترحة، التي لم تنزل من السماء، والتي لم تكن قد نصَّ عليها النص في الرسالة الأساسيّة؛ والقرآن العظيم رسالة محكمة هادفة تستهدف بالأساس الإنسان وتهدف إلى كماله الكمال النوعي. إنَّ مطلع سورة

يجب ألا يسيئ وألا يحط من قدر أحد من الزوجين ولا أهليهم، فالطلاق يتم للعدة، وعلى الطرفين عدَّها والالتزام بها، وممنوع إخراج أو طرد الزوجة من بيتها الزوجي، وأن تُتْرَك الفرصة سانحة للرجوع إن أمكن، ثم أننا مأمورون من الله تعالى بالإمساك بمعروف، أو المفارقة بمعروفٍ أيضاً، ويجب أن يكون هنالك شهودٌ على الواقعة ذوي عدلٍ، كلُّ ذلك يتمُّ بتقوى من الله تعالى واحتساب، ذلك أمرٌ من الله تعالى، ثمَّ المطلوب إسكان الزوجة (المطلقة) بمستوى سكن الزوج، والمطلوب أيضاً التعويض وعدم الإضرار وعدم المضايقة من أيٍّ من الأطراف للطرف الآخر، وعدم مضايقة الزوجة؛ وعدم استغلال ضعفها، أياً كان شكل أو حجم الضغط أو الإكراه، ثم المطلوب بعد ذلك إعطائها جميع حقوقها المترتبة من المهر والنفقة بالمعروف، والأهم هو مراعات مصلحة الأولاد خصوصاً الصغار، كلُّ ذلك عن طريق تحكيم العقلاء وأصحاب الخبرة، كلُّ ذلك مع الإيمان أن الله سبحانه وتعالى يقف بالمرصاد لكلٍّ من سيحاول الطغيان على حدود الله تعالى ويخون، إنه أمر الله تعالى. هذا وإنَّ حدوث الطلاق لا يُلغي علاقة القرابة التي سبق وأن أنشأها الزواج! فأم الزوجة تبقى بالنسبة للزوج كأمه، وأبو الزوج يبقى بالنسبة لزوجة الابن كأباها.

التحريم وحتى نفهمه بدقة؛ فإننا يجب أن نربطه بالسورة التي سبقته وهي سورة (الطلاق) ويجب أن ندرك الجدوى من تشريع (الطلاق) وأهميّة وروده ووجوده في حالات معيّنة، أسروية واجتماعيّة، كأحد الحلول للمشكلات المستعصية التي قد تصادف (الأسرة) لتصبح ظروفها معقدة وتجعل استمراريتها مستحيلة، لذلك كان الطلاق حلاً محتملاً وارداً؛ وقد أحله رب العالمين، ولكنه يعتبر عند الناس ابغض الحلال عند الله تعالى وعندهم؛ وعادةً ما يُستبعد هذا الحل ويؤخر ويوضع في آخر الاحتمالات الواردة، ذلك لِما قد ينتج عنه من مآسي وما يتولد عنه من صعوبات تتعلق بما يخلقه من أوضاع تنعكس على جميع أفراد (الأسرة) لاسيما الأطفال والزوجة؛[1] من النواحي الماديّة والمعنويّة والنفسيّة والعاطفيّة، تؤثر وتنعكس على الحياة في المجتمع ككل (إذا صلحتْ الأسرة صَلُحَ المجتمع) ويشكل (الطلاق) في حياة البعض من الناس جرحاً دامياً وشرخاً كبيراً يصعب علاجه، وينتج عنه

---

١ ـ (الأطفال العرب الذين يذهبون يومياً إلى المدارس، ويعودون منها، ونحن لا ندري ما يُقال لهم فيها؛ والأطفال العرب الذين يولدون ويعيشون حياتهم في منازل؛ لا ندري أيضاً ما يقال لهم فيها)! إنّ من المُفترض أن يتمَّ في الأسر العربية والمدارس العربية إنتاج وإعادة إنتاج للإنسان العربي المسلم، بالتربية دينياً والرعاية روحياً وعقلياً وجسدياً ولتنميته وطنياً وصقل مواهبه وترقيته، والسموَّ به، وجعله يكتسب الأساليب الصحيحة في العلم العالي والأدب الراقي، إنَّ من المُفترض أن يزداد الطفل العربي في كل يومٍ إيماناً بالله تعالى، وأن يزداد وثوقاً بذاته العربية، وأن يزداد فائدةً، وأن يزداد فهماً، وأن يزداد وعياً وقوةً وبسطةً في العلمِ والأدبِ في كل يوم.

وهذه هي مهمة الأسرة العربية الأصيلة، التي كان أمر ضبطها عند العربي أهم من حكم ولاية، وكان يُقال أن الدولة يسوسها اناسٌ كثيرون، أما الأسرة العربية فلا ينبغي أن يسوسها إِلّا واحد مؤمن بالله الواحد؛ حيث لم يكن يزدان الإنسان بأسرته ولكن الأسرة كانت تزدان بالإنسان، وكان البيت، بيت كل مواطن، يُعتبر حرمة مقدسة لا ينبغي الاعتداء عليها أو هتكها أبداً، فلا شيء أعظم من البيت عند الإنسان العربي المسلم، ينبغي العمل على المحافظة عليه وصونه وصيانته والدفاع عن حرمته والزود عن حِياضه، بكل وسيلة، وكذلك كانت المدرسة العربية الأصيلة، المستمدّة من المسجد، فهل تحولت مهمة الأسرة العربية والمدارس العربية، مع لوثة العولمة إلى مجرد مداجن؛ همها إنتاج البيض المُحسَّن، والفروج المُحسَّن، وذلك لسد حاجة السوق المستهلكة الطاحنة؛ مواكبةً للمواصفات العالمية التي تحددها (الإيزو).

نتائج اجتماعيّة ونفسيّة وخيمة، ولذلك عند التفكير في حل المشكلات في الأسرة، يُستبعد (الطلاق) ويبقى مستبعداً، ليتم اللجوء إليه كآخر الحلول؛ عند استنفاذ جميع الفرص، مع أنه من الأمور التي أحلها الله سبحانه وتعالى.

إلا أنَّ (الطلاق) يَحُلُّ اليمين التي كان قد اقسمها الزوج، وحلف عليها يوم عقده للقِرَان؛ فـ (الزواج) بحد ذاته يمينٌ مؤكدةٌ، وقد جَعَلَ حالِفُ اليمين اللهَ تعالى كفيلاً وشهيداً على صدق نواياهُ عند عقد القران للزواج على سنة الله تعالى. إنَّ في الزواج يمينٌ معقودةٌ، فاليمين تعني القوة، وهي انواع واشكال، وملك اليمين تعني ملك القوة، و(الإيمان) يشتمل أيضاً على اليمين الذي يعني القوة ويعني الحلفان! وملك اليمين يدخل تحته الخادم والخادمة والعبد والأمة، والله تعالى أعلم.

فالقضية في (سورة التحريم) تربوية عامة تتعلق بموضوع (الخيانة) وإفشاء الأسرار، والسؤال الوارد في مطلع السورة سؤال توجيهي من الله تعالى يشير إلى الهدف مباشرةً، ويهدف إلى التوجيه والتذكير والايحاء بمسألة محددة، وذلك للرسول عليه الصلاة والسلام ومن خلاله للأمة ككل في كل زمان وفي كل مكان، وتتعلق بحياتهم الأسرية الخاصة وكيفيِّة إدارتها،

والواقع فإنَّ الآفة التي كانت قد عطَّلت العقل والفكر البشري عن فهم القرآن المجيد وسببت تأخير تفعيله قروناً، وإلى الآن هي افتراض ما سميَّ بأسباب النزول، وتوريط الناس وتوريط عقولهم وأفكارهم، وإرغامهم على ربط فهمهم للآيات بحوادث محددة، وهكذا تم تحويل القرآن العظيم الرسالة الموجهة أساساً للعالمين، قد تم ابتساره وتحويله إلى مجرد بطاقة عائليّة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يدروا أو كانوا يدروا أن هذا العمل فيه وقد شكل عدواناً على القرآن العظيم، أدى إلى تعطيل مهمة فهمه وقد أخّرَ تفعيله عصوراً.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢ ﴾ : [1] وكمثال بيانيٍّ توضيحيٍّ، لقد اعطانا ربُّ العالمين صورةً عملية بيانية توضيحيّة أجراها رب العالمين في بيت النبوة (وبيت النبوة بيتٌ مركزي قيادي وهو أمٌّ للنظام في الأمة بأكملها، بل هو مركز القواعد الإنسانية كلها، وهناك في بيت النبوة جرت الحادثة التي أجراها الله تعالى والتي ستكون مثالاً يحتذي به لاحقاً كلّ مؤمن عبر التاريخ، في كل زمان ومكان) لأنَّ النبي مهمته أن ينبئ الناس، لذلك كان الخطاب للنبي، أنَّ من المفروض أنَّ يوجد في كل بيتٍ شؤونٌ وأمورٌ واسرارٌ وأخبارٌ ينبغي الحفاظ عليها وعلى سريتها، ومطلوبٌ صونها وابقائها في غاية السرية، لأن إطلاع الآخرين ـ من خارج البيت ـ على أسرار البيت الداخلية، يعتبر خللاً في هذا البيت وشرخاً وصدعاً يتهدده دائما، و يجب ألا تخرج هذه الأسرار إلى خارج البيت أبداً؛ ولا بأي حالٍ من الأحوال، وكذلك المفروض ألا يتناجى بعض أفراد الأسرة مع بعضهم أو

---

[1] ـ والزف الإعداد لتلاقي الأطراف والزف البشرة والزوج الرديف المكمل والمتمم والذي لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال؛ لذلك فإن الرسول ﷺ نساؤه كنَّ له أزواج وهذا يعني أنهن جميعاً كنا له صحابيات جليلات أي أصحاب قضية ومبدأ (الدين الإسلامي) ومشاركات وعاملات على نشره، ولم يكن الحديث عنهن في القرآن الكريم أنهم مجرد نساء إلا في معرض الإعداد والتربية لهن؛ وهذا هو الفرق بين (المرأة) و(الزوجة) إذا جاز التعبير (الزوج) لا يؤنث فلفظ المرأة لمجرد الأنثى وللمقابلة مع الذكر؛ أما الزوج ففيه تكامل وإتمام وهموم وعمل مشترك، بينما لفظة (امرأته) في القرآن الكريم على الأغلب كان يدل على مفارقة في العقيدة أو اختلاف وعدم موافقة أو المراد منها عدم الالتفات إلى الجانب العقائدي أساساً، وإنما عندما تذكر مع الأنبياء السابقين فقط من كونها الأنثى وتنجب الأولاد البنين والبنات والله أعلم، فالزوج كل ما يحتاج إلى ثاني متمم، والزوجان: بينهما تلازم وتكامل وإتمام وتكافل وبناء وتشابه كبير من الناس وغيرهم، الرجل والمرأة، الزملاء، الرفاق، الأصدقاء، الشركاء كل من كان بينهم توافق أو تلازم أو تشابك في الأهداف أو الآراء أو المصالح أو الحاجات فهم أزواج والله أعلم،

مع الآخرين؛ بعيداً أو في منأى عن الأفراد الآخرين من الأسرة، وألا يدخلوا في مؤامرة ضدهم ولو كانت مزاحاً؛ ذلك حتى لا تتولَّد بين أفراد الأسرة الواحدة ضغائن وأحقاد يسعى الشيطان إلى توليدها بين أفراد الأسرة الواحدة، يجب ان يكون الحب والعطف والحنان هي سداة ولحمة العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، داخل الأسرة وخارجها؛ يجب أن تكون العلاقة بينهم مبنية على الصفاء والنقاء والاخلاص والاحترام المتبادل، لأنَّ أفراد الأسرة الواحدة المفروض أنهم جميعاً يشكلون مكون واحد وكيان واحد، وقوة واحدة، ويدافعون عن بعضهم البعض، وبالتالي فالمفروض أن لا يسلّم أحدُ أفراد الأسرة باقي أفرادها للمخاطر؛ فإذا خرج السرُّ إلى خارج الأسرة فهو لن يعود سراً...وسيتحول إلى نقطة ضعفٍ وإلى شرخٍ يصدعها من الداخل ويهبِّطها ويهدم أركانها ويسمح للآخرين بالدخول إلى صميم الأسرة والاطلاع على عيوبها، مما يسهل كشفها، واقتحامها والانقضاض والسيطرة والقضاء عليها، لا سمح الله تعالى.

كلُّ ذلك يجب أن لا يحدث في الأسرة العربية المسلمة، والله سبحانه وتعالى يحذِّرنا من مغبة حدوثه، وقد أورد لنا رب العزَّة مثالاً تبيانيّاً ميدانيّاً من بيت النبوة من رأس الهرم، فهل نحن متعظون؟

ثم نَصَحَنَا (لمن في داخل الأسرة) أن تكون قلوبهم صافيةً دون أحقادٍ أو ضغينة على بعضِهم البعض مطلقاً، وطلب منهم عدم الدخول في مؤامرة على الآخرين من أفراد البيت الواحد، حيث لا يجوز بالمطلق التآمر على الزوج أو الزوجة أو الأولاد أبداً أبداً. ولا الأب ولا الأم، وتعتبر من الكبائر. لأنَّ الله سبحانه وتعالى وجبريل وجميع المؤمنين الصالحين المتعاونين

سيكونون مع الحق، وإلى جانبه؛ وكذلك الملائكة وكل القوى والظروف والأقدار الربانيّة، ثمَّ ذكرنا ربنا عزّ وجل وذكَّر النساء بشكلٍ خاص بوجود (الطلاق) (كونهم أكثرهنَّ يحب الثرثرة ولا يدرين إذا سربن تلك المعلومات ـ عن غير قصد ـ ، ما قد تسببه ثرثرتهن من الأضرار والكوارث والنكبات) وحدثنا عزَّ وجل عن إمكانية حصوله كحل للخلافات التي من الممكن أن تنشأ في الأسرة الواحدة، الواجب حمايتها وصيانتها والدفاع عنها، ودرءاً للمفاسد والمخاطر المحتملة من وجود (الخيانة) أو استمرارها من أحد الأطراف، الذين يقومون بعادة تسريب الأسرار أو بعادة التآمر على الأزواج؛ وأنَّ (الطلاق) غير مستبعد في هكذا حالات. كل ذلك من أجل قمع تلك الظاهرة الخبيثة والعادة السيئة وهي تسريب الأسرار الزوجيّة والأسرية والعائليّة والوطنيّة وحتى الأسرار التي بين الأصدقاء.

ثم يصبح الخطاب عامَّاً لكافة الذين آمنوا أن ينتبهوا إلى ما قد يقعون به من الأخطاء ... ،أن عليهم أن وأن يحذروا من الاستهتار والانجرار وأن عليهم عدم الانجراف لمغريات أعدائهم، لما قد يجرهم إليه الشيطان من أجل توريطهم، ، ويقول لنا رب العزة مسبقاً أنَّ من كَفَرَ سوف يحاول يوم القيامة الاعتذار، وأنه لن يُقبَلَ منهم اعتذارهم وأنهم يوم القيامة سيجزون بما كانوا يعملونه في الدنيا، وقد أعذر من أنذر.

قال تعالى: ﴿ وإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا فَلَمَّا نَبَّأَتۡ بِهِۦ وَأَظۡهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ عَرَّفَ بَعۡضَهُۥ وَأَعۡرَضَ عَنۢ بَعۡضٖۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتۡ مَنۡ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ﴿٥﴾ ﴾: (وإذ): تعبر عن لحظة تاريخيّة مفصلية جرت فيها أحداث إنسانيّة مهمة، ولها دلالة خاصة، خصوصاً لما

سيترتب عليها وعقبها مباشرة؛ ويجب على المسلمين العرب التوقف عندها، والبحث عن مدلولها العميق في القرآن الكريم ، إنها بالنسبة لأصحاب التفكير العميق تعني الكثير؛ فبعدها على الأغلب كانت تحدث الأمور الجلل، العظام، مفاصل الأمور والنقاط، والمواقف التاريخية الهامة، [1] وقوله تعالى(إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) أي أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أسرَّ بالحديث إلى أكثر من زوجة من زوجاته، وربما إلى جميع ازواجه (البعض من ثلاثة إلى سبعة)[2]، ولكن تستخدم لفظة (بعض) في العربية للتورية، إذا كان المطلوب في

١ــ – (إذ) : هل هي ظرفية أم هي تأكيد الظرف، أو هي (إذ) التوكيدية، أو هي (إذ) الظرفية التوكيدية، و(إذ) بمعنى : إن، وإذ حرف، و(إذ): في القرآن الكريم لها دلالة خاصة يجب على العرب التوقف عندها والبحث عن مدلولها العميق . إنها بالنسبة لأصحاب التفكير العميق تعني الكثير فبعدها على الأغلب كانت تحدث الأمور الجلل العظام مفاصل الأمور والنقاط والمواقف التاريخية الهامة، ففي البداية قال تعالى: ﴿ (إذ) قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ قال تعالى : ﴿ (وإذ) جعلنا البيت مثابةً للناس وأمنناً ﴾ قال تعالى:﴿ (وإذ) قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق﴾ .

٢ــ وقيل: بَعْضُ الشيء كلُّه؛ قال لبيد: أَو يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها؛ قال ابن سيده: وليس هذا عندي على ما ذهب إِليه أَهل اللغة من أَن البَعْضَ في معنى الكل، هذا نقض ولا دليل في هذا البيت، لأَنه إِنما عنى ببعض النفوس نَفْسَه. قال أَبو العباس أَحمد بن يحيى: أَجمع أَهل النحو على أَن البعض شيء من أَشياء أَو شيء من شيء إِلاّ هشاماً فإِنه زعم أَن قول لبيد: أَو يعتلق بعض النفوس حمامها فادعى وأَخطأَ أَن البَعْضَ ههنا جمع ولم يكن هذا من عمله وإِنما أَرادَ لَبِيدٌ ببعض النفوس نَفْسَه. وقوله تعالى:(تَلْتَقِطه بَعْضُ السيّارة)، بالتأْنيث في قراءة من قرأ به فإِنه أَنَّثَ لأَنّ بَعْضَ السيّارة سَيّارةٌ كقولهم ذهَبتْ بَعْضُ أَصابعه لأَن بَعْض الأَصابع يكون أُصبعاً وأُصبعين وأَصابع. قال: وأَما جزم أَو يَعْتَلِقْ فإِنه رَدَّهُ على معنى الكلام الأَول، ومعناه جزاء كأَنه قال: وإِن أَخرجْ في طلب المال أُصِبْ ما أَمَّلْت أَو يَعْلَق الموتُ نفسي. وقال: قوله في قصة مؤمن آلِ فرعون وما أَجراه على لسانه فيما وعظ به آل فرعون: (إِن يَكُ كاذباً فعليه كَذِبُه وإِن يَكُ صادقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الذي يَعِدُكم)، إِنه كان وَعَدَهم بشيئين: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقال: يُصِبْكم هذا العذاب في الدنيا وهو بَعْضُ الوَعْدَينِ من غير أَن نَفى عذاب الآخرة. وقال الليث: بعض العرب يَصِلُ بِبَعْضٍ كما تَصِلُ بما، من ذلك قوله تعالى: وإِن يَكُ صادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الذي يعدكم؛ يريد يصبكم الذي يعدكم، وقيل في قوله بَعْضُ الذي يعدكم أَي كلُّ الذي يعدكم، أَي إِن يكن موسى صادقاً يصبكم كل الذي يُنْذِرُكم به وبتوَعّدكم، لا بَعْضُ دونَ بَعضٍ لأَن ذلك مِنْ فعل الكُهَّان، وأَما الرسل فلا يُوجد عليهم وَعْدٌ مكذوب؛ وبَعّضَ الشيء تَبْعِيضاً فتبَعَّضَ: فرّقه أَجزاء فتفرق. وقيل: بَعْضُ الشيء كلُّه؛ قد يُدْرِكُ الْمُتَأَنّي بَعْضَ حاجتِه، وقد يكونُ مع المسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ لأَن القائل إِذا قال أَقَلُّ ما يكون للمتأَني إِدراكُ بَعْضِ الحاجة، وأَقَلُّ ما يكون للمستعجل الزَّلَلُ، فقد أَبانَ فضلَ المتأَني على

الخطاب عدم التحديد للأعداد أو للأسماء، هذا ومن المحتمل أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أسرَّ لجميع أزواجه رضي الله عنهم، وفي بيت النبوة وهو بيت الرسالة والقيادة والحكم فإنه يقال هنالك الكلام الهام، الذي من المفروض أن لا يتم تسريبه ولا حتى تداوله أو تناقله بشكل منعزل؛ ولا بشكلٍ انفرادي ولا مناجاة جانبية؛ أن كل كلام يجري بين الرسول صلى الله عليه وسلم، وأزواجه رضي الله عنهم، فيما بينه وبينهم، المفروض أنه (كل حديث يجري في بيت الرسول) أن يكون هام جداً ومن أسرار الدولة التي يجب أن لا يدري بها أحد من خارج البيت، أياً كان، وأن لا يتم تداوله بشكلٍ جانبي بين البعض في البيت الواحد دون الكل! لكي لا تترك الثغرة للشيطان الذي يتربص بالمؤمنين، فيولد الأهواء المنحرفة ويستدرجها إلى النفوس، فيشوه الحقائق وتنبع عندها المؤامرة، نتيجة التأويلات البعيدة عن الحقيقة، التي يتم طرحها عادةً بشل انفرادي وفي غياب الآخرين، وأن إحداهنَّ إذا كانت سربته بأي حالٍ من الأحوال (وهذا غير وارد، أي ليس بالضروري ان يكون قد تم لأن نص الآية لا يصرح بذلك)، ولكن في هذه الحالة تكون قد ارتكبت خطاءً كبيراً، إذا نقلته إلى أحد أفراد البيت الآخرين، ممن لا يعنيهم الأمر، لذلك وجب التحذير الحازم والتنبيه والإشارة والتنويه، والتشديد عليه. وقوله تعالى: (فلما نبأت به) ليس بالضروري أن يكون إلى خارج أفراد البيت، بل من الممكن أن يكون الموضوع كله قد حدث داخل نطاق البيت الواحد والله أعلم.

وصغت قلوبكما: أي أنصتت وازعنت للحق وانتبهت وسمعت سمعاً دقيقاً، وهذا الكلام الأساس درس تربوي عام وهام جداً لجميع المسلمين العرب في كل زمان وكل مكان،

المستعجل بها لا يَقْدِرُ الخصمُ أَن يَدْفَعَه، وكأَنّ مؤمنَ آل فرعون قال لهم: أَقلُّ ما يكون في صِدْقه أَن يُصِيبَكم بعضُ الذي يَعِدكم، وفي بعض ذلك هلاكُكم، فهذا تأْويل قوله يُصِبْكم بَعْضُ الذي يَعِدُكم. لسان العرب

(المسلمات الزوجات والأزواج) أن يقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وأن يفعلوا كما ما فعل، (يجب أن يعملوا على أن تكون بيوتهم أسرار داخلية غير قابلة للتداول، يجب عدم فضح الأسرار الداخلية مطلقاً) وفي جميع الأحوال ومهما كانت الأسباب، فلا مبرر لنشر أو فضح ما يجري داخل البيت العربي من خطط وبرامج ومشاريع أبداً، وذلك حتى يُكتب لها النجاح، وإلا باءت البيوت العربية بالفشل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾: الخطاب هنا من الله تعالى للذين آمنوا تحديداً: (يا أيها الذين آمنوا) فالمؤمنين ليسوا في هذه الحياة خُشباً مسندة، ولكنهم فاعلون ومؤثرون فيها، وهم مسؤولون ويشعرون بالمسؤولية عنها أيضاً، إنهم مسؤولون عن توصيل الرسالة (الحق) إلى اهليهم وإلى أنفسهم، وعلى عاتقهم مسؤولية دحر الباطل، وتسويد هذا الحق بالسبل الحقة، لذلك فإنَّ إنقاذ المجتمع ككل مهمة أساسيّة من مهام المؤمنين، فقط المؤمنين، أما الكفار والملحدين فإن مهمتهم هي في عكس الاتجاه تماماً.

من هنا فإنَّ على المؤمنين السعي لنشر الدين الصحيح ومضامينه وتعاليمه، ونشر القيم الخيِّرة والعدالة والسلام والأمن والعادات الحسنة وما لا يُستغنى عنه من الأدب وإشاعتها بين الناس، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ الشعراء

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾: ثم يخاطبُ اللهُ سبحانهُ وتعالى المؤمنينَ ويطلبُ منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى، وهذا يعني أن الرجوع عن الضلال ممكن وأنَّ التوبة والإياب يكون إلى الحق، وليس لغيره من الجهات، وتوبةً نصوحاً: أي صادقة نقيّة صافية، وتكون واضحة فاعلة مؤثرة، تسدد مباشرةً إلى الهدف وتحقق المراد؛ وهو عدم العودة إلى الأوضاع السابقة، وترأب الشقوق وترمم الأخطاء. جاء في الأثر: (أنه من اغتاب خرق ومن استغفر رفأ). والناصح الخياط الذي يخيط بالخيط.

إنَّ التوبة النصوح يمكن أن تكفِّر وتمحي الأخطاء السابقة، التي يغفرها ويسترها الله سبحانه وتعالى، وتبقى حقوق الآخرين التي لا بدَّ من سددها؛ فالتوبة فرضٌ على الأعيان، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة تجب ما قبلها، ويمكن للإنسان الصادق أن يعود للإيمان وأن يدخله الله تعالى إلى جنته الموعودة، وأن التائب يكون مع المؤمنين يوم القيامة، يوم سينجي الله تعالى كل نبي والذين آمنوا معه، بشرط صدقه في التوبة، إن في السورتين (الطلاق والتحريم) نداء للنبي ق والقضية فيهما داخلية وتتعلق بالبناء الداخلي ومن الداخل.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾: وهذا دليلٌ قاطعٌ على أن القضيّة في سورة التحريم تتعلق بالمصلحة العُليا للأمة (وليست مسألة شخصيّة) كما فهمها المفسرون من قبل، إن تسريب الأسرار

والمعلومات من بيت النبوّة ، كان أمره يتعلق بالقضايا التي هي على أعلى مستوى، والهامة جداً جداً في حياة المسلمين.

والآن فالوضع السابق بما فيه من التسيب، فهو وضع سلبي لا يرضي الله أبداً؛ وخيرٌ منه فإنَّ الله تعالى يرشدنا إلى أسرع طريقٍ لتخطي الوضع السابق وهو تبديل حال التخاذل، بحال الإيمان بالله تعالى ورسوله الكريم، والعمل واتباع ذلك بالجهاد في سبيل الله دائماً أي ...بأموالكم و أنفسكم(الإيمان العملي).

هذا الأمر كفيلٌ لأن يغفر الله لكم ذنوبكم وأن يدخلكم الجنة التي وعدكم بها، مع تحقيق النصر لكم على عدوكم وذلك من خلال فتح عقول الناس على الإيمان كما تؤمنون به ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن عليهم أن يكونوا أنصاراً لله تعالى(أن تكون لديهم الجاهزية ليكونوا أنصارً لله تعالى في كلِّ موقف، وذلك كما فعل الحواريون عندما طالبهم المسيح أن يكونوا أنصاره إلى رضا الله تعالى، قال الحواريون قولهم البديع الذي يختصر الجدل والحال قالوا : أنهم سيكونون مباشرةً مع الله، أنهم مباشرةً أنصار الله.

لكن فيما بعد و بمرور الزمن آمنت طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ، ثم أيد الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾: القص في القرآن العظيم من أجل الموعظة والحذر والامتناع عن المصير السيئ، واتباع السبيل والأثر الصالح، إنَّ مجيئ الأمثلة، امرأت نوح وامرأت لوط فيه تحذير شديد اللهجة لمن يخالف أو يخون ممن هم في بيت النبي فما دون، وذلك من أجل الضبط والربط في الأمة كاملةً، فالأمة يجب أن تكون كما جاء تماماً في الأثر (كالجسد الواحد إذا

اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمة)، كذلك فقد جاءت الأمثلة الإيجابيّة قمة لمن آمن وكان من القانتين. هذا وإنَّ ورود قصة أمرأت نوح وأمرأت لوط، ثم امرأت فرعون، وذكر السيدة مريم ، كل ذلك يشير إلى وحدة المكان والخط الزماني الواحد، الذي كانت قد جرت فيه تلك القصص، وتعاقبت فيه تلك الأقوام التي كان بينها خطاً مشتركاً؛ وهو اللسان الواحد، اللسان العربي المبين،

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم.

إضاءات وخواطر من (سورة الفيل) المباركة

إنَّ فهم القرآن الكريم يتطلب أموراً أساسيَّة ينطلق منها الإنسان العاقل المفكر، أولها: النَّظر إلى القرآن العظيم على أنَّه كتاب الكون، وأنَّه من عند خالق ومبدع هذا الكون، والإيمان بذلك، ولا يمكن فهم السور والآيات في القرآن العظيم، لمن لم يكن يؤمن بذلك إيماناً لا شك فيه مطلقاً.

والأمر الثاني: أنّ الذي سينبني على الأمر الأول وهو العلم بأن القرآن العظيم محكم، نحن لا نعرف بالواقع من الذي ورط المسلمين وخدعهم في قوله لهم: (أنَّ القرآن العظيم حمال أوجه ... وأنَّ له ظاهر وباطن) بحجة أنَّه لا تنقضي عجائبه ولا تُحدُّ معجزاته ولا تنجلي غرائبه!

ولكنَّهم بهذه الحجج قد استمرأوا وسوَّغوا دسَّ الاختلاف ووضعَ التناقض فيه! وبرروا التخبط والتعارض في فهم معانيه، وقبلوا عدم اتفاقهم على النتائج المرجوّة من قراءته، وتقبلوا أخطاءهم وأُشربوها وأدمنوها... صوفية وسلفية وشيعة.

ولكنْ كيف يكون القرآن العظيم حمَّال أوجه وقد قال فيه تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ [آل عمران:٣]، والكتاب هنا المقصود به كتاب الكون أحداثه ووقائعه: ما أوضحه منه الله سبحانه وتعالى أو ما كشفه - للرسول صلى الله عليه وسلم، أو لغيره من الناس، والتأويل: أي ما سيؤول إليه الأمر في المستقبل، وطبعاً هذا شيء لا يعلمه إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلًاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤ ﴾ [الأنعام:١١٤].

قال تعالى: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [هود:١]، والكتاب هنا هو كتاب الكون، وقد أحكمت آياته أي أن لكل آية فيه هدفاً في الفكر البشري وغايةً تسعى إليها، وأنها لا بدَّ من أن تتحقق بعينها في المكان والزمان المستهدفان ولا شك في ذلك، ولن تفشل في الوصول إلى الهدف، لأنها محكمةٌ، بينما الإنسان قد يضل طرقه وينحرف عن مساره.

هذا ما يجب أن يكون عليه الفكر البشري حِيال القرآن العظيم، لفهمه الفهم المبين المثمر والمنتج.

والفرق واسعٌ بين العلم، أن يؤتى الإنسان الكتابَ، أو نصيباً من الكتاب، وبين الجهل الذي عادة ما يُخرج هذا الإنسان عن طبيعته ويهبط به في مهاوي الانحطاط والبهيمية والدونية.

و(سورة الفيل) الكريمة، سورة لم تكن مجرد رواية تروى في الدواوين والمجالس، أو يحدوا بها إبلهم الركبان في القوافل، ولكنها كانت مرحلة انتقالية في الفكر البشري، نقلته من حالة البدائية إلى الحالة المتقدمة إلى مرحلة الكمال في الفهم والوعي، بحيث البشرية قبل حدوثها ـ كحادثة معلومة ومشهورة... لم تكن تدرك أو تفهم ـ الفكرة الجديدة التي جاءت بها.[1]

---

[1] – **الفيل** و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (الفيل) وأنَّها وجودها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وأنَّها شاملةٌ وعامةٌ، وتطال الجميع من المؤمنين والناس أجمعين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً.

وهو حرف له تبادلٌ في اللهجات العربيات مع باقي الأحرف الشفوية (الباء والميم والواو) فيه تخصص وتحديد واستقلال واستغناء وعزوف وابتعاد وامتناع وغالباً ما تأتي الفاء خبرية أو تدخل على الخبر، وعندها تكون دلالة على المباشرة وسرعة التنفيذ ثم تحدد الأحرف التالية في كل لفظٍ معالم المعنى المطلوب دراسته في اللفظ المحدد وإتمامه من حيث المسار

﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١ ﴾ [الفيل: ١]، وهذا الخطاب لكل عاقل ومتفكر من الناس جميعاً ليفهمَ، يقول له: ألم تعلم وتدرك وتفهم الكيفيّة التي واجه بها ربُكَ (رب العالمين)، العالِمُ والمواكِبُ لمَّا يجري من الوقائع والأحداث، كيف تصدى رب العالمين، لأصحاب الفيل، والفيل رمز الكتلة والحجم والجبروت والطغاة، الذين تجبروا وعتوا في الأرض فساداً، معتمدين على القوة الهائلة في الحجم والثقل والوزن في العتاد والعدّة، والكثافة في العدد والتعداد!

وكانت هذه العوامل في المعركة القديمة، هي التي تحقق النصر الساحق المؤزر والأكيد، كانت المعركة الحربيَّة وفي المواجهات تعتمد في ما مضى على القوة في الكتلة والحجم والثقل والمساحة التي لا تضاهى، وذلك بغض النظر عن الكيفية والنوعيَّة؛

والاتجاه، مع التأكيد على أن دلالته إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم،

ثم أنَّ هنالك تبادلاً لـ(الفاء) مع (الحاء) ومع غيرها من الأحرف فينبغي الانتباه للمنقلبات من الأحرف وهي علاقة التقطع الخفيف في الكلام، في حين كانت القاف فيها قطع حاد، من هنا كانت الفأفأة والفتفتة والفاء دلالة الفرق والتشعيب أو الاستطراق في طرق شتى منفرقة وهي علامة الانفصال والانتشار البطيء والتفرد والانفراد والقيام الهادئ المفاجئ واستئناف العمل وحلحلة العقد والخروج والانتشار والانفراد والتجديد، و(صدف) تعني: الامتناع والعزوف والاستقلال والابتعاد.

وحرف (اللام) يدلُّ على الانتماء والاحتواء، وتأتي كحرفٍ أحادي محض بمعنى عند وبعد وفي وعلى وإلى ومن ومع، وأحياناً تأتي زائدة قياسية أو سماعية وأحياناً تكون جواباً للو ولولا وجوباً أو الموطئة للقسم، وتكون أحياناً جازمة وأخرى ناصبة،

ومما صرح عن معانيها أنَّها تستعمل للملك والتمليك وشبه الملك والتمليك والاستحقاق والاختصاص والنسب والتعليل والتبليغ والتعجب والاستغاثة والتفسيرية والبيان والصيرورة، وهي تشير إلى العمل والشغل والفعل والحركة القويّة والطويلة والنشاط الدائم والتحريك والزحزحةْ، وليلة القدر: أقدار ومقادير العظمة والحضور والتبدي والإيجاد، وهي حرفٌ معنويٌ أساساً، واللام النَّاهية عبارة عن وقفٍ للفعل أو للنهي عنه وكذلك (لم) كذلك في لا النافية فإنها نفيٌ مطلقٌ للفعل والله أعلم، وهنالك تبادلٌ واضحٌ في العربية بين اللام والنون، فيمكن أن تحلّ اللام مكان النون أو بالعكس (اسماعيل- اسماعين).

فلم تكن تحسب حساباً للظروف الموضوعيّة أو الاستثنائيّة، أو المتغيرات أو المفاجآت أو الاحتمالات، أو للسنن والقوى والعوامل الربانية المبثوثة في كل ركنٍ من أركان هذا الكون الواسع والمنتشر، والتي هي في يد الله دائماً، ويمكن لله - رب العالمين أن يحركها في أي لحظة، ليدخلها ويزجُّ بها في المعركة والمواجهة لتنقلب على المعتدين الغاشمين، الطغاة، لتحسم المعركة نصرةً للحق ودعماً للمستضعفين والمقهورين من عباده تعالى، بشرط أن يكون هؤلاء العباد متصلين بالله تعالى يسبحون بحمده ويستغفرونه.

فكيف بكم وأن الاعتداء كان على بيته المُحرّم؟

لم تكن تلك الأمور توضع ضمن الاستراتيجيات القديمة، أو الفهم القديم لقضية المواجهة بين الخصوم، لم يكن يُحسب لها الحساب، ولكن بعد أنْ علم الناس بالكيفيَّة التي أدار بها ربُّ العالمين تلك المعركة مع جيش أبرهة الحبشي منذ ذلك التاريخ تغيَّرت النظرة إلى المعركة عموماً وتغير مفهوم الاستراتيجية في المواجهات.

ولأول مرة يكون الإيمان بالحق وتكون الشجاعة في مواجهة الكثرة، هي العامل الحاسم، لقد كان في ما مضى يُنظر إلى القوة العاتية على أنها في الكتلة والحجم، وانَّها لا يمكن أن تُرد؛ ولكنَّ الله تعالى قد ردّها بالنوعية وبالكيفية وبالظروف الاستثنائية المحتملة دائماً، والتي يجب على الدوام أنْ يُحسب حسابها ويستغل وجودها وتوظف دائماً وتستغل لتحقيق النصر، وأصبحت النوعية والكيفية يمكن أن تحقق النصر على الحجم والكتلة الشكلية، وهذا ما أدى إلى تطور الفكر البشري عموماً، ونقله منذ ذلك التاريخ نقلةً نوعيّة هائلة، وهذا... للمتأمِّل ولمنْ يسبر الأغوار، ولمنْ يغوص في الأعماق يُعتبرُ مرحلةً جيدة قد دخل فيها الفكر البشري، الله يريد من المؤمن أنْ يدركها ويعيها ويفهمها ويعمل بها، ولذلك ينبهنا عليها ويشير إليها بقوله تعالى: (ألم ترى كيف..)

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ ﴾ [الفيل: ٣]: وقد بعث اللهُ سبحانه قِواهُ وظروفه وعوامله وشروطه الطبيعية وسننه الربانيَّة السريعة جداً، التي قوَّاها ربُ العزة لتواجه ذلك الجيش المعتدي، وقد سلَّطَهَا ربُّ العالمين، رب البيت دفاعاً عن بيته، لتَهزِمَ ذلك الجيش العرمرم، فأنهكهُ وأتلَفَهُ، وطَوَّحَ بكل قوته وجنوده وعتادهم المخيف للنَّاس، فكانت في مواجهتهم، مواجهة ساحقة ماحقة، وردَّهم، وردَّ كلَّ أهدافهم، فلم يستطيعوا تحقيق أي منها، لقد ردَّها إلى نحورهم ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ ﴾ [الفيل: ٢].

وطيراً أبابيل أي من عزائم الله وقواه الخفيّة، والسرعات الهائلة والخطيرة التي لا يمكن وقف زحفها وردَّ هجومها. وأبابيل ربما تعني سلاح إيل الهجومي، أو عزمة إيل، أو قوة إيل الهجومية، وأبب إيل والله أعلم تعني: وثبة إيل ونهضة إيل، والمبادرة التي لدى إيل، وانقضاض إيل، وفزعة إيل، و(إيل) اسمٌ من أسماء الله تعالى،

قال تعالى: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ ﴾ [الفيل: ٤] ومفهوم (الحجارة) تعبير عن الثقل النوعي للقِوى الطبيعيّة الربانية، وهي في المعجم العربي قد تعني الجبل وقد تعني الأرض وقد تعني الصخرة، وقد تعني القطعة الصغيرة من الأرض والجبل والصخرة والله أعلم أنَّها تعبيرٌ عن أشياء قاسية طبيعية وهي بصيغة الجمع وهذا يعني أنَّها كانت عبارة عن كم هائل، مستمدة من الطبيعة التي حولنا.

والحجارة قوى ثقيلةٌ جداً وكتل، وحَجَرَ: منعَ، وحصَرَ، والحِجْرُ: العقل، قال تعالى: ﴿ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفجر:٥]، وقد توزعت في القرآن الكريم مصادر الحجارة بين أنْ تكون من سجيل وأنْ تكون من الطين، والله أعلم أنَّ سجين تعني البركان[1] قد جندها ربُّ العالمين، في تلك المعركة الشرسة، وزجها في مواجهة وفي

١ (سجيل) وذلك أنها كلفظ قريبة جداً من ألفاظ يسجرون، وسجرت، والمسجور، وهي تشير غلى الوقود المشتعل والنار، والله تعالى أعلم.

مقابل مفهوم (الفيل) القوة الثقيلة والحجم الهائل والكتلة التي كانت مخيفة ومرعبة للناس، أتى بها ربُّ العزَّة وأمرها بالتدخل لصالح البيت العتيق وسكانه للمؤازرة السريعة نوعياً، لتقصف أعداء الله وأعداءهم بـ (الحجارة) فمنذ ذلك الحين المفروض أنَّها قد سقطتْ نظريَّة (الغلبة بالحجم) كما في الآية.

لأنَّ تحقيق النصر هدفٌ تدخل فيه عوامل وظروف وشروط أخرى، وليس فقط الحجم، مما أدى إلى تطور الفكر البشري، ولكنَّ المفسرين ذهبوا إلى معالجة ظاهر السورة ولم يتَلَمَّسُوا ما فيها من مرامي معنوية أساسية عظيمة، ففي السورة أهداف فكريَّة معنوية ليست خفيّة على الساعي للفهم، إنها ليست مجرد قصة يتناقلها الركبان في القوافل، بل هي نقلة فكرية وعقلية نوعية للمجتمع البشري بأكمله، يُراد له التطور والتقدم والانتقال من حال إلى حال ومن طريقة في التفكير كانت متخلفة إلى أخرى صحيحة متقدمة والله أعلم .

﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝ ﴾ [الفيل: ٥]، وهذا تعبيرٌ عن حالة الدمار الشامل الذي ضرب ذلك الجيش المعتدي والهزيمة التي لحقت به، والذي هَزَمَهُ اللهُ سبحانه وتعالى هزيمة نكراء، لم تبقي ولم تذر، فهم بين قتيلٍ وجريح ومنهك القوى لا يقوى على شيء ويرجو النجاة بالهرب.

قريش ومكة المكرمة (البيت العتيق)

قريش: وهم ليسوا قبيلة ولا عشيرة، ولكنَّهم (الجماعةُ من الناس) القائمين على خدمة بيت الله تعالى البيت الحرام، الذين يقيمون الصلاة فيه، يُقال لهم أهل الله.

فالقاف صوتٌ قويٌ حاد مفتوح على المدى يوحي بالنهوض غير المحدود والقطع والنقل والمبادرة وهو حرف تحقيق وهو للانفصال والتوحد! وللتفرد والتفرع والذهاب بكل شيء والنفي القطعي والقول في العربية هو عين الفعل وكل فعل هو قولٌ، وأحياناً يكون فيها عمل الكاف ولكن بقوة وإيجابية كذلك يستعاض عنها بالجيم أحياناً أخرى، فحرف القاف موجودٌ دائماً في أفعال القوة والشدة والتحديد والوقوف الأساسي العميق و(ليلة القدر) هي: أقدارٌ ومقادير.. إنَّها العظمة والحضور والتبدي والإيجاد المادي والمعنوي الذي يحدث ويحضَّر ويعد باستمرار في عالم الغيب دون أن يدري به الغافلون من النَّاس ولفظة (الليل) دلالة على الخفاء وكانت (الواو) حرف القوة المطلقة والله أعلم، كذلك قوله تعالى: ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ ﴾ [ق:١]، ومثاله أيضاً قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسًا قَمۡطَرِيرًا ۝١٠ ﴾ [الإنسان:١٠]، (قمطريرا): فإنّ إضافة (القاف) إلى أول اللفظ يُفيد الإيحاء بالقوة غير المحدودة لانهمار المطر والذي كان مستمراً ومدمراً ومحيطاً بالكافرين لا ينقطع وذلك بدلالة إضافة الياء يوماً عبوساً قمطريراً، قال تعالى: ﴿ ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةً يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٌ مُّسۡتَمِرٌّ ۝٢ ﴾ [القمر:١-٢].

بينما حرف (الراء) فهو حرف الرسوخ والبقاء والتكرار، (نقول رأس الرمح ورأس الجبل ورأس الشجرة ورأس القبيلة ورأس الأمر ولكل شيء رأس كذلك نقول (رب البيت) و(ربُّ العمل) و(ربُّ الأسرة) و(ربُّ الدولة) وهو الرأس والمدبر لها، وهو عند البعض يعني مجرد التكرار أو النسخ، بينما حرف الراء فيه صفاء واحتمالٌ

للخير كثير أو سدٌ للنقص وسدٌ للعيب كبير! ويشير إلى الحركة والتحرك والمواجهة: والدفع ويتحدد كل ذلك من خلال الحروف اللاحقة في اللفظ، و(الراء) من الأحرف النورانية في فواتح السور وهو حرف معنوي يفيد التكرار،

و(الياء) حرف الولادة والحيوية والنمو والحياة والدفع والاندفاع والنداء، وإذا كانت في بداية اللفظ فهو حرف مكاني (مضارعة)، وهو عكس النوم والموت، أما إذا كانت ما قبل الأخير فإنَّها تشير إلى الديمومة والاستمرارية والملازمة والبقاء في الصفات، زمانياً ومكانياً مثل (جميل) و(حبيب) و(صبيب) و(بخيل)، ولكن (مريج) هل تعني مريب؟

وهي بالإضافة إلى كونها من أحرف العلة! إلا أنَّها أيضاً حرف التمديد والبقاء والنداء، وحيثما أتت فهي تعبيرٌ عن طول الفترة للفعل أو الاسم والصفة مكانياً وزمانياً، وأوضح مثالٍ على ذلك هو أسماء الله الحسنى: السميع، العليم، الحكيم البصير، العزيز، الحليم، الكبير، العلي، العظيم، الغني، الحسيب، الكبير، القوي، الولي، الحفيظ، الكفيل، وكذلك نقول الجميل والقبيح والصريح والطويل والقصير والرفيع والسمين وإلى آخره فإنَّ إضافة الياء يعني أنَّ اللفظ مستمرٌ وله ديمومة وامتداد والله أعلم، واضافة (حرف الياء) إلى (اللفظ) من الأمام يُفيد الإيحاء بامتداد الفراغ، أما إضافتها في الوسط ما قبل الأخير فإنها توحي بامتداد صلاحية الأحرف الأخرى في اللفظ والله أعلم. ولفظة (يأس) هل تحصل من بعد الأمل ومن بعد التأكد والتحقق والتثبت ثم يأتى الفشل فيكون الآياس واليأس؟

ولحرف الشين في لهجات العرب تبادلٌ مع الكاف خصوصاً إذا كان لاحقة وهو حرف يفيد السبق والتقدم والأولوية، مثل الشهيد، شفيع شفيق شهيق شريد شمال شدّاد شن شلّ شح شج شر شمّ شطّ شظّ شع: يدل على التشظي والتشعب والنشر والانتشار المادي والمعنوي على كل صعيد وفي كل اتجاه كانتشار القوانين والأعراف

والتقاليد وأشعة الشمس وسنن الله سبحانه وتعالى والسنن: تعني الطرق، وهو حرف الشيوع ويمكن أن يدل على (الشفقة) و (الشنق) كل ذلك بحسب ما يليه من الأحرف التي تحدد أو توجه مساره لأداء المعنى المطلوب. و(كتاباً متشابهاً مثاني):متشابه: فيه معاني عميقة وقوية يلزمها بحث وتحتاج إلى تعمُّق وتفكُّر وتدبر.

قال تعالى: (إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾) [يونس:٣] ما من شفيعٍ إلا بإذنه: أي ما من أحدٍ يستطيع خرق نواميس الكون وقوانينه إلا بإذن الله سبحانه وتعالى، أي بسلطان أو علمٍ يُلهمه رب العالمين لأحدٍ من خلقه لتجاوز قوانين الطبيعة، وحرف (الشين) يكاد يكون نصف حرف الصاد؛ مثلما كانت (الخاء) نصف (الحاء) والله أعلم ولايقال للمرأة (شيباء) ولكن (شمطاء) وهو أن يتخلل في رأسها البياضُ السوادَ وشمط: خلطَ نصفه، ولفظة (شبَّ) تعني نصف رجل، أو الرجل غير المكتمل، قال تعالى: (وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾) [الأنبياء:٨٢] فهل كانت دلالة لفظ شيطان هنا تعني المبدع أو الفنان الشاطر والحاذق بدلالة قوله تعالى: (وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ).

وأنَّ الرحلة الأساسيَّة المقصودة في قوله تعالى (رحلة الشتاء والصيف) إنَّما هي رحلة الحج، قال تعالى: (رحلة) واحدة ولم يقل رحلتين ... ومثال ذلك تفسيرهم لسورة (قريش) التي كانت معانيها قبل التفسير عربيةً واضحةً فطُمست معالمها ومعانيها تماماً بعد التفسير! عندما أوَّلوها ـ في التفاسير غير العربية ـ والتي كانت جميعها قد بَنَتْ على تفسير الطبري؛[1] لقد أولوا لفظ (قريش) على أنها قبيلة، وهي لم تكن كذلك! بل كان المقصود من الخطاب الرباني سُكَّان البيت، بيت الله الحرام، وسَدَنَتُه القائمون على خدمته؛ فقريش لا شكَّ أنَّهم مباركون ومشرَّفون بين العرب

١ ـ معجم الأدباء لياقوت الحموي.

والعجم؛ ولكنهم في يومٍ من الأيام عملياً لم يكونوا قبيلة" بمعنى القبيلة" بين القبائل العربية الكبرى المعروفة!

والقبائل العربية المشهورة عادةً لا تُعرفُ لها بداية كما هو معلوم؛ مثل حِمْيَر ونُضَر وكِنَانَة وثَقِيف وغيرها، وأغلبها يرجع تكَوُّنها إلى آلاف السنين الغابرة، (والتصَوُّر بأنَّ لكل قبيلة أنَّ لها جَدٌّ واحد، قضيّة أسطوريَّة ولا شك، ولكنَّها وقد وحّدتها السكنى المشتركة والاستقرار والتمازج والتفاعل الحضاري والعلاقات البينيّة في البيئة واللغة المشتركة والتزاوج، لآلاف السنين في إقليم واحد، وممكن أن تكون (القبيلة) مخلفات لدولة أو حضارة أو لمملكة، أو لدعوى دينية ما كانت قد قامت في فترة من فترات التاريخ، الأمر الذي أدَّى، ومن خلال تعاقب الزمان، آلاف السنين، إلى توحيد واندماج الأشكال والألوان والأنواع والخصائص والمزايا، مدّة طويلة من الزمن. بينما من سمي بقريش هو الجَدُّ الثامن للرسول الأعظم ﷺ، وذلك بحسب جميع المصادر، وعدد قريش قليلٌ جداً بالنسبة للقبائل؛[1] وقريشٌ كانت كلها سادة كما هو معروق!

ولكن قريشاً هي تلك البيوت المعدودة والعريقة التي كانت في مكة وتقوم على سِدانة البيت العتيق والرفادة والسقاية والتنظيم والإشراف عليه، ورعاية حجاجه وزائريه ومجاوريه؛ بنو هاشم وبنو عبد شمس وبنو أميّة ونوفل وبنو عبد مناف وغيرهم وكانوا يؤلفون الجوار، ويتبعون بعضه بعضاً ويجيرون بميرتهم، وكانوا يسمَون المجيرين، وكان هاشم يؤلف إلى الشام، وعبد شمس يؤلف إلى الحبشة

---

١ ـ وكانت (قريش) وبحسب بعض المصادر، تشكل الحي من القاطنين، مجموعة من البيوتات في مكة وما حولها بنو هاشم وبنو أميّة وبنو عبد الدار وبنو عبد شمس وبنو نوفل وبنو عبد مناف وغيرهم، وبينها تحاسد وتسابق وتحديات، وقيل أنَّهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وقيل بل ولد فهر بن مالك بن النضر، وقال ابن الأزرقي في (تاريخ مكة) أنَّهم تجمع من بقايا الحجيج كان يقطن ضواحي مكة أيام كانت ثقيف تتولى أمر الحرم، ثمَّ لما طغت وتجبرت قامت الناس من القاطنين في ضواحي مكة باقتحام مكة وطرد ثقيف وقد تعاهدوا جميعاً على خدمة بيت الله الحرام، وقد تولى أمرهم أو أنهم ولوا أمرهم إلى من صار الجد الثامن للرسول محمد ﷺ ، كان ذلك قبل حوالي ثلاثمئة وخمسون قبل مبعث الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام،

والمطلب يؤلف إلى اليمن، ونوفل يؤلف إلى فارس، وكانت ملوك ذلك الزمان قد تعهدت بحماية مكة وسكانها وضمنت ذلك، والإيلاف من التهيئة والتجهيز؛ والإيلاف أمان الله. والزيارة والحج إلى البيت العتيق لم تكن لتنقطع أبداً، لا صيفاً ولا شتاءً، من قبل جميع الشعوب القديمة إلى أول بيت وضع للناس، وهي رحلةٌ مستمرةٌ لا تنقطع[1]، تلبية لنداء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، مستمرة إلى يوم الدين إلى يوم يبعثون، يأتيها الناس من كل فجٍ عميق، فقد كانت الرحلة إليه منذ سيدنا إبراهيم ﷺ لا تنقطع أبداً، من بلاد الشام وما وراءها اليونان والرومان؛ ومن العراق وما وراءها الفرس والهند والصين؛ ومن اليمن والسودان والحبشة ومن وادي النيل وما وراءها من كل أنحاء العالم القديم، فضلاً عن القبائل العربية جميعاً، (الفصول الرئيسية في اللسان العربي المبين الصيف والشتاء، بينما الربيع مقدمة الصيف والخريف مقدمة الشتاء)، والمشهور أنَّه كانت في مكة فئةٌ (جالية) تسمى الأحباش وكان لهم ثقلهم! لقد كان الناس يأتون إلى البيت العتيق، ملبِّين النداء العظيم الخالد «الله أكبر» قال تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الحج:٢٧]، لقد كانت مكة مدينة دولية إن صح التعبير، وكان فيها جاليات من جميع الأمم، وكان فيها سفارات لجميع الدول، كانت هذه الرحلة للناس جميعاً مستمرةً وعلى الدوام منذ أذَّنَ سيدنا إبراهيم في الحج، وقد ثبت أنَّه في غابر الأزمان، كانت الفرس والروم واليونان أيضاً ترحل إلى البيت العتيق، وكانت جميع العواصم القديمة ترسل إليه (البيت العتيق) المحامل والهدايا تبركاً، وعلى أنَّ البيت بيت أبيهم إبراهيم أيضاً، (لايزال لفظُ بكة موجود في معاجم اللغات الأوربية ويعني بيت الإنسان القديم؛) وكان سكان البيت، بيت الله الحرام، معززين مكرمين لدى كافة شعوب العالم القديم عرباً

---

١ ـ ونحن نقول عبارة (ليلاً نهاراً) ونقصد فيها أي: على الدوام وباستمرار ودون انقطاع، وبالمثل فإنَّ تركيب (رحلة الشتاء والصيف) (شتاءً وصيفاً) فإنَّ المقصود منه دوام الرحلة واستمراريتها وعدم انقطاعها والله تعالى أعلم.

وعجماً، إضاقة إلى تَسَوُّدِهم على القبائل العربية، ومنزلتهم الرفيعة لدى العرب قاطبة، قال تعالى: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ۝٤ ﴾ [قريش:٤].

آمنهم من خوف: فمع أن (مكة) ليس لها قوة خاصة تحميها أو تدفع عنها فيما إذا طمع بها الطامعون، فإنَّه ليس بمقدور أهلها عمليَّاً الدفاع عنها أو عن أنفسهم أبداً، فلولا وجود البيت، بيت الله الحرام، والآمن الإلهي المفروض من السماء على مكة «البيت العتيق» وما حولها «الأرض المباركة» لما كان بمقدور سكان مكة عملياً، الدفاع عن مكة، أو الصمود في وجه الغزاة والطامعين أبداً، وذلك ضد الروم أو الفرس أو الحبشة، أو ضد أيٍ من القبائل العربية الكبرى لو أرادت مهاجمتها أو احتلالها، ومعروفة المحاولة التي قام بها أبرهة الحبشي بجيشة الذي قاده من اليمن، وما حصل له في عام الفيل؛ وقول أبي طالب جَدِّ الرسول ﷺ مشهور جداً: (للبيت ربٌ يحميه)، والواقع فإنَّ مكة دائماً كانت سهلة الاجتياح من كل الجهات لولا حماية الله سبحانه وتعالى، فهي بحماية الله ورعايته جل جلاله، فاللهُ سبحانه وتعالى هو الحامي وهو المطعم، والقرآن الكريم، والذي هو أساساً للعالمين ولكل زمانٍ ومكان فإنه، أي القرآن الكريم، لم يكن ليستهدف في خطابه القبيلة!

بل خاطب سَدَنَةَ البيت، ورُعاة حرمته والقائمين عليها، بيت الله الحرام، أولئك الذين أطعمهم ربهم من جوع وآمنهم من خوف، في حين أنَّهم ولولا وجود البيت، أو لولا وجودهم إلى جوار البيت، بيت الله الحرام وقيامهم على سدانته ورعايته وخدمة حجيجه لكانوا في أشد حالات الجوع والعطش حيث لا ماءٌ ولا شجرُ، لا زرعٌ ولا ضرعٌ، وأرض مكة كما هو معروفٌ جبال صلدةٌ وصخورٌ قاسيةٌ، إنَّ أهل مكة لولا وجود بيت الله الحرام وقيامهم على خدمته وخدمة الحجيج والمعتمرين إليه، الرحلة التي لم تكن لتنقطع، وهي مستمرَّة صيفاً وشتاءً، فإنَّه لولا ذلك لكانوا في أسوأ حالٍ

من الجوع والعطش والحرمان من كل شيء؛ قال تعالى: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ التوبة: ١٩]،لأنَّهم بطبيعة الحال يعيشون في لجة البادية القاسية، فمن أين سيأتيهم الطعام لولا وجود البيت أو وجودهم إلى جانب البيت، بيت الله الحرام؟ ومع ذلك فإنَّ وجودهم إلى جانب البيت وقيامهم على خدمته ورعايته والرفادة فيه؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى قد شرَّفهم؛ وتكفل بإطعامهم أفضل أنواع الطعام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وأكرمهم فانقادت لهم عواطف الناس، وكان قد زرع مودتهم في القلوب، وأجَّلَتْهُم شعوبُ الأرض؛ ومعروفٌ أنَّ القرشيين ومن قبلهم الجرهميون! كانوا إذا رحلوا إلى البلاد الأخرى يلقون من الحفاوة والتكريم الشيء الكثير، بحيث يتلقاهم ويقابلهم الحكام ويجلَّونهم كثيراً بله العامة من الناس تبركاً بهم؛ وأكثر من ذلك فقد كانوا إذا تعرَّضَتْ القوافل للغزو، فإذا قال أحدهم انَّه جرهميٌّ أو قال بأنَّه قرشيٌّ كان يُخَلَّى عنه وعن ماله وعرضه وكل شيء هو له، وذلك لِما لسكان البيتِ الحرام من حرمة في نفوس الناس جميعاً، حتى عند اللصوص وقطاع الطرق.

فالذي اطعمهم والذي آمنهم هو الله سبحانه وتعالى وليس البشر! لذلك كان الطعام يتوفر هنا في البيت العتيق ودائماً على الرغم من الظروف القاسية، وهو أفخر أنواع الطعام، يأتيهم من كافة أنحاء البلاد المعمورة، ومع كل الأطراف التي كانت ترحل باستمرار ودون انقطاع من كل اصقاع العالم إلى البيت العتيق صيفاً وشتاءً! حاملةً معها المحامل والهدايا والطعام إلى مكة المكرمة إلى بيت الله الحرام، تلبيةً للنداء الخالد نداء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ

رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، لقد أطعمهم الله سبحانه وتعالى من جوع استجابة لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام على أن يؤمنوا وأن يقيموا الصلاة، بينما قد توعد من كفر منهم بعذاب النار وبئس المصير، قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾، وهذا لا يمنع من أنَّ بعض أفراد (قريش) سكان مكة أنها كانت تذهب أحياناً بتجارة إلى اليمن أو إلى الشام والله تعالى أعلم، لكنّ السورة في القرآن الكريم تحدثت عن رحلةٍ واحدة هي رحلة الحج العُظمى وليس أي شيء آخر؛ وهذا هو الفهم العربي للنص العربي، فكيف أولوا الرحلة الواحدة الواردة في السورة المباركة بشكل واضح، لتصبح رحلتين؛ واحدة إلى اليمن وأخرى إلى الشام؟ وقالوا بأن قريشاً كانت ترحل إلى اليمن لتأتي بالعطور والتوابل وإلى بلاد الشام لتجلب الخمور؟!! لمصلحة من كان هذا التأويل؟

واللام في قوله (لإيلاف) قيل إنَّها اللام السببية، وقيل إنها متعلقة بآخر السورة التي قبلها (سورة الفيل) أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمةً منا على قريش، لأنهم يخدمون الحجيج في بيت الله، والله تعالى أعلم، على العموم فإنَّ قراء القرآن الكريم، لاسيما في بلاد الشام، وعند قراءتهم لسورة (قريش) جميعهم أجمعوا على إتْباعها وإلحاقها مباشرةً بسورة (الفيل) وذلك لتعلُّق موضوعها وسببها بموضوع وسبب (سورة الفيل)، (لأنَّ موضوع الإيلاف من الألفة، و هو توطيد العلاقة والأنسنة والسكنى بالمكان، والإقامة فيه على العهد والذمام، وشبه الإجازة والتعهد فيه بالحفاوة والتكريم، فيما كان الناس يتخطفون من حول الحرم، والألفة تتضمّن العطاء من المال وغيره، والحنين للآخر؛ أو للمكان، وتنطبق على الإنسان والحيوان والنبات، وتألف إنسانٌ إنساناً إذا قاربه وواصله حتى يستميله إليه؛ وتآلفوا اجتمعوا وتكاملوا، وتشير إلى اكتمال العناصر والأسباب فصبح ألفاً تماماً، و(المؤمن إلفٌ مألوف) وألفت المكان

والموضع وإلافاً تعودته)[1]، وقد تعهَّدَ بها الله سبحانه وتعالى لساكني مكة المكرمة، كونه بيت الله الحرام، شرط أن يعبدوا رب البيت، والعبادة هنا القيام بالعمل المناط بهم وأدائه على أكمل وجه، ووقف حياتهم من أجله، وهو خدمة الحجيج زوار بيت الله الحرام، وفي المقابل فإنَّ الله تعالى قد أعزهم وكرمهم وشرفهم وفضّلهم، وبالتالي أطعمهم، والإطعام والطعام الإلهي طبعاً أفضل أنواع الطعام، وكذلك أمنهم رب العالمين، والأمان الإلهي أفضل وأرقى مستويات الأمان، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

فهل كانت رحلة الشتاء والصيف هي رحلة الحج الكبرى إلى مكة المعظمة، والتي لا تنقطع على مدار العام على الرغم من جميع الظروف؟ قال تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧]،

ولكن لماذا (مكة) كانت هي القبلة الوحيدة للناس جميعاً، وذلك على مر الزمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وهل كانت مكة فعلاً وهي (بكة) هل بيت الإنسان الأول (آدم) عليه السلام ومن أجل ذلك أمرنا أنْ نُعَاوِد زيارته والله أعلم [2]

---

١ الزبيدي تاج العروس من جواهر القاموس.

٢ـ ومن اللطيف أن نشير هنا إلى مسألةٍ موازية، أو إلى رحلاتٍ غريبة تحدث عند الكثير من الكائنات الأخرى، لعلها تكون ذات دلالة واضحة، أو تعين على فهم النص المبين، وهي أنَّ بعض الطيور وبعض الأسماك في البحار لها أيضاً رحلات غريزية عجيبة، وذلك إلى أول منزلٍ لها، وهي تقطع فيها آلاف الكيلو مترات.

وكان على الناس جميعاً في جميع أنحاء العالم التوجُّه إليها مرة واحدة في العمر وذلك لمن استطاع إليها سبيلاً ولم تكن أي مدينةٍ أخرى، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [يونس: ٨٧]، وبيوتكم تعني توجهكم واجتماعكم باتجاه القبلة الوحيدة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٣ ـ ١٤٥] فهل كانت (مكة) أو

فمثلاً (سمك السلمون) الذي ينحدر بدايةً من أعالي الجبال، من على الشواطئ الروسية الغربية الشمالية للمحيط الهادي، ومن هناك تنطلق جنوباً قاطعةً إلى المحيط الهندي، إلى شواطئ إندونيسيا واستراليا، ثمَّ تعبر إلى الشواطئ الإفريقية، لتمضي حياتها وتستقر هناك على شواطئ إفريقيا الجنوبية ثمَّ لتعود بعد حوالي ستة سنوات إلى موطنها الأصلي، قاطعةً المسافة كلها بالرغم من كل الصعاب، بما فيها صعود الجبال؛ ويصل منها القليل أخيراً ليبيض هناك في الأعالي، ولا يبيض إلا هناك ... ثم تُعاد الكرّة من جديد.

وبالمثل تماماً فإنَّ نوعاً من الأسماك لا تفقس بيوضه أيضاً إلا في الوسط الافريقي، في الطين على شواطئ بحيرة فكتوريا، ومن هناك يبدأ رحلته عابراً (نهر النيل) بطوله، ليصل إلى البحر الأبيض المتوسط، ثم ليقطعه إلى مضيق جبل طارق، ويعبره ويقطع المحيط الأطلسي إلى الغرب الأمريكي حتى يصل إلى شواطئ (كندا) وليُمضي هناك حياته التي تقرب الست سنوات أيضاً، وليعود أدراجه إلى حيث ولد وفَقَسَتْ بيوضه، قاطعاً تلك المسافة ذاتها وصولاً إلى مصب نهر النيل ثم ليدخله وهو يسير فيه عكس الاتجاه، حتى يصل إلى (بحيرة فكتوريا) وهناك سيكون الزنوج بانتظاره، ليصطادوه بالعصي وبالرماح وأحياناً يقبضون عليه بالأيدي، ويسلم القليل منه، ليبيض بيضاته في الطين حيث ستجف أطراف وشواطئ البحيرة، ولكنه في الموسم التالي وعندما ستهطل الأمطار وتعود الحياة إلى تلك الشواطئ مرة أخرى، فإنَّ البيوض ستفقس وستعاود رحلتها وإلى شواطئ (كندا) فسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

(بكة) أو (البيت العتيق) أو (أول بيت وضع للناس) ، وهو بيت الله الحرام، والذي هو مثابةً للناس ، وقد رفع إبراهيم قواعده، لتحج إليه البشر كل البشر، فكان أول بيت مباركاً من الله تعالى، وقد جعلها الله تعالى قياماً للناس، ويأتونها من كل فجٍ عميق، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٣] ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ [الحج:٢٦]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج:٢٩].

سورة (قريش) ما معنى قريش؟

ومثال ذلك تفسيرهم لسورة (قُرَيْشٍ) التي كانت معانيها عربيةً واضحةً قبل التفسير، فطُمست معانيها تماماً بعد التفسير! عندما أولوها في التفاسير غير العربية والتي كانت جميعها قد بَنَتْ على تفسير الطبري؛ (توفي ٣١٠للهجرة وأصله فارسي من طبرستان وكان يميل إلى التشيع) لقد أولوا لفظ (قُرَيْشٍ) على أنَّها قبيلة وهي لم تكن كذلك! بل كان المقصود من الخطاب الرباني سكان البيت وسدنته والقائمين على خدمته؛ فقريش هم مباركين ومشرفين بين العرب ولكنَّهم عمليّاً لمْ يكونوا قبيلة بمعنى القبيلة بين القبائل العربية الكبرى المعروفة!

والقبائل العربية لا تُعرفُ لها بداية كما هو معلوم؛ وأغلبها يرجع تكَوُّنها إلى آلاف السنين الغابرة، بينما من سمِّيَ بقريش وهو الجد الثامن للرسول الأعظم ﷺ، وذلك بحسب جميع المصادر، وعدد قريش قليلٌ جداً بالنسبة للقبائل؛ وقريشٌ كانت كلها سادةٌ كما هو معروف! ولكن قريش هي تلك البيوت المعدودة والعريقة التي كانت في مكة وتقوم على سِدانة البيت العتيق وخدمته والرفادة والسقاية والتنظيم والإشراف عليه، ورعاية حجاجه وزائريه ومجاوريه؛ هذه هي الزيارة التي لم تكن تنقطع أبداً لا صيفاً ولا شتاءً -كناية عن طوال العام -(الفصول الرئيسية في اللسان العرب المبين عند العرب هي الصيف والشتاء) إنَّها رحلة مستمرة، مستمرة إلى يوم الدين إلى يوم يبعثون يأتيها الناس من كل فجٍ عميق، فقد كانت الرحلة إليه منذ سيدنا إبراهيم عليه السلام لا تنقطع أبداً، من بلاد الشام وما وراءها من اليونان ومن الرومان؛ ومن العراق وما وراءها من الفرس ومن الهند والصين؛ ومن اليمن ومن السودان ومن الحبشة ومن وادي النيل وما وراءها من كل أنحاء العالم القديم فضلاً عن القبائل العربية؛ والمشهور أنَّه كان في مكة منذ القديم فئة تسمى الأحباش وكان لهم ثقلهم! لقد كان الناس يأتون إلى البيت العتيق

من جميع أنحاء العالم ملبين النداء العظيم الخالد (الله أكبر) لقد كانت مكة مدينة دولية إن صح التعبير، كانت هذه الرحلة مستمرةً وعلى الدوام منذ أَذَّنَ سيدنا إبراهيم في الحج، وقد ثبت أنه في غابر الأزمان كانت الفرس والروم واليونان أيضاً كانت ترحل إلى البيت العتيق وكانت ترسل إليه المحامل والهدايا تبركاً وكانت لها في مكة سفارات، وعلى أنَّ البيت العتيق هو بيت أبيهم إبراهيم أيضاً.

وكان سكان البيت معززين مكرمين لدى كافة شعوب وقادة العالم القديم عرباً وعجم إضافة إلى تسودهم على القبائل العربية ومنزلتهم الرفيعة لدى العرب قاطبة، قال تعالى: (لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤)[قريش:٤]، آمنهم من خوف: فمع أنَّ مكة ليس لها قوة خاصة تحميها أو تدفع عنها فيما إذا طمع بها الطامعون فإنَّه ليس بمقدور أهلها عملياً الدفاع عنها أو عن أنفسهم أبداً فلولا وجود البيت بيت الله الحرام والأمن الإلهي المفروض من السماء على مكة (البيت العتيق، بيت الله الحرام) وما حولها (الأرض المباركة) لما كان بمقدور سكان مكة الدفاع عن مكة أو الصمود في وجه الغزاة والطامعين أبداً، ضد الروم أو الفرس أو ضد أيٍ من القبائل العربية الكبرى، وكانت لدى قريش قوة محدودة مجموعة من الفرسان تدعى (الحلقة) لحفظ الأمن والتصدي لعبث العابثين؛ ومعروفة المحاولة التي قام بها أبرهة الحبشي بجيشه والذي قاده من اليمن، وما حصل له في عام الفيل، وقول أبو طالب جَدُّ الرسول ﷺ مشهور جداً (للبيت ربٌّ يحميه) والواقع فإنَّ مكة دائماً كانت سهلة الاجتياح من كل الجهات لولا حماية الله، فهي بحماية الله ورعايته، فإنَّ الله هو الحامي وهو المطعم، والقرآن الكريم والذي هو أساساً للعالمين ولكل زمانٍ ومكان فإنه، أي القرآن الكريم، في خطابه لم يكن ليستهدف في خطابه القبيلة! بلْ خاطب سَدَنَةَ البيت، ورعاة حُرمَتِهِ والقائمين عليها، بيتُ اللهِ الحرام، الذين أطعمهم ربُهُ من جوع، وآمنهم من خوف.

في حين أنهم لولا وجود البيت أو لولا وجودهم إلى جوار البيت، بيت الله الحرام وقيامهم على سدانته ورعايته وخدمة حجيجه لكانوا في أشد حالات الجوع والعطش حيث لا ماءٌ ولا شجرُ، لا زرعٌ ولا ضرعٌ، وأرض مكة كما هو معروفٌ جبال صلدةٌ وصخورٌ قاسيةٌ، إنَّ أهل مكة لولا وجود بيت الله الحرام وقيامهم على خدمته وخدمة الحجيج والمعتمرين إليه، الرحلة التي لم تكن لتنقطع وهي مستمرة صيفاً وشتاءً، فإنه لولا ذلك لكانوا في أسوأ حالٍ من الجوع والعطش والحرمان من كل شيء لأنَّهم بطبيعة الحال، فإنَّهم يعيشون في لجة البادية القاسية، فمن أين سيأتيهم الطعام لولا وجود البيت أو وجودهم إلى جانب البيت بيت الله الحرام؟ ومع ذلك فإن وجودهم إلى جانب البيت وقيامهم على خدمة بيت الله الحرام ورعايته والرفادة فيه؛ فإن الله قد شرفهم وتكفل بإطعامهم أفضل أنواع الطعام؛ وأكرمهم فانقادت لهم عواطف الناس وأجلتهم شعوب الأرض؛ ومعروفٌ أنَّ القرشيين ومن قبلهم الجرهميون! كانوا إذا رحلوا إلى البلاد الأخرى كانوا يلقون من الحفاوة والتكريم الشيء الكثير بحيث يتلقاهم ويقابلهم الحكام ويجلُّونهم كثيراً بَلَهْ العامة من الناس تبركاً بهم، وأكثر من ذلك كانوا إذا تعرضت القوافل للغزو فإذا قال أحدهم انه جرهمي أو قال بأنه قُرَشيٌّ كان يُخلى عنه وعن ماله وعرضه وكل شيء هو له وذلك لما لسكان البيت من حرمة في نفوس الناس حتى عند اللصوص الصعاليك وقطَّاع الطرق والغزاة، فالذي أطعمهم والذي آمنهم هو الله وليس البشر! لذلك كان الطعام واللباس هنا هو أفخر أنواع الطعام وأفخر وأجود أنواع اللباس يأتيهم هديةً من كافة أنحاء البلاد المعمورة، من ملوكها ومن أشرافها وكل الأطراف التي كانت ترحل إلى البيت العتيق صيفاً وشتاءً!كانت ترحل إلى البيت العتيق حاملةً معها المحامل والهدايا والطعام إلى مكة المكرمة إلى بيت الله الحرام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ[١] جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ

(١) إذ: هل هي ظرفية أم هي تأكيد الظرف، أو هي إذ التوكيدية، أو هي إذ الظرفية التوكيدية، وإذ بمعنى: إن، وإذ حرف،

إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾) [البقرة:١٢٥]، (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾) [البقرة:١٢٦]، (رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾) [إبراهيم:٣٧]، لقد أطعمهم الله من جوع استجابة لدعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام على أن يؤمنوا وأن يقيموا الصلاة، بينما قد توعد من كفر من هم بعذاب النار ويئس المصير، وهذا لا يمنع من أن بعض أفراد قريش كانت تذهب أحياناً بتجارة إلى اليمن أو إلى الشام والله أعلم، ولكن هذا هو الفهم العربي للنص العربي، فكيف أولوا الرحلة الواحدة لتصبح رحلتين واحدة إلى اليمن وأخرى إلى الشام؟ وقالوا بأنَّ قرش كانت ترحل إلى اليمن لتأتي بالعطور والتوابل وإلى بلاد الشام لتجلب الخمور! لمصلحة من كان هذا التأويل؟.

وإذ في القرآن الكريم لها دلالة خاصة يجب على العرب التوقف عندها والبحث عن مدلولها العميق.إنها بالنسبة لأصحاب التفكير العميق تعني الكثير فبعدها على الأغلب كانت تحدث الأمور الجلل العظام مفاصل الأمور والنقاط والمواقف التاريخية الهامة، ففي البداية قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾، ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾

سورة (الكوثر) ما معنى الكوثر؟

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (الكوثر) وأنَّها وجودها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وأنَّها شاملةٌ وعامةٌ، وتطال الجميع من المؤمنين والناس أجمعين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً.

الكوثر: الجمع والتأليف والإبداع (الاختراع) أي أعطيناك كافة الإمكانيات والقدرات والقوى ، على أن تبقى متصلاً بالله تعالى، ولفظة (أنحر) في الآية الثانية من سورة الكوثر لا تعني اذبح، ولن تعني ولا يمكن أن تعني أذبح، ولا هي أمرٌ بالذبح! كما ذهب إلى ذلك معظم المفسرين، وكيف يستمر الذبح مع استمرار الصلاة وديمومتها؟ ولكنها عربياً تعني أنَّ المؤمن ليس جباناً، وأنَّ عليه المواجهة وعدم الهروب وعدم الرضوخ وعدم الاستكانة للأراجيف، والرد على الكفار، والتقوّي بالصلةِ مع الله والصلاة له وحده لا لغيره، والثقة بالله الخالق، وعدم السكوت على افتراءات المفترين مهما بلغت قوتهم، ومهما تعددت واتسعت جبهاتهم وذلك من التناحر لأنَّ النحر هو الرقبة، والرقبة المشدودة إلى الأمام، المنتصبة المرفوعة مع الرأس، في مقابل وفي مواجهة الخصم، إن التناحر معناه العربي هو المجابهة والمواجهة، فقد أعطى الله، أعطى المؤمنين الكوثر، أي الشيء الكثير، بل هي الكثير الكثير من كل شيء الذي يغنيهم، أي الدعم اللامحدود، وذلك إذا أفاقوا وإذا فَهِمُوا وإذا تعلموا وإذا طرحوا الجهل ونبذوا الخرافة، وأخذوا بالأسباب، بالعلم، والوعي، وتذكر التفاسير الشعبية غير المنطقية، ولا الدقيقة أنَّ المقصود بالكوثر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ

ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١) [الكوثر:١] أنَّه نهر في الجنة، وربما يكون في الجنة نهرٌ يسمى الكوثر والله أعلم، ولكن لفهم سورة (ٱلۡكَوۡثَر) فهماً صحيحاً يكون لعمري هكذا تفسير من الأخطاء الشائعة والتي لا أصل لها، بل حُشِيَتْ بها عقول العرب المسلمين، لأن معنى الكوثر في اللسان العربي المبين والله أعلم، فهو الكثير الكثير من كل شي، وهي لكل مؤمن وعداً من الله فإذا كانت الآية مكيَّة، وقد نزلت في بداية الدعوة وكان المصدقون بها قلة قليلة، فكيف يخرج عليهم الرسول ﷺ، في مكة في بداية الدعوة ليقول لهم إن الله قد أعطاني نهراً في الجنة وما هو مبرر هكذا قول في حينه! أين العقلاء!

الكاف: وهناك تبادل وانقلاب معروف في اللهجات واللغات بين (حرف الكاف أحياناً وحرف الياء) و(حرف الجيم) قاسم- كاسم، رجَّال- ريّال، جمل-كمل، ويتصف برفع الحواجز والحدود ويستخدم لتشبيه والتماثل ويفيد التكامل، وهو حرف النهاية والكمون والكمال والبقيّة الباقية، ونشير إلى أنها تستعمل عادة للخطاب والتخصيص في الضمير؛ والتشبيه والجر والإشارة والمثلِيَّة وأحياناً للتعليل: وهي من الحروف المشتركة بين الأسماء والحروف؛ وفي التكَوُّن والتفرُّد والتوحد والاستقلال والبعد والتمحوّر والكبكبة والكفكفة، مع التخلي والنقص والكسر والانقطاع السالب: وأسلوب متقطعّ متهالك إذ ليس مصادفةً أن يُفتتح لفظ(كذب) بحرف الكاف بينما (صدق) بحرف الصاد، وهو ضد الإيجاد لكونه ملازمٌ لما هو موجودٌ بالفعل وفيه حد وتحديد وإفراد وانفصال كامل(الكون أدق في نظامه من نظام الحاسوب) وتمثّل وتشبّه بالغيرّ! ومع ذلك فإنّ حرف الكاف يعني وحدة قائمة بذاتها والله أعلم.

و(الواو) حرف القوة الماديّة الملموسة والمتانة المتصلة المتواصلة، وحيثما وجدت (الواو) فإنَّ المراد هو تمتين المعنى، أو الإيحاء بالمتانة والقوة والاتصال والدعم المتواصل والتأكيدُ، والعطف والضم الشديد والقوي، البعض إلى البعض، ومثالها قوله

تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحاقة:٤٧]، (الوتين) وهي المتانةُ الشديدة، أعلى أنواع المتانة والتواصل والإيصال من الله سبحانه وتعالى، فكانت (الواو) مكان الميم، الحبل المتصل الذي لا ينقطع، وفي لسان العرب أنَّ العرب إذا أرادت تقوية المعنى قلبت الميم إلى (واو) والله أعلم، هذا وإنَّه لـ(الواو المفردة) في الإعراب العربي أكثر من تسع أحوال (البعض أوصلها إلى اثنا عشر حالة)، ومنها الحالية والعاطفة وأحرف العطف هي (الواو والفاء وثُمَّ وحتى وأو وأمْ وأمَّا ولكنْ وبلْ ولا)، أما (الواو) فيجتمعُ ما بعدها مع ما قبلها في الحكم دون تعارضٍ بينهما بتقديمٍ أو تأخير، لذلك اختصَّتْ (الواو) بالعطف مع المشاركة، فيما يُشترط الترتيبُ في باقي الحروف مثل الفاء وثُمَّ و(واو ربَّ) الاستئنافية والزائدة والضمير المذكور و(واو الثمانية) والمبادلة والمتالات والقسم وغيره؛ وتستعمل أيضاً في الأمر والنهي وذكر بعضهم الدعاء، والمستعملة لمدة الإنكار وليس من الضروري أن تكون كل (واو) تأتي في مفتتح السورة أو الآية في القرآن الكريم، أنْ تكون للقسم بمعنى الحلفان! لأنَّ الله لا يحتاج أصلاً في قوله للحلفان أما مخلوقاته، كما زعم المُفسرون؛ بينما الحلفان يؤديه المطرُّون له أمام القاضي أو المسؤول؛ وأساساً لا حاجة له ﷻ وهو مالك المُلك لكي يحلف أمام مخلوقاته أما الإشكال فقد توَّلد لدى المفسرين الأعاجم من خلال خلطهم بين مدلول لفظ (القسم) ومدلول لفظ (الحلف)، وفاتهم أنَّ (القَسَمَ) من القسمة والتقسيم أو التفريق، وأنَّ (الحلف) الغرض منه التأكيدُ على صدق القول!.

أما (الواو) فإنَّها في جميع تلك المواقع في القرآن الكريم فإنها دلالةُ علة القوة الحالية والدائمة والمتانة والتوثيق إلى أبد الحدود، أو غير المحدود، لأنَّ الله ﷻ هو القوي وهو مصدر القوة وهو مالك الملك سبحانه وتعالى ولأن القسم يكون للضعيف عادةً أمام القوي وللمتهم أمام القاضي وليس العكس.

و(الثاء) حرف التثنية والتكثير والتعدد والقمة المفعمة والمليئة، و(كثير) شيء منفصل متعدد دائم متكرر، والكوثر: الكثير الكثير والغنى من كل شيء(والواو فيها مؤشرٌ على القوة والثبات)، وثُريا: مركز إشعاعٍ عالٍ ومستمر قوي ومتعدد منفصل مكرر، وثلاثة مجموعةٌ متكاملةٌ، والثلاثاء وسط الأسبوع (المركز) الذروة، وثمار: النتيجة والذروة من الفصل والعمل والجهد، وثروة تعني ذروة العمل (المال المكتنز المفروض أنه حصيلة) وثني: مضاعفٌ فيها تقوية، ثر: مليء، ثغر: الفتحة فيها غياب الثراء تتكرر، وثورة: فيها قمةُ النشاط، غليان البركان، والتماثيلُ: كانت تصنع لسيدنا سليمان وطبعاً فهي لا تعني الأوثان! ولكنَّ (التماثيل) تعني (الأمثلة) وهي جمع (أُمْثُولة) وهي أيضاً ذروة الأعمال في جميع المجالات، فقد كانت تصنع له صناعات من مختلف الأصناف، وهي غاية في التقانة والإبداع والدقة والروعة.

بينما حرف (الراء) فهو حرف الرسوخ والبقاء والتكرار، (نقول رأس الرمح ورأس الجبل ورأس الشجرة ورأس القبيلة ورأس الأمر ولكل شيء رأس كذلك نقول (ربُّ البيت) و(ربُّ العمل) و(ربُّ الأسرة) و(رب الدولة) وهو الرأس والمدبر لها، وهو عند البعض يعني مجرد التكرار أو النسخ، بينما حرف الراء فيه صفاء واحتمالٌ للخير كثير أو سدٌ للنقص وسدٌ للعيب كبير! ويشير إلى الحركة والتحرك والمواجهة: والدفع ويتحدد كل ذلك من خلال الحروف اللاحقة في اللفظ، و(الراء) من الأحرف النورانية في فواتح السور وهو حرف معنوي يفيد التكرار،

ما معنى الكوثر؟

(الكوثر) معناها الأساسي في اللسان العربي: الكثير الكثير منْ كلِّ شيء، وقد جعلت (حرف الواو) وهي دلالة (القوة) مكان (حرف الياء) وهي حرف الامتداد؛[1]

---

١ ـ {ولفظة (نهر) في القرآن الكريم تشير إلى كل ما أتى ويأتي (من الخيرات والنعم) دون انقطاع، وكذلك هي في الجنّة، مثل الماء والعسل وغيره مُتَدَفِّقاً دون توقف أو انقطاع، فهو في نَهَرٍ، وهي أي (النهر) لا تعني مجرد مجرىً بين جبلين؛ أي (الوادي)،

ولذلك فالأنهار في الجنة هي كوثرٌ أيضاً، ولكن (الكوثر) في الآية الكريمة أعلاه معناها: الكثير الكثير والقوي القوي والمتين المتين من كلِّ شيءٍ ، لأنها جاءت مرْدَفَةً بالأمر بالصلاة، أي باستمرار وتعزيز وتوثيق الصلة بالله تعالى وحده، والاعتماد عليه سبحانه وتعالى وحده لا على غيره (لربك) }.

ولفظة (أنحر) في الآية الثانية من سورة الكوثر، فهي لا تعني اذبح، ولن تعني اذبح، ولا يمكن أن تعني أذبح؛ كما ذهب إلى ذلك معظم المفسرين، وكيف يستمر الذبح مع استمرار الصلاة وديمومتها ؟

إلا إذا كان المقصود بالذبح شيء آخر غير ما ذهبت إليه التفاسير الأعجمية!

علماً أنَّ معنى لفظة (المذْبَح) في اللسان العربي المبين، أي في الآراميّة تعني (المكان الطاهر) و(الذبح) كانت تعني الطهارة والتطهير(وكان ولا يزال (المذبح) ركنٌ من أركان المعابد والكنائس القديمة، والله أعلم.

ولكنها (أنحر) في السورة المباركة، عربياً، كانت تعني فعلُ أمرٍ بالتصدي والمنافحة والمقاومة والإذن بالمواجهة، أنَّ المؤمن ليس جباناً، وأنَّ عليه المواجهة، وعدم الهروب، وعدم الرضوخ، وعدم الاستكانة للأراجيف، وأنَّ عليه ـ في الوقت المناسب ـ الرد على الكفار، والمقصود أنَّه (قد آن أوان الرد) والتقوّي، أولاً: بالصلةِ مع الله سبحانه وتعالى، والصلاة له وبه، والاعتماد عليه وحده لا على غيره، والثقة بالله الخالق

ولكنَّ الوادي إذا جرى فيه الماء صار نهراً، بينما إذا انقطع عنه الماء؛ فهو لم يعد نهراً بل مجرد وادي!

والأنهار في الجنَّة للمؤمنين تجري من تحتهم، أي تحت إمرتهم وبحسب رغبتهم... قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ٢٥البقرة.

لا بغيره، وعدم السكوت على افتراءات المفترين أو ادعاءاتهم، مهما بلغت قوتهم، ومهما تعددت واتسعت جبهاتهم.

وذلك من (التناحر) الذي يعني المناجزة ! لأنَّ (النَّحْرَ) في العربية هو الرقبة، وهو الرقبةُ المشدودة إلى الأمام، المنتصبة المرفوعة مع الرأس، في مقابل وفي مواجهة الخصم، إنَّ (التناحر) معناه العربي هو أمرٌ بالمجابهة والمواجهة،[1] وذلك إذا حانت شروطها الشرعية أي العقليّة المنطقيّة، وهي واجبة:

أولاً: تكون بعد التحقق من فساد الخصم ومن ظلمه، والتأكد من فساده وظلمه ومعاداته لله تعالى ولشرعه وللناس المؤمنين في الوطن الواحد ثمَّ... ثانياً: التأكد تماماً من أنَّ صاحب الدعوة في الخروج للتصدي ...أنَّه إنسان صالح ومحسن وعاقل ومفكر فعلاً، وأنَّه فعلاً ينوي الإصلاح، مع وجود القُدْرَةِ والإمكانية والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية المناسبة، لمواجهة المعتدي الآثم الغاصب، وأنَّه ينبغي إعداد العُدَّة لذلك الأمر؛ وليس ولا ينبغي القيام بالثورة على الحاكم، أو المستعمر، أو المستغل أو المحتكر، وذلك قبل إعداد العدة... والتخطيط والتوضيب والتهيُّؤ لذلك الأمر؛ وعمل الحساب لكل طارئ ولكل احتمال يمكن أن يطرأ أو يمكن أن يحدث خلال الثورة أو الانتفاضة سواءً أكان طارئ سياسي أو مادي اقتصادي أو أي احتمال آخر، عندها فقط يحين الأمر بالمواجهة الحتمية. وليس هنالك من عذر يمكن أن يقبل من الثائر الذي يورط الناس بالخروج؛ الذي يؤدي إلى التهلكة، تهلكة الناس دون جدوى أو أية نتيجة، وكل الحجج مرفوضة ومستنكرة وغير مقبولة، إذا كان أو إذا ظهر هنالك تقصير في الإعداد والتهيُّؤ أو الفهم الصحيح أو التحليل الصحيح والحسابات المنطقيّة الصحيحة لكل الأمور المتعلقة بهذا الشأن!

---

١ ـ وهذا وإنَّ المواجهات البدائية بين الكثير من الناس البدائيين، وخصوصاً بين الأطفال، والبينية بين جميع الحيوانات فيما بينها، فإنها تبدأ بالنطح، أو بالتناطح والمقاومة بالرؤوس، ما يُسمى بالتناحر والله أعلم.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾[الأنفال: ٦٠].

والإعداد والتوضيب والتهيؤ والتخطيط والتدريب والتنظيم، وبحسب الآية، فإنه يجب أن يكون الإعداد مستمرٌ وعلى الدوام، في حياة العرب المسلمين ـ في جميع الأوقات ـ وهو عليهم بالأساس فرضُ عين، لا فرض كفاية؛ على كل مسلم ومسلمة بالأساس فرضُ عين ويكون في كل مجال، وهو على الدوام وعلى جميع المستويات، هذا ما يقتضيه التعقل والتفكر والإيمان اليقيني. فالعربي المؤمن فطن كيِّس ومتأهِّب دائماً، ولا يؤخذ على حين غرّة أبداً.

كان عليه الصلاة والسلام يُعدُّ العدّة دائماً ثمَّ يفاجئ القوم ويصابحهم بالغارة، لم يكن لينتظر العدو أبداً، بل كان دائماً يفاجئ العدو ويباغته في عقر داره، ويجعل المعركة والمواجهة دائماً في أرض العدو لا في أرض الصديق! وهذه هي الاستراتيجية الصحيحة، وقد أخذتها أمريكا وتعلمتها من العرب المسلمين وها هي تقوم ضدَّهم بالحرب الاستباقيّة وقد سمتها الحرب ضدَّ الإرهاب، وهي تقصد بها الحرب ضد المسلمين العرب، وكل ما عدا ذلك من الدعوات (الثورات) باطلٌ وغير صحيح، ولا يريد الحق ولا إحقاق الحق، وإنما توريط للعرب والمسلمين وإهلاكهم وإفنائهم عن بكرة أبيهم، وهدر طاقاتهم وتبديد ممتلكاتهم وثرواتهم دون جدوى ودون أية نتيجة ودون أن يستطيعوا في حياتهم تحقيق أي هدف، أو الحؤول بينهم وبين تحقيقهم لأي هدف.

وذلك عن طريق توريطهم ووضعهم في مواجهةٍ لم يُعِدُّوا لها العدة (وهذا عمل مقصود) فالاستعمار وأعوانه؛ يعملون دائماً على حرمان العرب المسلمين من أي شكلٍ

من أشكال الاجتماع أو الاعداد (اعداد العدة) وكان الأجدر أن يبادروا إلى الإعداد أولاً.

فقد أعطى الله سبحانه وتعالى، أعطى المؤمنين الكوثر، أي الشيء الكثير، مع القوة المطلقة، بل هي الكثير الكثير من كل شيء، الذي يغنيهم ، أي الدعم اللامحدود، وذلك إذا أفاقوا، وإذا فَهِمُوا، وإذا تعلموا، وإذا طرحوا الجهل، ونبذوا الخرافة، وأخذوا بالأسباب، بالعلم، والوعي.

وتذكر التفاسير الشعبية غير المنطقية، ولا الدقيقة، أنَّ المقصود بالكوثر في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ {١} ﴾ [الكوثر: ١]، أنه نهر في الجنة، وربما يكون في الجنة نهرٌ يسمى الكوثر والله تعالى أعلم، ولكن لفهم سورة ﴿ الْكَوْثَرَ ﴾ فهماً صحيحاً ـ لعمري ـ يكون هكذا تفسير من الأخطاء الشائعة والتي لا أصل لها، بل حُشِيَتْ بها عقول العرب المسلمين، لأنَّ معنى الكوثر في اللسان العربي المبين، والله تعالى أعلم، فهو الكثير الكثير من كل شيء، وهي لكل مؤمن، وعداً من الله سبحانه وتعالى. فإذا كانت الآية مكيَّة، وقد نزلت في بداية الدعوة، وكان المصدقون بها قلة قليلة، فكيف يخرج عليهم الرسول ﷺ، في مكة في بداية الدعوة ليقول لهم إنَّ الله قد أعطاني نهراً في الجنة؟ وما هو مبرر هكذا قول في حينه ! أين العقلاء!

ثمَّ أنَّ هذه السورة وكل سورة، وهذه الآيات في القرآن الكريم، جميعها لكل مؤمن واعي وفاهم ومدرك وليست للرسول ﷺ فقط والله تعالى أعلم.

و(شَانِئَك): المناهض لدعوتك، والذي شأنَهُ صدُّك عن السبيل، وعرقلة مسيرك في طريقك، وهو صاحب دعوة الضلال والفساد والكفر والشرك والالحاد.

و(الأبتر): هو المقطوع من الصلة، المحدود القوة والقدرة، وقوته دائماً عرضة للنفاذ، وهو قابل دائماً لاحتمال التلاشي والضمور والخسران، فهو مندحر لا محالة،

وهو الخاسر دون شك، لأنَّه بالأساس لم يكن يعتمد على الله تعالى، وإنما على الضلال والضياع والباطل، وهذا لا يمكن أنْ ينتصر أبداً، لذلك هو مندحر بالتأكيد وأبتر. والله أعلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ صدق الله العظيم.

(سورة المسد) و (سورة الهمزة) وجهين لحقيقة واحدة

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (المسد) وأنَّه حق وجوده قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وأنها شاملةٌ وعامةٌ، وتطال الجميع من المؤمنين والناس أجمعين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً.

المسد: حبل الليف، والمسد الجمع والتكديس، و(حرف الميم) تأتي أحياناً بدلاً من أربعة أحرف وهي الواو والنون والباء واللام، والأصل أنها تختص باسم الله سبحانه وتعالى وهي من (أيمن) ولم تستعمل في المطالع لغير اسم الله سبحانه وتعالى إلا شذوذاً؛ مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وكل شيء قادم من عالم الغيب (من السماء) فحرف الميم دلالة عليه، مثل الوحي والتنزيل والكتاب وآيات الله والأحكام الربانية، فكل شيء قادم من عالم الغيب حرف لميم دلالة عليه إنه دلالة على المصادر العليا، بما فيها لفظة (الملح)؛ وهو من البعيد إلى القريب ومن الأعلى إلى الأدنى و (محمد) بالتحليل: (م+ حمد) تعني الأمر الإلهي والله أعلم، و(حرف الميم):يفيد بسداد الأمر وإكمال النقص وتمامه و(من) و(ما) و(متى) و(من) أدوات الشرط، وايان وأنّا وحيثما وكيفما وأيٌّ، قال تعالى: (وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧) [هود:٧]، (العرش): السلطة والحكم، (على الماء): العدالة المطلقة، لأنَّ (من خواص الماء الاستواء المطلق)، وهو الميزان للتسوية المطلقة وهذا يدل ويفيد أنَّ عدالة الله سبحانه وتعالى المطلقة هي التي تحققت في الكون، في حدوده وفروضه والقوانين والعلاقات التي تتحكم في هذا الوجود والعوالم كلها واللهُ أعلم.

والسين من حروف الزيادة وتدخل على الكلمة فتجعل المضارع للاستقبال، وهي حرف تنفيس أو تخصيص أيضاً لأنه يُصَيِّر الحال مستقبلاً.

إنَّ (للسين) علاقة هامة مع حرف (الصاد) فالصاد تعتبر تقويةً (للسين) مثل لفظة (فيلسوف) التي أصلها (فيل صوفيا) ومعناها الرجل الحكيم، فأصلها من الصوفية أو الحكمة، ولفظ (الساهرة) في قوله تعالى: (فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤) [النازعات:١٤]، فإنها توحي وتذكر (بالصحراء) المجدبة والخالية والتي لا يُرجى منها طعامٌ ولا شراب، إلا من حميم، فهل كانت جهنم للمشركين في هولها الشديد وطعامها الحميم مثل الصحراء القاحلة؟ إنها (السين) وقد كانت (صاد)!

إنَّ (السين) هو حرف التسوية والاستقبال والعمل بالخفاء وهو للغياب والرقة والاحتكاك والملامسة والاستواء والمطويات؛ (الرسالة المرسلة والخاصة) و(سبت) في بعض البلاد تعني (جلالة) و(السمت) تعني الاستقامة والاتجاه، والسبت تعني القطع والبتُّ، و(السلام): انتفاء النقص، والسلام: الكمال في كل شيء (تعادل فيه الغني والفقير والكبير والصغير، والأهلي والغريب) و(سَكَرا) في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٦٧) [النحل:٦٧]، هل هي الثمار المجففة المحفوظة؟ ويسبحون بحمد ربهم: يطيعون وينفذون بأمر ربهم ويدورون في فلك طاعته ﷻ، وسبيل الله مستقيم، والكافرون يبغونها عِوجاً، الذين يتفكرون والذين يعقلون وأُولي النهى وأُولي الألباب لا

يكتفون بالسماع والمشاهدة بل يتجاوبون ويبادرون إلى الفعل والحركة، السحر: معالجة العقل أو ايهام العقل؛ والمُسمى: هو الهدف المُحدد الزمن والطريق الواضح، ولأجلٍ مسمى أي محدد مبين مُعلَّم لا يَحيد واسمه أحمد: الأحمد يعني الموافق، أي علامته أنه موافقٌ لما جاء به عيسى عليه السلام.

وحرف (الدال) هو من الحروف المادية المحددة أو المتمركزة في أو ضمن محيط معين ومن خواصه التحديد والإحاطة المادية للكتل والأوزان والمساحات كالبدر والدائرة والديرة والدم والدف ودجلة والدحي والدخان والدثِار. والدبيب والدرب والدس ودعامة والدف والدك والدلو والدل والدن والدود إلى آخره وهو شديد القرابة مع أحرف التاء والطاء والضاد، وهو عند البعض يدل على الدفع الشديد وتوقف أو يدل على النهايات، قال تعالى: (أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾) [النحل:٤٨]، (قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾) [الصافات:١٨] (داخرون) من الادخار والاحتفاظ وهي تعني مستوى عالياً رفيع من الادخار والاحتفاظ، محاط بالعناية لحين الطلب؛ وفي المعجم أنّ الدفق: المطر الشديد الواسع الكثير العميم وتدفق أسرع، وسيرٌ أدفق أي سريع ودفق انصبّ وتفيد الانصباب وتدفق الماء إذا زاد في الكوز أو في الينبوع وانساح في الأنهار والسواقي ودفقت كفاه الندى أي صباه في شدةٍ وكثرة، وحرف الدال[1]: من الحروف الماديّة المُحَدِّدَةُ والمُمَرْكِزَةُ أو تُوَقِّع أو تضعُ المعنى ضمن محيطٍ معيَّن ومن خواصه التحديد والإحاطة الماديّة الخارجيَّة للكتل والأوزان والمساحات كالبدر والدائرة والديرة والدم

(١) توصيف (حرف الدال) أنه يخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وصفته الجهر والشدة والقلقلة والاستفال والانفتاح والإصمات وهو قريب جداً من الطاء والتاء وهو الحرف الرابع في الأبجدية العربية بين الجيم والهاء، وفي المعجم أن الدفق: هو المطر الشديد الواسع الكثير العميم وتدفّقَ أسرع وسيرٌ أدفقٌ أي سريع ودفق: انصبّ وتفيد الانصباب وتدفق الماء إذا زاد في الكوز أو الينبوع وانساح في الأنهار والسواقي ودفقت كفاه الندى أي صبّه في شدةٍ وكثرةٍ.

والدف ودجلة والدخان والدثار والدرب وغيره، وحرف (الدال) شديد القرابة مع أحرف الضاد والطاء والتاء، وهو عند البعض... يدل على الدفع الشديد والتوقف، أو يدل على النهايات، ولكنَّ قيمة الحرف ودلالته تكون بحسب مكانه من اللفظ والله أعلم.

على كل حال لم يكن القرآن الكريم المبين ولم تكن السيرة النبوية المعظمة لم تكن بطاقة شخصية أو عائلية للرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم حتى يبادر الناس إلى تأويل ليس له أساس إلا الأوهام....

وهل وجدتْ على زمن الرسول ﷺ شخصية حقيقيَّةً تدعى (أبو لهب) مشهورة ومعروفة تاريخياً أو هي منتشرة انتشارا واسعاً ؟ أم أنَّ المفسرين وكتَّاب السيرة الأعاجم قد توهموا أولاً وجود مثل هذه الشخصية الكافرة النموذجية، في عصر الرسول ﷺ وقد تابعهم على ذلك، في ما بعد، الجمهور؛ وهكذا صوروا الإسلام على أنه صراع عائلي!

(أبو لهب) هذه الشخصيَّة، حتى تُذكر في كتاب الله سبحانه وتعالى، المفروض أن تكون مشهورة ومعروفة للعرب جميعاً ولشعوب العالم القديم والحديث؛ حتى يتم الاستشهاد بها في كتاب الله سبحانه وتعالى، والتي بقيت مشهورةً عبر الزمان والمكان وإلى ما شاء الله تعالى، كونها ذُكرتْ في كتاب الله تعالى المجيد والمكنون، مِثالاً صارخاً وبياناً واضحاً للمصير المحتوم الذي سيؤول إليه كل من تجبَّرَ بماله وعياله وما قدمت يداهُ من البناء وما اصطنعت من الأعوان؛ فنسيَّ أنَّ الله سبحانه وتعالى هو الخالق وأنَّ إليه المَعَاد والمآل . ففي يوم الحساب الآتي لا محالة سوف تنقطع كل الأسباب (الأيدي) التي كان أبو لهبٍ وأشباهه يعتقدون أنها ستبقى ممدودة؛

إنَّ الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يُحدثنا عن شخصيات مجهولة ومبهمة وغير معروفة؛ القرآن الكريم ليس كتاب أحاجي وألغاز، بل هو لكل زمان ومكان، الماضي

والحاضر والمستقبل؛ والقرآن الكريم ليس كتاباً كالكتب المؤلفة من البشر التي تحتاج إلى هوامش توضيحيِّة توضع عادة أسفل الصفحة؛ لتشرح وتبيين معاني اللغة والأعلام ! بحيث نتأول بها كيفيّاً وتوقُّعاً ... كما تذكر التفاسير وكتب أسباب النزول، بل عندما أُوحِيّ بالقرآن الكريم للرسول الأعظم ﷺ ليبلغه للناس كافة؛ لم يكن هذا القرآن بخطابه مخصوصاً ولا هو محصوراً بالأقارب ولا هو وصفةً عائليةً كما تُصَّوِرَهُ التفاسيرُ الأعجمية! ليخصَّ قرابة الرسول ﷺ[1] ، ولابد أن تكون جميع الشخصيات

---

١ وهكذا دأبت التفاسير والسير غير العربية؛ أو التي كانت قد كتبت بأيدٍ غير عربية، وهي تهدف إلى طمس الحقيقة وتشويه الأساس، فحاولت حصر الرسالة التي هي الأساس أنَّها للعالمين، فجعلوها تدور في مناخٍ أضيق بكثير مما ينبغي للنور المنتشر في السماوات والأرض، وتناسوا أنَّ الإسلام دينٌ أساساً للعالمين،

فدأبت الشعوبية على تصوير الإرهاصات الأولى والأحداث في صدر الإسلام ومهبط الوحي الإلهي العظيم على الرسول العربي ﷺ على أنَّه مجرد نزاع داخلي وخلافات على المصالح ! بين رجالات قريش أو بيوتاتها.. الإسلام العائلي أو هو قضية عائلية؛ وصورته على أنه صراع كان يدور تارة بين بني هاشم وبين الأمويين ؛ وتارة بين قريش وغيرها من القبائل العربية، وهكذا ولدت وركِّبت قصصٌ ما أنزل الله بها من سلطان فخلعوا على بعض أبطالها صفات القداسة والعصمة ونزعوا من الآخرين كل قيمة فصوروهم على أنَّهم مصاصوا دماء،

كذلك اختلقوا الأحداث التي لم تحدث أبداً ولم تجري مطلقاً ليخفوا بذلك الكثير الكثير من الوقائع العظيمة والجليلة، وتارة صوروه على أنه مجرد صراع اقتصادي بين طبقات الفراء والأغنياء، أوهمت وخيَّلَت وجود فِرَقْ وأنصار وتحزبات أو مؤيدين لكل فريق، وهكذا عملوا على ذر الرماد قي العيون؛ لتعويق إنتشار الإسلام وحصره وحصاره، وكان كلامهم هذا دليلٌ على إفلاسهم وجهلهم وغبائهم وعدم إدراكهم ماهية الإسلام العربي الرباني الصحيح الذي لا بد أن يعم العالم على الرغم من جميع تلك المحاولات لأن الله تعالى غالبٌ على أمره.

هذا وإنَّ دراسة استقرائية ميدانية لأحوال المسلمين العرب حياتياً ، ومحاولة الكشف عن الأسباب التي أدَّت وتؤدي إلى تدهور أوضاعهم المعاشيِّة واستمرار انهيار مجتمعاتهم وذهاب ريحهم وانفراط عقدهم وتكالب كافة الأمم والدول عليهم؛ ومعاناتهم من التخلف والفقر والجهل والمرض والانحطاط الذي أصبح مزمناً ، وشيوع الجريمة والتدهور القاهر للبيئة العربية على جميع المستويات أو بمعنى آخر افتقادهم كمجتمع إلى السيادة والعزة والشرف وكأفراد إلى المروءة والشهامة والشجاعة .

كل هذه الأمور نابعة من وهي وليدة الفهم الخاطئ الذي زرع إبان العصر العباسي الشعوبي الهدّام زرع في العقل العربي المسلم وقيَّده منذ ذلك الحين ولا يزال، هذا العقل الذي أهمل نفسه وفقد السيطرة على ذاته وهام تائهاً وقد أضاع الهدف، إلى أن ركبته الأمم الأخرى هذا الهدف الذي كان قبل العصر العباسي بيّناً واضحاً ناصع البياض ؛

إن أهم الأسباب التي أدّت إلى انهيار العقل العربي هي:

أولاً اعتقاد المسلمين العرب بـــ (الناسخ والمنسوخ) هذه الفكرة الشيطانية التوراتية الأصل التي أوجدها اليهود والأعاجم وكانت ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولتحويله عن عروبته .

والأحداث أعلاماً معروفين للقاصي والداني وعبر الزمان والمكان ولا تحتاج الآية في القرآن الكريم إلى تأويل المؤولين أبداً، فالقرآن الكريم كتاب من الله سبحانه وتعالى كامل لا يحتاج إلى من يتممه برواياته المختلقة، قال تعالى: ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طيرٍ يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يُحشرون ﴾٣٨الأنعام.

فهل كانت في القرآن الكريم هذه الشخصية (أبو لهب) نموذجاً للكفر وللتجبُّر الناتج عن تملك المال والذهب والنساء الأعوان؛) هل كانت هذه الشخصية قديمة جداً، من زمن فرعون مثلاً، مثل قارون وهامان، بحيث أصبحت وعبر العصور شخصيات عامة ومعروفة للجميع؟ وكان أبو لهب تاريخيَّاً مع زوجه نموذجاً للسلبية الصارخة، حيث ذكرها لنا رب العالمين في كتابه المجيد مقرونة بالنار الشديدة؛ لنتعظ؟

علماً أنَّه في صدر الإسلام، في عصر الرسول ﷺ كانت هناك شخصيات كثيرة مؤمنة، أو كانت كافرة؛ وهي في الحالتين، سلباً أو إيجاباً، كانت أهم بكثير وأكبر حجماً وأوسع نطاقاً وأبلغ تأثيراً وأعم؛ مما أدعوه في التفاسير، من أنّ (أبا لهب) كان عمَّاً للرسول ﷺ وما ذكروه من قصة قوله للرسول ﷺ تباً ...وأنَّ امرأته كانت تضع الشوك في طريقه ﷺ، والله أعلم إنَّها رواية مزعومة ومختلقة ومتناقضة ! تتعمد طمس حقيقة النص العربي وتشويه معالمه الأساسية والإساءة للبيئة الطبيعية والفطرية والعظيمة الرائعة الحنيفة التي كانت بيئة للرسول العربي ﷺ. التي كانت ولا شك أرفع وأرقى

ثانياً : اختراعهم لما سميَّ بـ (أسباب النزول) ؛ إن الاعتقاد بأسباب النزول بالنسبة لآيات القرآن الكريم يُعتبر نوعاً من الوثنية المغطاة لم تكن في صدر الإسلام ولكنها ولدت بعد العصر العباسي !

ثالثاً : تبنيهم لما صار يُعرف بـ (نظرية فضائل القرآن) أي فضائل بعض آيات القرآن أو أولوية بغض السور في القرآن الكريم على بعضها الأخر ! وهذه أيضاً كانت وليدة العصر العباسي الهدام ولم تكن من فبل أبداً،

هذه الأمور أفضت إلى التأويل والتفسير عند المسلمين وأغلقت الفهم عندهم ولم يكونوا بحاجة إلى مثلها أبداً كانوا بغنىً عنها لكنهم دخلوا إلى المتاهة وإلى الآن لم يستطيعوا الخروج والله المستعان.

بكثير من هكذا مستوى، المستوى المذكور في بعض كتب السيرة والتفاسير الأعجمية، والتي لا تليق مطلقاً حكايته ! لأنَّ القرآن الكريم كان خطاباً وتحدياً للعقول التي من المفروض أنَّها كانت قمة في الفهم والحضارة والرقي، فكيف تنسجم مثل تلك الأخبار والحكايات التي تُحاكي (الحكايا) البدائية المذكورة في توراة اليهود! والتي لا تنسجم مطلقاً مع صريح القرآن العربي الكريم العظيم، وصحيح الحديث الشريف ؟

وكيف يذكر لنا رب العزة جل جلاله، هذه الشخصية، في كتابه المجيد المكنون (فلو كان صحيحاً ما أدعوه في تأويلهم فعلاً لقيل لهم منطقياً: أنه كانت هنالك شخصيات كثيرة معاصرةً للرسول ﷺ كأمثلةً إيجابية أو سلبية؛ ومع ذلك لم يأتي القرآن الكريم على ذكرها، قال تعالى ﴿إذ أخرجه الذين كفروا ثاني أثنين إذ هما في الغار﴾ ٤٠ التوبة، فلم يُذكر في الآية الكريمة اسم سيدنا أبو بكر الصديق بل كانت الآية فيها إشارة له رضي الله عنه)

ولكن من الذي تحقق أو تأكد من حقيقة وجود مثل هذه الشخصية (أبو لهب) التي توهم المفسرون وبعض كتاب السيرة الذين تابعوهم؛ توهموا وتضاربوا بوجودها ! في زمن البعثة النبوية المعظمة، لاسيما أنَّ الرواية الواردة في التفاسير، والتي كانت قد نقلت عن أبن إسحاق في السيرة والطبري في التفسير والتاريخ الشيعيان الهوى، وهم ذوي أصولٍ غير معروفة وغير مضمونة؛ كانت رواية غير منطقية أبداً ولا هي غير مقنعة بتاتاً، فلو أمعنَّا النَّظر في تلك القصة المزعومة في التفاسير، لاكتشفنا مباشرة أنَّها كانت مختلقة وقد نُسبت إلى عصر الرسول ﷺ وعصر صحابته الكرام توهماً وافتراءً[1]، وأن هذه التأويلات ومثيلاتها كانت غير منسجمة مع روح النص العربي

١ – مثل ما أفتروا الكلام الذي قاله أحد الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة وكان ابن عم الرسول ﷺ للنجاشي ملك الحبشة (قالوه على لسانه) فوصف فيه العرب أهل الله في مكة، وكانوا ذروة العرب وساداتهم ؛ وقال : كنا أهل كذا وكذا .. إلى أن بعث الله فينا رجلاً منا نعرف .. وطبعاً واضحٌ أو واضحة الدوافع التي جعلت الشعوبية واليهود يدسون مثل هذا الكلام على لسان الصحابي جعفر بن أبي طالب ﷺ ، الذي يتناقض كل التناقض مع جوهر القرآن المجيد، بل كان كل ذلك الكلام محضُ

المبين للقرآن الكريم العظيم . إنَّ من المفروض أن تعمل العقول العربية الأصيلة وأن تبحث وأن تعمِّق البحث وأن تتفاعل وأن تتدبر القرآن العظيم العربي المبين .

فهل كانت لفظة ﴿ تبَّتْ ﴾ الأولى مُغايرةٌ في مدلولها عن لفظة ﴿ تبَّ ﴾ الثانية؛ وكانت (الواو) (واو) التحقيق والمغايرة؛ ولماذا يفترض الطبري وجود حرفٍ محذوف؟ فيدعي أنَّ التقدير أن نقول {قد بَتَّ} وهذا وهمٌ غير جائز في حق القرآن العربي المجيد، وليس في كتاب الله تعالى حرفٌ محذوف أبداً، ولا حرف زائد مطلقاً وحاشا وكلا .

وفي القرآن الكريم، على لسان إبليس الشيطان: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ ﴾ [النساء: ١١٩].

ليبتكن أي ليخرقن ويقطعن، قال تعالى:﴿ واذكر اسم ربك وتَبَتَّلْ إليه تبتيلا﴾ أي انقطع إليه انقطاعاً تاماً واتجه إليه وَحْدَهُ، وفي المعاجم العربية مثلاً أنَّ لفظ (البَتَّ) يعني القطع والجزم والفصل والإلزام، والبتةُ: كل أمرٍ يمضي لا رجعة فيه ذلك من القطع؛

افتراءٍ وتزوير.

كذلك ما كان قد ورد في الكلام عن معركة القادسية وكيف نسبت فيه كتب الفتوحات والرواة مثل الواقدي وغيره كلاماً على ألسنة الفاتحين المسلمين العرب في حوارهم مع ملك الفرس أزدشير ومع قائد جنده رستم وكان فيه ذماً وقدحاً شديداً للعرب ! { دون أن ينتبه العرب المسلمون إلى هذه المؤامرة وكانوا يرددونها ويسمعونها لأجيالهم عبر التاريخ وهم لا يدرون أن مثل هذا الكلام كان ينطوي على جوانب خطيرة ومدمرة للعرب وحياة العرب، لقد فاتهم ذلك للأسف الشديد ولكن إلى متى يترك الحبل على الغارب في القضايا العربية الإسلامية الهامة جداً و المصيرية مثل قوله كنا نأكل الضب ويقتل بعضنا بعضاً وكان واضحاً فيه الافتراء، ترى ألا يمكن كتابة التاريخ الإسلامي العظيم دون ذم العرب الذين يشكلون مادة الإسلام وبيضته الأساسيّة ؟ فإذا آمن الناس بتفاهة العرب وانحطاطهم الحضاري ونظروا إليهم النظرة الدونية فكيف يقبل الناس في العالم بعد ذلك الحقيقة التي تنصُّ على ريادة العرب للعالم يوماً ما برسالة الإسلام، الأمر المنصوص عليه في القرآن الكريم ذاته؟! قال تعالى: ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأسٍ شديد تقاتلونهم أو يسلمونَ فإن تُطيعوا يؤتِكُمُ الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً﴾[الفتح: ١٦]

والْمُنْبَتْ :المُسافر المنقطع في الطريق الذي لا يقدر على الوصول ولا على الرجعة، العاجز عن مقصده ولم يحقق هدفه ؛ وأنبتَّ الرجل إنباتاً إذا انقطع ماءُ ظهره، والبتات: المتاع والزاد، وتبتَتَ: تَزَوَّدَ وتمتَّعَ! والبتر: استئصال الشيء قطعاً، وكل أمر أنقطع من الخير أثرهُ فهو أبتر، وأبتره الله أي صيَّره أبتر، والأبتر الذي لا عقب له، وهو المقطوع . و﴿ تَبَّتْ﴾ والله أعلم أنها من البت وهو القطع، وهو غير لفظ ﴿ وتَبَّ ﴾ والذي من التباب وهو يعني، في المعجم العربي، الخَسَار، والهلاك، وتبّاً له: أي أخسره الله تعالى وأهلكه، قال تعالى:﴿ وما كيد فرعون إلا في تباب ﴾٣٧غتفر، قال تعالى: ﴿ لما جاء أمرُ ربك وما زادُوهُم غير تتبيب﴾ ١٠١هود، والتتبير: التدمير، والمتبور: الهالك ، والمبتور: الناقص، والتَّبار: الهلاك. قال تعالى : ﴿ ربِّ اغفر لي ولوالديَّ ولمن دخلَ بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمناتِ ولا تُزِدْ الظالمينَ إلا تبارا ﴾ ٢٨نوح. فهل تعني (تبارا) أي الخسارة والدمار والهلاك؟

و(أب) في اللسان العربي المبين قد تعني النزعُ إلى الوطن؛ والإباء: التهيؤ والنهوض، وأبَّ تهيَّأ ونهَض، والأبُّ: المرعى إذا تهيأ للرعي، والأب كل ما أخرجته الأرض؛

قال تعالى: ﴿ وفاكهة وأباً ﴾ ٣١عبس، وأبَّا هنا تعني الاستعداد والقابلية والتهيؤ والرغبة، حيث انه لا تكون الفاكهة اللذيذة ولا التلذُذ بالأطعمة والنكهات، ولا بالدوافع ولا بالغرائز عموماً لا تكون مهمة للإنسان في الحياة إلا إذا توافرت لديه، لنفسه، الرغبة بها والهمة لنيلها والشوق لتحقيقها وأبَّاً لها والله تعالى أعلم.

ومن عادة العرب أن تكني أبناءها ... فتقول أبا سفيان وليس له ولد اسمه سفيان، وأبو طالب وليس له ابن اسمه طالب، وهنالك قصة مأثورة تذكر (أبو رغال) وهو شخصية تذكر السير أنها كانت دليل (أبرهة الحبشي) إلى (مكة) عندما حاول أبرهة هدمها، عام الفيل ... وكان (أبو رغال) قد أصبح رمزاً لإبليس اللعين،

وصار رجمه من قبل الحجيج ركناً من أركان الحج لا بد من تحقيقه، وسيبقى يُرجم إلى ما شاء الله تعالى،{ فهل كان (أبو رِغَّال) هو إبليس ذاته وقد تبدّى في عصر الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، ومن قبل في عصور الانبياء السابقين! وكان يحرض على هدم الكعبة المشرفة، وذلك قبل بعثة الرسول محمد ﷺ ثم بعد البعثة صار يحرض المشركين على قتال المسلمين، وعلى عدوانهم للرسول ﷺ وصحابته الكرام، وذلك كما كان قد ظهر وتبدى في فترة كل نبي من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، ذلك أنَّ من مهامه الشيطانية في هذه الدنيا التي أهبط إليها أيضاً، هو أن يُفسد الناس، قال تعالى :﴿ قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم ﴾ ١٦الأعراف، والصراط المستقيم يكون مع الرسالات ومع الرسل، هنالك سيكون في أمثل الأحوال، وهنا سيبرز دور إبليس اللعين، دوره ونشاطه الطبيعي؛ ليناهض الأنبياء ويُعيقَ انتشار رسالاتهم السماوية، لقد ظهر إبليس وَتَجَسَّمَ ومارس دوره السلبي، في فترة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وسليمان وجميع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم أجمعين، بما فيهم رسولنا محمد ﷺ كان قد ظهر في فترته أيضاً } و أبو الحكم وهو عمر بن هشام، وليس له ولد اسمه الحكم، وقد سماه الرسولﷺ أبو جهل كما هو معروف في المأثور؛

وسيدنا أبو بكر الصديق وليس له ابن يدعى (بكر) وكذلك أبا المنذر، وقد كنى الرسول عليه الصلاة والسلام الكثيرين من صحابته الكرام، فقد كنى سيدنا على بن أبي طالب وقال له : يا (أبا تراب) لأنه وجده نائماً على التراب، وكنى الصحابي الجليل عبد الرحمن بن صخر الدَّوسي لما قدم من بلاده في اليمن ولحق بالمسلمين في المدينة وقاتل مباشرة معهم حميَّة في غزوة خيبر، قبل أن يرى الرسول عليه الصلاة والسلامَ وقبل أن يعلن إسلامه، فقال له انت (أبا هر) تشبيهاً له بالنمر الذي يهرهر عادة دفاعاً عن الأهل والديار، وصار يدعى بأبي هريرة، وليس لديه ولد يدعى هريرة رضي الله عنه وكان اسم ابنه (المحرر؛)

فهل كنى الله عز وجل كل داخلٍ إلى النار بـ (أبي لهب) على اعتبار أنه سيصلى ناراً ذات لهب؟ وهذا واضحٌ في السورة الكريمة بما لا يدع مجالاً لأي شك، وأن امرأته[1] المحتطبة عنه دينها وديدنها والتي كانت تؤيده على كفره وضلاله وتكبره واستعلائه وتجبره وإنكاره، وقد اختارت ـ كونها رضيَّت ـ أن تكون امرأته لأهدافٍ دنيوية، أن تربط مصيرها بمصيره فتوافقه على ضلاله وتُسانِدَهُ وتدعمه، وبالتالي فإنَّ حبلاً من مسد متين سيَشُدُّ هذه المرأة إلى بعلها يوم القيامة، وذلك إلى بئسَ المصير، وعداً من الله سبحانه وتعالى حقاً ولا يُخلف الله وعده، والله تعالى أعلم .

---

١ ـ هذا وأنَّ لفظ (المرأة) في اللسان العربي المبين، كان يُقصد فيه مطلق الأنثى للرجل؛ كبيرة كانت أم صغيرة، مرتبطة متزوجة أم لا، وكانت اللفظة جنسية أو تعبير عن الجنسية والله أعلم، بينما لفظة (الزوج) تعبر عن القرين أو الذي له قرين بالضرورة، فالمرأة التي يطلقها أو يتوفى عنها زوجها، فهي لم تعد (زوجة) بل هي امرأة، وكذلك الزوج الذي ليست لديه زوجة، فهو لم يعد زوجاً، إذ لابد أن يكون للزوج رفيق أو قرين، أو حال توحد وتوافق وحال انسجام واقتران وروابط مادية وروحية موثّقة وعهود، وقد تنطبق المفاهيم بحيث ينطبق مفهوم المرأة على مفهوم الزوجة وتصبح المرأة زوجة...قال تعالى: ﴿ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناه بإسحاق﴾٧١هود، بينما قد تنفصم المفاهيم وتفترق؛ فتدل على أوضاعٍ مختلفة، فيكون اقتران المرأة بالرجل شكلانيًا بدون توحد أو وحدة تماثل! قال تعالى ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوحٍ وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ ١٠التريم.

ولذلك عندما تنشأ روابط وعلاقات ... هي مجرد مصالح بين الرجال والنساء تكون أقل (معنوياً) من وضعية الزواج وروابطه الوثيقة والمعلومة، تصبح فيه تلك الروابط واهية وغير متينة سرعان ما تنهار وتتبدد ؛ فالزواج والتزويج الموفق عقده من الله سبحانه قال تعالى: ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ ٢٣٥البقرة، قال تعالى ﴿ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾٢١النساء، قال تعالى ﴿ والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إنَّ الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ ٣٣النساء، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ﴾١المائدة، قال تعالى:﴿ والنفاثات في العقد ﴾٤الفلق، فالعقد هي الروابط التي تربط الناس بعضهم ببعض، موثقةً ويكون الله سبحانه وتعالى شهيداً عليها.. فهذه روابط إنسانياً ربانية في حكم المقدسة؛ وهي حرمات رعاها الإله رب العالمين جل جلاله ينبغي أن تكون متينة ويجب أن عدم الاستهتار بها وعدم التساهل في حلها أو في انفصامها ... ولا يجوز إهمالها بل من الواجب صيانتها ورعايتها، واستمرار وصلها والحض على صلتها بالود والإحسان، فهنالك رابطة تربط الزوجة بالزوج هي فوق رابطة المرأة بالرجل، ورابطة تربط الأخ بأخيه المفروض أنها فوق أي علاقة أخرى، ورابطة بين الصديق وصديقه وبين القريب بقريبه وهكذا ... وهذه الروابط (العُقَد) في الحياة الإنسانية تؤلف العُقَد التي تنعقد؛ في المجتمع الإنساني الإيماني، والتي يجب أن لا تنفك طوال الحياة أبداً، إلا إذا تدخل بها الشيطان، وعمل على تمزيقها، إنَّ هذه الأمور أشبه بالعقد المتينة التي تربط النسيج الواحد اللحمة والسدى.

فإذا كانت مكة المكرمة، كما وصفها الله سبحانه وتعالى في كتابه المبين، أنها ﴿بوادٍ غير ذي زرعٍ ﴾٣٧إبراهيم، فمن أين لها الغابات بحيث تحتطب فيها التي من المفترض أن تكون (أم جميل) امرأة عم الرسول محمد ﷺ وهي أيضاً أخت أبي سفيان ابن حرب؛ كما ورد في السيرة، إذا كان صحيحاً ما توهموه من تأويلاتهم الغريبة، غير العربية، هذا وإن أبا لهب بصريح السورة هو صاحب مالٍ وثروة وكسبٍ كثير، ومثل هذا الرجل لا تحتاج امرأته عادةً لكي تذهب بذاتها وتحتطب، فلا بدَّ أن يكون لديها عبيداً يكفونها مثل هذه المهمة الصعبة والشاقة! ثمَّ أنَّ الرسول ﷺ لم يكن ليسير حافٍ بدون حذاء (لباس لقدميه الشريفتين) وكذلك الصحابة الكرام الأولون، من المؤكد أنهم كانت لديهم أحذية تقيهم شوك (أم جميل) المفترضة من الطبري الفارسي الأصل الشيعي الهوى؛

والذي كثيراً ما تعَمَّدَ في كتبه بطريقة غير مباشرة، تشويه بيوتات قريش والعرب، وكذلك كان قد فعل ابن إسحاق في السيرة وابن الكلبي في الأنساب والواقدي في الفتوحات؛ وكان (عبد العزى) وهو عم للرسول ﷺ الذي ولا نعرف عن دوره شيئاً، وكانت أم جميل زوجته وهي أخت أبو سفيان رضي الله عنه، جد الأمويين! فهل تعمَّد البعض الإساءة لأبي سفيان وقريش والأمويين والعرب، فاخترع روايات وضمنها التفاسير وكتب السيرة النبوية والتاريخ العربي والإسلامي عموماً ؛ ذلك أنَّ مثل هذه الأخبار وردة متضاربةً ومتناقضة وكانت نفس الأسباب التي وضعت لسورة المسد قد وضعت وحشيت في تفسير سورة الشعراء ! وكانت سورة (الشعراء) أسبق من سورة (المسد) نزولاً حوالي ثماني سنوات والله تعالى أعلم.

والواقع أن سورة المسد ورقمها (١١١) تشكل تطابقاً وتكاملاً وإتماماً لسورة (الهُمَزَة) التي سبقتها ورقمها (١٠٤) أو هي الناحية الأخرى قال تعالى: (وَيۡلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلۡحُطَمَةِ ﴿٤﴾)

[الهمزة:٤]، ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾ [المسد:٥]، فهل كانت لفظة (حمالة الحطب) هي كنية لجهنم، وكانت لفظة (ابي لهب) كنية كل من كان سيدخلها؟

هذا ولا بد أنه في سورة (المسد) المباركة ألفاظٌ عربية عظيمةٌ مجازيةً يصعب على الأعاجم فهمها واستبيانها، ولكن يجب علينا التفتيش عنها أولاً في القرآن الكريم، في داخله؛ في ما سبق من السور؛ حيث أن كل سورة من السور القِصار في القرآن العظيم، لا بد أنها تكثيفٌ وتلخيصٌ واستخلاص، في آخر الكتاب المبارك، لما كان قد تضمَّنه القرآن العظيم، وقد ورد في خلال السور الكبار الأوائل التي في القرآن الكريم، الشيء الذي علينا الانتباه إليه هو أنَّ قرَّاء الكتاب المبين عبر العصور قلما كانوا ينتبهون إلى هذا الجانب، إن القرآن العظيم كلامٌ ربانيٌ تفهمه العرب أولاً ثمَّ أنَّ عليها تبيانه للناس كافةً، لا أن يعتمد العرب في بيان القرآن العربي على الأعاجم وأن ينتظروا فهمه من الأعاجم كان العلماء المسلمون العرب يوصون أبناءهم بعدم قراءة تفاسير الأعاجم وكان ابن الجوزي يؤكد في وعظه على هذا الأمر كثيراً؛ فهل خدمت هذه السيرة وأمثالها من الكتب المسلمين في شيء؟ كم هو حجم الدمار الذي سببته وألحقته هذه الكتب وأمثالها بالعرب والمسلمين عموماً والإنسانية جمعاء؟ ألم يكن من المفروض على العرب المسلمين أولاً أن يتأكدوا من مصادر علمهم؟ وأن ينتبهوا وأن يمحصوا وأن يتبينوا عن من، وممن يأخذون علمهم؟ وهل تعشش تلك المقولات، التي قالها ابن إسحاق، وروج لها ابن هشام، قبل ١٣٠٠سنة، وأعاد افتراءها، وتلفيقها الطبري بشكل أكثر تنظيماً، قبل ١٠٠٠ سنة تقريباً، ثمّ البلاذرى، الذي كان يعتبر نفسه من آل البيت! وأنه صاحب الحق المضيَّع في السلطة والحكم؛ الذي قام في عصره، بدوره وذلك بشحن الذاكرة العربية والإسلامية بالمفتريات والتلفيقات وأعاد ضخها قبل نحو ٥٥٠سنة، ثم تلقف كل ذلك الشعوبية الحديثة والمستشرقون وتلامذتهم من

العرب غير الأصلاء، وبالتالي فهل تعشش هذه المقولات الآن في رؤوس طلبة العلم والدين في العصر الحديث؟! وما هي الصورة الموجودة الآن في رؤوس المعلمين والطلاب من خريجي كليات الشريعة والمعاهد الشرعية العامة والأهلية في جميع البلاد الإسلامية؟؛ بَلَهْ الصورة الموجودة في رؤوس عامة المسلمين العرب، وخاصتهم، هل هي صورة صحيحة وصادقة، أم أنَّها صورة مشوهة وسالبة؛ أليس الإسلام ديناً للعالمين؟ ألم يُنزَّل الإسلام لكل الأمم؟ أليست كل شعوب الأرض معنيةً بالإسلام؟ ألم يبلّغ الرسول ﷺ الإسلام إلى أقيال اليمن وملك البحرين وهرقل والحكام في بلاد الشام والمقوقس في مصر والنجاشي في الحبشة وكسرى الفرس وقيصر الروم؟ ولماذا تُبْتَسر السيرة النبوية العطرة، وذلك إلى أضيق الحدود؟ لماذا تم حصرها في نطاق مكة والمدينة؟ لماذا تمَّ فيها تصوير الدين الرباني العظيم، والرسالة الشاملة، والتي هي أساساً للعالمين، لماذا تمّ تصويرها في حيِّز الإرهاصات الأولى لبعثته ﷺ؟ لماذا تمّ إظهارها على أنها قضية تتعلق بقريش، وبعض قبائل العرب؟

ونُصِّبتْ فيها قريش وقبائل العرب وحدهم؛ في مواجهة الدين الحنيف، وبالتالي تمّ تصوير قريش والقبائل العربية فقط بصورة سلبية وكافرة، وبقيت السيرة تدور وتدور وتروي العنت والحمق والسطحية، والجهالة العربية، وتقص القصص عن المقاومة أو المؤامرات التي أبداها العرب من قريش وباقي قبائل العرب! ولاسيما عند الحديث عن حروب الردة، التي ظلت ترويها الشعوبية، وبتشفٍ منقطع النظير بينما لم تتحدث السيرة أو السيّر التي تناقلتها الناس عن القرابين البشرية التي كانت تقدم على المذابح أمام الآلهة في الشرق والغرب، أو في الشمال أو في الجنوب عند غير العرب، وفي حين لم يُظهر كُتَّاب السيرة أحوال باقي شعوب الأرض؛ ولا ردود أفعالها بذلك الإسهاب والتفصيل؛ ولا يروي مواقفها من الإسلام، مثلاً لم ينسَ ابن هشام التأكيد على أوثان العرب في الجاهلية، وأنواعها؛ ولكنه لم يتطرق إلى أنواع العبادات التي كانت

منتشرة في حينه في أصقاع الأرض، ولم يُحدثنا ابن الكلبي ولا الطبري ولا حمزة الأصفهاني عن السخف الذي كان منتشراً في العالم لدى الفرس والروم، وباقي شعوب الأرض، ولم يحدثنا كتَّاب السيرة عن عادات وتقاليد الروم، ولا عن عادات وتقاليد الفرس، ولا عن عادات الهند، ولا اليونان، التي كانت، ولا شك، في تخلفها أحط من الانحطاط نفسه، مثلاً تذكر السيّر الغزو وعادات الثأر التي كانت متواجدة بين القبائل، ولكن هل كانت هذه العادات وقفاً على العرب ألم تكن عادات الشعوب القديمة قاطبة ألم تكن سنة الحياة لدى جميع الأقوام السابقة، فلماذا تروى على أنها فقط اختصاص عربي؟ ومن الثابت أنه لم يكن في ذلك الوقت، لدى الروم والفرس، أية مدنيَّة أو حضارة، ولكن تلك الكتب الشعوبية كانت قد عرضت صورة سوداء قاتمة للعرب، في عصر صدر الإسلام والعصر الذي سبقه؛ وقدموا العرب على أنهم مجرد بداة ! ولم تبقَ سلبية في العالم، ولا حالة انحطاط، إِلَّا ولصَقوها أو اتهموا بها العرب، في حين أغفلت السير وأغفل القصاص تصوير باقي المناطق في العالم؛ التي كانت حقيقةً أقل بكثير من البداوة! وأسوأ بكثير من حالة البدائية، فهل كان هذا العمل مقصوداً؟ وبالتالي ألم يكن من الممكن تقديم التاريخ العظيم، لعصر الرسول الأعظم وسيرته الرائعة والعطرة والإرهاصات الأولى لمبدأ الرسالة والوحي والبلاغ وسيرة الخلفاء المهديين الراشدين من بعده وعصر الفتوحات الإسلامية الميمونة، وانتشار الإسلام، ألا يمكن تقديمها بشكلٍ وبطريقة صحيحة وصادقة وتحفظ للعرب وللمسلمين عزهم ومجدهم وسؤددهم، ولكن اشتمال السيرة النبوية والمغازي وغيرها من الكتب، على هكذا أخطاء فادحة وشيوع هذه الأخطاء وانتشارها وعشعشتها في الفكر العربي، وفي الذاكرة العربية والعقل العربي والتراث الإسلامي، قد ولَّدَ مع الزمن وبالاً وطامةً كبرى، أدت إلى انحرافٍ في التصور الصحيح، بل وعطلت وخربت ولقرون طويلة المُثال في العقل العربي والمسلم وأساءت كثيراً للشخصية

العربية، وللتاريخ الإسلامي؛ عندما حَشَتْهُ بالأخطاء السلبية غير الصحيحة، وحمَّلت عليه أثقالاً وأعباء أجهضت مسيرته، وأوهنته وأضنته وشوهت الشخصيات العربية وأساءت إليها، وعرضتها بطريقة مدروسة سلبياً، كان غرضها الهبوط بالعرب إلى أسفل سافلين، بل كان غرضها جعل القارئ والمستمع العربي، وغير العربي، في كل زمان، يشمئز من الإنسان العربي، بل جعلته يحمل للعربي كراهيةً ورفضاً مسبقاً، كان ذلك بسبب الافتراء والتزوير والتحامل والرغبة في التخريب، كان ابن إسحاق وابن هشام والطبري وحمزة الأصفهاني، ومن قبلهم الواقدي وتلميذه وكاتبه ابن سعد، صاحب كتاب الطبقات الكبرى، إن هذه الطبقات مع كثرة مادتها العلمية، ضمت الغث والسمين، وخلطت الحق بالباطل، والصحيح من الروايات بالزائف الذي من أجله كان يتعفف العلماء من القراءة فيها وفي أمثالها من الكتب المليئة بالإسرائيليات، كالعرائس، أو بالأخبار الواردة بدون تحقيق كما في كتاب الأغاني للأصفهاني، ولذلك كان المستشرقون يبادرون إلى هذه الكتب ويترجمونها أو ينقلون عنها الفقرات الكثيرة، وينتقون منها الشواهد ويترجمونها ليقدموها بشكل مدروس وقد قدموها إلى شعوبهم طوال القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر رسموا فيها ومن خلالها صورة للعرب وللإسلام! وقد حقق الهدف! حيث شوهت صورة العرب والمسلمين في العقل الأوربي طوال تلك القرون، فهل فهم العرب ما يجري حولهم!)[١] ثمَّ تبعهم كتَّاب، موتورون، ممن كانت لديهم عقدة أنهم من آل البيت، الذين أمضوا حياتهم في شن الهجوم تلو الهجوم على العرب، من أمثال البلاذري[٢] صاحب (أنساب

(١) نقلاً عن كتاب السيرة النبوية وأوهام المستشرقين لعبد المتعال محمد الجبري، ص، ٥٣ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٨م.

(٢) أحمد بن يحيى البلاذري الحسيني توفي ٨٨٦ه في القاهرة فاطمي الهوى، متشيعاً، وكان تلميذاً عند ابن خلدون، وكاتباً بين يديه، يعتبر نفسه من الأشراف الذين فقدوا حقاً لهم، أو أن الأمويين قد سلبوه حقه في الحكم، لذلك كان هو، وغيره ممن يدّعون أنهم من آل البيت؛ يعتبرون أنفسهم، خصوماً شخصيين للأمويين، ومن والاهم من العرب؛ يقودون الهجوم، إثر الهجوم، على الأمويين، ثم على العباسيين، أولاد عمهم؛ ثم إن البعض منهم كان على استعداد للتعاون مع الشيطان من أجل

الأشراف) الذي قامت الجامعة العبرية في القدس بطباعته عام ١٩٢٦م وغيرهم من الشعوبيين الذين كانوا ينتقمون من العرب بطريقة غير مباشرة.

لأن أبا سفيان ﵁ مثلاً، كان أحد زعماء العرب وقريش البارزين، وهو من أعمام الرسول الأعظم ﷺ، مثل ما كان العباس ﵁ وقد أسلما معاً عام الفتح، ومن قبل كانا قد خرجا معاً إلى معركة أُحد؛ فالعباس ﵁ لم يكن من المهاجرين، وكان أبو سفيان صهراً للرسول عليه الصلاة والسلام، فالرسول الأعظم، كان قد تزوج ابنة أبي سفيان، الصحابية الجليلة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنها، وكان قد خطبها النجاشي إلى الرسول الأعظم، حيث كانت مهاجرة إلى الحبشة، وعندما سمع أبو سفيان بالخبر، قال قولته المشهورة (ذاك الفحل لا يُجْدَعُ أنفه!) وثبت أن أبو سفيان كان قد زار المدينة المنورة للتفاوض مع الرسول الأعظم ﷺ، ودخل بيت الرسول الأعظم ﷺ، عند ابنته أم حبيبة، وعندما فتحت مكة المكرمة، قال عليه الصلاة والسلام: «**من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن**» والرسول الأعظم، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم:٤]، وكان هذا تكريماً وتشريفاً لأبي سفيان بن حرب، وأبو سفيان هو الذي قاد الحملة على الأوثان في الجزيرة العربية بعد الفتح؛ وقد هدم بيده الكثير منها، كما فقد عينه في معركة اليرموك من فتوح الشام، مستبسلاً في سبيل الله، عندما كان برفقة زوجه هند بنت عتبة؛ يقاتل في سبيل الله وأبو سفيان بن حربٍ، كان قد قدم أولاده جميعاً

تحقيق أوهامه في الاستيلاء على السلطة، وقد استغلت الكثير من الجهات هذه النزعة عند بعض دعاة الانتساب إلى آل البيت، راجع كتاب (الدولة الإسماعيلية في مصياف)، وإلى الآن فإن البعض منهم، كان لا يوفر طاقة من أجل إبراز هذا العداء حتى ولو أدى ذلك إلى الإساءة إلى الحق الذي في كتاب الله تعالى الإسلامي العربي والمنطق الصحيح والعقل والفهم، لذلك فلا غرو أن يقوم اليهود! في الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٦بطباعة كتاب البلاذري الكبير بمجلداته الكثيرة، وكان هذا الكتاب أول مطبوعات تلك الجامعة، من الكتب العربية، إن هذا الكتاب يحمل في طياته أكاذيب وترهات وموضوعات، ما أنزل الله بها من سلطان، ولكنه يشتمل على إساءة بالغة للعرب، والتاريخ العربي، والشخصيات العربية، ولذلك فإن الجامعة العبرية لم تألو جهداً! للعمل والسعي إلى طباعته وأمثاله، وليكون باكورة أعمالها في الجامعة المذكورة، من الكتب العربية، لقد كانت خيارات الجامعة اليهودية، خيارات موفقة!.

للمعركة، للفتح لنشر دين الله، إن أبا سفيان هذه الشخصية العربية من سادات قريش، فهل كان ابن إسحاق، وغيره من كتاب السِّيَر والمغازي، أمناء فعلاً في روايتهم لمبتدأِ الخبر؟

بل عهد بالفهم والإفهام إلى كتّاب شعبيين، سطحيين، ما كان منهم إلا أن أجهضوا على الدوام عملية تحقيق الهدف الأسمى والمطلوب (إنَّ هذا الأمر الجليل، والعظيم لهوَ أكبر بكثير من طاقات خريجي المعاهد الشرعية، وكليات الشريعة، في الدول العربية والإسلامية!)[1] فالرسول العربي، محمد ﷺ، كان للعالمين لجميع الناس، رسولاً عربياً مبيناً، والعلم بالحق عكسه العمى، إنَّ أصحاب العلم فقط هم أولو الألباب، أصحاب البصيرة بما أنزل الله فهماً عربياً غير ذي عوج؛ وصفاتهم أنَّهم يوفون بعهد الله ولا ينقضون، ويصلون ما أمر اللهُ تعالى أنْ يوصل ويخشون ربهم كثيراً ويخافون سوء الحساب ويصبرون على حكم الله ابتغاء وجه الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقهم الله تعالى سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك أصحاب البصيرة لهم عقبى الدار، إنَّ الروايات، والسير الشعبِيَّة، السطحيَّة، بما فيها من تناقضات، لم يعد يقبلها العقل، ولا المنطق السليم، هذه الأعمال لم تعد أوهامها تنفق ههنا؛ لأن الحق بات بيّن، ولم يعد يخفى على أحد، وإتباعه أولى من اتباع الأخطاء الشائعة المخالفة للحق المبين، والله أعلم.

(١) للأسف فإنَّ الأبحاث المهمة والتي تمس المصلحة العلية للمسلمين العرب فإنه في هذه الأيام أصبح يقوم بها المبتدئون؛ وكل من هبَّ ودبْ من جماعة العيش عديمي الخبرة قليلي التجربة، الفاقدين للأدوات العلمية وأدنى المتطلبات المعرفيَّة من الذين لا همَّ لهم وليسوا أناس قضيَّة، لذلك فإن أكثر البرامج الدينية الإذاعية والبرامج الدينية التي تبثها القنوات التلفزيونية الأرضية والفضائية ليلاً نهاراً والكتب والأقراص الليزرية، فإنه يجب أن يكون من العلوم أنها جميعها لا تقدم شيئاً للإسلام ولا للمسلمين أبداً إن لم تكن لتسلبهم كلَّ شيء.

المزمل

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (المزمل) وضرورته؛ وأنها وجودها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وأمها شاملةٌ وعامةٌ، وأنها تطال الجميع من المؤمنين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون؛ والذين يعلمون؛ مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً، وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً.

المزمل: هل هي المتمم أو المكمل؟ أو هي المُحمّل؛ أو المشحون، صاحب القضيّة، صاحب المنصب والذي يُكُّون الدعامة؛ أو هو المُفعِّل،

و(حرف الميم) تأتي أحياناً بدلاً من أربعة أحرف وهي الواو والنون والباء واللام، والأصل أنها تختص باسم الله سبحانه وتعالى وهي من (أيمن) ولم تستعمل في المطالع لغير اسم الله سبحانه وتعالى إلا شذوذاً؛ مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وكل شيء قادم من عالم الغيب (من السماء) فحرف الميم دلالة عليه، مثل الوحي والتنزيل والكتاب وآيات الله والأحكام الربانية، فكل شيء قادم من عالم الغيب حرف لميم دلالة عليه إنه دلالة على المصادر العليا، بما فيها لفظة (الملح)؛ وهو من البعيد إلى القريب ومن الأعلى إلى الأدنى و (محمد) بالتحليل: (م+ حمد) تعني الأمر الإلهي والله أعلم، و(حرف الميم):يفيد بسداد الأمر وإكمال النقص وتمامه و(من) و(ما) و(متى) و(من) أدوات الشرط، وايان وأنّا وحيثما وكيفما وأيُّ، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ [هود:٧]،

(العرش): السلطة والحكم، (على الماء): العدالة المطلقة، لأنَّ (من خواص الماء الاستواء المطلق)، وهو الميزان للتسوية المطلقة وهذا يدل ويفيد أن عدالة الله سبحانه وتعالى المطلقة هي التي تحققت في الكون، في حدوده وفروضه والقوانين والعلاقات التي تتحكم في هذا الوجود والعوالم كلها واللهُ أعلم.

ويشير حرف (الزاي) إلى الحماية والرعاية ودفاعاً عن، والزج والدفع بكل قوةٍ؛ وفيه تدارك وتلاحق وإضافة ومركزية وأحياناً لتحريك الثوابت! كذا التماثل والتشابه كما في زوج وأزواج.

والزف الإعداد لتلاقي الأطراف والزف البشرة والزوج الرديف المكمل والمتمم والذي لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال؛

وحرف (اللام) يدلُّ على الانتماء والاحتواء، وتأتي كحرفٍ أحادي محض بمعنى عند وبعد وفي وعلى وإلى ومن ومع، وأحياناً تأتي زائدة قياسية أو سماعية وأحياناً تكون جواباً للو ولولا وجوباً أو الموطئة للقسم، وتكون أحياناً جازمة وأخرى ناصبة،

ومما صرح عن معانيها أنها تستعمل للملك والتمليك وشبه الملك والتمليك والاستحقاق والاختصاص والنسب والتعليل والتبليغ والتعجب والاستغاثة والتفسيرية والبيان والصيرورة، وهي تشير إلى العمل والشغل والفعل والحركة القويّة والطويلة والنشاط الدائم والتحريك والزحزحةْ، وليلة القدر: أقدار ومقادير العظمة والحضور والتبدي والإيجاد، وهي حرفٌ معنويٌ أساساً، واللام الناهية عبارة عن وقفٍ للفعل أو للنهي عنه وكذلك (لم) كذلك في لا النافية فإنها نفيٌ مطلقٌ للفعل والله أعلم، وهنالك تبادلٌ واضحٌ في العربية بين اللام والنون، فيمكن أن تحلّ اللام مكان النون أو بالعكس (اسماعيل- اسماعين).

ومطلع السورة (المُزَمّل) فيه برقية خاصّة و(شيفرة) موجّهةٌ فقط للذين يعقلون وللمفكرين المهتمين، ليستلموها ويعيدوا ترتيبها وفهمها الفهم المنطقي والصحيح، وليست طلاسم، والقرآن الكريم أساساً غير موجه للأغبياء أو الذين لا يعقلون.

ومعلومٌ لدى الدارسين والباحثين في علم (المُعَمَّيات)[1] أنَّ الأحرف اللثوية و(حرف الزاي) تحديداً (وعند الحاجة) كثيراً ما يكون مبدلاً عن حرفٍ آخر، فعندما يُراد تداول المواضيع الخطيرة والخطط السرية، كانوا يلجؤون إلى طمس المعنى الحقيقي(التعمية) أو صرف نظر (الآخرين) الجهات السياسية وغيرها، وتجهيلها عن المُراد والمقصود المباشر، فيتم تناقل الخطط والأوامر بين المجموعات المناوئة وذلك بسرية تامة، دون التعرض للخطر؛ فلو فرضنا أن أساسه في (المزمل) هو حرف الحاء لأصبح المعنى هو (المحمل) ولو فرضنا أنه الكاف لأصبح المعنى (المكمل).

---

١ ـ وعلم المُعَمَّيات علم عربي قديم أساسه موجودٌ في القرآن الكريم، ويقضي بإرسال الرسائل الهامة إلى الأشخاص المهمين في الفترات المهمة، بطريقة مشفّرة، وفيها تعميَّة تامة على الكفَّار والمشركين والمنافقين، بحيث تكون مغلقة عليهم ومبهمة، لا يستطيعون أبداً كشف مضمونها أو معرفة حقيقتها، ما فيها من الأسرار، بل يرون فيها مجرد طلاسم، فلا يدركون كنهها، وهذا العلم موجهٌ أساساً للمؤمنين المحسنين الذين يعقلون ويتفكرون ويتدبرون القرآن العظيم.

لذلك فإنَّ الذين يجهلونه قالوا بأنَّ في القرآن العظيم تكرار، وأن فيه نسخ، وأنَّ له أسباب نزول، ثمَّ قالوا أن فيه اعجاز علمي لغوي وغيره ... ذلك أنهم لم يفهموا القرآن ولن يفهموه، لأنه أساساً غير موجهٍ لهم؛ ولو فهموه لحاربوه حرباً مباشرة شعواء وعملوا على منعه ، وحرَّموا تداوله، ذلك كما منعوا الإنجيل ومن قبله التوراة ومن قبلها صحف ابراهيم وموسى...

وهذا العلم (علم الرسائل المشفّرة) يمكن أن يتم التعامل به، ويرسل إلى أشخاص معاصرين، ويمكن كذلك ـ أن يرسل عبر العصور ـ إلى الأجيال اللاحقة، فتكون هذه الرسائل الهامة، قد حفظت الأسرار ونقلتها وأوصلتها إلى أصحابها المعنيين من المتفكرين، على الرغم من تآمر المتآمرين الأبالسة وحقدهم وفسادهم، وملاحقتهم ومتابعتهم الحثيثة...

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾: الخطاب من الله عزَّ وجل موجهٌ أساساً لمن يحمل على كاهله قضيّة، وهو مثقلٌ بالأعباء وكانت لديه هموم، والمزَمَّلَةُ: الخابية المليئة بالماء أو المؤونة، والمزَمّل: الكامن المختزن الممتلئ المؤَمِّل المؤهَّل للعمل المجاهد.

قال تعالى:﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (القيام) يشير بجلاء إلى ضرورة (القيام بالإعداد) والتحضير للانقلاب على الواقع، والمواجهة، وللثورة (ليلاً) أي القيام الذي يجب أن يتمَّ في (الخفاء) بعيداً عن عيون الأعداء (المتربصين بالعرب المسلمين الدوائر)[1].

ويتصف (القيام)، ومن شروطه الأساسية شدَّة الضبط والربط والسريّة التامة، والولاء بين افراد المجموعة العروبية المؤمنة من أجل تحقيق الأهداف، وذلك عند الشروع والنهضة لتنفيذ الأمر، ويشتمل من أجل ذلك على مراحل للنهوض والتحرك، والشروع بالتغيير والثورة الإيجابية في جميع الجهات والمجالات وعلى كل الأصعدة وكافة المستويات، وإذا انطلقت فلا ينبغي لها التوقف بعد القيام مطلقاً، وذلك حتى تتحقق الأهداف وتنجز الغايات النبيلة والعظيمة[2].

١ ـ لأنَّ القيام ـ في القرآن العظيم ـ هو الاستعداد والنهوض للأمر، وقمْ: فعل أمرٍ وطلبٍ بالنهضة لتنفيذ أمرٍ ما، سلباً أم إيجاباً، من خلال الإعداد والتوضيب والتنظيم والتخطيط والمكر والترقب، وانتظار الفرصة السانحة؛ ثم المباشرة حالاً، واستنهضتُهُ للأمر: أمرته بالنهوض لَهُ، وقمْ فعل أمرٍ فيه دفعٌ وتحفيْزٌ وسَوْقٌ وتَضَامُنٌ ودعمٌ ومشاركة وتفاعلٌ وتفعيلٍ بين الأطراف المتعاقدة عليه غير محدود، للقمة والقاعدة؛ في تفعيل وتفاعلٍ بالغ القوة والدقة؛

٢ ـ التغيير سنة من سنن الله تعالى، سواءٌ أتمَّ عن طريق الحركات الثوريّة أم تم عن طريق قوى الطبيعة كالزلزال أو البركان، وأنَّ كل وحدة بشرية تشكل مجتمعاً إنما تتغير بها الأوضاع طبقاً لما يجري بها من الأمور ... فإذا سلكت تلك المجتمعات مسالك معينة، فإنها في جميع الحالات تسير وفق سنن الله تعالى، وبالتالي فحدوث التغيير في الحياة الطبيعيّة والاجتماعيّة قانون إلهي، فإمّا أن يتم عن طريقٍ طبيعيٍ، أو أنه سيحدث عن طريقِ الطليعة الثورية أو النخبة؛ وفي الحالتين فالنتيجة واحدة، التغيير سنة ربانيّة، والفرق بين الحالتين فقط في الزمن!

وطبعاً لا يمكن أن يرجع تعبير (نصفه) على (الليل) الذي سيعني (الخفاء) ولكن يجب علينا اعادة ترتيب البرقية المشفرة بحيث نقرّب الليل من الليل... لتصبح: (قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلاً ... إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلاً ... إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلاً ثَقِيلاً ...

و(قولاً ثقيلاً)[1] يعني أننا سنكلفك بتنفيذ مُهِمَّةٍ خاصة صَعبةٍ ودقيقة، وعملاً يلزمه قوة وصبر وجَلَد وقدرة على التحمل، لا يستطيع تنفيذه أي إنسان، فقط أُلي العزم والإرادة؛ (إِنَّا سَنُلۡقِى عَلَيۡكَ قَوۡلاً ثَقِيلاً ...) ولذلك يجب عليك التهيؤ والتحضر والاعداد في سرية التامة وفي الخفاء، لأنَّ السرية والعمل السري في الخفاء، على الرغم من الصعوبة فيها، فهي (السرية التامة) عادة ما تكسب المشاريع السياسية والعسكرية قوة هائلة تضاف إلى قوتها، مما يؤدي إلى تحقيق النصر المؤزر على المناوئين الأعداء ، إن العمل والبناء السري مهم جداً، بحيث سيشكل على العدو هولاً عظيماً، من خلال ما يحققه من عناصر المفاجأة والمباغتة، وهذه العناصر استراتيجيّة وهامة جداً وحاسمة في تحقيق النصر في أي معركة أو مواجهة مع المناوئين، وسيكون عليهم أشد وطئاً، ولكنها ستكون في جميع الحالات بالنسبة للمتفكر والمتعقل أكثر اتقاناً وضماناً للأمن الذاتي، ولنجاح الخطة وبقاءها ونفاذها واستمرارها بعيداً عن المخاطر المحدقة... والعمل السري شرط أساسي لتحقيق النصر على العدو.

قال تعالى: ﴿ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلاً ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلاً ﴾ أي أن بإمكانك في أدنى الحدود أن تبذل قصارى جهدك لتنفيذ نصف ما طُلب منك من الأعمال، أو أقل من ذلك أو أكثر، وذلك بحسب همتك ونشاطك، وقدرتك على العمل، وابقى دائماً متابعاً خطوة بخطوة لما يوحى إليك ويلقى عليك من الله تعالى، من خلال ترتيلك أي متابعتك للقرآن العظيم (الترتيل يعني الشيء تلوى الشيء أو حذوه، وفيه اصطفاف ومسير ومتابعة حثيثة ودقيقة) ولذلك عليك دائماً أن تحاول بذل جهدك وتقدم كل ما تستطيعه ...

---

١ ـ القول في العربية يعني الفعل، قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ ٣الصف .

من أجل إنجاز تلك المهمة الغير عادية. مع الحفاظ على السرية والكتمان وتحقيق عنصر الأمان أولاً.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴾

ولك في النهار (في العلن) حرية الحركة الظاهرية في المعاش أن تشارك في الحياة الاجتماعية الطبيعية إلى أبعد مدى، وأن تؤدي كل الأعمال المطلوبة معاشياً ضمن القانون والأعراف والتقاليد الطبيعية المعروفة والمعمول بها، شرط أن تضع دائماً رضى الله نصب عينيك، على أن تعود في الليل في الخفاء للمهمة الأساسية الموكلة إليك.

لأنَّ الله سبحانه وتعالى هو رب الماضي والحاضر والمستقبل، بيده وله الأمر كله، واعتمد عليه واجعله وحده الوكيل، ولا تعتمد على سواه، واصبر على ما يفعلونه من الأمور التي لا تقبلها فطرتك السليمة وذلك إلى حين، وعليك أن تقطع وأن تترك وتتخلى وتبتعد نهائياً عن كل النواقص والنواقض وكل ما يخل بالعمل الأساسي العظيم الموكل إليك أو يسيء إلى سمعتك وسمعة مهمتك؛

ثم تعيد السورة الكريمة ذكر (القيام في الليل) قال تعالى:﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾ في هذه المرة طبعاً الحديث يجري عن الصلاة، الركوع والسجود) وقيام الليل الطبيعي المعلوم ولا شك والله تعالى أعلم.

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (المدثر) وأنها وجودها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وأنها شاملةٌ وعامةٌ، وتطال الجميع من المؤمنين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً.

المدثر في المعجم: عنده نزعة قومية، يعمل على حماية الأهل والديار للقوم الذين ينتسب إليهم، يدافع عنهم، يدافع عنهم، القومي، الأساسي التليد، المُدبِّر، المُدَّخر، المدكر، الأصلي .

و(حرف الميم) تأتي أحياناً بدلاً من أربعة أحرف وهي الواو والنون والباء واللام، والأصل أنها تختص باسم الله سبحانه وتعالى وهي من (أيمن) ولم تستعمل في المطالع لغير اسم الله سبحانه وتعالى إلا شذوذاً؛ مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وكل شيء قادم من عالم الغيب (من السماء) فحرف الميم دلالة عليه، مثل الوحي والتنزيل والكتاب وآيات الله والأحكام الربانية، فكل شيء قادم من عالم الغيب حرف لميم دلالة عليه إنه دلالة على المصادر العليا، بما فيها لفظة (الملح)؛ وهو من البعيد إلى القريب ومن الأعلى إلى الأدنى و (محمد) بالتحليل: (م+ حمد) تعني الأمر الإلهي والله أعلم، و(حرف الميم):يفيد بسداد الأمر وإكمال النقص وتمامه و(من) و(ما) و(متى) و(من) أدوات الشرط، وايان وأنّا وحيثما وكيفما وأيُّ، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ**

﴿ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ ﴾ [هود:٧]، (العرش): السلطة والحكم، (على الماء): العدالة المطلقة، لأنَّ (من خواص الماء الاستواء المطلق)، وهو الميزان للتسوية المطلقة وهذا يدل ويفيد أن عدالة الله سبحانه وتعالى المطلقة هي التي تحققت في الكون، في حدوده وفروضه والقوانين والعلاقات التي تتحكم في هذا الوجود والعوالم كلها واللهُ أعلم.

وحرف (الدال) هو من الحروف المادية المحددة أو المتمركزة في أو ضمن محيط معين ومن خواصه التحديد والإحاطة المادية للكتل والأوزان والمساحات كالبدر والدائرة والديرة والدم والدف ودجلة والدحي والدخان والدثِار. والدبيب والدرب والدس ودعامة والدف والدك والدلو والدل والدن والدود إلى آخره وهو شديد القرابة مع أحرف التاء والطاء والضاد، وهو عند البعض يدل على الدفع الشديد وتوقف أو يدل على النهايات، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [النحل:٤٨]، ﴿ قُلۡ نَعَمۡ وَأَنتُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الصافات:١٨] (داخرون) من الادخار والاحتفاظ وهي تعني مستوى عالياً رفيع من الادخار والاحتفاظ، محاط بالعناية لحين الطلب؛ وفي المعجم أنّ الدفق: المطر الشديد الواسع الكثير العميم وتدفق أسرع، وسيرٌ أدفق أي سريع ودفق انصبّ وتفيد الانصباب وتدفق الماء إذا زاد في الكوز أو في الينبوع وانساح في الأنهار والسواقي ودفقت كفاه الندى أي صباه في شدةٍ وكثرة،

وحرف الدال[١]: من الحروف الماديّة المُحَدِّدَةُ والمُمَرْكِزَةُ أو تُوَقِّع أو تضعُ المعنى ضمن محيطٍ معيَّن ومن خواصه التحديد والإحاطة الماديّة الخارجيَّة للكتل والأوزان والمساحات كالبدر والدائرة والديرة والدم والدف ودجلة والدخان والدثار والدرب وغيره، وحرف (الدال) شديد القرابة مع أحرف الضاد والطاء والتاء، وهو عند البعض... يدل على الدفع

(١) توصيف (حرف الدال) أنه يخرج من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وصفته الجهر والشدة والقلقلة والاستفال والانفتاح والإصمات وهو قريب جداً من الطاء والتاء وهو الحرف الرابع في الأبجدية العربية بين الجيم والهاء، وفي المعجم أن الدفق: هو المطر الشديد الواسع الكثير العميم وتدفّقَ أسرع وسيرٌ أدفقٌ أي سريع ودفق: انصبّ وتفيد الانصباب وتدفق الماء إذا زاد في الكوز أو الينبوع وانساح في الأنهار والسواقي ودفقت كفاه الندى أي صبّه في شدةٍ وكثرةٍ.

الشديد والتوقف، أو يدل على النهايات، ولكنَّ قيمة الحرف ودلالته تكون بحسب مكانه من اللفظ والله أعلم.

و(الثاء) حرف التثنية والتكثير والتعدد والقمة المفعمة والمليئة،و(كثير) شيء منفصل متعدد دائم متكرر، والكوثر: الكثير الكثير والغنى من كل شيء(والواو فيها مؤشرٌ على القوة والثبات)، وثُريا: مركز إشعاعٍ عالٍ ومستمر قوي ومتعدد منفصل مكرر، وثلاثة مجموعةٌ متكاملةٌ، والثلاثاء وسط الأسبوع (المركز) الذروة، وثمار: النتيجة والذروة من الفصل والعمل والجهد، وثروة تعني ذروة العمل (المال المكتنز المفروض أنه حصيلة) وثني: مضاعفٌ فيها تقوية، ثر: مليء، ثغر: الفتحة فيها غياب الثراء تتكرر، وثورة: فيها قمةُ النشاط، غليان البركان، والتماثيلُ: كانت تصنع لسيدنا سليمان وطبعاً فهي لا تعني الأوثان! ولكنَّ (التماثيل) تعني (الأمثلة) وهي جمع (أُمْثُولة) وهي أيضاً ذروة الأعمال في جميع المجالات، فقد كانت تصنع له صناعات من مختلف الأصناف، وهي غاية في التقانة والإبداع والدقة والروعة.

بينما حرف (الراء) فهو حرف الرسوخ والبقاء والتكرار، (نقول رأس الرمح ورأس الجبل ورأس الشجرة ورأس القبيلة ورأس الأمر ولكل شيء رأس كذلك نقول (رب البيت) و(رب العمل) و(رب الأسرة) و(رب الدولة) وهو الرأس والمدبر لها، وهو عند البعض يعني مجرد التكرار أو النسخ، بينما حرف الراء فيه صفاء واحتمالٌ للخير كثير أو سدٌ للنقص وسدٌ للعيب كبير! ويشير إلى الحركة والتحرك والمواجهة: والدفع ويتحدد كل ذلك من خلال الحروف اللاحقة في اللفظ، و(الراء) من الأحرف النورانية في فواتح السور وهو حرف معنوي يفيد التكرار،

والواقع فإن بين سورة (المدثر) وسورة (المزمل) تكامل وإتمام ويشملان موضوعاً واحداً ولكن من جانبين، ولا يمكن فهم ما بهما من برقيات ورسائل؛ وهي موجهةٌ بطبيعة الحال عبر الزمن، للمُتَعَقِّلين والمتفكرين من المؤمنين في كل زمان ومكان، لذلك يجب النظر إليهما على أنهما محفزتان ومُفعِّلتان تهدفان إلى غاية واحدة وهي بناء الإنسان وجعله في أحسن تقويم.

والمدثِّر: المِقْدام والهُمام وهو الجَسور والشُجَاع، وكانت لديه إرادة اندفاع، وكان قد توقف للإعداد والتخطيط ولتنظيم أموره وتهيئة أحواله، وقد استعد للنهوض والقيام والله أعلم.

وقد جاء الاذن الإلهي بالانطلاق وبدء التحرك من خلال الأمر: (قم) وكانت له تعليمات، أولاً أنَّ عليه أن يستأنف الاتصال برب العالمين في جميع الحالات، وأن يستمد منه الحق وأن لا يكترث لأيٍ من الجهات الأخرى، وأن لا يخاف إلا الله تعالى.

فالثوري الناهض الذي يكون مع الحق، وكانت لديه قضية عادلة، وتكون كل الأمور وكل الأشياء التي في الحياة لديه صغيرة بالنسبة لقضيته (الحق)، فهو لا يخاف أبداً ولا يَكْبُرَ في نظره إلا الله سبحانه وتعالى، وهذه من أهم خصائص القائد.

ثانياً العمل على تطهير (نقاء وصفاء) المجموعة أو الحركة، وعدم السماح بالاختراق، فالموالون والمقربون والأصدقاء والأنصار، وكل الذين لهم علاقة واطلاع، أو أية صلة بالحركة الانقلابية الثورية، يجب أن يكونوا على درجة عالية من الثقة والحذر والتَنَبُّه، ومؤمنون بالأهداف وعلى يقين، يجب أن لا يتم الاعتماد ولا بأي شكل من الأشكال على المحايدين أو غير المؤيدين أو غير المنحازين بقوة للقضية وفكر القضيّة.

والعمل على جمع الناس (العرب المسلمين) وتوحيد جهودهم في حركة تُكَوِّنُ البوتقة التي تجمع جهودهم، وتشكل المركز، وتنشأ حوله الدوائر الصغرى والكبرى والأوسع

فالأوسع، ثم ليتكون المحيط، وبينها جميعاً عمليات شدٍ وربط وترابط متين، وترتبط بالمركز ارتباطاً وثيقاً غير مخترق؛ القرار فيه في المركز وشيئاً فشيئاً باتجاه المحيط .

فإنَّ القيام في سورة (المزمل) يشير بجلاء إلى ضرورة (القيام بالإعداد) والتحضير للانقلاب على الواقع والمواجهة وللثورة (ليلاً) أي القيام الذي يجب أن يتمَّ في (الخفاء) بعيداً عن عيون الأعداء (المتربصين بالعرب المسلمين الدوائر).

لأنَّ القيام ـ في القرآن العظيم ـ هو الاستعداد والنهوض للأمر، وقمْ: فعل أمرٍ وطلبٍ للقيام بالنهضة ولتنفيذ أمرٍ ما، سلباً أم إيجاباً، من خلال الإعداد والتوضيب والتنظيم والتخطيط والمكر والترقب وانتظار الفرصة السانحة؛ ثم المباشرة للتنفيذ حالاً، واستنهضتُهُ للأمر: أمرته بالنهوض لَهُ، وقمْ فعل أمرٍ فيه دفعٌ وتحفيزٌ وسَوْقٌ وتَضَامُنٌ ودعمٌ ومشاركة وتفاعلٌ وتفعيلٍ بين الأطراف المتعاقدة عليه غير محدود.

ويكون النهوض (القيام) حالاً بعد الإعداد والتوضيب والتخطيط والتنظيم، للقمة والقاعدة؛ في تفعيل وتفاعلٍ بالغ القوة والدقة؛ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ قال تعالى:﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ وفي الآيتين أعلاه المرفوع فوق الناس دائماً، ما يقدسونه، أو ما يُجِلُّونه ويحترمونه ويضعونه في المقام الأعلى، هو الشرع الرباني والقيم الرفيعة والمثل النبيلة والأخلاق الحميدة، وهي الشيء المكشوف باستمرار والمفتوح للمؤمنين الذين يعقلون والذين يتفكرون فقط. (الطور هو النهج والمنهاج الإلهي، وهو تلك القيم والأخلاق العليا التي غرسها الله سبحانه وتعالى في نفوس الذين آمنوا من خلقه وجعلها لهم أمثلةً تُحتذى، ويرغبون على الدوام في عمل الصالحات، وقد أصبحت لديهم سجايا وطِباع وأعراف وتقاليد وعادات حسنة يضعونها فوقهم ويقدسونها).

ويتصف (القيام)، أو من شروطه الأساسية شدَّة الضبط والربط، والولاء بين افراد المجموعة المؤمنة من أجل تحقيق الأهداف، وذلك عند الشروع والنهضة لتنفيذ الأمر، ويشتمل من أجل ذلك على مراحل للنهوض والتحرك، والشروع بالتغيير والثورة الإيجابية في جميع الجهات والمجالات وعلى كل الأصعدة وكافة المستويات، وإذا انطلقت فلا ينبغي لها التوقف بعد القيام مطلقاً، وذلك حتى تتحقق الأهداف وتنجز الغايات النبيلة والعظيمة[1].

إنَّ (قم) ـ في القرآن الكريم ـ فعل أمرٍ بالنهوض للقيام بالبدء بالثورة الإيجابية الخيريّة[2] إنه أمرٌ بتنفيذ ما تم التخطيط له والاتفاق عليه، وتحويل ما كان نظرياً إلى واقع عملي،

---

١ ـ التغيير سنة من سنن الله تعالى، سواءٌ أتمَّ عن طريق الحركات الثوريّة أم تم عن طريق قوى الطبيعة كالزلزال أو البركان، وأنَّ كل وحدة بشرية تشكل مجتمعاً إنما تتغير بها الأوضاع طبقاً لما يجري بها من الأمور ... فإذا سلكت تلك المجتمعات مسالك معينة، فإنها في جميع الحالات تسير وفق سنن الله تعالى.

وبالتالي فحدوث التغيير في الحياة الطبيعيّة والاجتماعيّة قانون إلهي، فإمّا أن يحدث هذا التغيير عن طريقٍ طبيعيٍ، أو أنه سيحدث عن طريقِ الطليعة الثورية أو النخبة؛ وفي الحالتين فالنتيجة واحدة، التغيير سنة ربانيّة، والفرق بين الحالتين فقط في الزمن!

٢ ـ متى سيدرك العرب المسلمون أن القيمة الحقيقية للإنسان كانت دائما في إيمانه بالله العظيم وأنه لا دنيا لمن لا يحيي دينه وإن إحياء الدين لدى الإنسان يكون في تجليات أدائه لضروب الواجب تجاه المجتمع والناس، وحمل القضايا الوطنية بكل صدق وأمانة، والدفاع عنها في كل موقع وفي كل محفل، وأن العبادات كلها كانت مفتاحا لذلك ومدخلا يوجب على الإنسان الولوج منه إلى أعلى مستويات الإحسان وأنه لادين للمنقطع ولادين للمنبت وأن بطن الأرض أولى بأولئك الذين لا يملكون المشاعر والأحاسيس الوطنية مع الدين السماوي وليس لديهم روح الثورة ضد الظلم وضد التخلف وضد الأعداء وضد القيود المقيدة للحرية الربانية العادلة وأن كثيرا من الأحياء هم بالحقيقة أموات يمشون على الأرض وأن بعض الأموات بالواقع هم الأحياء!

قيل عنها أنها (حرف القوة) فهي حرف القوة والعظمة والقدرة والعطاء وفي الوقف والقطع والبت، في القضايا المعنوية والمادية قال تعالى: ﴿ قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ

لتحقيقه وجعله واقعاً منجزاً، إن (قضية القيام) قضية استحقاق لما هو مُلْزِمٌ، وكان لا بد من تحقيقه على الأرض ـ وهو يمكن أن يكون سلبياً (ذو آثار سلبية) وذلك إذا قام به الكفار والمشركون والمنافقون! قال تعالى في سورة البقرة:﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ بينما ما يجب أن يقوم به المؤمنون أصحاب اليقين، وفي هذه الحالة سيكون (قياماً) إيجابياً جداً ومطلوباً جداً وفي كل حين، وذلك بعد الإعداد له والتحضير إحقاقاً للحق وفي سبيل الله تعالى، وهو (القيام الإيجابي)[1] .

عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾ [ق:٢]، ومثل أيضا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ ﴾ [الإنسان:١١] فإن إضافة القاف إلى أول اللفظ (قمطريرا) يفيد الإيحاء بالقوة غير المحدودة لانهمار المطر والذي كان أيضا مستمراً بدلالة إضافة (الياء) ومدمراً ومحيطاً بالكافرين.

١ ـ التوحيد في الدين (توحيد الله سبحانه وتعالى في العقيدة) يجب أن يعكس توحيدا في الرؤية والتصور لما هو حق أو باطل، وذلك عند أتباع هذا الدين في جميع أنحاء العالم (وحدة الموازين والمقاييس والمكاييل والمعايير والتشريعات والأحكام المطبقة؛ وتطبيق حدود الله الواحد الأحد الفرد الصمد) إذ ينبغي أن لا يكون عند المؤمنين بذات الإله (الذي له عندهم جميعاً مواصفات واحدة! لأنه قد يؤمن كثير من الناس بإله واحد، ولكن قد يكون لكل واحد من هؤلاء الناس، بداخله شكل خاص للإله أو إله خاص به...) فالتوحيد ليس في حض الناس على القول الشفاهي بالتوحيد فحسب، وإنما التوحيد في أن يكون رب العالمين رب السماوات والأرض، بالنسبة للمسلمين، لجميع المسلمين، فهو الإله الذي يؤمن به ويدين به الجميع، وبالتالي ما الفائدة من رص الصفوف في الصلاة الجامعة إذا كانت القلوب شتى أشتاتا ولها أهداف ومصالح متباينة ومتعارضة وربما متضاربة كما هو واقع المسلمين العرب في هذه الأيام تتقاذفهم الأهواء وغير موحدين الرؤى!

ذلك أن اليهود يدَّعون أنهم يؤمنون بإله، ولكنهم يؤمنون بإله مختلف تماما عن الإله الذي يؤمن به المسلمون؛

يشتمل على وجود طرف آخر خصم، متكبر ويجادل في آيات الله تعالى، ويكذب ويكفر بها وبالرسل، ظالم، يغلو ويعلو ويبغي في الأرض، طاغية مفسد دَأَبَ على الإنكار والإفك، مزمن وعنيد على الأرض، يشجع على الفحشاء والمنكر والبغي والإثم والعدوان، ويأكل أموال الناس بالباطل، ويذكر الملائكة بغير علم، وينكر القرآن ويدعو من دون الله تعالى، ولا يتبع القبلة التي أمر الله باتباعها، وينكر الفرائض، فلا يشهد بوحدانية الله تعالى ولا يُصَدِّق رسلَهُ ولا يُقيم الصلاة ولا يؤتي الزكاة ولا يصوم ولا يحج لبيته المُعظَّم. قال تعالى: ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾٧٨النبأ.

لذلك وفي هذه الحالات، فإنه يجب القيام أولاً بعملية رفضه (الواقع) فكرياً (فلابد بدايةً من وجود وحيازة أو تكوين فكرٍ مناهضٍ وقوي (دعوة فكرية شاملة ومتينة تبثُّ الوعي الحقيقي بين الناس مناهِضَةً، وتدعو إلى الحق ولإحقاق الحق، وتبيِّن وتشرح للناس حاضرهم ومستقبلهم، الموقف من الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، وذلك ليدبَّ فيهم الوعي وليرتفع مستواهم الفكري والثقافي ولتحتشد فيهم الامكانيات، أي لتجعلهم على بينة من أمرهم، لأنَّ (القيام) والنهضة والمبادرة والأمر بالتغيير والثورة، عملية لا يقوم بها ولا يمكن أن يقوم بها الأموات ولا المعاقين ولا الأميين الجهلة، البلهاء من العامة الذين لا يفقهون ولا يعقلون ولا يعلمون شيئاً ولا يدرون ما الأمر ولا إلى أين المسير!

هذا وإنَّ لفظ (المزَمل) ولفظ (المدّثر)، فإنه لا يوجد لهما في المعاجم العربية أي معنى واضح ومباشر[1]، لذلك علينا التفتيش والبحث عن المعنى أو مقارب يدل على يشير إلى مفهوم مباشر حقيقي جوهري وأساسي، وسنحاول البحث عن معانٍ مقاربةٍ في المعاجم العربية أو في اللغات أو الألسن العربية القديمة، أو تلمها في اللغات المتفرعة عن العربية

١ ـ سوى المعاني التي وضعها المفسرون القدماء أمثال (ابن جرير الطبري) ومن نهج نهجه مثل (ابن كثير) وقد ثبت عدم فاعلية تلك التفاسير مطلقاً، والقرآن العظيم أساساً نزل من السماء ليكون فاعلاً مُفَعِّلاً

كاللاتينية أو الفارسية أو السنسكريتيّة مثلاً، لعل الله تعالى يهدينا إلى سواء السبيل وهذا الأمر مطلوبٌ دائماً وهو شكلٌ من أشكال تدبر القرآن العظيم يجب تعميمه وتنشيط العمل به (هنالك الكثير من الألفاظ القرآنيّة موجودة في اللغات والألسن المنتشرة في العالم واللسان العربي أساساً هو أم وأب لجميع اللغات في العالم).

وحول (المدَّثر): (وثاب) الناس أي جاءوا واجتمعوا، وثاب أي رجع وآب وعادَ للموضع والموقف الصحيح، و(التَطَهُّر) هو التَنَزُّه من الأدناس والأدران، و(طاهر) أي خالي من النجاسة والعيوب والنواقص، نقي سليم ومعافى (لايجوز أن يكون الطليعي أو الامام الذي في المقدمة ناقصاً أو معيوباً أبداً)[1] وهو أيضاً (بمعنى إزالة الأوساخ).

إن من المهم أن يُعلم أن (الحرية) مفهوم قرآني أساسي، وبالتالي عربي مبين، فالقرآن الكريم أساسا هو كتاب الحرية وكتاب الثورة وكتاب الإنتاجية، والألفاظ الدالة على الحرية في القرآن العظيم كثيرة جدا.

وتحرير ومحررا والحر، تتكرر في آيات الله كثيرا، وهي تشير إلى تحرير الإنسان من العبودية، وإلى إطلاق حاله، من الأغلال والقيود، أيا كانت هذه القيود مادية أو معنوية، فالأنبياء والرسول جميعهم إنما بعثوا لتحرير البشرية من قيودها المقيدة، قال تعالى:{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف : ١٥٧] وكانت الأغلال تعني القيود المعنوية التي تطوّق الناس من الداخل وتأسرهم... لتعيق الفهم الصحيح للأمور والقضايا .

إن (القيام) الحقيقي هو (القيام والمبادرة بالتغيير) سواءً أكان بالثورة أم بالإصلاح؛ وفي جميع الحالات، فإنه يجب أن يكون هذا القيام مدروساً ومحسوباً، وفي الوقت والمكان المناسبين، وليس عشوائياً أو فوضوياً، أو من غير هدفٍ واضحٍ حقيقي منطقي ومضمون

١ ـ راجع كتاب نضح الكلام في نصح الإمام، لسلطان العلماء العز بن عبد السلام، القاهرة مكتبة الزهراء١٩٩١م

النجاح، لأنه أساساً عملٌ يهدف إلى الخلق والابداع وبناء البديل المثالي والمنشود، لواقع مهترئ بالي ميؤوساً منه مرفوض ومحكومٌ عليه بالانتهاء. قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨ ﴾

فالقيام الحقيقي والذي من المفروض أن يُحدث البركان الذي سيغير وجه الأرض، ويكتب التاريخ من جديد، لذلك فإنَّ من سيتولى (القيام) بالثورة والتغيير، عليه أن يكون قمة القمم في الوعي والفهم والعلم والاطلاع، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً، وأن تكون لديه القدرة والامكانية دائماً على اتخاذ القرارات الدقيقة والصحيحة والصائبة، وأن يكون له ومعه أعوان مؤمنون واعون ومخلصون ومتحمسون أيضاً وواثقون بالنصر المؤزر، ويمتلكون القوة الذاتية، إذ ليس هنالك (قيام) يمكن أن يكتب له النجاح أبداً وهو يبني ويعتمد على القوى الخارجية، إنما ينجح القيام بالاعتماد على الله أولاً ثم بالقوى الذاتية (الزراعة والصناعة والتصنيع الذاتي)، قال تعالى: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ٥٢ ﴾ هود.

وكان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في ثورته على أعداء الله وأعداء المؤمنين من الكفار والمشركين والمنافقين، لما رأى (عند استعراضه للمقاتلين قُبيل الغزوة على اليهود) بيد أحد جنود الإسلام قوساً فارسيّة فأخذها من يد المقاتل وأعطاه بدلاً عنها قوساً عربية وقال له صلى الله عليه وسلم: (بهذه وأشباهها) قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴾13المتحنة

إنَّ من غير المقبول للثائرين الحقيقيين ، الذين قاموا ونهضوا بالدعوة للتغيير والثورة، أن يفشلَوا وذلك في أي مرحلة من مراحل الثورة؛ لأيٍ من الأسباب المادية، وتحت أيٍ من الحجج المادية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعيّة، يجب أن يكون لديهم من الوعي والتنبه السياسي والعسكري الاستراتيجي ما يؤهلهم للنجاح الأكيد، وأن تكون لهم الضربة الاستباقية بحيث لا يفاجؤوا ولا يؤخذوا على حين غرّة، لأن الفشل في الثورة دليلٌ على

وجود نقصٍ وثغرة في الاساس، في التنظيم والإعداد والتهيؤ، والقيادة الجديرة هي القيادة التي تتلافى من الأساس النقص وتعمل بحزمٍ وثقةٍ على إتمام الأمور وإكمالها، في أعلى وأكمل مستوى، ولديها كل الحسابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بكل الابعاد، ولا تترك ـ الحبل في الثورة ـ على الغارب أبداً في أيٍ من النواحي، فالخطأ عند القيام بالثورة غير مسموح به لأيٍ كان ومهما كان، وكما تقول الحكمة العسكرية: (أيها اللّغام إن خطيئتك الأولى هي الأخيرة)، فلا مجال مطلقاً لقبول الخطأ في الثورة من أي كان[1].

وفي سورة الكهف أنَّ الفتيةً (قاموا)، وقد كانوا مطاردين وملاحقين من قبل تلك السلطة في ذلك الزمن، لأنهم كانت لديهم فكرة (دعوة) جديدة، لقد كانت دعوة للثورة على السلطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية آنذاك، لذلك وصفهم رب العزة بأنهم فتية (قاموا)، قال تعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ ١٤ـ١٥الكهف.

١ ـ وإلّا فما الجدوى من انتصار الحمقى والمجانين والمُغيَّبين والمُغفلين وفاقدي الوعي والفهم متى سيدرك العرب المسلمون أن القيمة الحقيقية للإنسان، كانت دائماً في إيمانه بالله العظيم، وأنه لا دنيا لمن لا يحيي دينه وإنَّ إحياء الدين لدى الإنسان يكون في تجليات أدائه لضروب الواجب تجاه المجتمع والناس، وحمل القضايا الوطنية بكل صدقٍ وأمانةٍ، والدفاع عنها في كل موقعٍ، وفي كل محفل، وأن العبادات كلها كانت مفتاحاً لذلك، ومدخلاً يوجب على الإنسان الولوج منه إلى أعلى مستويات الإحسان وأنه لا دين للمنقطع ولادين للمنبت وأنّ بطن الأرض أولى بأولئك الذين لا يملكون المشاعر والأحاسيس الوطنية مع الدين السماوي وليس لديهم روح الثورة ضد الظلم وضد التخلف وضد الأعداء وضد القيود المقيِّدة للحرية الربانية العادلة وأنَّ كثيراً من الأحياء هم بالحقيقة أموات يمشون على الأرض، وأن بعض الأموات بالواقع هم الأحياء! كما يجب على المؤمن، أن يؤمن؛ بجماع فكره وعقله وقلبه وأن يمارس بسلوكه هذا الإيمان أداءً إيجابياً بناءً، متوجاً بالبذلِ والعطاءِ.

إنهم فتية لم يقبلوا بالظلم ولا بالاضطهاد ولا بالخرفة ولا بالسحر ولا بالفقر المفروض فرضاً، ولا بالعادات والتقاليد البالية المتوارثة ولا بالشعوذة، ولذلك فقد قاموا بحركتهم للانتفاضة والانقضاض على واقعهم المتخلف ورفضه، وقد أعلنوا ذلك (أعلنوا الدعوة للتوحيد) الثورة الجذرية على الظلم والفساد، ولذلك اضطُهِدُوا ولوحِقُوا، وكانت السلطات آنذاك تتابعهم وتبحث وتفتش عنهم، وقد لجأوا وكلبهم إلى الكهف، متخفين لم يكن معهم إلا الله سبحانه وتعالى.

وفي المعجم أنَّ القيام إنما هو دعوة للقيام بالعمل المثير، ويتضمن القيام بالهدم والإزالة ثم الشروع بالبناء والإشادة، فهل هو دعوة للثورة؟[1]

١ ـ وقاوَمْتُه قِواماً: قُمْت معه، صحَّت الواو في قِوام لصحتها في قاوَم ويقال: فلان ذُو قُومِيَّةٍ على ماله وأَمْره. وتقول: هذا الأَمر لا قُومِيَّة له أي لا قِوامَ له. والقُومُ: القصدُ؛ قال رؤبة:واتَّخَذَ الشَّد لهنَّ قُوما وقاوَمَه في المُصارَعة وغيرها. وتقاوموا في الحرب أي قام بعضهم لبعض.

وقِوامُ الأمر، بالكسر: نِظامُه وعِماده. أَبو عبيدة: هو قِوامُ أهل بيته وقِيامُ أهل بيته، وهو الذي يُقيم شأْنهم من قوله تعالى: ولا تُؤتوا السُّفهاء أَموالكم التي جَعل الله لكم قِياماً. وقال الزجاج: قرئت جعل الله لكم قِياماً وقِيَماً. ويقال: هذا قِوامُ الأَمر ومِلاكُه الذي يَقوم به؛ أَراد بالقاماتِ الذين يقومون بالأُمور والأَحداث؛ ومما يشهد بصحة قول ثعلب أن القامة جمع قائم لا البكرة قوله: وقَيِّمُ الأمر: مُقِيمهُ. وأمرٌ قَيِّمٌ: مُسْتقِيم. وفي الحديث: أتاني مَلَك فقال: أَنت قُثَمٌ وخُلُقُكَ قَيِّم أي مُسْتَقِيم حسَن. وفي الحديث: ذلك الدين القَيِّمُ أي المستقيم الذي لا زَيْغ فيه ولا مَيْل عن الحق. وقوله تعالى: فيها كُتب قيِّمة؛ أَي مستقيمة تُبيّن الحقّ من الباطل على اسْتِواء وبُرْهان؛ عن الزجاج. وقوله تعالى: وذلك دِين القَيِّمة؛ أَي دين الأُمةِ القيّمة بالحق، ويجوز أَن يكن دين المِلة المستقيمة؛ قال الجوهري: إنما أَنثه لأَنه أَراد المِلة الحنيفية. والقَيِّمُ: السيّد وسائسُ الأَمر. وقَيِّمُ القَوْم: الذي يُقَوِّمُهم ويَسُوس أَمرهم. وفي الحديث: ما أَفْلَحَ قَوْمٌ قَيِّمَتُهُم امرأة. وقَيِّمُ المرأَةِ: زوجها في بعض اللغات. وفي رواية: قَيِّم، وفي أُخرى: قَيُّوم، وهي من أبنية المبالغة، ومعناها القَيّام بأُمور الخلق وتدبير العالم في جميع أَحواله، وأَصلها من الواو قَيْوامٌ وقَيْوَمٌ وقَيْوُومٌ، بوزن فَيْعالٍ وفَيْعَلٍ وفَيْعُول. والقَيُّومُ: من أَسماء الله المعدودة، وهو القائم بنفسه مطلقاً لا بغيره، وهو مع ذلك يقوم به كل موجود حتى لا يُتَصوَّر وجود شيء ولا دوام وجوده إلا به. راجع لسان العرب وادة قومَ.

كذلك فإن لفظة ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ ٢٠البقرة، في القرآن الكريم الآية ١٩ من سورة البقرة لا تعني وقفوا، ولا يأتي القيام بعد وضع المشي؛ كما زعم بعض المفسرين؛ لأن القيام غير الوقوف، فالإقامة تعني التوجه والتوجيه، قال تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾٩٧ المائدة ، ومن ذلك، المؤمنون يبادرون بالقيام للصلاة، وإقام الصلاة والقيام يعني: المبادرة بالفعل والتأهّب والشروع بالتنفيذ، ومن ذلك القيام بشن الحرب ضد العدو، وكذلك فإن المنافقين، عندما يحل الظلام؛ يقومون بحياكة المؤامرات، وينفذون المخططات الرامية إلىٰ تقويض الدعوة!، قال تعالىٰ:

﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ﴾ النور المنبعث من الحق ﴿ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ (للمنافقين) كلما أضاءَ لهم مشوا فيه ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ ۚ (البقرة ٢٠) وإذا أظلم عليهم قاموا (وإذا لم يرو فيه أهواءهم ومصالحهم فإنهم يتجهون إلىٰ النفاق، ويبادرون بحياكة المؤامرات، والدسائس في الظلام، في الظلام الذي يظلمُ عليهم وحدهم!) ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ (البقرة ٢٠) والله أعلم.

فالقيام من القوة والحزم والعزم والاندفاع، وهو أيضاً من الملازمة؛ والثبات للأمر ولا يُقال في البدن، والقوة نقيض الضعف، قال تعالى: يا يحيى خُذِ الكتاب بقُوَّةٍ؛ أَي بِجِدّ وعَوْن من الله تعالى، ويكون ذلك في البَدن والعقل، وقد قَوِيَ فهو قَوِيّ وتَقَوَّى واقْتَوى كذلك، والعرب تقرن القول بالفعل، قال عز وجل لموسى حين كتب له الأَلواح: فخذها بقوَّة؛ فالقَوِي في نفسه، والمقْوِي في دابته. وقم إذا جمع وأجمع، وقرر وشرع فهو أمرٌ بالشروع بالتنفيذ.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ﴾ سورة المدثر،

وتتابع السورة الكريمة حتى تصل إلى ذكر (سقر) يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَـٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَـٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، وتركيب ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾: ففي اللسان العربي المبين، لا يمكن أن يُسأل الإنسان أو أن يُطلَبَ منه أو منَّا معرفة أو ادراك أشياءَ مستحيلة علينا ... وأساساً هي بعيدة عنّا...، مثلاً أن يُقال لك (ما أدراك ماذا يوجد على (سطح المريخ)[1]؟!

---

١ ـ ولكنَّ ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ تعبيرٌ رائعٌ، وهو في القرآن الكريم قمة قِمَمِ البلاغة، وقد ورد ١٣ مرة، قال تعالى:﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ﴾ [الطارق: ٢]، وتعبير (ما يدريك) ثلاث مرات، قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣ ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وهذا التعبير يكون في محلِّه تماماً – في الخطاب – العربي ... إذا كان السؤال فيه عن الأمور التي عادة ما تكون قريبةً منّا قرباً شديداً، في حين لأننا لا ندري عنها شيئاً، بينما هي كائنةٌ تحت ناظرينا، وكان من الواجب علينا، ومن الأولويات لنا الانتباه إليها ووعيها وإدراكها...، بينما نحن منصرفون عنها وساهون، لم نلحظها أبداً، وهنا تكمن المفاجأة!

أشياء وأمور وأحداث قريبة منا وتجري أمام أعيننا، ومع ذلك فنحن مشتّتون في اهتماماتنا بعيدون عنها كل البعد، لذلك فنحن لم ندركها ولم نعيها ولم نفهمها!

تخيل أنك تعتقد أنك تعرف ولدك مثلاً معرفة تامّة، كونك أشرفت على تربيته وتنشئته، ثمَّ يأتي أحدٌ ما ليقول لك: أتدري ماذا فعل ولدك أو ما يُدريك ما يفعل ولدك الآن!

أو تخيل أنك على ثقة تامة بكل ما يدور في بيتك أو في بلدتك الصغيرة، ثمَّ يأتي احدهم ليقول لك: وما يدريك ما يحصل في بلدتك؟ في الوقت الذي أنت فيه على ثقة تامة بأنك تعرفُ كلَّ شيء عنها، لتكتشف أنك لا تعرف عنها شيئاً، أيَّ شيء.

لقد ورد تعبير ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ في القرآن الكريم ثلاث عشر مرة، وكُلَّها تشير إلى أمور قريبة منَّا قُرْبَاً شديداً، وكان من الواجب الانتباه إليها ،،، ولكن الناس دائماً منصرفون ومنشغلون عنها.

رب العالمين سبح سبحانه وتعالى نه وتع سبحانه وتعالى لى وهو العادل وهو الحق سبحانه وتعالى، لا يمكن أن يسألنا أو يجعلنا مسؤولين عن أمورٍ هو أعلم سبحانه وتعالى بها، وهي حتى تاريخه ... بعيدة عنَّا.

والْزَمْ ما يوحى إليك من ربك وما يأتيك من الإلهام، ولا تيأس من رحمة الله أبداً فإنَّ النصر قريب، وعليك أن تعتقد باستمرار أن النصر قريب وأن تثق بالله تعالى، فإذا تم النجاح واشتعلت وقامت الثورة ونجحت وتم الانقلاب، وصار عاليها سافلها، وزهق الباطل، وساد الحق، فسيكون ذلك اليوم يومٌ عسير على الكافرين، اولئك الظالمون المتكبرون المعاندون في تكبرهم، يومٌ سيكون عليهم غير يسير.

فإذا تم النصر وتم التحول والتغيير، وتم الانقلاب على الوضع الفاسد والظالم والمتخلف، ونجحت الثورة ونجح الإصلاح وانتصرتم ... وتحقق ما تصبون إليه، إذا حانت هذه اللحظة، من نقلٍ للأحوال والأوضاع من حالٍ إلى حال ...، ونُقِرَ في الناقور؛ و(نُقِرَ) في العربية: مثل (نُقِلَ) و(نُكِرَ) أي قُلِبَتْ الأمور والأوضاع، ونَكَرَهُ أي غيَّرَهُ فتغيّر إلى المجهول، والتنكير والإنكار: تغيير المنكر، عن طريق نقض الواقع وتحويله إلى واقع أفضل، والانتقام إبان الثورة تعني: العقوبة أو معاقبة أولئك المجرمين المعاندين، والناقم هو المُعاتب و(النقيبة) عكس (النقيمة) و(الناقور) من (النقر) وهو وقت معاقبة المجرمين الذين ناهضوا عملية التغيير وعملوا على منعها[1].

---

١ ـ وفي الحديث: (ما كان الله لينقر عن قاتل المؤمن) أي ما كان الله ليقلع وليكفَّ عنه حتى يهلكه، ويُقال النقر: الغضبان، ونكَرَ الأمرُ: صَعُبَ واشتَدَّ، والنكر الأمر الشديد، نقر ونقد واحد، وانقدُ هو العتاب. لسان العرب لأبن منظور.

وكانت التعليمات والتنبيهات على ضرورة (القيام) مرفقة بالتوجيهات الربانية المعلنة علناً، وهي أولاً: أعلاء كلمة الله تعالى فهي قومة مبنية أساساً أنها لله تعالى، ثانياً: أن تكون مؤسسة على (الطهر) والشفافية في الباطن والظاهر، فالطهر والنظافة من الأدران هو شعار الحركة العروبية، ويجب أن يمارس على جميع المستويات داخلياً وخارجياً، وفي كل المجالات وكافة الأصعدة والاتجاهات.

وكذلك الاعتماد على كل ما هو طاهر ونقي وخالي من المساوئ والأدران والخلل وبعيد كل البعد عن كل ما يريب أو يسيئ من الشبهات والكبائر أو الصغائر.

لأنَّ الإنسان صاحب القضية والمشروع الثوري يجب أن يكون مثالياً مؤمناً محسناً طاهراً شديد الصلة بالله تعالى، وأبعد ما يكون عن الشبهات المادية أو المعنوية.

النضال والعمل في مجال التغيير والثورة يجب أن لا يتقطع إلى مراحل ومحطات، يجب أن لا يطول بلا مبرر، بل يجب جعله شوطاً واحداً دون وقفات لا معنى لها، أو لا مبرر لها، أي أنه بمجرد البدئ بالعمل على الثوار عدم التفكير بالوقوف وذلك إلى أن تتحقق الأهداف الاستراتيجية، ولا تمنن: أي لا تُقَطِّعْ عملك إلى مراحل، لكي لا تبدد جهودك وجهود من معك؛ ولا تخادع نفسك، ولا تحاول وهم غيرك من الناس بحجة ضرورات الإعلام وغيره من الحجج الواهية المضللة، وهذا هو معنى (ولا تمنن تستكثر) والله أعلم، لأن (المن) في العربية تعني التقطيع والتجزيء والله أعلم.

بل الزمْ الحق، وإذا بدأت بالخروج ... بعد الإعداد الصحيح والأكيد؛ عليك أن لا تتوقف عن مشروعك بعد أن استوفيت شروطه؛ عليك أن تبعد عنك الوساوس والأوهام وكل ما من شأنه الحطّ من عزيمتك وعزيمة من معك[1].

---

١ ـ كان عليه الصلاة والسلام إذا عزم على الخروج واتخذ قراراً بالمواجهة؛ فإنه لا يرجع أبداً حتى يحقق الهدف، لأنَّ التلكؤ في هذه الأمور يولد انطباعاً سلبياً لدى الجنود في الحرب، ويوهن العزيمة ويفتَّ في عضد المقاتلين ويؤثر في نفسية المجاهدين والمؤيدين.

لقد كانت (قم) أمرٌ بإذاعة النبأ، بقيام الثورة والشروع والبدء بالتغيير، وإعلانها على الملأ والانطلاق، أي أذنٌ من رب العزة للمؤمنين للبدئ بالانتشار الأفقي للثوار ولأفكارهم ولقضيتهم، وضرورة قيامهم بالتوضيح العلني الواسع، والجهر بمبادئ الدين الحنيف وأهدافه، وأنه إنما جاء منذراً بين يدي الساعة (يوم الحساب) وأن الساعة آتية، وأنَّ على كل إنسان عليه أن يسعى، وأن يحدد موقفه وأن يختار طريقه، إما إلى الجنة، أو إلى النار (سقر) وغير مسموح للعقلاء التذبذب أو الوقوف في الوسط، لذلك عليه أن يبادر بالاختيار، مع التنبيه إلى أنَّ للجنة في هذه الحياة أعوان لجذب المؤمنين إليها، وهي تقوم على الدوام بالإعلان والتوضيح والكشف للمؤمنين المخلصين عن محتوياتها وترغيبهم بها وشدهم إليها.

ولفظ (سقر) فيه (حرف الراء) وهو حرف التكريس والتكرار، و(حرف القاف) وهو حرف القوة والهيمنة، و(حرف السين) وهو حرف المساحة الواسعة، وكانت (سقر) في الحياة أيضاً تمارس (السحر) بما يعنيه من خداعٍ وتضليل، أي تمارس استدراج الناس إليها؛ في مقابل (السحر) الذي اتهم فيه المتكبرون الأنبياءَ ورسالاتهم ووصفوهم فيه، وقالوا عنه أنه قول بشر؛ قال تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ ففي مقابل ادعائهم لهذا الكلام البعيد عن الحق، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يقول لهم الكلام الحق، وفحواه: بل إنَّ السحر الحقيقي إنما يمارس عليكم وعلى الدوام ـ في الحياة الدنيا ـ من خلال ابليس واساليبه المتعددة التي ستسحبكم وتجركم إلى جهنم وبئس المصير، قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأعراف.

وكذلك فإنَّ لجهنم في هذه الحياة الدنيا أعوان، ولها أيضاً طرقها وأساليبها، وهي مبثوثة، ولأعوانها عدتهم ووسائلهم؛ وهم يعملون ليلاً نهاراً على جذب (البشر) وشدِّهم، من المتكبرين والمفسدين والظلمة وغيرهم من أصحاب الكبائر؛ إلى سقر، إنَّ جهنم تمارس كافة الاساليب الجاذبة والإغراء والإغواء للبشر، من خلال قواها والعتاة من مروجي الكبائر؛ وهي من هنا من هذه الحياة ... تمارس شَدَّ أصحابها إليها، إنها لواحةٌ للبشر، أي مغرية وجاذبةٌ، وذلك في تسعة عشر طريقاً كل واحدة منها تؤدي مباشرة (عليها) لتلقيهم في سقر ! وهذه الطرق هي مجموع (الكبائر) التي حذرنا منها رب العالمين على أنها أساليب ابليسيّة شيطانية، وهي من وسائل واساليب ابليس اللعين، قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحجر.

وهذا هو (التلويح) أي الجذب والاغراء المستمر فهي لواحةٌ للبشر، بطريقة لا يمكن أن تبقي أو تذر ـ بعد تطبيقها ـ ممن هم أصحاب النار لا يمكن أن تبقي منهم واحداً يفلت أو يبقى خارج دائرة الانجذاب القوي والشديد الشدِّ إليها... ألوان وأضواء وأصوات ومهرجانات صاخبة لشدهم إليها وتوريطهم في حبائلها لإلقائهم فيها (عليها) من الأعلى، إلى (سقر) وبئس المهاد، (عليها تسعة عشر) وهذه خبر مؤخر لـ (سقر) التي الناس جميعهم في هذه لحياة غافلون عنها، مع قربها الشديد منهم وتهديدها الخطير لهم! والسياق في السورة الكريم يقول أنها {(سقر) عليها تسعة عشر، لواحة للبشر، لا تبقي (خلفها) ولا تذر)} فالأحدث كلها في سورة المدثر إنما هي في الحياة ولا ندري لماذا تمَّ عن طريق المفسرين ترحيلها إلى العالم الآخر ، وما مصلحتهم في ذلك؟ فإنَّ لها بعد أن تم الإعداد والتمهيد لها

سراً في الخفاء، عن طريق (القيام ليلاً) كان ذلك موضحاً بجلاء في السورة السابقة (المزمل) والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ ﴾ قال تعالى: ﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الشعراء،

إذاً إنَّ لجهنم دعاتها وهم جنود ابليس وهم يمارسون مهمتهم في الحياة الدنيا، وذلك في استدراج زبائن لجهنم، والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

والله أعلم أن لفظ (سقر) مقابل ويقابل لفظ (سحر)؛ وقد أبدل فيه حرف (الحاء) بحرف القوة (القاف) فالسحر اللفظ الذي تبجحوا ووصفوا فيه الإنذار الرباني والآيات المُنزَّلة (قم فانذر)، فقالوا (إن هذا إلا سحرٌ يؤثر)، وأمام تعنتهم وانصرافهم عن الحق المبين، جاء الجواب الرباني، أنَّ هنالك شيء حقيقي وهو ليس سحراً أو وهماً؛ وهو أمامكم ويتعلق بمصيركم! وأنتم لا ترونه ولا تدرون عنه شيئاً؛ إنه أذرعٌ متقدمةٌ لـ (سقر) التي تقوم بالتقاط جماعة جهنم لتوصلهم مباشرة إلى جهنم وهي لا تبقي بعد ممارساتها الساحرة فهي لا تبقي ولا تذر أياً منهم دون جذبهم وإلقائهم في جهنم .

وهذا معنى (عليها تسعة عشر)[1]

١ ـ وباطلة كل التفسيرات والتأويلات الغريبة، التي تداولها البعض، من دعاة الفهم، وهم أبعد ما يكون عن الفهم، والتي بدأت في ثمانينات القرن العشرين، وكان منهم من له غايات أُخَر؛ ممن ينتمون إلى بعض الحركات المناوئة للعرب المسلمين...، من أمثال الأمريكي (رشادي خليفة) في كتابه (عليها تسعة عشر) وتأويله المزعوم، وكذلك من ردَّ عليه في حينه، رد الجاهلين، فزاد أو أنقص، ولكن بعد أن تبنى مضمون فكرة المأفون (رشاد خليفة) في أن القضية في القرآن العظيم، كانت مجرد قضية اعجاز عددي ... وَرُوِّجَ لها... وأوعزت الصهيونية العالمية لعملائها في الترويج لها بين عامة المسلمين، فأوهَمَ المسلمين العرب وأبقاهم على السطح هائمين (الإسلام الامريكي)، الأعجاز العلمي في القرآن الكريم قضية تمّتْ الفبركة لها في مراكز الأبحاث الأمريكيّة في ثمانينيات القرن العشرين ونشروها بقوّة عن طريق دعاتهم الذين صنعوهم تصنيعاً أنيقاً.

وكانت فكرة الإعجاز العددي، مثل الإعجاز العلمي؛ لها جذور توراتية، بدأ الحديث عنها في مطلع القرن السادس عشر يهودي ويدعى (رامي جودة)، والموضوع موجود في كتاب سبق وأن نشر في اللغة الإنكليزية، وذلك في محاولةً سابقة من اليهود، لإثبات علاقة بين القرآن العظيم، والكتاب الذي يتداولونه! فكان ما ادعوه عن وجود رقم (تسعة عشر) في التوراة، وأنه كذلك هو معجز في التوراة، ثم تلقف جهابذة العرب والمسلمين الموضوع كعادتهم وعلكوه ولاكوه وتوهموه وأخرجوه بطريقتهم المقززة، ليثبتوا أنه أيضاً موجودٌ كرقم في القرآن العظيم، وأنه معجز أيضاً!.

الغريب أنهم نسوا أن القرآن العظيم ليس فيه اعجاز وإنما أنزل الله فيه سور وآيات بينات.

النبأ

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (النبأ) وأنها وجودها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وشاملةٌ وعامةٌ، وتطال الجميع من المؤمنين والناس أجمعين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي موجودةٌ (أل) في مقدمة اللفظ، لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً.

وكلاحقة تكون للضمير دلالة على جماعة الإناث في جميع الأزمنة أو لتأكيد الفعل، وهي في الأبجدية العربية في المرتبة الرابعة عشر، وتنقلب النون الساكنة إلى التنوين عندما يراد الترنم وللتمكين وللتنكير وللعوض وللمقابلة أو للمغالاة، هذا في النون الثقيلة أما الخفيفة فتختص بالمستقبل إما وضعاً، أو في صيغة الأمر أو لطلب؛ والنهي والاستفهام والتمني والعَرض والقسم ولتشبيه النفي بالنهي، وأحياناً تكون للوقاية وهي نون العِماد؛ تدخل قبل ضمير المتكلم لتمنع الكسر: (ضربني) وأحياناً أخرى للمثنى سابقةً للألف والياء، والمجموع شذوذاً مثل (سنين)، وفي جمع المذكر السالم وحرف (النون) يشير دائماً إلى البداية، فـ(النطفة) بداية تكوين الماء والله أعلم، مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ، وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وهو حرفٌ أساسي يدل على القداسة وهو من الأحرف النورانية والمعنوية، وقديماً أو في (اللهجات العربيات القديمة) إن صحَّ التعبير فإن (النون) كانت تعني اسمُ لفظ الجلالة (الله) أو الإله أو النسبة والانتساب لله سبحانه وتعالى خصوصاً إذا شكلت اللاحقة في الأسماء أو الأفعال، ومثال ذلك: سليمان (يقال أن معناه حبيب الله) والله أعلم، وسليمة الحبيبة غسان عدنان لوزان، وذو النون: لا تعني ذو الحوت! كما ذكر المفسرون ولكنها تعني (ذو العلم) أو (ذو

القلم) والدليل هو أن الله سبحانه وتعالى قد سماه ذو النون قبل أن يُدخله جوف الحوت والله أعلم

وفي القرآن الكريم لفظة (نهر) و(أنهارا) تشير إلى الجريان والتدفق المستمر للخير، والخيرات عموماً من مصدرٍ مطلقٍ غير محدود قال تعالى: ﴿ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٨]، و(جناتٍ تجري من تحتها الأنهار) أي: أنَّ الخيرات للمؤمنين والمؤمنات في الجنة مطلقة وغير محدودة، وهي (من تحتهم) أي في متناول يدهم وتحت تصرفهم متى شاءوا، فالنهر أساساً يعني: الإمداد الذي لا ينقطع، وإذا انقطعت فهي لن تعد أنهاراً! إنها مجرد وديان أو حفر! أما الأنهار فهي مجارٍ للخير لا تنقطع أبداً وشرط النهر هو الجريان الدائم، لآن (الراء) للتكرار والاستمرار والرسوخ، والنون للدعم والإمداد الذي لا ينتهي ولا ينقطع، والهاء فيها انفتاح والله أعلم.

ويعتقد أن الألف من الإيلاف، وهو المستقيم، وهو أساس الأحرف كلها، والأحرف كلها أساسها (ألف) ومع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ، وهي غيرها إذا كانت في الوسط، كذلك فإن الحركات الظاهرة والمقدَّرة تؤثرُ في منحى معنى الحرف العربي، وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وهو يشير إلى المبدأ والمصدر والمدلول العام معاً. فكل لفظٍ يُرادُ به القول بأنه المبدأ والمصدر والمدلول العام معاً.

فكل لفظٍ يراد به القول بأنه مبدأ أو مصدر أو أساس أو مدلولاً عاماً فإنه تدخل فيه (الألف) مثل: لفظ الجلالة (الله) وأبٌ وأمٌ وأخٌ[1] وأباريق (من البريق) وإبليس وهو (مبدأ

(١) (يا أخا العرب) و) يا أبن أخي) هذا النداءُ كان متداولاً بين العرب وكثيرُ الاستعمال وشائعٌ لديهم وله مدلول رائع وعظيم يدلُ على أنَّ (صلة الأخوة في مجتمع العروبة) كان لها معنى لم يكن يفتقر إلى مددٍ من القبيلة أو الإقليم أو الحسب أو النسب أو غيره؛ مما يدلُ على أن (رابط العروبة) كانت أقرب إلى الدين الطبيعي (العرف) قال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وهي أي العروبة ليست مجرد مألوفات ذهنيّة أو عادات مرعيّة أو تخيلات وأوهام، وإنما هي ما احتضنته بيئتهم وحنت عليه نفوسهم، من القيم والمبادئ والمثل

الشرور) في العالم وأخت وأتقاكم واتخذ وأرائك وأمة من (الأم) وهي الأساس والموئل والأمة المثال والنموذج[1] والإلهام من الله وهو ما يُعرَضُ على الإنسان من الخارج أو ما يره وما يسمعهُ وما يُحسهُ وما يُفكر به، كل ذلك بخيره وشره يُعتبر إلهاماً قال تعالى ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝** ﴾ [الشمس:٨]، وموضوع الفرق بين الوحي والإلهام فالوحي من الله ويأتي من داخل الإنسان في اتجاهٍ محدد لا خيار فيه جامعاً مانعاً دافعاً ليس للإنسان خيارٌ في فعلهِ أو عدم فعله بل لابد من فعله فقد أوحى الله ﷻ إلى أم موسى وأوحى لعبده ما أوحى بينما الإلهامُ يختار الإنسان من مادتهِ ما يُناسب شاكلتهُ من الفجور أو التقوى.

والألف في الألوان (أبيض وأسود) إنما هي مضافةٌ أو زائدة من الأمام وهي للتفضيل والتعميق والتخصيص والذكورة، وتقابلها الألف اللاحقة (بيضاء وسوداء وحمراء وخضراء وزرقاء وصفراء سمراء حولاء حمقاء عيناء) وهي علامة التأنيث والعموميّة والارتباط والتلازمُ والاستمرارية (الإطلاق) والفوقيّة، وكذلك قولهم عيناء وحسناء وجيداء وكحلاء هذا وقد اتخذت هذه الصيغة تاريخياً (الألف كلاحقة) وضعاً مقدساً أو صارت لدى الشعوب القديمة دلالةً على قداسة الاسماء وإنّ أصل لفظة (داريّا) هو (داريّاء) و(اشبيليا) هو (اشبيلياء) و(طبريّا) هو (طبريّاء) و(سوريا) هي (سورياء) وهي (صورياء) نسبة إلى إمبراطورية (صور) التي قامت في التاريخ القديم وامتدت إلى البحرين وشملت بلاد الشام وغيرها، ولفظة (جلاء) تعبيرٌ يفيد اللاعودة والإطلاق إضافة إلى عمومية في الزوال أو الإزالة المكانية والله أعلم.

و(الواحد) هو (الأول) وهو (الأحد) ﷻ، و(آدم) هو أول من دب على الأرض وجال فيها وأكل منها هو وزوجه، وآل وآلاء وآية وأمن وأول وابن كلها دلالة على (الألف) الأولوية والبدء؛ والألف في (لا الناهية ولا النافية) لها دور بارز وهو الحسم والوقف والمنع

والأخلاق الرفيعة، ولعل (الإخاء) في العروبة على قدمه وما يلزمه من الالتزام؛ ومن النزوع إلى الوحدة (التوحيد) مع الآخرين (النزوع إلى القول الحسن والأعمال الصالحات) فهو يدل على المثالية وهو الشيء الثابت في تاريخ العروبة والزمن العربي المديد.

(١) آن: أمون، وأمونه أسماءٌ شائعة في الريف العربي السوري، وكافة الأرياف العربية، وهي من اللغات والأساطير العربية القديمة وتعني القمر؛

القوي من جهةٍ أعلى للفعل وللعمل الذي تمثله اللام والله أعلم. ولفظ(أَوَّاهْ) أي عائدٌ إلى الله بقوة عائدية؛ وفالق (الإصباح): أي مُحدث الانقلاب والتغيير من حالٍ إلى حال النقيض، إنها قلب الشيء الثابت إلى نقيضه، ولفظ (أرض) المفترض أنه دلالة على البدء الرحب والمنشأ والتكوين والتشكل التام، وأنه كانت فيها البداية (الألف مقدمة)، بينما لفظ (سماء) فدلالة على نهاية الاتجاه أو نهاية المسار وهي فيها النتيجة والمآل وإليها المسير والمصير، وأنَّ فيها النهاية (الألف لاحقة)،

وحرف الباء لها تبادلٌ في اللهجات العربيات مع الفاء والميم والواو لكون هذه الأحرف شفوية من مخرج متقارب... و(الباء) حرف المعية والمرافقة والوساطة والصحبة والربط والملازمة والتضمين، وعند البعض تعني السكن والمودة، وهي تكافئ حرف الجر (في) أحياناً وتتحد مع اللام في (بل) مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها، إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ، وهي غيرها إذا كانت في الوسط، كذلك فإن الحركات الظاهرة والمقدّرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، ومن الألفاظ البادئة بحرف الباء: باب (نقول باب البيت وباب الفهمِ وباب الفتنةِ وباب السماء وأبواب جهنم؛ وباب العلم وباب الرزق وأبواب الرحمة)، وبتَّ وبجَّ وبحَّ وبخَّ بدَّ برَّ بزَّ بسَّ بشَّ بصَّ بضَّ بطَّ بظَّ بغى بعبع بلَّ بكَّ بن بي و(رَبُّ) تعني شدة القرب والإشراف والمتابعة والاطلاع عن كثب! وهو المعلم والمربي والراعي والمالك للشيء.

بينما إذا كان حرف الباء (ب) في بداية اللفظ، فإنه يفيد مثلاً القرب والمعيّة والتضمن والدنو من الشيء والمقابل له والمشرف المباشر عليه وهو يفيد البناء أيضاً، وقالوا في (بسم الله) الباء للاستعانة أو الملابسة أو الملاصقة أو التكوُّن (حال كوني) أو الابتدائية أو أنها تشير إلى المصدر والله أعلم، والبت القطع، و(بتَّ في الأمر قطع فيه)

إضاءة وخواطر من (سورة النبا) المباركة

السؤال أهم وسيلة لتطوير العقل، لجعله يقفز قُدُماً إلى الأمام وإيصاله إلى الكمال، والإنسان العاقل لا بدَّ له من السؤال كأداة للمعرفة والعلم، والوضع الإيجابي أن يطرح كلُّ إنسان على نفسه والآخرين الأسئلة الكثيرة عن الكون والخلق والحياة،[1]

هنالك فرقٌ _ في القرآن العظيم _ بين مفهوم (النبأ)[2] ومفهوم (الخبر)[3]، وأنّ النبأ خبرٌ مقيَّد بكونه عن أمرٍ عظيم، والأجود عند العرب ترك الهمز فيه، وذلك من الاسم النبوءة، وهي سفارةٌ بين الله وبين ذوي العقول الزكيَّة لإزاحة عللها، والنبأ فيه ارتفاع، أي أشرفٌ على سائر الخلق، والنبيءُ الطريق الواضح، والأنبياء طرق الله الواضحة، وقد قيل أن الخبر عرفاً ولغةً ما يُنقل عن الغير؛ وأنَّ احتمال الصدق أو الكذب فيه لذاته، على هذا فإنَّ ما

---

١ ـ متى سيعود العرب المسلمون ليعتقدوا أن الطفل من أطفالهم إذا لم يكن يحمل منذ الطفولة مبادئ الشهامة والنخوة والخير والعدل والاستعداد للتفكير بحرية وحب الوطن والدفاع عنه والذود عن الحرمات والمقدسات، كل ذلك بعد الإيمان بالله الواحد، أنه إذا لم يكن كذلك، فهو طفلٌ خاسر؛ ليس له حقٌ في شرب الماء، ولا في تنفس الهواء؛ وذلك بغض النظر عن التشويه الحاصل، وعلى الرغم من كل التردي وعلى الرغم من كل الانحراف المعمم الآن، ومتى سيتعلم الأطفال العرب أن العلم الكثير يقربنا من الله سبحانه وتعالى، وأن الفكرة الجديدة الصحيحة لا يعوقها إلَّا الجهل الشديد، وأن التفكير الخلاّق يتطلب خفوت الصوت وسكون أعصابٍ وهدوء، وأن الشخص الذي يصغي جيداً يستطيع أن يفكر جيداً، وأن المسائل الهامة التي لا نعرف عنها الكثير؛ هي تلك التي يجب أن نشبعها درساً، وأنّ علينا ان لا نضيِّع أوقاتنا في مناقشة المسائل التافهة، وأن عبقرية الإيمان بحاجة دائمة إلى جرأة وإقدام، وأنَّ عبقرية السؤال هي أهم بكثير من عبقرية الجواب! وأنّ طرح السؤال بشكلٍ خاطئ يوصل دائماً إلى نتائج كثيرة خاطئة، وأن طرح السؤال بشكلٍ صحيح يؤدي دائماً إلى نتيجة واحدة صحيحة، وأنّ الفكر النيِّر هو الخير العميم وأن العِلمَ فيه مفاتيح الحرية.

٢ ـ وتَنَبَّأَ الرَّجل: ادّعَى النُّبُوءة. قال الفرَّاءُ: النبيُّ: هو من أَنـبَأَ عن الله، فَتُرِك هَمزه. قال: وإِن أُخِذَ من النَّبْوةِ والنَّباوةِ، وهي الارتفاع عن الأَرض، أَي إِنه أَشْرَف على سائر الخَلْق، فأَصله غير الهمز. والرَّسولُ أَخصُّ من النبي، لأَنَّ كل رسول نَبِيٌّ وليس كلّ نبيّ رسولاً.

٣ ـ

جاء به النبيُّ عن الله لأ فهو نبأٌ، وما نُقل عن النبيِّ ق فهو خبرٌ؛ وقيل أن النبأ يحصل فيه علمٌ أو غلبةُ الظن، ولا يُقال للخبر نبأ حتى يكون صادقاً، وأن يكون ذو أهميّة وفائدة عظيمة ويتضمن معنى الإعلام بالأمر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ التحريم.

لكنّ الإنباءُ هو مجرد نقل للمعلومة الصادقة من عالم الغيب وعلى المنبأ له تبعات خاصّة، بينما الخبر يقتضي الإلمام والإحاطة والمتابعة والمعالجة للأسباب والنتائج، والذي من المفروض أن يَرِدَ الخبر عن طريق الخبير؛ ويُقال أن الخبر أعمُّ، خاصةً إذا كان عن غير الأمور الغيبيّة؛ والخبر يقتضي العلم بالخبر، بينما النبأ لا يشترط ذلك، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ يونس،

والمخابرة: المزارعة، والخابر عند العرب: المُجرب، العليم ببواطن الأمور، وهو الفقيه والرئيس وهو من أسماء الله لأ، أما النبأ فهو مجرد معلومة يُنَبَّأُ بها؛ قد ترد من الماضي أو المستقبل ...عن طريق المُنبئ، بينما الخبر يقتضي العلم بالشيء المُخبر عنه، والخبر: العلم والإعلامُ بباطن ألأمور وخفاياها، وأعظم نبأ هو الذي يُنبِّئ عن الحق المبين، ما سيؤول إليه الأمر في المستقبل؛ وأعظم مُنَبِّئ هو الله - ، قال تعالى: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر.

و(سورة النبأ) في مقدمتها تؤكد على أهمية السؤال القوي عن الأنباء القيّمة والعظيمة[1]، وعن الذي هم فيه مختلفون، أي الذي هم يجهلونه ولا يعلمون عن حقيقته شيئاً، ولذلك هم فيه مختلفون؛ لأنهم ضيَّعوه وتجاهلوه وأهملوه، ولكنهم سيعلمونه بعد حين... عندما تتكشف لهم الأمور، بل سيُعرضُ عليهم علمه أولاً في الحياة الدنيا عندما يتقدمون فيها قُدُماً، ويتعرضون للظروف المختلفة والتجارب والفتن والنكبات والمحن والمشاهدات والتأملات، وثانياً ... فهم سيعلمونه حتماً، العلم الأكيد، في يوم القيامة، وهم هنالك سيتأكدون بالمشاهدة وباليقين، وسيؤمنون به؛ ولكن بعد فوات الأوان حيث لا عمل هناك بل حساب[2].

---

١ ـ فالصبر العربي، صبرٌ على الأيام، صبرٌ على ما أمر به الله عز وجل، على ما هو من الله سبحانه وتعالى، على ما هو من أمر الله، الذي لا إله غيره، التكليف والابتلاء على ما هو فتنة من الله للإنسان، صبرٌ عن تحقيق شهوة، أو تلبية دافعٍ من الدوافع الغريزية، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا بالجهاد والتناحر مع أعداء الله سبحانه وتعالى وأعدائنا، وأن لا نستكين، وأن نُعَّدَ الإعدادات ؛ ما استطعنا من كل أنواع القوة والوسائط السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وأن يكون العرب والمسلمون المؤمنون دائماً جاهزون للذود والدفاع عن حياض الوطن، وثقتهم بالله العلي العظيم كانت هي مصدر ثقتهم بقدرتهم على هزيمة أعداء الله وأعدائهم، ولا خير على الإطلاق بإنسان لا يوجد لديه حسٌ بضرورة الجهاد ضد الأعداء، لأن الحرية لا يمكن أن تنال بالسؤال الذليل وإراقة ماء الوجه، والاستجداء والانتظار كالعبيد المقيدين، بل تؤخذ وتُنال بالمناجزة، وبالمصابرة في الثغور، وعلى الحدود، والدفع والاندفاع إلى الجهاد، بشرط الإيمان والوعي والعلم والمعرفة، والتخطيط والإعداد، فما بال العرب المسلمين اليومَ مستموتون لا نبض فيهم؟

٢ ـ إن المقدمات الصحيحة توصل دائما إلى نتيجة واحدة صحيحة، ويلتقي عليها الأخيار، بينما المقدمات الخطأ توصل دائما إلى نتائج عديدة وكلها خطأ ويختلف عليها المتخلفون! فالسفينة التي تفقد الاتجاه الصحيح تصبح جميع الاتجاهات بالنسبة لها خطأ؛ والواقع يؤكد أن العبقرية كلها تتجلى عند صناعة أو بولادة السؤال المنطقي والصحيح، وفي المبادرة إلى طرح السؤال الأساسي للمشكلة، وبعد ذلك فإن الجواب سيأتي في جميع الحالات؛

والسؤال في القرآن الكريم دائماً يكون بالله تعالى، والأرحام، والذكر وعن يوم القيامة وعن النعيم وعن علم الساعة والجبال والروح وعن الحلال وعن المحيض واليتامى والانفاق وعن الخمر والميسر وعن الشهر الحرام والأهلة والمواقيت.

والقرآن العظيم وهو كلام رب العالمين الأساس أنه للأولى وليس للآخرة، وهذا هو الفرق بين الفهم العربي للقرآن العظيم والفهم غير العربي الصوفي والسلفي والشيعي، الذي أغرب بالقرآن وجعل فهمه من خلال التفاسير أعجمياً بكل معنى الكلمة.

والواقع أنه من أجل فهم القرآن العظيم فهماً حقيقياً صحيحاً ودقيقاً، يجب استبعاد ما سُميَّ بعلمي (الناسخ والمنسوخ) و (أسباب النزول) تلك الأمور التي اخترعها أو تصورها أو تخيلها المشتغلون بالتفسير التقليدي، إنهم لمّا لم يستطيعوا فهم بعض الألفاظ في القرآن العربي المُبين، أولاً توهموا نسخها؛ ثمَّ توهموا لها أسباباً محددة لنزولها؛ [1]

مثلاً عندما يسأل الإنسان نفسه أنَّ البناء، أيَّ بناء، ما الذي يُقَوِّمَهُ أو ما الذي يرفَعُهُ؟ فإنَّ من الطبيعي أن يصل بفكرهِ إلى وجود الأساسات من تحتهِ ! قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ

١ ـ لقد وردت لفظة (أفتنا) و(أفتوني) و(تستفتيان) و(فاْستفتهم) في القرآن الكريم عدة مرات وكانت الفتوى في جميع تلك الصيغ، بمعنى الجواب الشافي والمفيد عن السؤال الذي له علاقة بالأحكام، أو الشرع، أو ما هو على علاقة بعالم الغيب؛ أما الاستفتاء فيعني السؤال نفسه عن التشريع، أو مواضيع بعالم الغيب، مثل تعبير المنام، وفي المعجم: ليس الفتى بمعنى الشاب والحَدَث؛ إنما هو بمعنى الكامل الجَزْل من الرجال، وأفتاه في الأمر: أبانه له، ويقال: أفتيت فلاناً رؤيا رآها إذا عبرتها له، وفي الحديث أنّ قوماً تفاتوا إليه أي تحاكموا إليه وارتفعوا إليه بالفتيا وأفتيته في المسألة: إذا أجبته عنها، والفتيا تبيين المشكل من الأحكام، وأصله من الفتى وهو الشاب الحدث السن، الذي شبَّ وقويَ، فكأنه يُقوِّي ما أشكل ببيانه فيشبُّ ويصير فتياً قوياً (هل هو التجديد!) وأفتى المفتي إذا أحدث حكماً؛ وفي الحديث: الإثم ما حاك في صدرك وإن أفتاك الناس عنه وأفتوك، أي وإن جعلوا لك فيه رخصة وجوازاً، وعن الهروي: والتفاتي التخاصم، والفتيا، والفُتْوى، والفَتْوى، ما أفتى به الفقيه، الفتح في الفتوى لأهل المدينة، (والمفتي من المكاييل، أوهي اسمٌ للمكيال عند العرب).والله سبحانه وتعالى أعلم..راجع لسان العرب، مادة فتا، للعلامة ابن منظور، دار التراث العربي، بيروت

وَلۡيَتَلَطَّفۡ وَلَا يُشۡعِرَنَّ بِكُمۡ أَحَدًا ١٩ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ يَرۡجُمُوكُمۡ أَوۡ يُعِيدُوكُمۡ فِي مِلَّتِهِمۡ وَلَن تُفۡلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٢٠ ﴾ الكهف.

أما إذا بقي الإنسان منبهراً بلونه الجميل، وظلّ يُعْرِبُ عن اعجابه به وبشكله؛ فإذا بقي في هذه المرحلة قروناً، فلن يكون منتجاً ولا فاعلاً ولا مفيداً، إنه بالطبع سيكون قد خسر عمره دون تحقيق أي شيء، إنَّ طبيعة السؤال تحدد مستوى التفكير.

قال تعالى: ﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ ﴾: عن ماذا يتساءلون فيما بينهم؟ ما هي طبيعة الأسئلة التي يسألونها عادة فيما بينهم؟ إنهم دائماً مهتمون بالأنباء بمجرد الأنباء (فقط المعلومات والأخبار) عن الماضي والحاضر والمستقبل؛ دون أي وعي ولا فهم ولا ادراك؛ وفقط لمجرد التلبية ولمتعة ولذّة المعرفة،... حتى لو كانت غير مثمرة وغير مفيدة، ولا تعكس عليهم بالمحصّلة أية نتيجة إيجابية بناءة، ثمّ إنهم يكذبون بها وهم لا يؤمنون بالحق بل يعرضون عنه؛ ولذلك هم مختلفون حول تلك النتائج وتلك المعلومات، لأنها غير حقيقيّة ولم تكن تهدف إلى الحق بالأساس[1].

والخطاب هُنا يتحدث عن الناس جميعاً، في جميع العصور، فهم ولا شك يتساءلون باستمرار، فالأسئلة مفاتيح العقل والفكر ومن خلالها يلج الإنسان إلى الحق، لذلك هي مشروعة وواجبة ولكن ما هي طبيعة أسئلتهم؟ ويلفت القرآن العظيم أنظار الناس جميعاً إلى ضرورة أن تكون أسئلتهم، الأسئلة الهامة والمنتجة وذات الجدوى، وإلى الطريقة الصحيحة في لسؤال الصحيح والمنتج والمفيد، وليس الأسئلة غير المنتجة وغير المفيدة والتي لا تقدم للإنسان شيئاً على الإطلاق!

---

١ ـ إن المقدمات الصحيحة توصل دائما إلى نتيجة واحدة صحيحة، ويلتقي عليها الأخيار، بينما المقدمات الخطأ توصل دائما إلى نتائج عديدة وكلها خطأ ويختلف عليها المتخلفون! فالسفينة التي تفقد الاتجاه الصحيح تصبح جميع الاتجاهات بالنسبة لها خطأ؛ والواقع يؤكد أن العبقرية كلها تتجلى عند صناعة أو بولادة السؤال المنطقي والصحيح، وفي المبادرة إلى طرح السؤال الأساسي للمشكلة، وبعد ذلك فإن الجواب سيأتي في جميع الحالات؛

قال تعالى:﴿ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ﴾ـ: وهل هم يتساءلون عن نبإٍ مهم وعظيم؟ أم أنهم يضيعون أوقاتهم وأعمارهم في أسئلة ليس لها أية نتيجة أو فائدة مرجوة! ويوجّهُنا رب العزةِ إلى النبأِ العظيم الذي يجب أن نسأل عنه ويكون محور اهتمام الناس دائماً؛ لكنَّ أعظم نباءٍ يهم الإنسان على الإطلاق هو النبأُ الذي يُنبئ عن الحق وعما سيؤول إليه الأمر في المستقبل، أمره في النهاية ... يوم الفصل، وهل هو ذاهبٌ إلى الجحيم أم إلى النعيم؟

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ ﴾: الناس يختلفون عادةً في ما يجهلونه وفي ما لا يعلمون عنه شيئاً، لأنهم ضيّعوه وأهملوه ونسوه، وسبق أن تولوا عنه، في حين أنهم كان من المفروض أن يهتموا به ويحافظوا عليه ويعتنون بالتنبؤ عنه في كل حين.

قال تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ﴾ـ: ولكنهم بعد الزجر والتقريع سيعلمون عنه كل شيء، أولاً في الحياة الدنيا عندما يتقدمون بالعلم والوعي، ويتعرضون للتجارب والظروف والمشاهد والفتن والمحن. فالكبير ليس كالصغير، والعالم ليس كالجاهل.

قال تعالى:﴿ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥ ﴾ـ: ثمَّ أنهم حتماً سيعلمون في الآخرة يوم القيامة، كلَّ العلم، بل العلم الأكيد واليقين، وسيرونه عياناً وسيؤمنون به الحق المبين، ولكن بعد فوات الأوان، حيث لا عمل بل حساب.

قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ ﴾ـ: إنها دعوة مهمة للأسئلة المهمة؛ والطريقة الصحيحة للولوج إلى كبد الحقيقة، أو إلى جواهر الأمور، وحتى نُدرك أهمية هذا الخطاب علينا تصور حال عدم صلاحيّة الأرض للحياة، تُرى كيف ستكون الحياة؟ إذاً ما معنى أنَّ ربَّنا قد جعل الأرض مهاداً؟ السؤال الآخر الذي يطرح نفسه على الإنسان العاقل، هو أنَّهُ لو كانت الأرض غير مهيأة أي غير ممّهدةً بالأساس لحياة الإنسان! فكيف نتوقع أنَّ تسير الأمور بالإنسان؟ هل سيكون هنالك مجتمع بشري وحضارة يعتدّ بها؟ هل سيكون له فكر وعقل وفهم ومنطق؟ أم أن الإنسان سيكون على سطح الأرض ـ في ذلك الوضع ـ في أفضل التصورات أو الحالات، مثله في حياته مثل الكلاب والقطط، مثلاً، فلو لم يكن هنالك ماءٌ عزب، أو لو كانت كمية الأكسجين، نسبتها في الهواء أقل أو أكثر من وضعها الطبيعي، أو لو

لم يكن هنالك اغنام وأبقار وجمال وماعز (التي خلقت أساساً خصيصاً للإنسان)، لو كانت الحيوانات فقط وحوش وكلاب وقطط، لو لم يكن هنالك في الأرض حيوانات عاشبة وخضار وفواكه، تُرى كيف ستسير أمور بالإنسان في هذه الحياة ؟ فتبارك الله أحسن الخالقين.[١]

---

١ ـ ويبقى السؤال الأساسي هو كيف؟ ولماذا؟ وما هي الحقيقة ؟ ومتى؟ وأين؟ وكم هو الحجم؟ وكم هو العدد؟ وكم هو الوزن؟ وما هو النوع؟ ومن ماذا يتألف؟ وما هي المواد الداخلة في تركيبه؟ وما هي علاقاته بالمواد الأخرى؟ ومن أين أتى؟ وإلى أين سيذهب؟ وأين هو الآن؟ ما هي الاحتمالات الواردة والمحتملة تحقيقها؟ وإنَّ هذه الأسئلة وغيرها والعمل الدؤوب على محاولة إيجاد الإجابة الصحيحة والصريحة لها هي سمة الفكر الحقيقي والأساسي الذي يجب تكوينه لدى كل طفلٍ عربي يافع سيُنشأ تنشئة سالمة فكرياً.

إن عملية التهيئة والإعداد الفكرية والانتقاء والاختيار والقيام بالأنشطة الفعَّالة لتحقيق الأهداف النظرية والعملية المنشودة مهمة، ويجب أن تكون الجهود الفكرية الخلاقة مستمرة ومتطورة لتحقيقها، ليتراجع من خلالها الضعيف عديم القدرة، وليتقدم فيها القوي الجريء والجدير بالموقف واتخاذ القرار، إذ لم يعد من المفيد بقاء القديم المهترئ إذا كان يسدُّ على الناس طريقهم ويمنعهم من تحقيق الأهداف! فالفكر الصحيح هو الفكر الحق، وهو الذي بالنتيجة سيقبل به أو ستقبل به الأكثرية الساحقة عندما تكون واعية، لكنهم سيستجيبون للمبادئ والمبادرات الودية؛

لذلك يجب ألا ينتظر (المفكر الحق) من الآخرين أن يبادروا بل عليه بذل الجهود الإيجابية والبناءة لإيصال فكرته الجديدة لأولئك الناس مهما كانوا بعيدين، وقبول الردود والأفكار المرتجعة من المجتمع والإفادة منها، فالمفكر لا ينظر إلى نفسه على أنه وحيداً أو معزولاً أو مختلفاً عن الآخرين! ولا يُشغل باله أكثر مما ينبغي بانطباع العامة من الناس لأنهم متحولون مع مصالحهم وهذا شيء طبيعي، إن المفكر الحقيقي ليس مهووساً بإرضاء كل الناس (الجمهور).

إن المفكر الحق لا يغضب ولا يكتئب، إذا بدا له أنَّ الآخرين ليسوا على مستوى فرضيته، وهو لا يحاول احتكار الرأي وفرضه عليهم، إنه يفترض على الدوام أن الآخرين مشدودين إلى ظروفهم ومستهلكين وتستغرقهم أعمالهم الخاصّة، ومع ذلك فإنَّ المفكر الفذ هو الذي يبدي للآخرين قمة الاحترام، فاختلاف الرأي شيء إيجابي يجب أن يُستثمر؛ وهو لا يستلزم العداوة أبداً وأصحاب هذه العقليّة فقراء لا يملكون الوسائل والأدوات العلمية والعقلية في التفكير، ومن الثابت أن التعرف على الآخر

قال تعالى:﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ ﴾_: لو لم يكن للجبال ارتفاعها وحجمها الكبير وكثافتها ووزنها الثقلي على الأرض، تُرى كيف سيكون الوضع مع استمرار الزلازل والبراكين من تحتنا؟ وهل يوجد في الجبال في أعاليها ينابع للماء الزلال الصافي؟ تُرى لو كانت الجبال من مواد أخرى فماذا سيحصل إذاً وما معنى الجبال أوتاداً؟ وما هي أهمية ذلك بالنسبة لحياتنا؟ والأوتاد الثوابت والمثبتات.

قال تعالى:﴿ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ ﴾_: لقد خلقنا الله تعالى وخلق بيننا علاقات، وقد جعلها أساسيّة، وأزواجاً تعني أنواعاً متشابهين يتجمعون في روابط فطريّة ثنائية وغير ثنائيّة، في وحدات في الأسرة والعائلة والعشيرة والقبيلة والشعب والأمة والوطن والعالم، في المعاهد والمدارس والأسواق، والقرى والمدن، روابط اجتماعيّة إنسانية ترقى بالإنسان عن مرتبة البهائم والحيوانات، وهي لا تعني فقط أنثى وذكر؛ بل هي أصناف وفئات وزُمَراً وأمماً وشعوباً وقبائلاً، وألسناً وألواناً متعارفين ومتفاهمين، ومتوائمين متكاملين ومتعاونين وبينهم إتمام، وإلا فستصبح حياة الناس فعلاً مثل حياة الكلاب والقطط؛ أو المرضى المتوحدين. وحتى نفهم أهمية ذلك علينا تصور العكس![1]

ومحاورته ضرورة وفيه نقلٌ من كونه بالنسبة لنا مجهولاً إلى كونه معلوماًن وهذا شيء مهم لقوتنا وينفي خوفنا، كذلك فإن اختلاف الآراء حالة ايجابية ضرورية ومفيدة إذا وضعت في أطرها المناسبة، ضمن ما يُسمى قواعد اللعبة الحوارية في المجتمع لتكون من آدابه وداخلةً في صميم سياقه التكويني، ويشعر الإنسان في أعماق نفسه بالعجز عن استيعاب المتغيرات الجديدة إذا كان يعاني من القصور الذاتي وعدم الاطلاع على التراث الفكري والفكر الحديث، ولكن الناس إذا وفرنا لهم فرصة الكلام فإنهم سيكونون راغبين فعلاً في رفقتنا والإصغاء لما نقوله.

١ ـ لأنّ طرح السؤال بشكلٍ خاطئ يوصل دائماً إلى نتائج كثيرة خاطئة، وأن طرح السؤال بشكلٍ صحيح يؤدي دائماً إلى نتيجة واحدة صحيحة، وأنّ الفكر النيِّر هو الخير العميم وأن العِلمَ فيه مفاتيح الحرية، وتاريخ العلم الحقيقي الإبداعي يعلمنا أن جميع الباحثين الحقيقيين أصحاب النظريات الخلاقة، كانوا وإبان طرحهم لأفكارهم قد تعرضوا للكثير من النقد والرفض ولربما تعرضوا للسب والشتم والاعتداء وأكثرهم ماتوا فقراء معدمين منبوذين من مجتمعاتهم)(١) إنَّ المدخل الحقيقي للعلم

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ ﴾: والسبات في النوم يعني النوم العميق، والراحة الكاملة والتامة للأبدان والعقول والأنفس، والانقطاع التام عن الحركة في البدن، تخيلوا لو لم يكن هنالك نوم عميق لدى الإنسان، مثلاً لو كان الإنسان مثل بعض الطيور أو الحشرات أو الحيوانات، التي لا تنام أو ليس لديها سُبات في النوم؛ أي ليس فيه سكينة وليس فيه غياب مؤقت عن الواقع؛ تُرى كيف سيكون الوضع؟ وكيف سيكون الإنسان مدنيّاً أو حضارياً وهل سيكون عاقلاً ومفكراً أو أديباً أو شاعراً أو فيلسوفاً ؟ والنوم يشبه الموت بل هو أحد الموتين وفي انقطاع عن النشاط. والسبت في العربية القديمة هو القطع أو التمدد.

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾: وكذلك جعل الله تعالى الليلَ غطاءً يسربل الجميع ويُخفيهم ويخفي ما حولهم، فلو لم يكن الليل غطاءً بعد النهار، فكيف سيكون الواضع؟ تُرى ماذا وكيف وهل سيكون مناسباً فعلاً لحياة الإنسان الصحيحة؟ ولماذا لم تنشأ الحضارة البشرية في القطب الشمالي أو في الجنوبي، حيث الليل الطويل والنهار الطويل أيضاً؟

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾: وكذلك لنفهم معنى أن يكون النهار معاشاً؛ علينا أن نتصور النهار في حالٍ غير مناسبةٍ للمعاش! كأن يكون دائماً حار جداً، أو بارد جداً، أي غير مناسب للحياة. تُرى كيف ستكون الحياة ؟[١]

يتجلى في (النباهة) وسرعة البديهة وحسن التصرف والأدب الجم والذكاء الحاد والقدرة على الربط بين المعلومات الصحيحة والاستنتاجات الموائمة والخروج بالنتائج المفيدة للناس، فالعلم بجوهره جاهزية فكرية وعملٌ مضني ومستمر، وليس العلم مجرد ذاكرة تستوعب أو تجمع المعلومات، والعالم ليس مجرد فأرٍ في المكتبات

١ ـ في هذا الوقت بالذات (وقت تفاقم المشكلات والأزمات العالمية المستعصية) ومن أجل البحث عن حلول لمسائله المزمنة والمعقدة، يعود العالم بكل جدٍّ واتزان وإخلاص إلى دراسة العقل وآليات عمله، متوغلين في العلوم التي تجمع بين الفكر المجرد والمعرفة المحسوسة، وبين ألق الحلم الإنساني وتوهج العاطفة، إنه يعود لاكتشاف القوانين والعمليات الأساسية التي تتحكم بالحياة الفردية والاجتماعية، وبعبارة أخرى إن العالم يتنبه، والسؤال الأهم في هذه المرحلة هو ماهي الدوافع الحقيقية والأساسية (الظاهرة والباطنية) التي تحرِّض الإنسان وتدفعه إلى انجاز الأعمال العظيمة في الفن والعلم والحياة العملية أي في

قال تعالى:﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ـ: وسبعاً شداداً هي العوالم الأخرى، إنها عوالم مغلقة وليست مفتوحة، فنحن نعيش في عالم الدنيا، وهنالك عوالم أخرى محجوبةٌ عنا، مع أنَّ هذه العوالم ستفتح على عالمنا أو أن عالمنا سيفتح عليها يوم القيامة، لكنها الآن قد ترانا إلا أنها لا يمكنها الدخول إلى عالمنا... وإلا لكانت هنالك استحالة في حياتنا! فتصوروا لو أن تلك العوالم تستطيع الدخول إلى عالمنا؛ تُرى ماذا سيحصل... مثلاً الجان والملائكة والذين ماتوا والذين لم يولدوا بعد؛ وغيرهم لا نعلمهم الله تعالى يعلمهم، تُرى كيف يمكن لنا أن نعيش وسط كل ذلك المزيج من العوالم المختلطة؟ وكيف ستكون الحضارة والبناء؟ فهل عرفتم أيها السادة ما معنى سبعاً شداداً؟[1]

الابتكار والتقدم، وتأثير الأمل والمكونات العديدة والتجارب والأحداث التي نتعرض لها وأثرها على نمط التفكير، ثمَّ كيف يتشكل لدى الناس ما صار يدعى (الرأي العام) أو (الايديولوجيا الجمعية) أو العقائد أو المشاعر المشتركة؟

لقد صار من المؤكد الآن أنَّ ما عُرف بعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي، ما هي إلا تجليات الفعاليات الداخلية للمعاني أو الصور العقلية – الفكرية، والتي لا تتوقف عن التدفق عند كل إنسان، وبالتالي فإن الحلم لدى الإنسان وهو برج الأفكار الجديدة، إنْ كان دافعاً لمسعى وإيجابياً فحيا هلا، وعلى الإنسان أن يبذل لتحقيقه قصارى جهده، عليه أن يسعى بوعي متنامي لتحقيق حُلُمِهِ وتجسيد أفكاره النبيلة في الحياة بحماسة وتألق.

١ ـ (وعلينا أن نفهم أن (الوقت) بحد ذاته حيادي؛ وليس في جانب أي طرفٍ من الأطراف، ولا هو خصمٌ في أي صراع؛ وهو مفتوحٌ على جميع الاحتمالات، وقابلٌ لكافة التطورات، إن السؤال الذي يجب أن نثيره ليس لمن يعمل الوقت ولمن يقدم مزايا؟.. وإنما كيف يُستَغَل ويُستخدم خير استخدام، وكيف يمكن تعبئة الوقت بما يكفل تعظيم مصادر قوتنا، وتقليل مظاهر ضعفنا، وبذلك نكون قد وضعنا أنفسنا على الطريق السليم وبذلك يصبح باب المستقبل مفتوحاً أمامنا على مصراعيه لنتقدم).

قال تعالى: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ﴾ الرحمن.

قال تعالى:﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ ـ: والجعل في جميع المواضع بمعنى الانشاء التكويني والابداع والتقدير والتسوية، والسراج القنديل المُسْرَج والوهَّاج المُتقد دائماً والمُرسِل للضوء والحرارة، تخيَّلوا أيها السادة عَدَمَ وجود الشمس باعثةً للأشعة ومولِّدَةً للحرارة والضوء على الأرض، لو لم تكن موجودةً أساساً، تُرى ماذا كان سيحصل؟ فهل ستكون هنالك حياة أساساً؟ وهل سيستمر أحدٌ من الأحياء حيّاً ؟

قال تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ ـ: السحاب تعتصر بالمطر، وثجَّ الماء أي سال بكثرة، والماء العزب الهابط من السماء من الغيوم، لو لم تكن هنالك ظاهرة التبخُّر، وآلية تشكل الغيوم وتوزعها واندفاعها بالتيارات الهوائية إلى كل البقاع في العالم، وتوزعها في كل الأماكن على سطح الأرض، تُرى كيف سيكون وضع البشر والحياة عموماً؟ وهل ستكون مناسبة لحياة الإنسان؟

قال تعالى:﴿ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ ـ: والحبوب والنباتات بأنواعها، لو لم تخرج لنا من الأرض، لو بقيت تحت في التراب، لو لم يأتي الماء العزب بمشيئة الله تعالى ويخرج لنا الزروع من الأرض تُرى كيف كانت ستكون الحياة هل ستكون مناسبة للإنسان أم لا؟

قال تعالى:﴿ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ ـ: ألفافاً جم الجمع للجنات الخضراء الملتفة الأغصان، تخيلوا فرضاً عدم وجود الغابات والمزارع والبساتين على سطح الأرض، تخيلوا لو أنها انعدمت واضمحلّت تُرى ماذا سيحل بالحياة البشرية والحيوانيّة عموماً، أليس الله تعالى هو أحكم الحاكمين؟

قال تعالى:﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ ـ: فيوم الفصل كان موعداً معلوماً لله تعالى ومحدداً وثابتاً، للأولين والآخرين، لا يتقدم ولا يتأخر، إنَّ الإنسان العاقل يدرك، أو يجب أن يدرك أنَّ كل ذلك لم يكن صدفةً ولا هو اعتباطياً، بل هادفاً، وله غاية يسعى إليها سعيه الحثيث، إنَّ الأمور تجري باتجاه يوم الفصل، اليوم الذي ستعقد فيه المحكمة للفصل بين الحق المبين الواضح وبين الباطل، بين الخير والشر، بين الصح والخطأ، بين الجمال الحقيقي والقبح، إنه اليوم الذي سينصف فيه المظلوم من الظالم، ووقتها وسيعلم الجميع أنَّ اليوم الحق كان مرسوماً ومحدداً في علم الله تعالى بقوة ولم يكن متروكاً أبداً. وهذا من النبأ .

قال تعالى:﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ ـ: في ذلك اليوم سيُنفخُ من روح الله تعالى في الصُّوَر، و(الصُورِ) جمع الجمع للصُوَرِ، أي في الأنفس الميّتة، التي سوف تعود إلى الحياة بقدرة الله تعالى، وذلك هو الوعد الحق، وسوف تُحاسب ولن يكون لها شفيع إلا العمل فمن عَمِلَ مثقال ذرّةٍ خيراً يره ومن عمل مثقال ذرة شرّاً يره، وتأتون أفواجاً أي في مجاميع متجانسة أعمالاً، وفي خانات وزمر متشابهة. وهذا من النبأ أيضاً.

قال تعالى:﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ ـ: ففي حين كانت السماوات، أي العوالم الأخرى، أثناء الحياة الدنيا مُغلقة ومقفلة (سبعاً شداداً) وكانت لا يمكن أن تُفتح على عالمنا أبداً، قال تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الرحمن، لكنها في الآخرة سوف تنفتح جميع العوالم أي جميع السماوات على بعضها البعض.

قال تعالى:﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ـ: وفي حين كانت الجبال في الحياة الدنيا أوتاداً ...إلا أنها في الآخرة ستتحول وكل شيء سيتغير،

قال تعالى:﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ ـ: الراصد عادةً يرصد العدو؛ والرصد التَرَقُّب، والمرصاد تعبيراً عن أن فيه منتهى الشدة والحزم، أي أن جهنم بنفسها متطلعة لمن

يأتي إليها من الكفّار، وهي ستكون بانتظارهم، لاستقبال من كذبوا بآيات الله العظيمة استقبالاً يليق بهم! بكل تلك الآيات التي سبق وأن أنعم الله بها على الناس في الحياة.

قال تعالى:﴿ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ ـ: وهي تحديداً للطغاة المتكبرين والعتاة ستكون موئلاً ومرجعاً ليس لهم غيره، قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ القارعة. قال تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾ ﴾ المسد.

قال تعالى:﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ ـ: فيها لأصحاب الكبائر المعاندين، أي ماكثين في النار عصوراً طوالاً لا تنقطع .

قال تعالى:﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ ـ: وهذا في مقابل أنهم كانوا في الحياة الدنيا يتنعمون بما أنزل الله تعالى من المعصرات ماءاً ثجاجاً، وكفرهم بالله الخالق والجاعل، وإنكارهم للحق المبين والآيات وإعراضهم عنها، فليس لهم فيها برداً ينفعهم من حرّها ولا شراباً ينفعهم من عطشها إلا حميماً وهي الحمم وكتل النار، وغساقاً كناية عن الراحة والنوم فليس لهم فيها ريحٌ باردة ترويهم ولا راحةً ولا نوم. وهذا الجزاء توافق أعمالهم البشعة وظلمهم الذي سبق وأن مارسوه في الدنيا وهم لم يكونوا ليرعووا أبداً.

قال تعالى: ﴿ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ـ: ولما كان الجزاء من جنس العمل، ففي الآخرة سيكون لهم الحميم الغساق، النار الشديدة، أو شراباً يحرق الجوف ويسبب الغصّة، جزاءً وفاقاً.

قال تعالى:﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ـ: الجزاء من جنس العمل

قال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ ـ: إنهم كانوا لا يريدون ثواب الحساب، لأنهم لم يؤمنوا بالبعث أساساً، فلم يقدموا أعمالاً صالحةً على لإطلاق، ولا

قاموا بالإحسان، بل عاثوا في الأرض فساداً، ولذلك كان جزاؤهم العذاب وقد استحقوا بئس المصير.

قال تعالى:﴿ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ـ: كذباً شديداً ! أي أنهم بالغوا بالكذب وقد بهتوا الآيات البينات، وتمنعوا عن الإيمان بالله واليوم الآخر، وأعرضوا عن الحق، وكان وليهم الشيطان، لذلك فالويل لهم.

قال تعالى:﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ـ: ولكننا أحصينا مواقفهم وأعمالهم تلك في كتاب، وهو أبعد ما يكون عن النسيان، فهو مسجل في مكان لا يُمحى أبداً ولذلك فلا بدَّ من الحساب على كل صغيرة وكبيرة، قال تعالى: ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ طه.

قال تعالى:﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ـ: وبسبب تكذيبهم للآيات الواضحة والبيّنة، وبسبب إعراضهم عن الحق، وبسبب قبائح أفعالهم، فإنَّ جزاؤهم سيكون مكرساً من جنس أعمالهم التي سبق وتعمدوها من الطغيان والتكبر، لذلك فسيكون من الزيادة في عذابهم أيضاً أنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها؛ وكلما خبت النار زادهم الله تعالى سعيراً، وهكذا سيستمر عذابهم.

قال تعالى:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ ـ: والمفاز مصدر بمعنى الفوز والظفر بالنعمة، والنجاة من النار، وتعني النجاة، وتعني الفُرَجَ، وهي جمعُ الجموع أو الجمع الكثير للفَرَج، أي الفسحات والفضاءات وفرص النجاة من الضيق .

قال تعالى:﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ـ: وتلك الفرجات الكثيرة عبارة عن حدائق مثمرة ثماراً متدلية ، تكون في متناول المتقين المؤمنين.

قال تعالى:﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ـ: (الأتراب) الأساس أن اللفظ مأخوذٌ من التربة: وهي تعني الطيبة والألفة والمودّة التي تسود علاقة المتجايّلين من الأشخاص، المواكبين والمعتادين على بعضهم البعض؛ والذين هم من سنٍّ واحدة، يَهْنَؤونَ ويرتاحون مع بعضهم البعض، والأَتْرابُ هُنا الأَمْثالُ، الكَعْبُ والكَعْبةُ الذي يُلْعَبُ به، وجمْعُ الكَعْبِ كِعابٌ، وقولهم واللهّ لا يَزالُ كَعْبُكِ عالياً، هو دُعاء لها بالشَّرَف والعُلُوِّ. المعجم

قال تعالى:﴿ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ ـ: الكأس أداة الشرب النظيفة الشفافة، ودِهَاقَاً: دفَّاقاً أي لا ينقطع ولا ينتهي ما فيه من الشراب، من تنوعٍ في الطعم، ولكن بشكلٍ هني مستساغ دائماً ومرغوب.

قال تعالى:﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ ـ: و(فيها) الضمير هنا عائدٌ على (مفازاً) وبالتالي على (الحدائق) يعني الجنان التي تحتوي على الأعناب المتدلية الثمار، والتي لن يكون فيها (لغواً) واللغو يعني كلام غير حق، مما في هذه الدنيا؛ من كذبٍ ومن مخالفات مزعجةٍ .

قال تعالى:﴿ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ ـ: وهذا الجزاءُ جزاءٌ من ربك وليس من أي جهةٍ أخرى، إذ لو كان من أية جهةٍ أخرى فسيكون محدوداً حتماً، ولكنه من الله تعالى لذلك فهو عطاءً حساباً ... أي مطلقاً مفتوحاً لا نهاية له، وهو تقديراً من رب العالمين لعباده الصالحين، والله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمنين، على الحسنة عشرة أمثالها، قال تعالى:﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ الزمر.

قال تعالى:﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ ـ:

قال تعالى:﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ـ: فيوم القيامة؛ ستنتهي مهمة جميع الملائكة المكلفين بالأعمال، في هذا

الكون الواسع، الشمس وشروقها والقمر ولياليه، والرياح والنبات، والبحار والأنهار وغيرها وستنتهي آثارهم جميعاً، جميع آثارهم على الأرض وعلى ما عليها من الأحياء؛ وسوف يصطفون (الملائكة) جانباً خاشعين لأمر الله تعالى، لا يعملون أي شيء، والكون كله في تلك الفترة يُدار مباشرةً بأمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الزمر، وفي هذه الآية الكريمة قوله تعالى: (يوم يقوم الروح) أي حين يُدار ويُفعَّل الأمر في الكون كله مباشرة بأمر الله تعالى وليس عن طريق الملائكة، فأمرُ الله تعالى سيقوم يوم القيامة دون الملائكة وبعد الاستغناء عن الملائكة، وهذا تأكيدٌ من الله تعالى على أنَّ الملائكة مجرد مخلوقات، من مخلوقاتٍ كثيرة خلقها الله تعالى في هذا الكون الواسع، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ " وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " ﴿٥٠﴾ ﴾، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ " وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ " ﴿٦﴾ ﴾ التحريم.

إذاً ستجمع الشمس والقمر (الآية)) إذاً يومها الكون سيُدار مباشرة بأمر الله تعالى بينما الملائكة تصطف إحلالاً لأمر الله تعالى.

قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ ـ: ولذلك فإنَّ الله سبحانه وتعالى يُنْبِئُنَا بأنَّ ذلك اليوم هو اليوم الحق، أي الثابت وقوعه، والذي سينال كل إنسانٍ حقه تماماً، والخالي تماماً من الزيف ومن الباطل ومن الادعاء ومن الخلط، وأبداً لن يكون فيه شيئاً غير الحق أو غير حقيقي. والمآب المرجع الحتمي. و(لفظ من شاء) أ] أنَّ الأمر فيه للناس خيار، كلٌ منهم سبق واختار بنفسه طريقه وحدد مساره.

قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنذَرۡنَـٰكُمۡ عَذَابًا قَرِيبًا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَـٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ﴿٤٠﴾ ﴾ : وأنَّ هذا الإنذار عن العذاب، لا يتحدث عن أشياء بعيدة وغير قريبة أو غير محتملة، فهو قريب جداً وليس ببعيد كما يتخيلونه، بل هو عن شيء محتمل وقريب جداً، ولا يُحس بقربه وبأهميته إلا ذوي الاحساس المرهف والإدراك السليم، العقلاء والمفكرون العلماء، فيومها سيُدرك الإنسان أن أعماله ومواقفه النبيلة والاحسان والصالحات فقط هي التي سوف تنجيه، أما الكافر الجبار والمتكبر من الناس فسوف يلقى غيّة والويل له وبئس المهاد) سورة النبأ

حول طبيعة الأسئلة وأنواعها وأهميتها، ودورها الخطير (من حيث الأسلوب وما يترتب عليها من نتائج؛) في بناء المنظومة العقلية والفكريّة لدى الإنسان الذي يُراد له التفكير، أو العكس! وهنالك أسئلةً للفقراء وأسئلةً للمحتاجين وأسئلةً للجهلاء وأسئلةً للعلماء واسئلةً للأذكياء، وأسئلةً مثل الأدعية من الأدنى للأعلى ... وأسئلةً مثل الأوامر من الأعلى للأدنى!

فمن المعلوم أنهم وفي ما يسمى (علم البلاغة) قد قسَّموا أدوات السؤال إلى أسماء وأحرف[١٩٢] وهي جميعها للاستفهام والاستعلام، وتنمُّ عن مبهمٍ يُستعلم، وبعضها يفيد ظرفية الزمان الماضي أو المستقبل، والمكان القريب أو البعيد أو إحدى الجهات الست، وبعضها شرطي نكرة أو معرفة موصوف، وبعضها يُفيد تعيين الأشياء، والتعجب أو الإنكار أو التوبيخ أو الاستغناء وبعضها مُعْرَب وبعضها غير مُعْرب، بينما (كم) للعدد، وظاهرياً سواءٌ أكانت (الأسئلة) تسأل عن الإنسان العاقل، أم عن غير العاقل، من الحيوانات أو النبات أو الجماد، أو عن الأعمال أو الأحداث، فهي بطبيعتها أي (الأسئلة)، دائماً تكون عن حقيقة الأشياء أو الصفات أو الأحوال، ولكنَّها تربوياً فإنها حصراً توجَّه

(١٩٢) وهي (ما، من، متى، أين، أيان، أيانا، أنى، وكيف، وأيَّ، وماذا، ولماذا، وكم، ومن ذا، وهل، والهمزة)

للعقلاء، وتهدف للتعقل والتفكر؛ وغير العقلاء يُدفعون دفعاً، وأساساً لا يتلقون الأسئلة؛ وأساساً هم ليسوا معنيين بالسؤال!

وسواءٌ أطرح الإنسان على نفسه (الأسئلة) أو طرحها عليه الآخرون، فإنَّ من الأسئلة ما يكون الأدوات التي تُفتِّح العقلَ وتدفع إلى التفكير؛ وهي بطبيعتها أنواع وفي مجالات، منها ما هو هادف يستوجب الغوص في عميق العميق من الوعي والانتباه والعلم بالشيء والحدث وتشديد الانتباه إليه، ومنها ما يُراد منه فائدة السائل المستعلم؛ ومنها ما يُراد به فائدة المسؤول؛ وإشعاره وتنبيهه وتعليمه وتثقيفه وتنمية قدراته ونهضته وتقدمه ورفع مستواه، عن طريق السؤال، لتؤدي عقلياً إلى المقارنة أو إلى البيّاِن أو السبر أو التجربة والاختبار، أو تدفع إلى التمرين والمران والتهيؤ، ومنها ما هو للتسلية وإضاعة الوقت؛

ومعلومٌ أن السؤال أهم بكثير من الجواب! وأنَّ الإدراك أهم وأخطر مراحل السؤال؛ وأن القاعدة الذهبية – في هذا المجال – تقول أعرف وأدرك نفسك وأعرف وأدرك الآخر؛ وبالتالي وبناءً عليه يتم تحديد صيغة السؤال ما إذا كان شكوى وتوسل، أو أمراً وطلباً للتنفيذ، والفرق بينهما كبير.

(فالطلب) فيه تحديدٌ واضح للموضوع، ولطبيعة المشكلة وإرادةٌ ورغبةٌ في العمل على حلها، وهو بطبيعته ايجابي ويُقدم في الوقت المناسب ويتحين الفرصة المناسبة للإنجاز، وغالباً ما يكون متجهاً من الأعلى إلى الأدنى أو بين طرفين متساويين؛ بينما (الشكوى) تُقَدَّمُ وتتجه من الأدنى إلى الأعلى، في أي وقت وبغض النظر عن المناسبة؛ لأنها في الغالب ناتجة عن وجود ضرر أو ألم تستوجب العمل فوراً على إشعار الآخرين بوجوده، وطبيعتها سلبية، فالشكوى عند الأحرار لغير الله مذلّة، وهي عادة ما تخرج من الضعيف إلى القوي.

ويكون الدعاء والنداء والطلب "هذا الأمر تعيينه" يتحدد من خلال الظروف المرافقة، أو من طبيعة السؤال (بناءً على الأداة المستعملة)، والإنسان الحضاري يعلم تمام

العلم أن إحقاق الحق وتحقيق الأهداف والتواصل النتائج المرجوة، لا يتم من خلال تسجيل النقاط على الآخرين، بل بتحويل الشكاوى إلى طلبات واضحة، وأنَّ المهم هو تحديد الأهداف والسير نحوها بثبات وثقة دون قلقٍ أو خوف.

إذ ليس الكم في هذه الحالة هو المهم وإنما الجودة، إنَّ بعض الرجال يشقُّ طريقه وسط الهزيمة وأثناء الشدائد والاندحار، إنه يخطو باتجاه تحقيق الانتصار مفعماً بالثقة، إنها عملية انبعاث بحق، والحرية الحقيقية ليست في ما تحاوله أنت لتتخلص من ما يعوق تقدمك، ولكنَّ المفهوم الحقيقي للحرية يكمن في أن تعمل وتبذل الجهدَ لكي تزيل العقبات من طريق الآخرين وتدعهم يمرون بسلام، لطالما أنهم لا ينوون إزالة شأفتك من الوجود! والواقع فإنَّ من الأسئلة ما هو أدوات للتحريض على التفكير والتعقُّل، أو تدفع العقل دفعاً إلى التفكير، وليست جميعها بنفس الدرجة من القوة، بل هي متفاوتة التأثير على الإنسان، ولكنَّ أهمها على الإطلاق ليست تلك العابرة السطحيّة أو السلبيّة، التي تسأل عن الظاهر، وتطلب منَّا البقاء على السطح سلبيين (الأسئلة التي تطرح في الاعلام في البرامج الترفيهيّة).

بل تلك التي تدفعنا إلى البحث والتقصي العلمي وتحرِّضنا عليه عن طريق قيادتنا إلى التحليل والتركيب وتسجيل الملاحظات والاستفادة منها، وجمع وتوظيف المعلومات، ثم الربط والتأليف والتكوين والولادة للجديد، أي الإبداع والتطوير والتحديث والابتكار والتقدم إلى الأمام وتحقيق النصر، فتؤدي إلى تحريك مفاهيمنا صعوداً في بناء العقل وبدء التفكير عندنا. وبعضها لا يُعد سؤالاً فكرياً، لأن البقاء أو المراوحة في المكان لا يُعدُ فكراً!

فقولك حلل وقارن وميز وما هي أهمية كذا، وماذا وجدت ولماذا وما هو رأيك وكيف يمكن عمل كذا؟ هو غير قولك كم ومتى وأين؟!

إنَّ في بعض الأسئلة مقدمات تجبر العقل على الولوج إلى محراب الفكر والغوص في بحره العميق! إن بعض الأسئلة توجه عادةّ للصغار، وبعض الأجوبة تعطى عادة للصغار

أيضاً؛ ولكنَّ أنواعاً من الأسئلة توجهُ عادة للكبار وأنواعاً من الأجوبة أيضاً تعطى وتوجه للكبار... وعلينا أن نحدد موقعنا ما إذا كنا من الصغار أم من الكبار...

إن لدى الأطفال ذوي الأحاسيس والمشاعر قدرات وإمكانيات هائلة على الفهم والاستيعاب أكثر بكثير مما نعتقد، فيما إذا تم لهم الإعداد والتدريب المناسبين خصوصاً في القضايا العلمية والفنية، ونحن بالواقع نجهل ما بإمكاننا فعله، وإنَّ بعض الأطفال أقدر على استيعاب النظريات العلمية واللغات وعلى فهم المسائل الرياضية والعديد من القضايا، فيما إذا قدمت لهم دون تعقيد.

إن من الضروري القيام بعمليات سبرٍ لمواهب الطلاب والتلاميذ في مختلف المراحل وبشكل دوريٍ وملاحظة ومراعات الميول والمواهب والاهتمامات لمساعدة الطلاب والتلاميذ على تلمس طريق تحقيق التوافق والنجاح، وذلك مع ربط علاقة الطفل بالأمة والوطن وتعميق انتمائه للمجموعة، وتوظيف كل التطلعات عند هذا الطفل نحو المثل والأخلاق والقيم النبيلة والسامية (كل ما يرقى بالإنسان ويُقوِّم ويرفع مستواه)، ليقوم بالأعمال الصالحات من أجل الأخرين، وليس من أجل مصلحته الخاصة، (قصة السوداني من هولندا).

إذ لا يمكن أن تكون مفكراً مبتكراً ومبدعاً وأنت منغمسٌ في الرذيلة، بينما يمكن تبادل الأفكار وإغنائها عن طريق الاطلاع، وعلى كل حال لا يمكن تحويل الأحمق إلى مفكر، والحقيقة أن الفكر الأوربي فإنه كفكر وخصوصاً في (مجال علم النفس) كان قد وصل إلى نتائج خاطئة وطرق مسدودة، لأنَّه اعتمد بالأساس على فرضيات واهمة فوصل إلى نتائج خاطئة، (ولما كانت الروح بالأساس هي الطاقة المحركة للجسم) فإنَّ الفكر الأوربي بسبب منهجه المادي البحت، فأغفل النفس الحقيقية كمكون أو كبعد حقيقي وثالث من مكونات الإنسان وأبعاده؛ فإنه بالإضافة إلى (الآلة) والتي هي الجسم، والروح والتي هي مجرد الطاقة المحركة للجسم؛ فإن هنالك (النفس) والتي هي الوديعة الأساسية،

إنه أي الفكر الأوربي وبسبب من ماديته البحتة لم ير النفس كمكون أو كبعد ثالث ولم يكن لديه القدرة على لحظها... فقد جعل النفس مكان الروح، وصار يتحدث عن (علم النفس) بينما هو يتكلم عن (علم الروح الطاقة المحركة) بصفتها (النفس)، ثمَّ افترض تماهياً بين النفس (الروح كطاقة) و(الجسم كآلة)؛ وحدد الدوافع المادية كمؤثرات محركة للنفس (الروح) والتي برأيه ستقف بطبيعة الحال وراء السلوك، وأهم هذه الدوافع كانت الجنسيّة أو (الليبيدو) وانطلق منها؛ كذلك فعل الفكر الأوربي في تصويره للعلاقة بين الإنسان والحيوان (نظرية دارون) عندما افترض وجود سلّم للتطور أو علاقة بدأت بالحيوان وانتهى بالإنسان؛ كان ذلك خطأً فادحاً بالفرض أدى إلى الوصول إلى نتيجة حتمية خاطئة، ذلك أن الفكر الأوربي كان قد رصد فعلاً تشابهاً كبيراً بين (القرد كحيوان) والإنسان، ولكن فاته (الفكر الأوربي عموماً) أن يلاحظ، بأنَّ وجود التشابه الشديد بين الإنسان وبعض الحيوانات لا يعني بالضرورة وجود علاقة مباشرة وسلم للتطور بينها، أو أن أحدها تطور عن الآخر بالضرورة، لكنه يشير إلى ويؤكد أن جميع المتشابهات في هذا العالم، كانت قد نتجت عن مصدرٍ واحد.

ذلك مثل اللغات المنتشرة في جميع أنحاء العالم، فإنَّ التشابه الشديد أو التطابق في بعض الأحيان بين مفرداتها؛ ليس بالضرورة أن يكون، أو أن يجعلنا نحاول وضعها في سلم واحد للتطور، لنقول بعد ذلك بالضرورة، أن واحدة قد أخذت عن الأخرى أو نتجت عنها، ولكن السبب الأساسي لتشابه تلك المفردات والأساليب بين مختلف لغات العالم هي الحقيقة التي تقول أن جميع اللغات في العالم كانت قد صدرت من مصدر واحد وأن المبدأ كان واحداً، وكذلك الناس جميع الناس في جميع أنحاء العالم، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لايَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢]، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٣].

وأخيراً فالمسؤول هو الذي يُسأل! وذلك لخبرته وتمكنه ومسؤوليته، وشهادته وعلمه ونتيجة التزامه به أساساً، وكونه الأعلى وعنده منطق.

والسائل محتاج وهو الطالب، والجواب فيه عطاء، إنَّ انقطاع الأنباء يعدم السؤال أو التساؤل، والسؤال يقتضي الإقبال على المسؤول،

التحريم

و(أل) هو حرفٌ يفتتح فيه الكلام، غايته التنبيه لأهمية الحديث وخطورته، وهي للسيادة أحياناً، البادئة (أل) تفيد تأكيد وجود (التحريم) وأنها قضيةُ حق، وأنَّ الخطاب فيها للجماعة وعن الجماعة، وأنها شاملةٌ وعامةٌ، وأنها تطال الجميع من المؤمنين في الماضي والحاضر والمستقبل، وهي(أل) موجودةٌ في مقدمة اللفظ لجعله لازمةً للذين يعقلون والذين يعلمون، مشتهراً ومعلوماً ومعرفةً وليس نكرةً؛ وأنه دائمٌ ومتكرر وأكيدٌ ، لا مجهولاً ولا عارضاً ولا مؤقتاً، التحريم هو: الحظر، والمنع نهائياً .

وتشير التاء إذا كانت في البداية إلى التالي والثاني للحال؛ وإلى ما بعد الأول أو ما بعد البداية؛ فإما تبدل وثورة وإما انخفاضٌ في الأوضاع أو نجاحٌ أو انعطافٌ أو مبادرة، وعند البعض قد تعني اجتذاب واجتماع الحركات مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم.

التنور: فوهة البركان وهو في جبال السراة في الحجاز، فهل فار أو تفجّرَ البركان بالماء عندما بدأ الطوفان في زمن سيدنا نوح عليه السلام؟ ولفظة ﴿ وَٱلتِّينِ ﴾ الواو للتقوية والتين يعني التمام والكمال لله ﷻ قال تعالى: ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ ﴾ [التين:١]، وفي سورة (الحاقة) نلاحظُ مثلاً في مفرداتها الأساسية أنّ الله ﷻ قد جعلها مؤنثةً فلماذا؟ قال تعالى: ﴿ ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ ﴾ [الحاقة:١] وإذا جردنا اللفظة من اللاحقة (التاء) المربوطة والألف المضافة المضفَّة فيكون الأساس: (الحق) كذلك في سورة (القارعة) إذا جردنا لفظة (القارعة) من اللاحقة (التاء المربوطة) فيكون الأساس (القارع) من (القرع) وهو الإنذار الشديد والله

تعالى أعلم، وكذلك فإن لفظة (الطاغيّة) وهي الصاعقة التي طغت فشملت بصعقتها كل المذنبين من ثمود وآثارهم وزادت ففاقت طغيانهم الذين كانوا قد أصروا عليه، وتعمدوا فلبثوا فيه لذلك كان من أبرز صفات تلك الصاعقة أنها كانت طاغيّة فلم تذر منهم ولا من آثارهم شيئاً أبداً أبداً والله أعلم، التاء اللاحقة من المؤكد أنَّ فيها سرٌ من الأسرار الذي علينا أن نعمل في التنقيب عنه وكشفه وهذا ما يساعد على الفهم الصحيح من مثل (هاروت) و(ماروت) و(طالوت) و(جالوت) و(بيروت) و(يبرود) و(داوود) والله أعلم، أما (التأويل): فيعني الكشف عما ستؤول إليه الأمور، نقول تأويل الأحلام وتأويل الأحاديث يعني تحليل الأخبار والمعلومات واستنتاج ما سيحصل في المستقبل وبالتالي فإنَّ التأويل لايعني التفسير أبداً، ولكنه يعني العلم أو التنبؤ بما ستكون عليه الأمور في المستقبل ولكن المؤمنون يقولون أن كل ما سيأتي فإنه من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧** ﴾ آل عمران، و(أنزل عليك الكتاب) يعني أفهمك الحق أنه من عند الله سبحانه وتعالى (أن الخلقَ والأحداثَ والأمورَ جميعُها الماضي والحاضر والمستقبل مردُها إلى الله وأنها كلهُا من الله ﷻ، ولكنَّ الذين يتبعون أهواءهم ويبتغون الفتنة يتبعون ما تشابه أي ما اختلط من الأمور والتي ليست من عند الله ﷻ، بل من عند أنفسهم؛ أما المؤمنون والذين هم على يقين، فإنَّ أحوالهم وطريقهم دائماً مع الله ﷻ، ويقولون أي يسلكون سلوكاً فحواه أنهم على يقين من أن كل ما سيأتي به المستقبل سيكون من الله.

وحرف (الحاء) هي حرفٌ حلقي يفيد الحركة والحيوية والحب والأمر بالمسير والإقلاع بالشيء والتدبير الرباني، وهو يدلُّ على الأمر الرباني كله لله سبحانه وتعالى بالعمل(والأمر يوم إذٍ لله) وقد تميزت بها لغة الضاد وغابت عن حناجر باقي الشعوب فلا يقدرون على نطقها واستعاضوا عنها بالهاء، و(الحمد لله) الحمد هنا مبتدأ مؤخر، أي الأمر

والتدبير كله في السماوات والأرض (عوالم الغيب والشهادة) الآن وفي كل آن، كله لله ﷻ، ولا يعزب عن أمره شيء أبداً ﷻ وهو الحكيم الخبير و﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝٥١ ﴾ [الحج:٢٢] الذين كانت لهم مجادلات وتعرضوا لآيات الله في تكذيبها، بينما الذين أوتوا العلم سيرون أن الحق من الله ﷻ وأنها تهدي على الصراط المستقيم صراط العزيز الحميد و(حبَّ) أمر الصحبة والملازمة المعنوية النفسية والروحية، و(الود) أمر يتعلق بالتعامل والممارسة والأخذ والعطاء و(حرف الحياء) يشير إلى ممارسات عناصر الطبيعة وأثارها وهو للقيام والاندفاع والنهوض والحمل والتحميل والحمولة والتحريك والتحديد بشكلٍ عام، وكل فعل حيوي حق، ومتحقق يعني (حاء) والله أعلم.

الحكم والحكيم، والمُحكم: الذي أحكمت آياته والحكيم المحكم ذاتياً؛ وإحكام السلاح إعداده إعداداً تاماً وتهيئته تهيئة مستمرة، وتحميله قدرةً ذاتيّة للوصول إلى الهدف المستهدف في كل حين، والقرآن الكريم كتابٌ أحكمت آياته: يعني أنَّ كل حرفٍ فيه وكل لفظٍ فيه هو هادفٌ إلى هدفٍ مستهدف، وليس فيه ألفاظٌ زائدة وليس فيه نقص وهو بالتالي لم يكن يحتاج إلى أي شكلٍ من أشكال التكميل، لا علم الناسخ والمنسوخ ولا علم أسباب النزول، ولا إلى من يُفسره! قال تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [هود:١] فهل كانت (الحجرات) في القرآن الكريم تعني الحجرات المحفورة في رؤوس الجبال؟و(الحمأ) المسنون: هل هي الخلطة القديمة التي تحتوي على أمر عظيم والله أعلم والفرق كبير بين لفظة (اليمين) ولفظة (القسم) ومعنى (الحلفان)! وبالتالي فهل هل يحتاج الله ﷻ لكي يُقْسِم (يحلف) لنا في القرآن الكريم ولمن تقسم (يحلف) رب العالمين؟ إذا كان القسم والحلف واليمين لا يكون إلا للضعيف أمام القوي والمتهم أمام القاضي! وغاب عن بالهم أن العرب في كلامهم تأتي بالتوكيد بأسلوب القسم، قال تعالى: ﴿ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ۝١٤ ﴾[الحاقة:١٤]، أي أجبرت بالقوة والجبروت وإرادة رب العالمين، أجبرت الأرضَ والجبال وصارتا خابتتين وفي مستوى واحد.

وبالتالي فإنَّ حرف (الحاء)[١٩٣] يدلُّ على الأمر الرباني كله أنه لله تعالى، (والأمر يوم إذٍ لله) وقد تميَّزت بها لغة العرب وغابت عن حناجر باقي الشعوب في العالم فلا يقدرون على النطق بها واستعاضوا عنها بالهاء، و(الحمد لله) هنا مبتدأ مؤخر أي أنَّ الأمر والتدبير كله في السماوات والأرض (عوالم الغيب وعالم الشهادة) الآن وفي كل آن أنه كله لله تعالى ولا يعزب عن أمره شيء في الأرض ولا في السماء أبداً ﷻ وهو الحكيم الخبير (والذين سعوا في آياتنا معجزين) أي الذين كانت لهم مجادلات وتعرضوا لتكذيبها، بينما الذين أوتوا العلم سيرونها الحق من ربهم وأنها تهدي إلى صراط العزيزالحميد، وحرف الحاء يشير دائماً إلى ممارسات عناصر الطبيعة وآثارها وهو للقيام والاندفاع والنهوض والحمل والتحميل والحمولى والتحريك والتحديد بشكلٍ عام، وكل فعلٍ حيوي حق ومتحقق يعني (حاء) والله أعلم.

بينما حرف (الراء) فهو حرف الرسوخ والبقاء والتكرار، (نقول رأس الرمح ورأس الجبل ورأس الشجرة ورأس القبيلة ورأس الأمر ولكل شيء رأس كذلك نقول (رب البيت) و(رب العمل) و(رب الأسرة) و(رب الدولة) وهو الرأس والمدبر لها، وهو عند البعض يعني مجرد التكرار أو النسخ، بينما حرف الراء فيه صفاء واحتمالٌ للخير كثير أو سدٌ للنقص وسدٌ للعيب كبير! ويشير إلى الحركة والتحرك

(١٩٣) توصيف: من الأحرف النورانية يخرج من وسط الحلق وصفته الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والإصمات، وهو الثامن في الابجدية العربية بين الزاي والطاء، وهو كرأس الحصان... حرفٌ حلقي يُفيد الحركة والحيوية والحب والانطلاق والأمر بالمسير والإقلاع بالعمل والتدبير الرباني، فهل كانت لفظة (الحجرات) تعني الحفر المحفورة في الجبال أم المباني المبنية من الحجارة؟ وتركيب (الحمأ المسنون) هل يعني الخلطة القديمة التي تحتوي على أمرٍ عظيم؟ ولفظ (الحضارة) صحيحٌ أنه معاصر ولكن من المؤكد أنّ له أساساً في القرآن الكريم... فهو ولا شك مشتقٌ من (الحضور) وأنت إذا كنت في حياتك حاضراً في البيئة أو المجتمع تمارس نشاطك وتأخذ وتعطي وتتفاعل فأنت حضاري إذاً، أما إذا كنت مجرد مستهلك للحاجيّات ومتبع للشهوات وغائب عن التفاعل ومتشبّه بالأموات فأنت حتماً غير حضاري، وبالتالي لا يوجد كما يدّعون حضارة قديمة وحضارة حديثة لأن الحضارة من الحضور! فمثلاً سيدنا نوح على الرغم من مرور العصور الطويلة على تجربته بالتأكيد فهو لا يزال أكثر حضارةً من كل المُعاصرين.

والمواجهة: والدفع ويتحدد كل ذلك من خلال الحروف اللاحقة في اللفظ، و(الراء) من الأحرف النورانية في فواتح السور وهو حرف معنوي يفيد التكرار،

و(الياء) حرف الولادة والحيوية والنمو والحياة والدفع والاندفاع والنداء، وإذا كانت في بداية اللفظ فهو حرف مكاني (مضارعة)، وهو عكس النوم والموت، أما إذا كانت ما قبل الأخير فإنها تشير إلى الديمومة والاستمرارية والملازمة والبقاء في الصفات، زمانياً ومكانياً مثل (جميل) و(حبيب) و(صبيب) و(بخيل)، ولكن (مريج) هل تعني مريب؟

وهي بالإضافة إلى كونها من أحرف العلة! إلا أنها ايضاً حرف التمديد والبقاء والنداء، وحيثما أتت فهي تعبيرٌ عن طول الفترة للفعل أو الاسم والصفة مكانياً وزمانياً، وأوضح مثالٍ على ذلك هو أسماء الله الحسنى: السميع، العليم، الحكيم البصير، العزيز، الحليم، الكبير، العلي، العظيم، الغني، الحسيب، الكبير، القوي، الولي، الحفيظ، الكفيل، وكذلك نقول الجميل والقبيح والصريح والطويل والقصير والرفيع والسمين وإلى آخره فإنَّ إضافة الياء يعني أن اللفظ مستمرٌ وله ديمومة وامتداد والله أعلم، واضافة (حرف الياء) إلى (اللفظ) من الأمام يُفيد الإيحاء بامتداد الفراغ، أما إضافتها في الوسط ما قبل الأخير فإنها توحي بامتداد صلاحية الأحرف الأخرى في اللفظ والله أعلم. ولفظة (يأس) هل تحصل من بعد الأمل ومن بعد التأكد والتحقق والتثبت ثم يأتى الفشل فيكون الآياس واليأس؟

و(حرف الميم) تأتي أحياناً بدلاً من أربعة أحرف وهي الواو والنون والباء واللام، والأصل أنها تختص باسم الله سبحانه وتعالى وهي من (أيمن) ولم تستعمل في المطالع لغير اسم الله سبحانه وتعالى إلا شذوذاً؛ مع التأكيد على أن معاني الحروف العربية ودلالاتها إذا كانت في بداية اللفظ غيرها في نهاية اللفظ وهي غيرها إذا كانت في الوسط كذلك فإنّ الحركات الظاهرة والمقدرة تؤثر في منحى معنى الحرف العربي وتعطف مساره عطفاً نوعياً والله أعلم، وكل شيء قادم من عالم الغيب (من السماء) فحرف الميم دلالة عليه، مثل الوحي

والتنزيل والكتاب وآيات الله والأحكام الربانية، فكل شيء قادم من عالم الغيب حرف لميم دلالة عليه إنه دلالة على المصادر العليا، بما فيها لفظة (الملح)؛ وهو من البعيد إلى القريب ومن الأعلى إلى الأدنى و (محمد) بالتحليل: (م+ حمد) تعني الأمر الإلهي والله أعلم، و(حرف الميم):يفيد بسداد الأمر وإكمال النقص وتمامه و(من) و(ما) و(متى) و(من) أدوات الشرط، وايان وأنّا وحيثما وكيفما وأيُّ، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴿٧﴾ ﴾ [هود:٧]، (العرش): السلطة والحكم، (على الماء): العدالة المطلقة، لأنَّ (من خواص الماء الاستواء المطلق)، وهو الميزان للتسوية المطلقة وهذا يدل ويفيد أن عدالة الله سبحانه وتعالى المطلقة هي التي تحققت في الكون، في حدوده وفروضه والقوانين والعلاقات التي تتحكم في هذا الوجود والعوالم كلها والله أعلم.

اضاءت وخواطر من سورة التحريم المباركة

(الزواج) رابطة إنسانية أساسية أولى، وهي عقدة اجتماعية تسمى (عقدة النكاح)، تهدف عند المسلمين العرب إلى تأسيس وبناء (الأسرة) وتشكيل قوامها، ويتعاهد فيها الزوجان (الزوج والزوجة) على احترامها وعلى دوامها واستمراريتها طوال العمر، ووفق التوجيه الإلهي قال تعالى: ﴿ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ البقرة.

كذلك ضَبَطَ اللهُ سبحانه وتعالى لنا أمر هذه (الرابطة الأسرية) عن طريق تحديد حدود الله فيها، وتحريم المحرمات من العلاقات، وبيان وتحليل ما هو حلالٌ من الأمور في

الأسرة، وجعلها منتجةً ومجديةً، وفق الحق، والعلم والعقل والمنطق والحكمة والبر والإحسان والصلاح.

ولما تعاهد الزوجان (عند عقد القران) وأشهدوا الله على تعهدهم، وأشهدوا الناس؛ صار المطلوب منهم الالتزام بذلك التعهُّد؛ وأن يبروا بأيمانهم دائماً، وأنَّ عليهم عدم الحنث بها، وأن لا يجعلوا الله عرضة لأيمانهم؛ قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ النساء، وهذا يعني أن (الزواج) عند العرب المسلمين ليس مجرد نزوة أو غريزة، بل هو علاقة إنسانيّة فيها استمرارية والتزام وتلازم وضمان وتعهد وكفالة وحصانة واخلاص كل طرف للطرف الآخر؛ قال ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»![١٩٤]

إنَّ مطلع (سورة التحريم) فيه توجيه صارم إلى كل مؤمن ومؤمنة، أنَّ موضوع (الأسرة) أساساً كان موضوع رابطة ربانيّة مقدّسة، وتُمْنَحُ فيها الثقة المُطْلَقَة، والأمانة

---

١٩٤ ـ إنّ من خوارم الإيمان بالله تعالى، وخوارم الروح الوطنية والانتماء للجماعة؛ أن يكون الإنسان كفوراً أو خواناً أو كذاباً أو مؤذياً أو مرتشياً أو محتالاً، أو أن يكون غير شريف، أو غير كريم، أو غير أمينٍ على الأموال والأعراض والأسرار؛ أو أن لا يكون صاحب نخوة، أو أن لا يكون صاحب مروءة ونجدة، أو أن لا يكون شجاعاً، أو أن لا يكون وفياًّ! أو أن لا يكون محسناً، فمن الذي أظهر فتنة الاختلاف بين الدين والإيمان، وبين المشاعر الوطنية العربية، ألم يقل رب العزة ﷻ في القرآن الكريم: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء، إن الروح الوطنية تتطلب رجالاً أشداء على الكفار الأعداء، رحماء على الأهل في المجتمع والوطن، إن انحراف وانحطاط وتدني مستوى الوعي والفهم لدى الناس في المجتمع العربي، قد أضعف الروح الوطنية العربية، وقد جعلها في ادنى مستوى، حتى بات الإنسان في الوطن العربي، لشدة ضعف الروح الوطنية العربية، أو انعدامها، يحمل أوساخ نفسه وأوساخ بيته وأوساخ محله، ويلقيها في الخارج، في الشارع، غير مكترث وغير مهتم بالآخرين، وهو لايفكر بأنَّ هذا التصرف دليلٌ على انحطاطٍ ودونية؛ ما بعدها دونية؛ لأن ما يلقيه الإنسان المتخلف من الأوساخ في الخارج، من المؤاكد أنه سيعود عليه – فوق رأسه – أضعافاً!

المطلقة، وقد كَفِلَ الدين والنظام الإسلامي العربي استمراريتها ودَعَمَها وعزَّزَها، وحَضَّ على أن تكون (الأسرة) مبنيّةٌ على أُسُسٍ وعلاقات سليمةٍ وصحيحة وراقية دائماً، والأسرة سميت (أسرة) لأنَّ بين أفرادها علاقات وأسرار يجب صيانتها والمحافظة عليها[١٩٥].

وأنها عندما تختلُّ العلاقةُ في (الأسرة) بين الزوج والزوجة، وينعدم التقدير والاحترام المتبادل والثقة وتنعدم بينهما الأمانة؛ وتفتقد إلى الآراء السانحة، ويبدأ التفريط من قبل كل طرف بالواجبات الأساسيّة حِيَالَ هذا المكون والكيان الرباني، وتهتز الثقة وتُفتَقَد الأمانة؛ حينها يصبح التحلل من (القسم) أو (اليمين) الذي انعقد أثناء الزواج، يصبح التحلل منه واجب يقتضي أن يُمارس؛ على الرغم من قساوته وصعوباته وآثاره المادية والنفسية والمعنوية؛ وتصبح الكفارة هي الحل، فالضلالات التي يقود إليها السكوت عن الأخطاء؛ هي أخطر بكثير من تلك التي يقودُ إليها الجهل؛ والله وحده يعلم خطورة وحجم النتائج السيئة التي يسببها التغاضي عن الأخطاء والسماح بتداولها، لقد أباح الشرع للرجل التحلل من تعهده وحلفانه، إذا وجد أن الأمور تجري في أسرته من سيئ إلى أسوأ، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ **وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ** فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ النساء، وهي تُحَلِّلُ للحالِفِ ما كان قد حرّمَهُ على نفسهِ، ما دامَ لا يضر بالآخرين، وبعد تسديد الحقوق لهم، إذا كان لهم عليه حقوق.

فالإسلام ينظر إلى الناس جميعاً، وكذلك إلى (الذكر والأنثى) على أنهم من نفسٍ واحدة؛ قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

١٩٥ ـ والسِّرُّ: من الأَسْرار التي تكتم. والسر: ما أَخْفَيْتَ، والجمع أَسرار. ورجل سِرِّيٌّ: يصنع الأَشياءَ سِرّاً من قوم سِرِّيِّين. والسرِيرةُ: كالسِّرِّ، والجمع السرائرُ. الليث: السرُّ ما أَسْرَرْتَ به. والسريرةُ: عمل السر من خير أَو شر. وأَسَرَّ الشيء: كتمه والإفشاء معناه أَسروها من رؤسائهم؛

عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء، والرسول الكريم إمام المؤمنين، وهو يعلم تماماً أن ليس لأحد أن يحرِّم ما أحلَّ الله تعالى، وذلك كما جاء في مطلع سورة التحريم: (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفورٌ رحيم) فظاهر الآية يشير إلى أن الرسول كان قد حرَّم أمراً كان الله تعالى قد أحله!، فكيف يفعل ذلك وهو رسول الله؟ وهذا ما يُسمى (المشكل) بالنسبة للعقول والأفكار، عندما تبدأ تعمل على فهم القرآن الكريم، لأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يحرم أو يحلل من عندياته؛ وقضية التحريم والتحليل هو يعلم أنها إلى الله تعالى، لا إلى غيره مطلقاً، والأمر في سورة التحريم ليس كما وصفه المُفسرون الصوفيون والسلفيون والشيعة أبداً!

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف. بل هو طرحٌ لقضيّةٍ حيويةٍ وقويةٍ وموجودةٌ بالواقع؛... يُراد لها أن تصحح ... وهذا هو الأسلوب القرآني الأمثل في طرح المسائل والقضايا ولفتِ أنظار الناس إليها وإلى ضرورة علاجها العلاج الرباني الجذري؛ عن طريق وضع السؤال المباشر؛ إنَّ هذه القضايا (إفشاء الأسرار الأسرية والهامّة)[١٩٦] يجب أن لا تتكرر في حياة المؤمنين، لأنَّ المؤمن كيِّس وفطين ولا يفرِّط،

١٩٦ ـ والجاسوس: في عمله ليس لديه أجهزة اتصال لاسلكية ولا حيِّز سري للغاية وليس له اتصال بعناصر مشبوهة، ولكنه يساعد كل إنسان لديه استعداد ونوايا سيئة ضد وطنه؛ إن الجاسوس يمده هؤلاء بالمال ويدفعهم دفعاً، فالتجسس صار طريقة قديمة (كلاسيكية) في اكتساب المعلومات! أما معنى (الجاسوس) فهو: صاحب سر الشر، و(الجاسوس) هو ابليس اللعين وعلى عكسها تماً فإنَّ (الناموس) هو صاحب سر الخير والناموس الأكبر هو جبريل عليه السلام، و(الحاسوس) و(القاشور) السنة التي تذهب بالمال و(الفاعوس: الحية والقاموس وسط البحر والساهور غلاف القمر، والقانون: الأصل، والكانون الثقيل الروح التي تبدل أحياناً بالياء وأحياناً أخرى بالجيم المصرية القريبة من الكاف ويدل على الجمع والكثرة، وهاؤم الألفاظ البادئة بحرف (الجيم) من القرآن الكريم:

وهم يعالجون مشاكلهم وقضاياهُم وهمومهم متعاونين، ويجدون لها الحلول الجذرية المناسبة، ويحسمونها مسترشدين بتوجيهات رب العالمين.

لكن لماذا جعل الله سبحانه وتعالى (الطلاق)[197] مرتان والثالثة هي البائنة، ولماذا جعل حل عقدة النكاح حصراً بيد الزوج، ولِمَ يجعلها بيد المرأة؟ قال تعالى: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلاًۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾ ﴾ النساء، لذلك قال تعالى في سورة التحريم: ﴿ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ ، لقد أصبح الحق في هذه المسألة واجباً مطلوباً أن يمارس عند الضرورة، وفي الوقت المناسب وفي المكان المناسب، كما امر رب العالمين، كعلاج لعلةٍ ظهرت وهي موجودة، وليس كسلاح بيد الزوج يشهره في كل لحظةٍ يتهدد به زوجته.

---

١٩٧ ـ الطلاق: هو التفريق بين الزوجين، ولكنّه لتحقيقه ينبغي اتباع (حدود الله تعالى) والشروط والقواعد والأوضاع الإنسانية، يجب ألا يسيئ وألا يحط من قدر أحد من الزوجين ولا أهليهم، فالطلاق يتم للعدة، وعلى الطرفين عدَّها والالتزام بها، وممنوع إخراج أو طرد الزوجة من بيتها الزوجي، وأن تُتْرَك الفرصة سانحة للرجوع إن أمكن، ثم أننا مأمورون من الله تعالى بالإمساك بمعروف، أو المفارقة بمعروفٍ أيضاً، ويجب أن يكون هنالك شهودٌ على الواقعة ذوي عدلٍ، كلُّ ذلك يتمُّ بتقوى من الله تعالى واحتساب، ذلك أمرٌ من الله تعالى، ثمَّ المطلوب إسكان الزوجة (المطلقة) بمستوى سكن الزوج، والمطلوب أيضاً التعويض وعدم الإضرار وعدم المضايقة من أيٍّ من الأطراف للطرف الآخر، وعدم مضايقة الزوجة؛ وعدم استغلال ضعفها، أياً كان شكل أو حجم الضغط أو الإكراه، ثم المطلوب بعد ذلك إعطائها جميع حقوقها المترتبة من المهر والنفقة بالمعروف، والأهم هو مراعات مصلحة الأولاد خصوصاً الصغار، كلُّ ذلك عن طريق تحكيم العقلاء وأصحاب الخبرة، كلُّ ذلك مع الإيمان أن الله سبحانه وتعالى يقف بالمرصاد لكلِّ من سيحاول الطغيان على حدود الله تعالى ويخون، إنه أمر الله تعالى. هذا وإنَّ حدوث الطلاق لا يُلغي علاقة القرابة التي سبق وأن أنشأها الزواج! فأم الزوجة تبقى بالنسبة للزوج كأمه، وأبو الزوج يبقى بالنسبة لزوجة الابن كأباها.

من هنا فإنَّ فهم (سورة التحريم) يجب ان يكون مباشرة من النص، دون المرور بما سُميَّ علم؛ (الناسخ والمنسوخ) ولا بما سُميَّ علم؛ (أسباب النزول)، وليس من خلال الروايات ولا الخيالات ولا من خلال فيض الخاطر، ولا التصورات المضافة والمقترحة، التي لم تنزل من السماء، والتي لم تكن قد نصَّ عليها النص في الرسالة الأساسيّة؛ والقرآن العظيم رسالة محكمة هادفة تستهدف بالأساس الإنسان وتهدف إلى كماله الكمال النوعي. إنَّ مطلع سورة التحريم وحتى نفهمه بدقة؛ فإننا يجب أن نربطه بالسورة التي سبقته وهي سورة (الطلاق) ويجب أن ندرك الجدوى من تشريع (الطلاق) وأهميّة وروده ووجوده في حالات معيّنة، أسروية واجتماعيّة، كأحد الحلول للمشكلات المستعصية التي قد تصادف (الأسرة) لتصبح ظروفها معقدة وتجعل استمراريتها مستحيلة، لذلك كان الطلاق حلاً محتملاً ووارداً؛ وقد أحله رب العالمين، ولكنه يعتبر عند الناس ابغض الحلال عند الله تعالى وعندهم؛ وعادةً ما يُستبعد هذا الحل ويؤخر ويوضع في آخر الاحتمالات الواردة، ذلك لِما قد ينتج عنه من مآسي وما يتولد عنه من صعوبات تتعلق بما يخلقه من أوضاع تنعكس على جميع أفراد (الأسرة) لاسيما الأطفال والزوجة؛(١٩٨) من النواحي الماديّة والمعنويّة

---

١٩٨ ـ (الأطفال العرب الذين يذهبون يومياً إلى المدارس، ويعودون منها، ونحن لا ندري ما يُقال لهم فيها؛ والأطفال العرب الذين يولدون ويعيشون حياتهم في منازل؛ لا ندري أيضاً ما يقال لهم فيها)! إنّ من المُفترض أن يتمَّ في الأسر العربية والمدارس العربية إنتاج وإعادة إنتاج للإنسان العربي المسلم، بالتربية دينياً والرعاية روحياً وعقلياً وجسدياً ولتنميته وطنياً وصقل مواهبه وترقيته، والسموَّ به، وجعله يكتسب الأساليب الصحيحة في العلم العالي والأدب الراقي، إنَّ من المُفترض أن يزداد الطفل العربي في كل يومٍ إيماناً بالله تعالى، وأن يزداد وثوقاً بذاته العربية، وأن يزداد فائدةً، وأن يزداد فهماً، وأن يزداد وعياً وقوةً وبسطةً في العلمِ والأدبِ في كل يوم.

وهذه هي مهمة الأسرة العربية الأصيلة، التي كان أمر ضبطها عند العربي أهم من حكم ولاية، وكان يُقال أن الدولة يسوسها اناسٌ كثيرون، أما الأسرة العربية فلا ينبغي أن يسوسها إلّا واحد مؤمن بالله الواحد؛ حيث لم يكن يزدان الإنسان بأسرته ولكن الأسرة كانت تزدان بالإنسان، وكان البيت، بيت كل مواطن، يُعتبر حرمة مقدسة لا ينبغي الاعتداء عليها أو هتكها أبداً، فلا شيء أعظم من البيت عند الإنسان العربي المسلم، ينبغي العمل على المحافظة عليه وصونه وصيانته والدفاع

والنفسيّة والعاطفيّة، تؤثر وتنعكس على الحياة في المجتمع ككل (إذا صلحتْ الأسرة صَلُحَ المجتمع) ويشكل (الطلاق) في حياة البعض من الناس جرحاً دامياً وشرخاً كبيراً يصعب علاجه، وينتج عنه نتائج اجتماعيّة ونفسيّة وخيمة، ولذلك عند التفكير في حل المشكلات في الأسرة، يُستبعد (الطلاق) ويبقى مستبعداً، ليتم اللجوء إليه كآخر الحلول؛ عند استنفاذ جميع الفرص، مع أنه من الأمور التي أحلها الله سبحانه وتعالى.

إلا أنَّ (الطلاق) يَحُلُّ اليمين التي كان قد اقسمها الزوج، وحلف عليها يوم عقده للقِرَان؛ فـ (الزواج) بحد ذاته يمينٌ مؤكدةٌ، وقد جَعَلَ حالِفُ اليمين اللهَ تعالى كفيلاً وشهيداً على صدق نواياهُ عند عقد القران للزواج على سنة الله تعالى. إنَّ في الزواج يمينٌ معقودةٌ، فاليمين تعني القوة، وهي انواع واشكال، وملك اليمين تعني ملك القوة، و(الإيمان) يشتمل أيضاً على اليمين الذي يعني القوة وويعني الحلفان! وملك اليمين يدخل تحته الخادم والخادمة والعبد والأمة، والله تعالى أعلم.

فالقضية في (سورة التحريم) تتعلق بموضوع (الخيانة) وإفشاء الأسرار، والسؤال الوارد في مطلع السورة سؤال توجيهي من الله تعالى يشير إلى الهدف مباشرةً، ويهدف إلى التوجيه والتذكير والايحاء بمسألة محددة، وذلك للرسول عليه الصلاة والسلام ومن خلاله للأمة ككل في كل زمان وفي كل مكان، وتتعلق بحياتهم الأسرية الخاصة وكيفيِّة إدارتها، والواقع فإنَّ الآفة التي كانت قد عطَّلت العقل والفكر البشري عن فهم القرآن المجيد وسببت تأخير تفعيله قروناً، وإلى الآن هي افتراض ما سميَّ بأسباب النزول، وتوريط الناس وتوريط عقولهم وأفكارهم، وإرغامهم على ربط فهمهم للآيات بحوادث محددة، وهكذا تم تحويل القرآن العظيم الرسالة الموجهة أساساً للعالمين، قد تم ابتساره

عن حرمته والزود عن حِياضه، بكل وسيلة، وكذلك كانت المدرسة العربية الأصيلة، المستمدّة من المسجد، فهل تحولت مهمة الأسرة العربية والمدارس العربية، مع لوثة العولمة إلى مجرد مداجن؛ همها إنتاج البيض المُحسَّن، والفروج المُحسَّن، وذلك لسد حاجة السوق المستهلكة الطاحنة؛ مواكبةً للمواصفات العالمية التي تحددها (الإيزو).

وتحويله إلى مجرد بطاقة عائليّة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يدروا أو كانوا يدروا أن هذا العمل فيه وقد شكل عدواناً على القرآن العظيم، أدى إلى تعطيل مهمة فهمه وقد أخّرَ تفعيله عصوراً.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٢ ﴾ : (١٩٩) وكمثال بيانيٍّ توضيحيٍّ، لقد أعطانا ربُّ العالمين صورةً عملية بيانية توضيحيّة أجراها رب العالمين في بيت النبوة (وبيت النبوة بيتٌ مركزي قيادي وهو أمٌّ للنظام في الأمة بأكملها، بل هو مركز القواعد الإنسانية كلها، وهناك في بيت النبوة جرت الحادثة التي أجراها الله تعالى والتي ستكون مثالاً يحتذي به لاحقاً كلّ مؤمن عبر التاريخ، في كل زمان ومكان) لأنَّ النبي مهمته أن ينبئ الناس، لذلك كان الخطاب للنبي، أنَّ من المفروض أنَّ يوجد في كل بيتٍ شؤونٌ وأمورٌ واسرارٌ وأخبارٌ ينبغي الحفاظ عليها وعلى سريتها، ومطلوبٌ صونها وإبقائها في غاية السرية، لأن إطلاع الآخرين ـ من خارج البيت ـ على أسرار البيت الداخلية، يعتبر خللاً في هذا البيت وشرخاً وصدعاً يهدده دائما، و يجب ألا تخرج هذه

---

١٩٩ ـ والزف الإعداد لتلاقي الأطراف والزف البشرة والزوج الرديف المكمل والمتمم والذي لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الأحوال؛ لذلك فإن الرسول ﷺ نساؤه كنَّ له أزواج وهذا يعني أنهن جميعاً كنا له صحابيات جليلات أي أصحاب قضية ومبدأ (الدين الإسلامي) ومشاركات وعاملات على نشره، ولم يكن الحديث عنهن في القرآن الكريم أنهم مجرد نساء إلا في معرض الإعداد والتربية لهن؛ وهذا هو الفرق بين (المرأة) و(الزوجة) إذا جاز التعبير (الزوج) لا يؤنث فلفظ المرأة لمجرد الأنثى وللمقابلة مع الذكر؛ أما الزوج ففيه تكامل وإتمام وهموم وعمل مشترك، بينما لفظة (امرأته) في القرآن الكريم على الأغلب كان يدل على مفارقة في العقيدة أو اختلاف وعدم موافقة أو المراد منها عدم الالتفات إلى الجانب العقائدي أساساً، وإنما عندما تذكر مع الأنبياء السابقين فقط من كونها الأنثى وتنجب الأولاد البنين والبنات والله أعلم، فالزوج كل ما يحتاج إلى ثاني متمم، والزوجان: بينهما تلازم وتكامل وإتمام وتكافل وبناء وتشابه كبير من الناس وغيرهم، الرجل والمرأة، الزملاء، الرفاق، الأصدقاء، الشركاء كل من كان بينهم توافق أو تلازم أو تشابك في الأهداف أو الآراء أو المصالح أو الحاجات فهم أزواج والله أعلم،

الأسرار إلى خارج البيت أبداً؛ ولا بأي حالٍ من الأحوال، وكذلك المفروض ألا يتناجى بعض أفراد الأسرة مع بعضهم أو مع الآخرين؛ بعيداً أو في منأى عن الأفراد الآخرين من الأسرة، وألا يدخلوا في مؤامرة ضدهم ولو كانت مزاحاً؛ ذلك حتى لا تتولَّد بين أفراد الأسرة الواحدة ضغائن وأحقاد يسعى الشيطان إلى توليدها بين أفراد الأسرة الواحدة، يجب ان يكون الحب والعطف والحنان هي سداة ولحمة العلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، داخل الأسرة وخارجها؛ يجب أن تكون العلاقة بينهم مبنية على الصفاء والنقاء والاخلاص والاحترام المتبادل، لأنَّ أفراد الأسرة الواحدة المفروض أنهم جميعاً يشكلون مكون واحد وكيان واحد، وقوة واحدة، ويدافعون عن بعضهم البعض، وبالتالي فالمفروض أن لا يسلّم أحدُ أفراد الأسرة باقي أفرادها للمخاطر؛ فإذا خرج السرُّ إلى خارج الأسرة فهو لن يعود سراً...وسيتحول إلى نقطة ضعفٍ وإلى شرخٍ يصدعها من الداخل ويهبِّطها ويهدم أركانها ويسمح للآخرين بالدخول إلى صميم الأسراة والاطلاع على عيوبها، مما يسهل كشفها، واقتحامها والانقضاض والسيطرة والقضاء عليها، لا سمح الله تعالى.

كلُّ ذلك يجب أن لا يحدث في الأسرة العربية المسلمة، والله سبحانه وتعالى يحذِّرنا من مغبة حدوثه، وقد أورد لنا رب العزَّة مثالاً تبيانيّاً ميدانيّاً من بيت النبوة من رأس الهرم، فهل نحن متعظون؟

ثم نصحنا لمن في داخل الأسرة، أن تكون قلوبهم صافية دون أحقادٍ أو ضغينة على بعض مطلقاً، وطلب من عدم الدخول في مؤامرة على الآخرين من أفراد البيت الواحد، حيث لا يجوز بالمطلق التآمر على الزوج أو الزوجة أو الأولاد أبداً أبداً. ولا الأب ولا الأم، وتعتبر من الكبائر. لأنَّ الله سبحانه وتعالى وجبريل وجميع المؤمنين الصالحين المتعاونين سيكونون مع الحق، وإلى جانبه؛ وكذلك الملائكة وكل القوى والظروف والأقدار الربانيّة، ثمَّ ذكرنا ربنا عزّ وجل وذكَّر النساء بشكلٍ خاص بوجود (الطلاق) (كونهم أكثرهنَّ يحب الثرثرة ولا يدرين إذا سربن تلك المعلومات ـ عن غير قصد ـ، ما قد

تسببه ثرثرتهن من الأضرار والكوارث والنكبات) وحدثنا عزَّ وجل عن إمكانية حصوله كحل للخلافات التي من الممكن أن تنشأ في الأسرة الواحدة، الواجب حمايتها وصيانتها والدفاع عنها، ودرءاً للمفاسد والمخاطر المحتملة من وجود (الخيانة) أو استمرارها من أحد الأطراف، الذين يقومون بعادة تسريب الأسرار أو بعادة التآمر على الأزواج؛ وأنَّ (الطلاق) غير مستبعد في هكذا حالات. كل ذلك من أجل قمع تلك الظاهرة الخبيثة والعادة السيئة وهي تسريب الأسرار الزوجيّة والأسرية والعائليّة والوطنيّة وحتى الأسرار التي بين الأصدقاء.

ثم يصبح الخطاب عامَّاً لكافة الذين آمنوا أن ينتبهوا إلى ما قد يقعون به من الأخطاء...، أن عليهم أن وأن يحذروا من الاستهتار والانجرار وأن عليهم عدم الانجراف لمغريات أعدائهم، لما قد يجرهم إليه الشيطان من أجل توريطهم، ، ويقول لنا رب العزة مسبقاً أنَّ من كَفَرَ سوف يحاول يوم القيامة الاعتذار، وأنه لن يُقبَلَ منهم اعتذارهم وأنهم يوم القيامة سيجزون بما كانوا يعملونه في الدنيا، وقد أعذر من أنذر.

قال تعالى: ﴿ و إِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ﴾: (وإذ): تعبر عن لحظة تاريخيّة مفصلية جرت فيها أحداث إنسانيّة مهمة، ولها دلالة خاصة، خصوصاً لما سيترتب عليها وعقبها مباشرة؛ ويجب على المسلمين العرب التوقف عندها، والبحث عن مدلولها العميق في القرآن الكريم ، إنها بالنسبة لأصحاب التفكير العميق تعني الكثير؛ فبعدها على الأغلب كانت تحدث الأمور الجلل، العظام، مفاصل الأمور

والنقاط، والمواقف التاريخية الهامة، [٢٠٠] وقوله تعالى(إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه) أي أنه صلى الله عليه وسلم كان قد أسرَّ بالحديث إلى أكثر من زوجة من زوجاته، وربما إلى جميع ازواجه (البعض من ثلاثة إلى سبعة)[٢٠١]، ولكن تستخدم لفظة (بعض) في العربية للتورية، إذا كان المطلوب في الخطاب عدم التحديد للأعداد أو للأسماء، هذا ومن المحتمل

---

٢٠٠ ـ – (إذ) : هل هي ظرفية أم هي تأكيد الظرف، أو هي (إذ) التوكيدية، أو هي (إذ) الظرفية التوكيدية، و(إذ) بمعنى : إن، وإذ حرف، و(إذ): في القرآن الكريم لها دلالة خاصة يجب على العرب التوقف عندها والبحث عن مدلولها العميق . إنها بالنسبة لأصحاب التفكير العميق تعني الكثير فبعدها على الأغلب كانت تحدث الأمور الجلل العظام مفاصل الأمور والنقاط والمواقف التاريخية الهامة، ففي البداية قال تعالى: ﴿ (إذ) قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ قال تعالى : ﴿ (وإذ) جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً ﴾ قال تعالى:﴿ (وإذ) قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وارزق﴾ .

٢٠١ ـ وقيل: بَعْضُ الشيء كلُّه؛ قال لبيد: أَو يَعْتَلِقْ بَعْضَ النُّفوسِ حِمامُها؛ قال ابن سيده: وليس هذا عندي على ما ذهب إِليه أَهل اللغة من أَن البَعْضَ في معنى الكل، هذا نقض ولا دليل في هذا البيت، لأَنه إِنما عنى ببعض النفوس نَفْسَه. قال أَبو العباس أَحمد بن يحيى: أَجمع أَهل النحو على أَن البعض شيء من أَشياء أَو شيء من شيء إِلاّ هشاماً فإِنه زعم أَن قول لبيد: أَو يعتلق بعض النفوس حمامها فادعى وأَخطأَ أَن البَعْضَ ههنا جمع ولم يكن هذا من عمله وإِنما أَرادَ لَبِيدٌ ببعض النفوس نَفْسَه. وقوله تعالى:(تَلْتَقِطه بَعْضُ السيّارة)، بالتأْنيث في قراءة من قرأَ به فإِنه أَنَّثَ لأَنّ بَعْضَ السيّارة سَيّارةٌ كقولهم ذهَبتْ بَعْضُ أَصابعه لأَن بَعْض الأَصابع يكون أُصبعاً وأُصبعين وأَصابع. قال: وأَما جزم أَو يَعْتَلِقْ فإِنه رَدَّهُ على معنى الكلام الأَول، ومعناه جزاء كأَنه قال: وإِن أَخرجْ في طلب المال أُصِبْ ما أَمَّلْت أَو يَعْلَق الموتُ نفسي. وقال: قوله في قصة مؤمن آلِ فرعون وما أَجراه على لسانه فيما وعظ به آل فرعون: (إِن يَكُ كاذباً فعليه كَذِبُه وإِن يَكُ صادقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الذي يَعِدُكم)، إِنه كان وَعَدَهم بشيئين: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فقال: يُصِبْكم هذا العذاب في الدنيا وهو بَعْضُ الوَعْدَينِ من غير أَن نَفى عذاب الآخرة. وقال الليث: بعض العرب يَصِلُ بِبَعْضٍ كما تَصِلُ بها، من ذلك قوله تعالى: وإِن يَكُ صادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الذي يعدكم؛ يريد يصبكم الذي يعدكم، وقيل في قوله بَعْضُ الذي يعدكم أَي كلُّ الذي يعدكم، أَي إِن يكن موسى صادقاً يصبكم كل الذي يُنْذِرُكم به وبتوَعّدكم، لا بَعْضٌ دونَ بَعضٍ لأَن ذلك مِنْ فعل الكُهَّان، وأَما الرسل فلا يُوجد عليهم وَعْدٌ مكذوب؛ وبَعّضَ الشيء تَبْعِيضاً فتبَعَّضَ: فرّقه أَجزاء فتفرق. وقيل: بَعْضُ الشيء كلُّه؛ قد يُدْرِكُ الْمُتَأَنّي بَعْضَ حاجتِه، وقد يكونُ مع المسْتَعْجِل الزَّلَلُ لأَن القائل إِذا قال أَقلُّ ما يكون للمتأَني إِدراكُ بَعْضِ الحاجة، وأَقلُّ ما يكون للمستعجل الزَّلَلُ، فقد أَبانَ فضلَ المتأَني على المستعجل بما لا يَقْدِرُ الخصمُ أَن يَدْفَعَه، وكأَنّ مؤمنَ آل فرعون قال لهم: أَقلُّ ما يكون في صِدْقه أَن يُصِيبَكم بعضُ الذي يَعِدكم، وفي بعض ذلك هلاكُكم، فهذا تأْويل قوله يُصِبْكم بَعْضُ الذي يَعِدُكم. لسان العرب

أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أسرَّ لجميع أزواجه رضي الله عنهم، وفي بيت النبوة وهو بيت الرسالة والقيادة والحكم فإنه يقال هنالك الكلام الهام، الذي من المفروض أن لا يتم تسريبه ولا حتى تداوله أو تناقله بشكل منعزل؛ ولا بشكلٍ انفرادي ولا مناجاة جانبية؛ أن كل كلام يجري بين الرسول صلى الله عليه وسلم، وأزواجه رضي الله عنهم، فيما بينه وبينهم، المفروض أنه (كل حديث يجري في بيت الرسول) أن يكون هام جداً ومن أسرار الدولة التي يجب أن لا يدري بها أحد من خارج البيت، أياً كان، وأن لا يتم تداوله بشكلٍ جانبي بين البعض في البيت الواحد دون الكل! لكي لا تترك الثغرة للشيطان الذي يتربص بالمؤمنين، فيولد الأهواء المنحرفة ويستدرجها إلى النفوس، فيشوه الحقائق وتنبع عندها المؤامرة، نتيجة التأويلات البعيدة عن الحقيقة، التي يتم طرحها عادةً بشل انفرادي وفي غياب الآخرين، وأن إحداهنَّ إذا كانت سربته بأي حالٍ من الأحوال (وهذا غير وارد، أي ليس بالضروري ان يكون قد تم لأن نص الآية لا يصرح بذلك)، ولكن في هذه الحالة تكون قد ارتكبت أخطاءً كبيراً، إذا نقلته إلى أحد أفراد البيت الآخرين، ممن لا يعنيهم الأمر، لذلك وجب التحذير الحازم والتنبيه والإشارة والتنويه، والتشديد عليه. وقوله تعالى: (فلما نبأت به) ليس بالضروري أن يكون إلى خارج أفراد البيت، بل من الممكن أن يكون الموضوع كله قد حدث داخل نطاق البيت الواحد والله أعلم.

وصغت قلوبكما: أي أنصتت وأُزعنت للحق وانتبهت وسمعت سمعاً دقيقاً، وهذا الكلام الأساس درس تربوي عام وهام جداً لجميع المسلمين العرب في كل زمان وكل مكان، (المسلمات الزوجات والأزواج) أن يقتدوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وأن يفعلوا كما ما فعل، (يجب أن يعملوا على أن تكون بيوتهم أسرار داخلية غير قابلة للتداول، يجب عدم فضح الأسرار الداخلية مطلقاً) وفي جميع الأحوال ومهما كانت الأسباب، فلا

مبرر لنشر أو فضح ما يجري داخل البيت العربي من خطط وبرامج ومشاريع أبداً، وذلك حتى يُكتب لها النجاح، وإلا باءت البيوت العربية بالفشل.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾: الخطاب هنا من الله تعالى للذين آمنوا تحديداً: (يا أيها الذين آمنوا) فالمؤمنين ليسوا في هذه الحياة خُشباً مسندة، ولكنهم فاعلون ومؤثرون فيها، وهم مسؤولون ويشعرون بالمسؤولية عنها أيضاً، إنهم مسؤولون عن توصيل الرسالة (الحق) إلى أهليهم وإلى أنفسهم، وعلى عاتقهم مسؤولية دحر الباطل، وتسويد هذا الحق بالسبل الحقة، لذلك فإنَّ إنقاذ المجتمع ككل مهمة أساسيّة من مهام المؤمنين، فقط المؤمنين، أما الكفار والملحدين فإن مهمتهم هي في عكس الاتجاه تماماً.

من هنا فإنَّ على المؤمنين السعي لنشر الدين الصحيح ومضامينه وتعاليمه، ونشر القيم الخيِّرة والعدالة والسلام والأمن والعادات الحسنة وما لا يُستغنى عنه من الأدب وإشاعتها بين الناس، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ الشعراء

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ﴾:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

قَدِيرٌ ۝٨ ﴾: ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين ويطلب منهم أن يتوبوا إلى الله تعالى، وهذا يعني أن الرجوع عن الضلال ممكن وأنَّ التوبة والإياب يكون إلى الحق، وليس لغيره من الجهات، وتوبةً نصوحاً: أي صادقة نقيّة صافية، وتكون واضحة فاعلة مؤثرة، تسدد مباشرةً إلى الهدف وتحقق المراد؛ وهو عدم العودة إلى الأوضاع السابقة، وترأب الشقوق وترمم الأخطاء. جاء في الأثر: (أنه من اغتاب خرق ومن استغفر رفأ). والناصح الخياط الذي يخيط بالخيط.

إنَّ التوبة النصوح يمكن أن تكفِّر وتمحي الأخطاء السابقة، التي يغفرها ويسترها الله سبحانه وتعالى، وتبقى حقوق الآخرين التي لا بدَّ من سددها؛ فالتوبة فرضٌ على الأعيان، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة تجب ما قبلها، ويمكن للإنسان الصادق أن يعود للإيمان وأن يدخله الله تعالى إلى جنته الموعودة، وأن التائب يكون مع المؤمنين يوم القيامة، يوم سينجي الله تعالى كل نبي والذين آمنوا معه، بشرط صدقه في التوبة، إن في السورتين (الطلاق والتحريم) نداء للنبي ق والقضية فيهما داخلية وتتعلق بالبناء الداخلي ومن الداخل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٩ ﴾: وهذا دليلٌ قاطعٌ على أن القضيّة في سورة التحريم تتعلق بالمصلحة العُليا للأمة (وليست مسألة شخصيّة) كما فهمها المفسرون من قبل، إن تسريب الأسرار والمعلومات من بيت النبوّة ، كان أمره يتعلق بالقضايا التي هي على أعلى مستوى، والهامة جداً جداً في حياة المسلمين.

والآن فالوضع السابق بما فيه من التسيب، فهو وضع سلبي لا يرضي الله أبداً؛ وخيرٌ منه فإنَّ الله تعالى يرشدنا إلى أسرع طريقٍ لتخطي الوضع السابق وهو تبديل حال التخاذل، بحال الإيمان بالله تعالى ورسوله الكريم، والعمل واتباع ذلك بالجهاد في سبيل الله دائماً أي ...بأموالكم و أنفسكم(الإيمان العملي).

هذا الأمر كفيلٌ لأن يغفر الله لكم ذنوبكم وأن يدخلكم الجنة التي وعدكم بها، مع تحقيق النصر لكم على عدوكم وذلك من خلال فتح عقول الناس على الإيمان كما تؤمنون به ثم يخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن عليهم أن يكونوا أنصاراً لله تعالى(أن تكون لديهم الجاهزية ليكونوا أنصارً لله تعالى في كلِّ موقف، وذلك كما فعل الحواريون عندما طالبهم المسيح أن يكونوا أنصاره إلى رضا الله تعالى، قال الحواريون قولهم البديع الذي يختصر الجدل والحال قالوا : أنهم سيكونون مباشرةً مع الله، أنهم مباشرةً أنصار الله.

لكن فيما بعد و بمرور الزمن آمنت طائفةٌ من بني إسرائيل وكفرت طائفةٌ، ثم أيد الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾: القص في القرآن العظيم من أجل الموعظة والحذر والامتناع عن المصير السيئ، واتباع السبيل والأثر الصالح، إنَّ مجيئ الأمثلة، امرأت نوح وامرأت لوط فيه تحذير شديد اللهجة لمن يخالف أو يخون ممن هم في بيت النبي فما دون، وذلك من أجل الضبط والربط في الأمة كاملةً، فالأمة يجب أن تكون كما جاء تماماً في الأثر (كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمى)، كذلك فقد جاءت الأمثلة الإيجابيّة قمة لمن آمن وكان من القانتين. هذا وإنَّ ورود قصة أمرأت نوح وامرأة لوط، ثم امرأة فرعون، وذكر السيدة مريم ، كل ذلك يشير إلى وحدة المكان والخط الزماني الواحد، الذي كانت قد جرت فيه تلك القصص، وتعاقبت فيه تلك الأقوام التي كان بينها خطاً مشتركاً؛ وهو اللسان الواحد، اللسان العربي المبين،

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ

عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم.

سورة يوسف

(يوسف) لفظٌ عربيٌ قديم، وهو علمٌ لا يحتاج إلى تعريف، لأنه بذاته علامة تدل على الطريق، وهو نبيٌ وإمامٌ مُعَلِّمٌ للخير ويَدلُّ عليه، على السراط المستقيم، إمامٌ وقدوةٌ ومعَلِّمٌ ومنذرٌ، يُستَدَلُّ بهِ، فهو بذاته عنوانٌ وعلمٌ قائمٌ للناس على مر الزمن، وقد أصبح في نظر الناس جميعاً كالمكان الثابت الذي لا يزول؛ معروفٌ ومُرسَلٌ بالمعروف، لذلك فأسماء الأنبياء كلها معرفةٌ أعلام، و(يوسف) أسمٌ عربيٌ قديم، وله دلالة عظيمة يجب العمل على الوصول إليها.

والنبي عريفٌ على أمته، يُعرفون به، وهو قرنٌ لهم، وهم مقترنون به، وسيكون يوم القيامة شاهداً ونقيباً عليهم، من منزلةٍ رفيعة، فهو العريف وهو الصاف والموقف لهم والُمرشد، وأتباع كل نبيٍّ يعرفهم ويعرفونه، وهو سينظرهم على الأعراف، ليعرِّف بهم، علمٌ لمن جاء بعدهم، على نهجه، قال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ {٧٦} وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ {٧٧} وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ {٧٨} سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ {٧٩} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {٨٠} إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ {٨١} ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ {٨٢} وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ {٨٣} إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ {٨٤}﴾

يوسف: لفظٌ عربيٌ قديم يشير إلى الدنو والقرب، ومن دلالاته أنه يشير إلى الباطن، وهو عكس الظاهر، و(يوسف) لفظةٌ فيها البادئة (الياء) والتي تقدمت اللفظ الأساسي وهو (وسف) وأصله (أسف)، وعندما أضيفت الياء من الأمام قلبت المعنى إلى النقيض فإصبح (يوسف) الذي يعني اليقين الذي لا تراجع بعده، والثبات الذي لا ارتداد ولا خوف فيه، بضمانة رب العالمين، والله أعلم.

و(الياء) حرف الولادة والحيوية والنمو والحياة والدفع والاندفاع والنداء، وإذا كانت في بداية اللفظ فهو حرف مكاني (مضارعة)، وهو عكس النوم والموت، أما إذا كانت ما قبل الأخير فإنها تشير إلى الديمومة والاستمرارية والملازمة والبقاء في الصفات، زمانياً ومكانياً مثل (جميل) و(حبيب) و(صبيب) و(بخيل)، ولكن (مريج) هل تعني مريب؟

وهي بالإضافة إلى كونها من أحرف العلة! إلا أنها ايضاً حرف التمديد والبقاء والنداء، وحيثما أتت فهي تعبيرٌ عن طول الفترة للفعل أو الاسم والصفة مكانياً وزمانياً، وأوضح مثالٍ على ذلك هو أسماء الله الحسنى: السميع، العليم، الحكيم البصير، العزيز، الحليم، الكبير، العلي، العظيم، الغني، الحسيب، الكبير، القوي، الولي، الحفيظ، الكفيل، وكذلك نقول الجميل والقبيح والصريح والطويل والقصير والرفيع والسمين وإلى آخره فإنَّ إضافة الياء يعني أن اللفظ مستمرٌ وله ديمومة وامتداد والله أعلم، واضافة (حرف الياء) إلى (اللفظ) من الأمام يُفيد الإيحاء بامتداد الفراغ، أما إضافتها في الوسط ما قبل الأخير فإنها توحي بامتداد صلاحية الأحرف الأخرى في اللفظ والله أعلم. ولفظة (يأس) هل تحصل من بعد الأمل ومن بعد التأكد والتحقق والتثبت ثم يأتى الفشل فيكون الآياس واليأس؟[٢٠٢]

---

٢٠٢ - اليسر: في القرآن الكريم هو فتح أو انفتاح المُغلق وتسهيل وتبسيط المُعقَّد، وذلك أنَّ (الياء) عندما دخلت على (السر) من مقدمته، فإنها أنهت حالته وأبطلت مفاعيله وفقت مغاليقه؛ أو عكست دلالته والصار الصعبُ سهلاً وهيِّناً وليناً واليسر الانقياد وهو ضد العسر، واليسر الاخصاب والعمل والتسديد والغنى والمقاربة والتوسيع وهو عدم المغالاة وكلٌ ميسَّر لما خُلق له، ويثرب هي النكبة والمنكوبة نكبة شاملة، ويأجوج أسمٌ لمجموعة مختفية لا يفقهون، ويد: الحدود الواسعة (الدال حرف حدود) وذات الإمكانيّة والقدرة على العطاء والإنفاق، والإشفاق: الامتناع والانقطاع والصدود والاحتجاب والندم والخوف.

اليتم: وهو الانفراد والغفلة والإبطاء والحاجة، وهو انقلابٌ لمفهوم (التمام) وذلك بسبب دخول (الياء) على (تمَّ) من مقدمتها، فقلبت معناها قلباً شديداً وصار التمام نقصاً والإجماعُ انفراداً، والسرعة إبطاء، بينما النداء في القرآن الكريم دائماً

و(الواو) حرف القوة الماديّة الملموسة والمتانة المتصلة المتواصلة، وحيثما وجدت (الواو) فإنَّ المراد هو تمتين المعنى، أو الإيحاء بالمتانة والقوة والاتصال والدعم المتواصل والتأكيدُ، والعطف والضم الشديد والقوي، البعض إلى البعض، ومثالها قوله تعالى: ﴿ **وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾** ﴾ [الحاقة:٤٧]، (الوتين) وهي المتانةُ الشديدة، أعلى أنواع المتانة والتواصل والإيصال من الله سبحانه وتعالى، فكانت (الواو) مكان الميم، الحبل المتصل الذي لا ينقطع، وفي لسان العرب أنَّ العرب إذا أرادت تقوية المعنى قلبت الميم إلى (واو) والله أعلم، هذا وإنه

خفيّاً وفي اللحظة الأخيرة، في آخر لحظة، قال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الصافات:٧٥]، ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ ﴾ [مريم:٣]، ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدًا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٩]، ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٣]، ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [ص:٤١]. اليأس: وهو انقطاع الأمل، انقطاع شامل للأمل وللطريقة؛ وانعدام تام وإبطال للحول والقوة والقدرة والأسس، اليبس: يَبِسَ، وهو الجفاف وهو مقلوب مفهوم الميس الذي كان يعني الطراوة والنداوة واللين والخفة والرشاقة، وذلك أن (الياء) التي دخلت على مقدمة هذا اللفظ قد غيرت حالته، وقلبت الباء إلى ميم وقلبت معناهُ أيضاً، وهذه ألفاظٌ من كتاب الله الكريم تبدأ بحرف (الياء): يئس يبس يتيماً يثرب يأجوج يدٌ (يـس) يسرنا يَسرِ اليسرى اليسع يوسف يعقوب يَعوق يغوث الياقوت يقطين أيقاظاً توقنون اليقين تيمموا اليم اليمين الأيمن المبينة يونس ينْهُهُ اليهود اليوم.

(يا أخا العرب) و(يا أبن أخي) هذا النداءُ كان متداولاً بين العرب وكثيرُ الاستعمال وشائعٌ لديهم وله مدلول رائع وعظيم يدلُ على أنَّ (صلة الأخوة في مجتمع العروبة) كان لها معنى لم يكن يفتقر إلى مددٍ من القبيلة أو الإقليم أو الحسب أو النسب أو غيره؛ مما يدلُ على أن (رابط العروبة) كانت أقرب إلى الدين الطبيعي (العرف) قال تعالى: ﴿ **خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾** ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وهي أي العروبة ليست مجرد مألوفات ذهنيّة أو عادات مرعيّة أو تخيلات وأوهام وإنما هي ما احتضنته بيئتهم وحنت عليه نفوسهم، من القيم والمبادئ والمثل والأخلاق الرفيعة، ولعل (الإخاء) في العروبة على قدمه وما يلزمه من الالتزام؛ ومن النزوع إلى الوحدة (التوحيد) مع الآخرين(النزوع إلى القول الحسن والأعمال الصالحات) فهو يدل على المثالية وهو الشيء الثابت في تاريخ العروبة والزمن العربي المديد.

لـ(الواو المفردة) في الإعراب العربي أكثر من تسع أحوال (البعض أوصلها إلى اثنا عشر حالة)، ومنها الحالية والعاطفة وأحرف العطف هي (الواو والفاء وثُمَّ وحتى وأو وأمْ وأمَّا ولكنْ وبلْ ولا)، أما (الواو) فيجتمعُ ما بعدها مع ما قبلها في الحكم دون تعارضٍ بينهما بتقديمٍ أو تأخير، لذلك اختصَّتْ (الواو) بالعطف مع المشاركة، فيما يُشترط الترتيبُ في باقي الحروف مثل الفاء وثُمَّ و(واو ربَّ) الاستئنافية والزائدة والضمير المذكور و(واو الثمانية) والمبادلة والمتالات والقسم وغيره؛ وتستعمل أيضاً في الأمر والنهي وذكر بعضهم الدعاء، والمستعملة لمدة الإنكار وليس من الضروري أن تكون كل (واو) تأتي في مفتتح السورة أو الآية في القرآن الكريم، أن تكون للقسم بمعنى الحلفان! لأنَّ اللهأ لا يحتاج أصلاً في قوله للحلفان أما مخلوقاته، كما زعم المُفسرون؛ بينما الحلفان يؤديه المطرُّون له أمام القاضي أو المسؤول؛ وأساساً لا حاجة لهﷻ وهو مالك المُلك لكي يحلف أمام مخلوقاته أما الإشكال فقد توَّلد لدى المفسرين الأعاجم من خلال خلطهم بين مدلول لفظ (القسم) ومدلول لفظ (الحلف)، وفاتهم أن (القَسَمَ) من القسمة والتقسيم أو التفريق، وأنَّ (الحلف) الغرض منه التأكيدُ على صدق القول!.

أما (الواو) فإنها في جميع تلك المواقع في القرآن الكريم فإنَّ منها دلالة علة القوة الحالية والدائمة والمتانة والتوثيق إلى أبد الحدود، أو غير المحدود، لأنَّ الله ﷻ هو القوي وهو مصدر القوة وهو مالك الملك أ ولأن القسم يكون للضعيف عادةً أمام القوي وللمتهم أمام القاضي وليس العكس.

والسين من حروف الزيادة وتدخل على الكلمة فتجعل المضارع للاستقبال، وهي حرف تنفيس أو تخصيص أيضاً لأنه يُصَيِّر الحال مستقبلاً.

إنَّ (للسين) علاقة هامة مع حرف (الصاد) فالصاد تعتبر تقويةً (للسين) مثل لفظة (فيلسوف) التي أصلها (فيل صوفيا) ومعناها الرجل الحكيم، فأصلها من الصوفية أو الحكمة، ولفظ (الساهرة) في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾** ﴾ [النازعات:١٤]،

فإنها توحي وتذكر (بالصحراء) المجدبة والخالية والتي لا يُرجى منها طعامٌ ولا شراب، إلا من حميم، فهل كانت جهنم للمشركين في هولها الشديد وطعامها الحميم مثل الصحراء القاحلة؟ إنها (السين) وقد كانت (صاد)!

إنَّ (السين) هو حرف التسوية والاستقبال والعمل بالخفاء وهو للغياب والرقة والاحتكاك والملامسة والاستواء والمطويات؛ (الرسالة المرسلة والخاصة) و(سبت) في بعض البلاد تعني (جلالة) و(السمت) تعني الاستقامة والاتجاه، والسبت تعني القطع والبتُّ، و(السلام): انتفاء النقص، والسلام: الكمال في كل شيء (تعادل فيه الغني والفقير والكبير والصغير، والأهلي والغريب) و(سَكَرا) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧** ﴾ [النحل:٦٧]، هل هي الثمار المجففة المحفوظة؟ ويسبحون بحمد ربهم: يطيعون وينفذون بأمر ربهم ويدورون في فلك طاعته ﷻ، وسبيل الله مستقيم، والكافرون يبغونها عِوجاً، الذين يتفكرون والذين يعقلون وأُلي النهى وأُلي الألباب لايكتفون بالسماع والمشاهدة بل يتجاوبون ويبادرون إلى الفعل والحركة، السحر: معالجة العقل أو ايهام العقل؛ والُمسمى: هو الهدف الُمحدد الزمن والطريق الواضح، ولأجلٍ مسمى أي محدد مبين مُعلَّم لا يَحيد واسمه أحمد: الأحمد يعني الموافق، أي علامته أنه موافقٌ لما جاء به عيسى عليه السلام.

و(الفاء) هو حرف له تبادلٌ في اللهجات العربيات مع باقي الأحرف الشفوية (الباء والميم والواو) فيه تخصص وتحديد واستقلال واستغناء وعزوف وابتعاد وامتناع وغالباً ما تأتي الفاء خبرية أو تدخل على الخبر، وعندها تكون دلالة على المباشرة وسرعة التنفيذ ثم تحدد الأحرف التالية في كل لفظٍ معالم المعنى المطلوب دراسته في اللفظ المحدد وإتمامه من حيث المسار والاتجاه،

ثم أن هنالك تبادلاً لـ(الفاء) مع (الحاء) ومع غيرها من الأحرف فينبغي الانتباه

للمنقلبات من الأحرف وهي علاقة التقطع الخفيف في الكلام، في حين كانت القاف فيها قطع حاد، من هنا كانت الفأفأة والفتفتة والفاء دلالة الفرق والتشعيب أو الاستطراق في طرق شتى منفرقة وهي علامة الانفصال والانتشار البطيء والتفرد والانفراد والقيام الهادئ المفاجئ واستئناف العمل وحلحلة العقد والخروج والانتشار والانفراد والتجديد، و(صدف) تعني: الامتناع والعزوف والاستقلال والابتعاد.

خواطر من سورة يوسف المباركة

هل كان سيدنا يوسف جَدًّا للرسول الأعظم محمد ﷺ؟ هل كان سيدنا محمد ﷺ، من ذرية سيدنا يوسف؟ ألم يقل الله سبحانه وتعالى ﴿ **وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ** ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، أليس لفظ النبوة، ولفظ الكتاب، في هذه الآية، مستغرقاً للجنس؟ لم يقل نبوة وكتاباً، بل قال النبوة والكتاب، لقد أتى لفظ الكتاب (اللفظ معرفاً) في القرآن الكريم ٢٣٠ مرة، وكان في جميع الآيات، سياقاً واحداً يدل على كتاب الله الكوني الكلي والعلم به والنبوءة عنه، وكان هذا الكتاب الكوني هو القرآن العربي المجيد، أوحى به الله سبحانه وتعالى لأنبيائه عبر العصور، وعلى مراحل كان آخرُها ومسكُ الختام محمداً ﷺ.

والقرآن الكريم يقرر أن جميع هؤلاء الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين كانوا ذرية بعضهم من بعض، والآثار التاريخية تقول بأن قريشاً لم تكن في مكة منذ الأزل! بل أتت من العراق أساساً، وتشكلت واستوطنت قرب مكة، ثم زاحمت جرهم أو خزاعة غيرها والله تعالى أعلم، حتى استولت على مكة في فترة من فترات التاريخ، الذي سبق نزول الوحي على رسول الله ﷺ، ويقال أن العماليق وهم قومٌ من حِمْيَر، في اليمن، كانوا أسبق إلى مكة ثم بغوا في البيت، فأخرجهم الله سبحانه وتعالى منه وأبدلهم بجرهم، وهنالك أخبار تقول (أن جرهم كانت أولاً في البيت ثم جاءت العماليق فتولت البيت) (وروى عن ابن الأزرق بالسند المتقدم قال: إن عمر بن الخطاب قال لقريش: إنه كان ولات هذا البيت قبلكم طُسم فاستخفوا

بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله، ثم وليته بعدهم جرهم فاستخفوا بحقه واستحلوا حرمته فأهلكهم الله تعالى، فلا تتهاونوا به وعظموا حرمته، وجُديث أخو عملاق)(٢٠٣).

ويقال إن خزاعة حلَّت محل جرهم، ثم إن قريشاً زاحمت خزاعة على مكة وغلبتها عليها، وقد احتلت قريشاً مكة قبل ثلاثمائة، أو أربعمائة سنة من قبل بعثة الرسول الأعظم ﷺ، والله أعلم، ويُذكر أن قريشاً قد تقاطرت إلى مكة، وتقربت من البيت العتيق، وقبل ذلك كانت في العراق أو أن سيدنا إسماعيل قد أتى مع أبيه سيدنا إبراهيم عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام، قد أتوا من العراق ولذلك كانوا في مكة يطلقون صفة العريق على كل من تحدر من بلاد العراق، أو كان المقصود من هذه الصفة ذرية سيدنا إبراهيم ﷺ القادمين من العراق الذين اجتباهم الله سبحانه وتعالى، والله تعالى أعلم.

وقد غاب عن بالهم أيضاً أن معنى لفظ يعقوب في اللسان العربي المبين هو: الأخير، الذي يأتي آخِر واحد، وهو: العاقب الذي يتعقب القافلة، وكأنه متخلفٌ عنها يلحق بها، في آخر لحظة! وأن سيدنا يعقوب كان هِبَةً من الله سبحانه وتعالى، لسيدنا إبراهيم، لا لغيره، وآية له لا لغيره، ومعجزة له لا لغيره، وعندما بُشر بسيدنا إسحاق استغربت زوجته وقالت كما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ**

---

(٢٠٣) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه، قال «أخـذ الله الميثاق على ذرية آدم بنعمان من عرفة، ثم قال ابن الأثير: نعمان بفتح النون الأولى، انتهى.الكامل لأبن الأثير، وعن ابن عباس أنه قال: كان في السفينة ثمانون إنساناً وفيهم جرهم» شفاء الغرام باخبار البلد الحرام ج١ ص٣٥٦ مكة المكرمة دار الكتب العلمية بيروت دون تاريخ.
يقول ﷺ : «ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً» قال هـذ ا القول لقومٍ من أسلم بن قصي، وأسلم أخو خزاعة، وهم بنو الحارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر، وهم من سبأبن اشجب بن قحطان ولا صحة عندي في هـذا الحديث لأن اليمن لو كانت من اسماعيل مع أن عدنان كلها من اسماعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء بالنسب لإسماعيل معنى؛ لأن غيرهم من العرب أيضاً أبوهم إسماعيل ولكن الحديث دليلٌ على أن خزاعة من بني صمة أخي مدركة بن إلياس ابن مضر انتهى، وقد اختلف في نسب قحطان المنسوب إليه جرهم، ص٣٥٨ نفس المرجع.

ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ [هود: ٧١-٧٣]، إذاً كانت البشرى للمرأة نفسها وهي زوجة سيدنا إبراهيم ﷺ، هذا ما يُؤكده القرآن الكريم.

وليس ضرورياً أن ننحى منحى التوراة اليهودية بالاعتقاد برواياتها الخرافية، التي تقول بأن سيدنا إبراهيم، كان لديه (زوجتان) سارة وهاجر[٢٠٤]، إن هذا الاعتقاد، قد سدَّ على العرب المسلمين، والناس جميعاً، سُبُلَ الفهم المنطقي والحقيقي والصحيح لحقيقة الأمور، ومجريات الوقائع التاريخية، فسيدنا إبراهيم بحسب القرآن الكريم، لم يكن له إلَّا زوجة واحدة؛ وهذه الزوجة بحسب الحديث النبوي الصحيح، كان اسمها (**سارَّة**) وكان الرسول ﷺ يقول عنها: «**أمكم سَارَّةَ**» وكان سيدنا إبراهيم، مع زوجه وأولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وأحفاده منهم كانوا يقيمون عند البيت، أو بقربه، ولذلك كانت بركات الله تعالى عليهم، ولذلك سماهم رب العزة أهل البيت، ولم يقل آل البيت، فمن أين جلبوا فيما بعد الأساطير؟ وكيف أعوجوا الأفهام؟ وألصقوا وألبسوا الترهات.

وبالتالي هل كان إبراهيم وإسحاق ويعقوب، صلوات الله تعالى عليهم، مجهولين في مصر؟ وأي مصر؟ ألم يبلغوا الرسالة، أو النبوة إلى الأمصار؟ ألم تعمم الرسالة التي حملها سيدنا إبراهيم؟ ألم يسمع بها معاصروه؟ يقول سيدنا يوسف ﴿ **إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾** ﴾ [يوسف: ٣٧]، هل كان لا يزال في تلك الفترة في عصر سيدنا يوسف، القريب جداً من عصر سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب، عليهم الصلاة والسلام، هل كان لايزال هناك قوم كافرون؟ أين هو موقعهم؟

هل كان البلاغ محدداً، والرسالة محصورةً في بقعٍ معينة؟ أين هي؟ هل كانت الدعوة وقفاً على آل إبراهيم، وذرية إسماعيل؛ وذرية إسحاق؛ وآل يعقوب، ألم تكن الدعوة إلى الله تعالى، والبلاغ عامَّاً وشاملاً؟ قال سيدنا يوسف ﴿ **ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ** ﴾؟ وهذا يعني أنه كان في زمن سيدنا يوسف هناك تعدد آلهة! أربابٌ يعبدونها من دون الله تعالى، ما أنزل الله بها من

(٢٠٤) راجع كتاب (هاجر حقيقة أم أسطورة) لعبد المجيد همو، دار معد، دمشق ١٩٩٨.

سلطان، قال تعالى:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٧]، قال الملك ﴿ ٱئْتُونِى بِهِۦ ﴾ الملك هنا في سورة يوسف، ليس بالضروري أن يكون هو نفسه العزيز، بل الملك هنا شخص آخر، شخصية ثانية، ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يوسف: ٥٤-٥٦] وكان للمدينة (مصر) أبواب؟ ومصر التي هي وادي النيل الأعلى، ليس لها أبواب! أين هي أبوابها؟ الأبواب تكون للمدينة المحدودة المحددة!.

﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ ﴾ [يوسف: ٧٨] إن سيدنا يوسف أصبح مكان العزيز!؟ وقالوا ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يوسف: ٨٢] وهذا يؤكد أن قريتهم كانت معروفة للجميع ومشهورة وقريبة من المدينة (مصر)، ليست نائية ولا بعيدة بحيث تكون مجهولة لأحد، أو أن مصر كانت قريبة من القرية، يتضح ذلك خصوصاً عندما قال تعالى: ﴿ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ وهناك فرق بين القافلة الظاعنة والقافلة السيارة، إن القافلة السيارة هي التي تروح، وتجيء على الطريق باستمرار.

إن القرية التي كان يسكنها ويقطنها سيدنا يعقوب وأولاده كانت تقع على الطريق العابر بين الأمصار، وكانت على هذه الطريق تنقل باستمرار البضائع والأشخاص، وكانت لهذه الطريق عند كل قرية طرقٌ فرعية، بحيث إن العير كانت من كل قرية تنضم إلى القافلة في ذهابها، وإنَّ العير كانت تفصل عنها في العودة عندما تصل إلى قراها، أي تفترق عن القافلة عند مفارق تلك القرى، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ ﴾ [يوسف:٩٤]، إن سيدنا يوسف أصبح في ما بعد ملكاً للأرض؛ بعد أن بدأ موظفاً عند الملك، أو وزيراً للملك، أو مسؤولاً عن الميرة؛ لكنه ولا شك أصبح في النهاية ملكاً للأرض، إن سورة يوسف تؤكد ذلك.

لقد اكتسب سيدنا يوسف، وبمشيئة من الله سبحانه وتعالى، وبالإضافة إلى النبوة والكتاب من الله سبحانه وتعالى، الخبرة والتجارب، وتعلم تدبير أمور المُلك عندما كان في بيت العزيز منذ الصغر، يسمع ويرى (المهارة بالعمل والعلوم الأرضية) وصارت لديه الخبرة، وهذا هو السبب الذي جعل المَلِك، عندما كلمه، يُدركُ تمكُّنَ سيدنا يوسف من إمكانيته وقيادته، وقدرته على إتقان عمل (العزيز - الوزير) فسلمه وأعطاه مكان العزيز، قال إخوة يوسف ليوسف: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ ﴾ [يوسف: ٧٨]، إذاً في تلك اللحظة، لحظة هذا الخطاب كان سيدنا يوسف لايزال وزيراً، أو قائماً بأعمال الوزير ؛ لكنه أصبح في ما بعد ملكاً على الأرض، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] وهذه عن سيدنا يعقوب وآله؛ كذلك فإن الرحلات بين المدينة (مصر) والبادية، والتي كانت (البادية) مقراً ليعقوب عليه السلام، وآل يعقوب، الذين كانوا في لجة البادية، وكانت الرحلات موسمية بين البادية والمدينة أثناء وخلال فترة الجفاف.. سبع سنين عجاف جفاف! ففي تلك المدينة (مصر - لفظة مصر في اللسان العربي المبين تعني المدينة؛ وفي التاريخ نقول أنَّ سيدنا عمر رضي الله عنه، قد مصَّرَ الأمصار أي أنه قسَّمَ أو نظَّمَ الأقاليم في البصرة، والكوفة، وغيرها، وهناك بصرى الشام معروفة، ومعرة مصرين بلدة قرب حلب، وبصرى وبصير وبصر الحرير كلها قرى في بلاد الشام.

وكان هناك مستودعات مصانع (صوامع) للحبوب، وكانت هذه المدينة ولاشك، وهي تزرع في إقليمها الحب، وأنها كانت واقعة في وسط إقليمٍ يزرع الحب، قال تعالى:﴿ **قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ٤٨ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩** ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩]، فماذا كانوا يعصرون، قال تعالى: ﴿ **وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا** ﴾ [يوسف: ٣٦] فهل كانوا يعصرون الخمر؟

أم كانوا يعصرون الزيتون، الله تعالى أعلم.

ولكن الخمر لفظة تلائم الملك وهي أنسب للمفرد، بينما غير واردة لتكون متلازمة لحالة الشعب المتلهف من المجاعة؛ لابد أن تكون لفظة (يعصرون) المقصود فيها شيء غير الخمر، شيء يهم الناس، شيء كان يُنتظر بعد مجاعة دامت سبع سنين.

فإذاً في سورة يوسف ماذا يحصدون؟ وماذا يعصرون؟ هل يحصدون القمح أم الشعير؟! إذ لا بد أنه الشعير ؛ لأنَّ القمح (البر) لا يناسب البداة، ولا الحياة في البادية، ولا هم يعتمدون عليه أبداً؛ لأنه لا يمكن تخزينه في البادية، فهو سريع العطب ولا يحتمل ولا يتحمل ظروف البادية، بينما يعتمد البداة إلى اليوم، على الشعير حصراً، لأنه يناسب البادية، وإلى الآن فإن أهل البادية، في الحجاز والشام والعراق، يزرعون أطرافها ووديانها، فإذا أكرمهم الله سبحانه وتعالى بالمطر، أعطتهم من الغلال أضعافاً مضاعفة، وإذا كانت سني محل أطعموا الزرع إلى قطعانهم، وهم يعتمدون على الشعير في كل حياتهم، يصنعون منه الخبز والأكل، الطبخ والحلويات؛ ويُطعمون منه حيواناتهم، ولم يكونوا يعرفون خبز القمح، فقد ذكر أبو هلال العسكري في كتابه الأوائل أن أول بدعة في الإسلام، كانت أكل العرب لخبز القمح! وأنهم كانوا على عهد رسول الله ﷺ، لا يأكلون إلَّا خبز الشعير.

وبالتالي فهل كانوا أيضاً يعصرون منتجات النخيل؟ أم الأعناب؟ أم الزيتون؟ أين هو إقليم الشعير، والزيتون معاً؟ هل يوجد في وادي النيل الأعلى أصولٌ لزراعة الزيتون، ومعاصر لعصر الزيتون؟ أو لمنتجات النخيل والأعناب؟ هل كانت مصر التي هي اليوم الإقليم في وادي النيل الأعلى، بلاد زراعة الحنطة (القمح) أساساً؟ هل كان المقصود بالحب والسنابل الخضر واليابسات المذكورة في سورة يوسف حديثٌ عن القمح أم عن الشعير، هل يعتمد البداة على القمح أم يعتمدون في حياتهم على الشعير، لهم ولدوابهم هذا ولم ترد لفظة (القمح) مطلقاً في القرآن الكريم، فليس من الضروري أن نلتزم عند فهمنا لقرآننا المجيد محددات التوراة.

وبالتالي فهل تعتمد بلاد مصر (وادي النيل) على الزراعات البعلية والمعروف، أن مصر هي هبة النيل، وهذا يعني أن إقليم مصر، في وادي النيل، أرضها أرض سقي لا بعل! وبالتالي فإن ماجرى، وما ورد في سورة يوسف من حديثٍ عن المكان وعن الزمان، كموقع وكفترة تاريخية، فإنه لا علاقة له، لا من قريب ولا من بعيد، ببلاد مصر الحالية؛ ولا بالأوابد الآثارية المتواجدة حالياً في وادي النيل، أبداً، الأهرامات والمومياء والمسلات والأقصر وغيرها، إن إطلاق تسمية الحضارة الفرعونية على تلك الآثار الرائعة الموجودة الآن في وادي النيل كان مؤامرة يهودية توراتية هدفت لتطبيق وتلفيق وتزييف واختراع واقع يتناسب وأكاذيب وافتراءات وأضاليل التوراة اليهودية، وقد سبب هذا الأمر إرباكاً وتناقضاً للأفهام وسدَّ كل إمكانية للبحث العلمي المجرد والدقيق والبحث العلمي الذي لم يكن ليتنافى مع الذكر الحكيم أبداً.

بينما تشير السورة بما لا يدع مجالاً للشك أن الموقع الحقيقي لمجريات الأحداث في السورة سورة يوسف، كان في إقليم زراعة الحب(٢٠٥)، والزيتون، وفي إقليمٍ كانت تعتمد الزراعة فيه على مياه الأمطار (الزراعات البعلية) لا مياه الأنهار، وهذا الإقليم ولا شك كان ولا يزال محصوراً بين الحجاز وبلاد الشام، بما فيه جنوب العراق؛ إن المدينة المشار إليها كانت تقع على أطراف هذه البادية الشاسعة، بدليل أنه، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ فهل كانت هذه المدينة التي وصل إليها سيدنا يوسف ﷺ، هل كانت هي (يثرب) على اعتبار أن القص، والدلالة كانت لسيدنا محمد ﷺ، وبشرى له، على أن ما سيحصل له هو نفس ما حصل لسيدنا يوسف؟ الله تعالى أعلم.

---

(٢٠٥) وهنا لا بد من التأكيد على أنه ليس بالضروري ان تكون الحبوب المقصودة هنا حبوب القمح؛ لأنَّ حبوب القمح لا تناسب عملياً التخزين سبع سنوات! بل ولا سنة واحدة، ولا بدَّ أن تكون الحبوب حبوب الشعير؛ حيث لا يزال الشعير هو المفضل لدى البدو في الحل والترحال.

وذكر كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري المتوفى مطلع في القرن الرابع الهجري أنَّ أول بدعةٍ في الإسلام كانت عندما بدأ العرب المسلمون ينخلون طحين الشعير، وقال بأنَّ المسلمون الأعراب كان خبزهم من قبل، من الشعير غير المنخول؛ وكثيراً ما يذكر في الأثر أن الرسول ﷺ كان خبزه من الشعير والله تعالى أعلم...

ولكن هل أوحي للرسول محمد ﷺ أنه سيكون هو المكان نفسه؟ وأن عليه أن يهاجر إلى هذا المكان؟ الله تعالى اعلم، وبالتالي هل ما كان قد حصل لسيدنا يوسف من قبل؛ كان في المواقع نفسه؟ لا سيما أن سورة يوسف كانت مكية، وقُبيل الهجرة، وكانت بشرى للرسول ﷺ، وتثبيتاً له، ووحياً وتوجيهاً؟

هل كان هذا التوجيه إلى يثرب، التي أصبحت فيما بعد المدينة، هل رجعت إلى اسمها الأول، هل أوحي للرسول ﷺ، له باسمها الأول؟ والله أعلم، أن الله سبحانه وتعالى، قد أوحى إلى الرسول العربي محمد ﷺ، في سورة يوسف، التي نزلت بطبيعة الحال في الفترة المكيّة، كانت هذه السورة هي التي أوحت إلى الرسول ﷺ بالجهة التي عليه التوجه إليها (يثرب) وبالطريق؛ والله تعالى أعلم.

وكان ﷺ على يقين من أن المُلك والحكم سيكون للمسلمين، لكنه ﷺ، قد آثر ما عند الله سبحانه وتعالى، لأن الله سبحانه وتعالى قد خيَّره فاختار ما عند الله تعالى، وفي بداية الهجرة كان ﷺ قد وعد، وكله ثقة بالله تعالى (سراقة) بسواري كسرى، ولما كان يحفر مع المسلمين في الخندق، قال ﷺ الله أكبر فتحت المدائن الله أكبر فتحت الشام، كانت هذه كلها إرهاصات لِما سيتم من نعمة من الله سبحانه وتعالى، كانت هذه الإرهاصات واضحة في سورة يوسف، الرسول العربي محمد ﷺ، كان قد فهم ما أوحي إليه، وعمل وفق ما أوحي إليه من الله سبحانه.

فالرسول ﷺ قد ائتمر به قومه، وسيدنا يوسف قد ائتمر به أخوته، سيدنا محمد كان يتيماً فآواه الله سبحانه وتعالى، وكذلك كان سيدنا يوسف طفلاً صغيراً فأنقذه الله سبحانه وتعالى، كان سيدنا محمد مستحيلاً على العقل والمنطق البشري، التصور بأنه سينتصر، وأنه سيكون بدعوته ذكراً للعالمين، وكذلك عندما كان سيدنا يوسف في لجة البادية، طفلاً صغيراً، معزولاً، كان من غير المنطقي التفكير بأنه سيكون ملكاً للأرض، إن الله سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء جَلَّ جَلَالُهُ، يعز من يشاء بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

إن سورة يوسف في القرآن المجيد من الضروري جداً على كل عربي قراءتها والتمعن في دلالتها والتبصُّر في قصِّها؛ لأنها مفتاحٌ من مفاتيح فهم القرآن العظيم، وكشافة بالنور للتاريخ الماضي، وسيدنا يوسف هو واحد من السابقين واللاحقين المتلاحقين، من الأنبياء والرسل العرب الكرام، والذين جميعهم كانوا من العرب، من العرب وقد بعثوا في منطقة واحدة، كانت واحدة، ثم جعلوها متعددة الأقوام بعد أن اختلفوا

و(أهل البيت) يعني هذا التركيب، ويدل هذا اللفظ، على أنهم، سيدنا إبراهيم وامرأته وأولاده جميعاً، سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب، ثمّ إنّ سيدنا يعقوب، قد أعقب، وصار لديه (آل) في مكان ليس ببعيد عن البيت؛ لأنهم، ولا شك، كانوا يقطنون قرب البيت؛ البيت العتيق، مكة المكرمة، وهو أول بيت وضع للناس قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، جاء بكم من البدو يعني ذلك أنهم أخرجوا من لجة البادية ومركزها من وسطها، من حيث لم يكن أحدٌ يمكن أن يتوقع أنهم يمكن أن يخرجوا منها، ولكن الله سبحانه وتعالى قد أخرجهم بمشيئته وبإرادته وبقدرته سبحانه وتعالى، إن هذا الخروج لم يكن من أطراف البادية! بل من لجة البادية، فإذاً أين تقع البادية؟ الأولى والأساسية؟ والحقيقة أن ليس هنالك بادية في العالم، إلَّا بادية واحدة؛ ومركزها مكة المكرمة البيت العتيق أول بيت وضع للناس، كان هذا البيت وقد وضع في لجة البادية في وادٍ غير ذي زرع!

وهذا هو معنى لفظ (أهل البيت) وليس لها أي مدلول آخر! قال تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ [آل عمران: ٩٦]، قال تعالى: ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧٣]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا

﴾[الحج: ٢٦]، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، قال تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ﴾ [الطور: ١-٤]، قال تعالى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾ [قريش: ٣]، قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأنفال:٥]، وبيتك في هذه الآية تعني بلدتُك، وأهلُك من الأهل والديار، وتعني أن مكة المكرمة، وهي البيت العتيق، كانت بيتاً ومثابةً لكل نبي ولكل مؤمنٍ على مر الزمان، قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٠٠]، قال تعالى: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[البقرة: ١٢٥، قال تعالى ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ [الحج: ٢٦]، قال تعالى: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا ﴾ [نوح: ٢٨]، فهل كان المقصود من البيت المنسوب إلى سيدنا نوح هو السفينة، أم البيت العتيق، لاسيما أن زوجته كانت من الغابرين والتي ضرب لنا الله بها المثل في الخيانة! وكذلك ابنه الذي كان قد غرق، والذي ربما كان وحيداً، فبحسب القرآن العربي المجيد، ليس بالضروري أن يكون عند سيدنا نوح ﷺ، أبناء أكثر من ولد واحد، وبالتأكيد فإنه ﷺ، لم يكن لديه في هذه الحياة ذرية! أبداً وإلا، لورد ذلك في الآيات صراحةً قال تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإسراء:٣]، قال ذرية من حملنا ولم يقل ذرية نوح، قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ [مريم:٥٨]، وهنا أيضاً لم يقل (ذرية نوح) بل قال ﴿ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ ما يقتضي الانتباه لما هو موجود في التفاسير والآثار التي انساقت وراء الأفهام المستوردة أصلاً من التوراة دون تمحيص والله أعلم.

فكيف ساقوا التفسير إلى أن أصبح سيدنا يعقوب ابناً لسيدنا إسحاق، بالشكل الذي

يُعاكِسُ مَقولةَ القرآن الكريم الواضحة والصريحة، وهل الله سبحانه وتعالى يعجز عن أن يجعل سيدنا إبراهيم الشيخ الكبير، ينجب ما يشاء من الأولاد ؛ بل إن الله سبحانه وتعالى سيجعل له الأولاد، لسيدنا إبراهيم، حتى يتعدى الفعل في (وهبنا) سيدنا إسحاق؛ ولماذا يكون (وهبنا) عائداً إلى سيدنا إسحاق، وبياناً، فإنه لا مبرر بلاغياً، على الإطلاق لذكر البشرى بيعقوب، لو كان سيدنا يعقوب ابناً لسيدنا إسحاق! لأنه سيكون في هذه الحالة، من نافلة القول، أو أنه في هذه الحالة، سيكون كلاماً زائداً لا مبرر له، وحاشا وكلا أن يكون في القرآن الكريم كلام زائد؛ والقرآن الكريم فيه قمة البلاغة، ومن الطبيعي أن يكون، أو أن يُرزق سيدنا إسحاق بعد ذلك بالأولاد! فما الداعي في هذه الحالة للبشرى؟ بل كانت البشرى لسيدنا إبراهيم ﷺ، آية له وجائزة له بالذات، فقد أتاه يعقوب على كبر، وبعد إسحاق، هبةً من الله تعالى، إن الله سبحانه وتعالى قادرٌ على كل شيء، ﷻ والله تعالى أعلم والحمد لله رب العالمين.

مفهوم الإمام

في الدين الإسلامي أساساً لا يوجد مراتب دنيوية؛ وكذلك فإنَّ مفهوم الإمام؛ الذي يعني ما أتمَّ به من رئيسٍ وغيره، جاء في لسان العرب ما هو نصه: أَمَّمَ بالفتح أي قصد، ويمَّمْتُه أي قصدته، فلأَمُّ: أي قصد الطريق المستقيم (أي أنَّ الإمام هو العلامة على الطريق الذي ينبغي أن يُقصد) ويتيممون أي يقصدون وأمّ الباب قَصَدَهُ، وتيممتُ الصعيد للصلاة أي قصدته وأصله التعمُّدُ والتوخي قال ابن السكيت: قوله عزَّ وجل ﴿ **فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا** ﴾ [النساء:٤٣]، أي اقصدوا الصعيد الطيب، ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم اسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب، وابن سيده: التيمم التوضؤ بالتراب على البدل؛ وتيممته: توخيته وقصدته، والتيَمُّم بالصعيد مأخوذٌ منه وصار التيمم عند عوام الناس يعني التمسح بالتراب؛ والأصل فيه القصد والتوخي، واليمامة القصد وجَمَلٌ مئم: أي دليل هادٍ يعني القصد لأن الدليل الهادي: قاصد؛ والأمة الحالة والشرعة، والدين، أو الطريقة، قال تعالى:﴿ **إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ** ﴾ [الزخرف: ٢٢]،

أي على طريقة، أو على سنة، وقوله تعالى: ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]، أي يعني خير أهل دين (ليأتمَّ بهم باقي الناس)[٢٠٦] قال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٢]، أي قاتلوا رؤساء الكفر وقادتهم وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص٤١]، أي من تبعهم فهو في النار يوم القيامة، والإمام الذي يُقتدى به، وجمعه أئمة مثل إناء وآنية، وإمامُ كل شيء قيِّمه والمُصلِح له[٢٠٧] قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف٣]، بل

(٢٠٦) ما بين قوسين للمؤلف.

(٢٠٧) والرواة، والكتَّاب والوعاظ، المسلمون العرب، في هذه الأيام، يطلقون العنان لأهوائهم في النقل، والتنقل بين الكتب؛ دون إعمال العقل، يصدرون عن الذاكرة المسجلة في أدمغتهم مسبقاً، اللوحة الجاهزة، تُسيِّرهم وتدفعهم، الدفع الذاتي، ولقد نسي هؤلاء المُنَوَّمون، أو تناسوا، أنهم بسبب هذا الوهم الذي توهموه، قد وقعوا، وأوقعوا المسلمين، ولقرونٍ عديدةٍ في شر مما منه فروا، ولسان حالهم يقول إنما اتبعنا إماماً، أو سلكنا مسلك عالمٍ، إنه أعلم منا، اوَإنْ كان هذا الإمام، أو هذا العالم، ينقل بالأساس عن كتب اليهود؛ بل لسان حالهم يقول كما قال عنهم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٤-١٠٥]، قال تعالى: ﴿قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [الشعراء: ٧٤]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: ٢١]، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٠-٢٢] ومن عجيب تأثير هذا الوهم على أصحابه أنه يصدهم عن المنطق، وعن العدل والله المستعان.

إن الناس صاروا يقلدون تقليداً أعمى قال ﷺ : «**يكثر الحديث من بعدي**[٢٠٨]**، فإذا روي لكم عني حديث فاعرضوه على كتاب الله تعالى، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالفه فردوه**» فدلَّ هذا الحديث على أن كل حديث يخالف كتاب الله تعالى فإنه ليس بحديث، وإنما هو مفترى، وكذلك كل حديث يعارض دليلاً أقوى منه فإنه منقطع عنه ﷺ ، لأن الأدلة الشرعية لا يناقض بعضها بعضاً، وإنما التناقض من الجهل المحض؛[٢٠٩] وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تكتبوا عني شيئاً إِلَّا القرآن، ومن كتب عني شيئاً**

---

(٢٠٨) وكيف يستمر هذا التأويل الذي لم يكن أساساً من عند الله سبحانه وتعالى، بل هو عبارة عن تخرصات ووجهات نظر، كانت خاصة في الكثير من الحالات، نبعت من مصلحة خاصة أيضاً في وقتٍ من الأوقات؛ وفي ظروفٍ وفي حالةٍ استثنائية خاصة! في عصور الإنحطاط إلى أدنى مستوى، ولكنها استمرت مع مرور كل تلك الحِقَبْ، وعلى الرغم من تغير كل تلك الظروف؛ فمن هو صاحب المصلحة في الترويج لمثل هذه الافتراءات وشيوعها وإشاعتها؟ من هو صاحب المصلحة في ترويج الأخطاء، أو الأفهام الخاطئة عن بيان القرآن الكريم العربي المبين، وإشاعتها في العالم فضلاً عن شيوعها بين المسلمين العرب! القرآن الذي نزل عربياً غير ذي عِوج، فتحولَ في التفاسير إلى أعجمي معوج! من الذي اشاع بين العرب المسلمين أنَّ ألفاظ القرآن الكريم يمكن تفسيرها وفهمها عن طريق المأثور والمنثور...من الأقوال؛ فألجم العقل الإنساني عن الفهم الصحيح وأبعَدَهُ عن التفكُّر مئات الأميال!! ومنْ مِنَ العرب المسلمين ناقش هذه النقطة لمعرفة، ما إذا كانت منطقية أم لا؟ ما إذا كانت حقيقية أم صادقة!؟ كيف ترك المجال واسعاً ليدخل منه الدخيلون على العروبة والإسلام فيحولون السكك والدروب عن مسارها العربي الأصيل؟ وبالتالي ليدخلوا مداخلهم وأوهامهم ونفاقهم ودجلهم وتأويلاتٍ ما أنزل الله بها من سلطان؛ كيف يتركون فهم القرآن الكريم وفهم آياته من خلال اللسان العربي المبين وينتقلون بفهمه إلى ما صار يُدعى بالمأثور أو بالرواية والتحمل والسماع والتلقين والعنعنة والمناولة ثم بالجرح والتعديل أو الإجازة؛ وبالتالي الإعلام والوصية! والوجادة؛ ثم بالتقسيم إلى صحيح وحسنٍ وضعيف ثم إلى شاذ ومقلوبٍ ومعلول ومطرب ومرسل ومنقطع ومعضل ومدرج! ثمَّ إلى أنواع منها متواتر ومشهور وآحاد ثم لفظي ومعنوي ثم إلى مقبول ومردود، ثم كان هنالك القدسي أوالرباني؛ وما إلى ما هنالك من مصطلحات ومبتدعات أبتدعت في عصور الانحطاط والتخلف وعصور توقف العقل والفكر والوجدان العربي المسلم عن أي عمل وعن أي نشاط، ثمَّ أمليت على العرب والمسلمين بداية بالفوة والدعم! ما ترك المجال واسعاً للشعوبية واليهود لكي يمرروا للعرب المسلمين ماشاؤوا من اضاليلهم وافتراءاتهم بمسوغات كان على المسلمين قبولها فلا يستطيعون ردها حتى كانت كتب الحديث، عند بعض المسلمين، كإنجيل النصارى، فهذه الكتب، كتب الحديث، التي وضعها الناس تحت ظروفٍ وأسباب سياسية كما هو معروف، وذلك كما كان النصارى قد وضعوا أناجيلهم كبديل عن الشرع الإلهي اخترعوها كبديل عن الإنجيل الحقيقي وأخذوا يرجعون إليها لتلبية أهوائهم!

(٢٠٩) أبو اليسر عابدين أغاليط المؤرخين، ص ٣٤ مكتبة الغزالي بدمشق ١٩٧٢.

غير القرآن فليمحه»[٢١٠] أخرجه مسلم في صحيحه، وهناك قول ينسب لأبي حنيفة يقول: (**إذا صح الحديث فهو مذهبي**) والأحق أن يقال ما جاء في القرآن الكريم هو الصحيح، وهو المذهب الوحيد، وكان ابن حنبل رحمه الله تعالى يقول: لا تقلدوني، ولا تقلدوا أحداً من الأئمة، وخذوا من حيث أخذوا، قال الطحاوي رحمه الله (**لا يقلد إِلَّا كل عصبي، أو غبي**) والحق يقال: إن من يقلد دون تَفَهُّم، فإنه يقر بصغر عقله أمام العقل الآخر**!** ويتمسكون بما هو غير صحيح، ولا هو وارد في كتاب الله سبحانه وتعالى، ولكن يجب أن يعلم المُجهَّلون، أنَّ مَنْ ذمَّ نَفْسَهُ لا يُسْمَعْ!

(٢١٠) أبو اليسر عابدين أغاليط المؤرخين، ص ٤٢ مكتبة الغزالي بدمشق ١٩٧٢.

القرآن الكريم إمام المسلمين

إن القرآن العربي المبين هو إمام العالمين والرسول العربي ﷺ هو الإمام التنفيذي الذي سيحتذى من قبل جميع المسلمين في العالم وذلك إلى يوم يبعثون؟ والكون بأثره هو كتاب الله جلّ جلاله المنشور بياناً، وهو آياته المعلنة إعلاناً؛ والقرآن الذي تنزلَ على الرسول ﷺ هو ذاته كتاب الله عز وجل، المسطور في السور والمنزل في اللوح المحفوظ، كلام الله رب العالمين سبحانه وتعالى الذي لا يحول ولا يزول، القرآن العربي المبين واللسان العربي والحكم العربي، وهذا الكتاب هو إمام المسلمين، الإمام المبين في الدنيا والآخرة، الذي على الإنسان أن يستبينه ويتعلمه ويعمل بمقتضاه، وأن التعويل في الأحكام(٢١١) والشريعة أساساً قراءةً وفهماً يجب أن يكون على القرآن الكريم العربي المبين فحسب، وأنّ هذا القرآن الكريم يجب أن يكونَ هو الإمام المبين للمسلمين، كل المسلمين لا غير!. فهل كان العرب المسلمون ذاكرين لذلك أم أنَّ العرب في الحياة الأمريكية، وفي أوربة وباقي دول العالم ليسوا مكترثين، ليُذكّروا بنكبات

(٢١١) وهذه الأحكام، كانت في الإسلام الأول، وهي أحكام الإسلام الأول؛ كانت ولا تزال في كتاب رب العالمين، القرآن الكريم، وهي لا تزال موجودة في الكتب السماوية السابقة، بقاياها، أحكام القرآن الأزلي المنزل على سيدنا موسى، وعلى جميع الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين، وكان مع بني إسرائيل فضيعوه، وقام اليهود فيها بعد، بخلطه بها جلبوه معهم من وثنيات وشركيات وتحريفات، وزيادات، وقد بقيت في تلك التوراة (التوراة اليهودية المحرفة) بعض الشواهد التي تشهد بأن الله واحدٌ جل جلاله، وأن دينه واحدٌ، وهو الإسلام لا غير، قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة: ٤٣]، إن القرآن الكريم، الذي هو أساساً، محفوظٌ في اللوح المحفوظ، وهو كلام الله سبحانه وتعالى، وهو قديمٌ، قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [أول سورة الرحمن]، فالقرآن الكريم، كلام الله تعالى، كان قبل خلق آدم عليه السلام، وهو عربيٌ، وبلسان مبين، ويتضمن الحكم العربي، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾ [الرعد: ٣٧]، إن القرآن الكريم، من جهة، هو شرعةٌ خاصةٌ لأمة معينة، وهو أيضاً شاملٌ ويشتملُ، على كل الهُدى، والهدي السماوي السابق، من عصر آدم عليه السلام، واللاحق إلى عصر سيدنا محمد ﷺ، إلى يوم يبعثون، فكيف فُهِمَ، وكيف فُسِّرَتْ الآيةُ من آياته؛ قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] .

عرب فلسطين والعراق. والعرب المسلمين في كل مكان «إن الغائبين دائماً مخطئون»[٢١٢].

(٢١٢) يبلغ عدد المسلمين في فرنسة أكثر من ستة ملايين نسمة (بحسب حديث الرئيس السابق للجالية الإسلامية في فرنسة – إذاعة لندن، برنامج خاص عن الأحداث التي جرت في باريس إحراق السيارات ٢٠٠٥ م) فقال إن أكثرهم من العرب، وهم جميعاً، ليس لهم أي اعتبار في سياسة فرنسة، والحكومة الفرنسية لا تقيم لهم أي وزن، ولا تحسب لهم أي حساب، وليس لهم أي أثر، ولا أي أهميّة في الحياة الفرنسية،بل وعلى العكس تماماً فإن الحكومة الفرنسية تتحكم بالجالية العربية المقيمة على أطراف وضاحية مدينة باريس، وفي ضواحي المدن الفرنسية الأخرى، وتزدريها في ظروفٍ سيئة ومعاملة رديئة (وتعتبرهم مواطنين من الدرجة الثانية، وليس لهم حقوق المواطن الفرنسي؛ فلا يوجد لهم ممثل في البرلمان الفرنسي، وليس لهم أصوات في الانتخابات، وهم ممنوعٌ عليهم دخول الوظائف في الحكومة الفرنسية خصوصاً إذا كانت من الدرجة الأولى أو الثانية أو الثالثة، فقط لكونه عربياً مسلماً؛ على الرغم من حصول الأكثرية منهم على الجنسية الفرنسية، ومع ذلك تبقى لهم معاملة خاصة والسلطات الفرنسية تضع الجالية العربية دائماً تحت السيطرة، وتخضعها دائماً لقوانين خاصة؛ بحيث تُنكل بأفراد الجالية العربية والإسلامية، وكل واحد منهم معرض دائماً أو هو مهدد بالسجن أو بالطرد؛ تحت ذريعة التخوُّف من الإرهاب، والحذر من الأعمال الإرهابية المفتعلة بينما يبلغ عدد اليهود في فرنسة أقل من أربعمائة ألف يهودي، ولفظة يهودي باللغة الفرنسية لا تزال تعني ما تعنيه من الدلالة على المراوغة والمكر والخديعة! ولا تزال لفظة يهودي في الفرنسية، بالنسبة للفرنسي، تحمل معنى الإهانة والاحتقار! ولكن القرار الفرنسي في النهاية بمجموعه، القرار السياسي، والقرار الاقتصادي، والإعلامي كله في يد اليهود، واليهود في فرنسة يتحكمون بكل المناحي والنشاطات، وطائفتهم هي الطائفة الذكية، وتراعى مصالحها ومشاعرها وتحترم إلى أقصى الحدود، وهي (أي السياسة الفرنسية) دائماً تصبُّ في صالحهم! فكيف يُهمَّش ستة ملايين من المسلمين العرب؛ ويصبح القرار الفرنسي بمجموعه بيد اليهود، وعددهم أقل من أربعمائة ألف؟ هذه المعادلة ذاتها تتكرر في معظم الدول الأوربية! إنكلترا وإيطاليا وإسبانيا والدول الإسكندنافية وألمانيا وأمريكا، الشمالية والجنوبية، وأستراليا، في جميع الدول تتكرر المأساة نفسها بالنسبة للجاليات العربية الإسلامية؛ فما هو السبب؟!

ويضيف المتحدث برأيه الهام جداً حول هذا الموضوع فيقول: (إن اليهود في فرنسة يمارسون نشاطهم اليومي، في مختلف المجالات، وهم فرنسيون تماماً، ولا يستطيع أحدٌ تمييزهم عن غيرهم من الفرنسيين، لا في مأكل، ولا في مشرب، ولا في لباس، ولا في حديث؛ ولا في العادات والتقاليد؛ ولا في رأي؛ وهم بذلك فرنسيون مئة بالمئة! في العمل، وفي الشارع، وفي الطريق، وفي المدرسة، وفي النادي وفي جميع الأماكن.. خارج البيت، فهم في مظهرهم فرنسيون، ولا يُبدون شيئاً ينافي ذلك أبداً! ولكنهم إذا دخلوا إلى بيوتهم، مجرد دخولهم إلى البيت، فإن اليهودي ينقلب إلى يهوديته، رأساً على عقب، ينقلب ١٨٠ درجة، كل شيء في بيت اليهودي يصبح يهودياً، الطعام والشراب، واللباس والحديث والعادات والتقاليد، والآراء، كل شيء يصبح يهودياً صميمياً وفق تعاليم التلمود والحاخام، خصوصاً تربية الأولاد، والعلاقة الأسرية والعائلية.

واليهودي لا يمكن أن يتزوج إِلَّا يهودية أبداً، واليهودية تتزوج يهودياً، حتماً، ويمكن أن تتزوج من غير اليهود إذا ضَمِنَتْ تهويد الزوج والأولاد؛ او لغاية كان فيها مصلحة لليهودية العالمية! واللغة البينية بينهم تصبح العبريَّة، وهم لا يرون على شاشات التلفزيون في حياتهم الداخلية إِلَّا القنوات اليهودية الخاصة ولا يسمعون حتى في الأغاني والموسيقا إِلَّا ليهود، ولا يقرؤون إِلَّا كتباً خاصة بهم، وبالعبرية؛ ولا يستعملون كل تلك الأجهزة الحديثة؛ أو الألعاب، أو المجلات، أو الجرائد، أو الأطعمة، أو ألعاب الأطفال غير الهادفة لهم؛ ولا يدخلون كل هذه الأشياء إلى بيوتهم أبداً، مع أنهم، كيهود، يمكن أن يكونوا أصحاب معاملها وفباركها! ولكنهم يعلِّمون أولادهم أن هذه الأشياء إنما هي صُنعت وعُملت لغير اليهود؛ وبالتالي فيحرُم على اليهود التعامل معها بتاتاً؛ والعرف اليهودي يقول: المهم أن يكون اليهودي يهودياً في البيت، وبعد ذلك فلا مشكلة عندهم إذا كان اليهودي خارج البيت أي شيء آخر، فرنسياً أم إنكليزياً أم أمريكياً! على أن يكون كل سلوكه في النهاية خدمة لليهود، لكن خارج البيت فقط؟!

الرسول العربي الأمـي هو الإمــام

قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴾ [الرحمن: ٥]، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴾ [يس: ١٢]، وهو القرآن الكريم العربي المبين، وقال تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗ ﴾ [الأحقاف:

ويضيف المتحدث قائلاً: بينما تجد العرب المسلمين في فرنسة على العكس من ذلك تماماً فهم في خارج بيوتهم يعملون على إظهار المظاهر العربية، والخصائص العربية؛ ففي اللباس يتميزون باللباس العربي؛ وفي المأكل يبحثون عن المطعم العربي، والطعام العربي؛ وفي الحديث فإنهم يحاولون أمام الفرنسيين التحدث باللغة العربية ويحاولون استعراض العضلات في إبراز العادات والتقاليد العربية، والطقوس، والعبادات الإسلامية، خصوصاً في رمضان، بما فيها الحجاب؛ وقراءة القرآن الكريم، جميع العبادات الإسلامية، يمارسها العرب في الشارع الفرنسي، الممارسات الخارجية، يمارسها العرب في فرنسة على الطريقة العربية، وفقط من أجل استعراض العضلات والإغاظة للآخرين؛ والمماحكة؛ ولكنهم أي العرب، إذا دخلوا إلى بيوتهم، أصبحوا فرنسيين أكثر من الفرنسيين، انقلبوا في حياتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، إلى فرنسيين أكثر من الفرنسيين أنفسهم؛ يتحدثون مع زوجاتهم وأولادهم وأصدقائهم من العرب باللغة الفرنسية؛ يلبسون الأزياء الفرنسية هم ونساؤهم وأولادهم؛ بل ويرسلونها إلى آبائهم في بلدانهم العربية بما فيها (الكرافة والستيان والعطور والبارفانات والمكياجات الفرنسية)! ويأكلون الطعام الفرنسي، وعلى الطريقة الفرنسية،وبالقواعد الفرنسية؛ ويشربون المشاريب الكحولية الفرنسية، ووفق الأصول الفرنسية، ويعيِّدون وفق الأعياد الفرنسية الدينية والوطنية، ويشترون شجرة الميلاد، ويعملون بابا نويل، وهم يضحكون أو يبتسمون على الطريقة الفرنسية، عاداتهم وتقاليدهم كلها فرنسية مئة بالمئة، وهم يُحمِّلون أولادهم العادات الفرنسية، والتقاليد الفرنسية والثقافة الفرنسية والآراء الصليبية المهودة، ليصبحوا في المستقبل يهوداً أكثر من اليهود، وإضافة إلى ذلك، فإن العرب في فرنسة يفتقدون إلى الحد الأدنى من التضامن، أو وحدة الهدف، فهم لا رابط حقيقياً يربطهم، ولا يوجد لديهم هدف مشترك، إلَّا جمعيَّات مفككة غير هادفة، ولا تملك القرار، ولا يخضع لها الناس بل شكلت فقط بمعرفة السلطات على الأغلب وهي مخترقة، قامت أساساً لتكريس الوضع القائم، لدى المسلمين العرب وليس لتطويره أو تغييره، وهي لاتعمل لمصلحة العرب المسلمين فعلاً، إذ كيف تعمل هذه الجمعيات لمصلحة العرب، والعرب أنفسهم لايدركون ما هية مصلحتهم؛؟! من هم وماذا يريدون؟وأنت تجد العربي هناك، وحده لا همَّ له إلَّا تحقيق أهدافه الخاصة ومنفعته القريبة الخاصة، وهو على الأغلب، غير معني بأمر العرب والمسلمين إنه منتمٍ إلى الواقع إنتماءً كلياً وقد اتخذ قراراً نفسياً، وموضوعياً وعملياً في حياته، لارجعة فيه، ألا وهو الانخراط في البوتقة الفرنسية، فهل عرفتم أيها السادة الفرق الكبير بين الكتلة العربية الإسلامية، وبين اليهود، والسبب الذي يجعل اليهود يمسكون القرار الفرنسي والأوربي، بينما العرب على كثرتهم فإنهم يُعانون في أوربة وفي أمريكا معاناة مزمنة!!! فأين اللوبي العربي؟! سأل هذا السؤال وأنهىٰ البرنامج!

١٢]، وهو أيضاً القرآن الكريم، الكتاب الكوني العربي المبين، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٦].هذا وأنّ دور الحديث الشريف في حياة المسلمين والعرب، في الأساس كان دوراً تثقيفياً، توثيقياً، إرشادياً، وليس كما يتوهمون(٢١٣)، إنّ العودة يجب أن تكون للقرآن الكريم أولاً، ونسيَ العربُ المسلمون، أوكانوا قد أُنسوا أنّ على المسلمين كافةً، أن يكونوا أنصار الله، وأن الأساس أن يكون الله سبحانه وتعالى هو وليهم، أنَّ عليهم اتباع هديه، في كلامه المنزَّل على عبده ورسوله محمد ﷺ خاتم أنبيائه، وذلك إلى الله عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ

---

(٢١٣) لقد توهم البعض وبالغوا في اعتقادهم، بحيث توهموا أن الرسول الأعظم ﷺ كان يتلقى وحيين؛ وحيٌ للقرآن وآخر للحديث مستقلاً عن الوحي الأول؛ وهذا وهمٌ خطير توهمه الناس من العوام، ثمَّ انتقل هذا الوهم إلى علماء العوام! فتصوَّروا وصوَّروا وبالغوا في التصوُّر والتصوير! وتوهموا أن السنة الشريفة هي فقط تلك الأحاديث المسطرة في كتب الحديث! وقد تناسوا أنّ الرسول ﷺ لم يتنزَّل عليه بالوحي إلَّا القرآن الكريم فقط، بينما الرسول ﷺ كان يبيِّن ويشرح وينفذ ويطبق ما في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٠-٥٢]، (الوتين: المتين، أو الحبل المتين القوي الشديد الموصول والمتصل مع الله تعالى، فلو تأول لانقطع ذلك الحبل المتين المشدود إلى الله تعالى، فالرسول ﷺ كان الإمام التنفيذي والمثال التطبيقي والشهيد علينا لنفعل مثل فعله وليفعل الناس مثل فعلنا، قال تعالى: ﴿ لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والشهيدُ المتقدم، والواقع أن السنة تعني الطريق، طريق الله تعالى، أو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، واتباع هديه والامتثال لحكمه وتطبيق شرعه، وأنَّ السنة الشريفة الأساس أنها سنة الله سبحانه وتعالى التي كان عليها الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، قال تعالى: ﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر:٤٣].

﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، وهو عهدٌ عهد به المؤمنون أمام الله سبحانه وتعالى لا ينبغي إضاعته، ولا ينبغي الانحراف عنه، فكل مسلم يوم يموت، وعند لحده، وعند نزوله في القبر، فمِنَ السنة النبوية الشريفة أنه إذا كان مؤمناً مشهودٌ له بالإيمان، فمندوبٌ ويسنُ له أن يلقن أجوبة لأسئلة هو مسؤولٌ عنها من قبل الملكين وهي: من هو ربك؟ فيقول الله ربي، فيقال وما هو دينك فيقول الإسلام ديني، فيقال من هو نبيك؟ فيقول محمدٌ نبيي، فيقال ومن هو إمامك؟ فيقول القرآن إمامي، والله تعالى أعلم. وفي القرآن الكريم فإنَّ الإمام هو الكتاب العربي المبين والإمامة هنا العلامة الواضحة، إنها النبوة والكتاب، وبالتالي فهي لا تجوز للظالمين، إنها محصورة وموقوفة على المختارين من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود: ١٧]، وهذا وصف للكتاب الذي جاء مع سيدنا موسى، كان واضحاً، ومعلوماً، قال تعالى: ﴿مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤]، وهنا تعني، أي أنبياء مرسلين لهدي المهتدين، قال تعالى: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف: ١٢] وهذا تأكيدٌ على أنه الكتاب، كتاب موسى، كان إماماً ورحمة، واضح، وكان رحمة للبشر أنزله رب العالمين، وهو الفرقان وهو القرآن، ولا يجوز إطلاقها على أحدٍ من بعد خاتم النبيين محمد ﷺ، ولا ينبغي إطلاقها على أحدٍ من بعده أبداً، بينما تطلق في المسجد على كل من يؤم المصلين في الصلاة، لتنظيم الصفوف، ولإقامة الصلاة، كونها وظيفة أرضية تقليدية ليس إلَّا. وهي لم تكن مألوفةً (بحيث تطلق كصفة) في عهد الرسول الأعظم ﷺ، ولا على عهد صحابته الكرام، ولم يعرفها العرب كصفة يتصف فيها الأشخاص العاديون؛ ولم يجرؤ أحد على الاتصاف بها، ولم يجرؤ أحد على إطلاقها على أحد أبداً أبداً، إلَّا بعد انهيار السلطة العربية، وتسلط الأعاجم، على حياة الناس في دينهم ودنياهم،[٢١٤] وتحديداً إبان سقوط

(٢١٤) وفي كتاب (الزواجر عن اقتراف الكبائر) للإمام ابن حجر الهيثمي، الكبيرة السابعة والأربعون، عن الإمام أحمد بسند ابن لهيعة «اللّهم لا يدركني زمانٌ، أو لا تدركوا زماناً لا يتبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الحليم، قلوبهم

العصر الأموي، ومن قبل لم تكن معروفةً، صفة لأحد، ولا اتصف بها أحدٌ أبداً، بل أطلقت بأثرٍ رجعيّ على البعض! ولا تزال تتسم بالظلال الفارسية الأساسية، وهي إلى الآن لا تزال تحمل الصبغة الشعوبية التي هيمنت على الإسلام منذ الانقلاب العباسي الشعوبي الهدام إلى الآن مروراً بالبويهيين والسلاجقة والفاطميين(٢١٥) والمماليك والعثمانيين الدول التي كرست الاعوجاج وخلقت مفاهيم مغايرة تماماً للحنيفية السمحة، الأمر الذي سيجعل كلمة «قس

قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب» ج١ ص١٥٩ دار الفكر ١٩٨٧

(٢١٥) فهل لا يزال، أولا تزال ملامح دعوة الأزهر الفاطمي؛ الذي بناه جوهر الصقلي! تهيمن على الإسلام والمسلمين في العالم إلى اليوم، وذلك على اختلاف نحلهم وتشعباتهم، بما فيهم الصوفية والسلفية والشيعة؛ وتفرض عليهم الرؤيا والعقيدة الفاطمية ومقلوباتها البويهية والصفوية!؟ هل اتخذت الدعوة الفاطمية بعد زوال الدولة الفاطمية وهل فرخت واتخذت اساليب وأشكالاً وأنماطاً وطرائق مختلفة ومتعددة، بحيث اخترقت تلك العقيدة جميع الموانع الدفاعية والتحفظات التي كانت لدى المعارضين؛ وغدت وقد نبتت ونبعت واستقرت وعششت في رؤوس دعاة السنة قبل الشيعة! وباتت تمارس في عقر دار السنة قبل الشيعة، وتحولت لديهم إلى القناعات الثابتة التي يصعب على أيٍ من المتنورين المصلحين أو العقلاء زحزحة أيٍ منها! حتى صارت من ملامحهم الأساسية! والمسحة التي تبرز خصائصهم غير الأصيلة؛ والواقع أن «صلاح الدين الإيوبي» رحمه الله تعالى شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وجعلت الظروف تقوده وقد قادته إلى القضاء على الدولة الشعوبية الفاطمية لكن قضاءه على تلك الدولة كان قضاءً سياسياً وعسكرياً (لأنَّ صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى لم يكن يقصد أو لم يكن يتعمد القضاء على الدولة الفاطمية في مصر؛ ولكن ذلك حصل صدفة وبطريقة دراماتيكية، فقد تتابعت الأحداث ومات الخليفة الفاطمي الذي كان ضعيفاً وكان صلاح الدين في تلك الظروف وزيراً له فوجد الفرصة سانحةً، بينما لقد ذهب الجيش أساساً من بلاد الشام إلى مصر بداية نجدة للدولة الفاطمية كما هو معروف)!؟ فقط بينما اتخذت الدعوة الفاطمية أساليب أخرى مختلفة، واتبعت طرائق جهنمية غير مرئية مست فيها العقيدة الإسلامية العربية بأمور خطيرة جداً بحيث خرجت فيه العقيدة الإسلامية من المفهوم الحنيف وانتشرت بلبوسات أخرى وتحولت فيه إلى ما آلت إليه في العصور اللاحقة، إلى حالات ليست بعيدةً عن ما هو موجودٌ لدى اليهود والنصارى والمجوس والهندوس! فهل سأل أحد من العرب المسلمين نفسه لِماذا هدم الرسول ﷺ مسجد ضرار؟! هل تحولت المساجد الإسلامية إلى مجرد معابد أو ما يشبه المعابد واتخذت انماطاً وأشكالاً وهيئات وتقاليد وطقوساً وملامح قريبة من باقي المعابد التي لدى الآخرين؟! هل تحول الإسلام في رؤوس عامة المسلمين إلى مجرد قواعد وقوانين شكلانية آلية؟ صار فيه المسلمون عبارة عن قطيع وله مرياع! إنّ الأزهر الشريف وهو يقود المسلمين في العالم علماً وفتاوىٰ؛ لم يبتعد كثيراً عن كونه مركزاً للفاطميين فهل استمرت الدعوة الفاطمية في جلباب السنة؟ هل أشربَ المذهب الفاطمي لكافة المسلمين في العالم؟ هل اخترق الفكر والمنهج والعقيدة الفارسية الفاطمية غير العربية عقيدة (بشتكين) و(نشتكين) هل اخترقت هذه العقيدة الفكر الإسلامي ونقضته من القواعد بما فيه ما يعشش الآن في رؤوس دعاة السنة أنفسهم؟

بن ساعدة الإيادي» التي قالها قبل الإسلام، تنطبق على الواقع الحالي للعرب المسلمين والمسلمين عامة حين قال مخاطباً قومه: (إن لله ديناً أفضل مما أنتم عليه) قال سيدنا أبو بكر رضيَ الله عنه يوم تولى أمور الخلافة للمسلمين: (وليـِّـتُ عليكم ولستُ بخيركم) حول هذا الفهم العربي للفظ خليفة كان على العرب المسلمين أن يدوروا.وسيدنا رسول الله محمد ﷺ.الرسول العربي الأمي هو الإمام التنفيذي، الأول والأساسي، وهو القدوة، وهو المثال ﷺ للبشرية جمعاء، والرسول العربي الأميُّ، هو إمام الأئمة، وقائد الغر المحجلين، إمام المتقين، قدوة القدوة، وبهذا المعنى فإنه لا إمام غيره، قال تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ [البقرة: ١٤٣] والشهيدُ المتقدم، وهو الذي يقتحم أولاً، وهو الذي يجرئ القوم على التقدم.

المراجع

- القرآن العظيم
- كتب الصحاح
- السيرة النبويّة لابن هشام عن ابن أسحاق
- السير الحلبيّة، زيني الدحلان، المكتبة الحديثة بدمشق ، ١٩٧٥
- فقه السيرة، محمد الغزالي، ت الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار الدعوة الإسكندريّة ١٩٨٨
- تقريب السيرة النبويّة لابن هشام تصنيف محمد بن عبد العزيز إسماعيل الشبراوي، شركة مكتبة البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٠
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، الشيخ محمد الخضري بك، دار الفيحاء، دمشق ٢٠٠٤
- سيرة الرسول وتأسيس الدولة الإسلاميّة، الأعمال الكاملة لرفاعة الطهطاوي ج٤، تحقيق محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧
- سيرة سيّد المرسلين تأليف جماعة من كبار العلماء، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٢
- سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحيق المختوم، الشيخ صفي الرحمن المُباركفوري، دار الخير دمشق ٢٠١٠.
- محمد قائد الأمم، د. اسماعيل حلمي، الهيئة المصريّة لعامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٧
- المحمَّديات فتحي الإبياري ج ١-٢، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٩٤

- في رحاب غزوة بدر الكبرى ، اللواء أحمد يوسف، دار حازم دمشق ٢٠٠٠
- نساء حول الرسول، محمد موسى رمضان، دار الاسراء للنشر القاهرة، عمّان ١٩٩١
- قبسات من حياة الرسول، الشيخ أحمد محمد عسّاف، دار احياء العلوم بيروت ١٩٧٩
- مختارات من الشمائل النبويّة والأدعية، د.علاء الدين الحموي، دار ابن هانئ ٢٠٠٥
- الافصاح عن أحاديث مختار الصحاح، إعداد إبراهيم راشد الصُّقير، مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٢
- كتاب الاجتهاد في طلب الجهاد، للحافظ ابن كثير، دار الرشاد القاهرة ١٩٩٣
- التفسير النبوي خصائصه ومصادره، د. محمد عبد الريم محمد، مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٢.
- دراسات في التاريخ الإسلامي، محمد باقر الناصري مؤسسة آل البيت بيروت ١٩٧٣.
- نضح الكلام في نصح الإمام، سلطان العلماء العز بن عبد السلام، مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٩١.
- الارشاد في فضل الجهاد، الشيخ حسن ابراهيم الشافعي، دار الصحابة للتراث، بطنطة مصر ١٩٩٢.
- نصائح نبويّة من كلام خير البريّة في الحياة اليوميّة، عبد المنعم العاني، دار يعرب بدمشق ١٩٩٨.

- مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار الإسلاميّة، د. السيد عبد العزيز السالم، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندريّة ١٩٦٧.
- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، أنور الجندي، المكتب الإسلامي ١٩٧٨.
- النظم الإسلاميّة، د. حسن حنفي ود. على إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصريّة ٢٠٠١.
- تطور علم التاريخ الإسلامي، أ. د. أحمد رمضان أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩.
- الطبري، بقم الدكتور أحمد محمد الحوفي، وزارة الإرشاد القومي المؤسسة المصريّة العامة لكتاب، القاهرة ١٩٦٣.
- تلبيس إبليس للحافظ ابن الجوزي ، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت ١٩٨٩.
- معالم التاريخ الإسلامي، د. السيد عبد العزيز السالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٦٧.
- محاضرات في تاريخ الحضارة الإسلاميّة، د. السيد عبد العزيز السالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٦٧.
- من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلاميّة، دكتور صابر محمد دياب، مكتبة الزهرء القاهرة ١٩٩١.
- أسس العلوم السياسيّة في ضوء الشريعة الإسلاميّة، د. توفيق عبد الغني، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٨٦.

- دراسات في تاريخ العرب، تاريخ الدولة العربيّة، ، د. السيد عبد العزيز السالم، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ١٩٦٧.
-

المصادر

١. القرآن الكريم

٢. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث بيروت بدون

٣. كتاب صحيح البخاري بتحقيق د. مصطفى البغا مكتبة دار العلوم، دمشق ١٩٩٨.

٤. أطلس العالم / مكتبة الصغار/ بيروت،١٩٩٨.

٥. الأخلاق في الإسلام د. محمد عبد القادر حاتم الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٩٥.

٦. أدب الكتاب/ الإمام أبي نكر الصولي/ت.أحمد حسن بسج،العلمية بيروت١٩٩٤

٧. الأوائل / أبي هلال العسكري، ت: محمد السيد الوكيل، دار البشر القاهرة ١٩٨٥.

٨. الأوائل / لأبي بكر تقي الدين الحنبلي/ ت. عادل فريجات، دار الإيمان دمشق، ١٩٨٨.

٩. أكثم بن صيفي ومأثوراته / كاظم الظواهري / دار الصابوني، القاهرة ١٩٩١.

١٠. أنساب العرب / سمير عبد الرازق القطب/ الدار العربية للتوزيع، الزرقاء الأردن دون تاريخ.

١١. الإسلام الصحيح – بحث وتحقيق/ محمد إسعاف النشاشيبي/ بيروت دار العودة ١٩٨٥.

١٢. أسرار العقل الصهيوني / د. عبد الوهاب المسيري/ دار الحسام القاهرة دون تاريخ.

١٣. أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ ١-٧/ د. جمال عبد الهادي سعود/ دار الوفاء، مصر العربية، المنصورة ١٩٨٤.

١٤. أمريكا والإسلام/د. عبد الحسين شعبان،دار صبرا دمشق ١٩٨٧.

١٥. الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء/ إدوارد سعيد/ ت. كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ط ٣، ١٩٩٥

١٦. الإيقاع في الشعر العربي /عبد الرحمن الوجي/ دار الحصاد /دمشق بلا تاريخ .

١٧. ايبلا – عبلاء الصخرة البيضاء – دراسات أثرية ولغوية تاريخية/ ت. قاسم طوير،

إصدار خاص دمشق ١٩٨٤.

١٨. بحوث في التقاويم/ عبد الكريم محمد نصر دار البشائر دمشق ١٩٩١.

١٩. البروتوكول الدبلوماسي والعرف الدبلوماسي. د. الطفيلي الكتاب الحديث، بيروت ١٩٨٧.

٢٠. بر الوالدين وصلة الرحم وحقوق الجار خالد خادم السروجي مكتبة ابن القيم بدمشق بدون تاريخ.

٢١. تاج العروس من جواهر القاموس/ السيد الزبيدي، وزارة الإعلام، الكويت ١٩٩٠.

٢٢. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ج ١-٤/ د. حسن إبراهيم حسن - دار إحياء التراث العربي.

٢٣. تاريخ فلاسفة الإسلام في الشرق والغرب /تأليف محمد لطفي جمعة / المكتبة العلمية بيروت.

٢٤. تاريخ التمدن الإسلامي ١-٤ جرجي زيدان منشورات مكتبة الحياة بيروت دون تاريخ

٢٥. تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي د.محمد حسين محاسنة دار الأوائل دمشق ٢٠٠١.

٢٦. تاريخ الأمة الواحدة/د. جمال عبد الهادي مسعود دار الوفاء المنصورة مصر العربية ١٩٩١

٢٧. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء صلى الله عليهم وسلم/ حمزة بن حسن الأصفهاني، دار مكتبة الحياة، بيروت بلا تاريخ.

٢٨. تاريخ الدولة الأموية /د. محمود السيد/ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ٢٠٠٢.

٢٩. تاريخ مصر السياسي والحضاري/ د. صبحي عبد المنعم العربي للنشر القاهرة ١٩٧٧.

٣٠. تاريخ فاتح العالم /عطا الجويني/ ت.د. محمد التوتنجي/ دار الملاح دمشق ١٩٨٥.

٣١. تاريخ العلوم عند العرب / د. حسن عاصي /دار المواسم بيروت، ١٩٩٢.

٣٢. التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوشيوس إلى توينبي ١-٢ ت الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٦.

٣٣. التراث الشفوي في الشرق الأدنى ومنهجية حمايته د. نبيل سلامة، منشورات وزارة

الثقافة، دمشق ١٩٩٦

٣٤. التفسير النبوي/ تأليف د. محمد عبد الرحيم محمد/ مكتبة الزهراء القاهرة، ١٩٩٢.

٣٥. التراث الشعبي في المراء (توثيقاً) على محمد الحبيب، وزارة الثقافة السورية ٢٠١٠.تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية/ الإمام عبد الغني النابلسي / ت. علي محمود معوض، مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩١.

٣٦. تحفة ذوي الألباب ١-٢ / صلاح الدين أيبك،/ت إحسان خلوصي، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٣.

٣٧. التخطيط الحضري في دول الخليج العربي /د. إسحاق يعقوب القطب وكالة المطبوعات الكويت١٩٨٠.

٣٨. كتاب التلخيص في معرفة أسماء الأشياء لأبي هلال العسكري دار صادر بيروت ١٩٩٣.

٣٩. التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل/ إعداد محمد قاسم/ جامعة قطر١٩٩٢

٤٠. تطور علم التاريخ الإسلامي حتى نهاية العصور الوسطى / أ.د.أحمد رمضان أحمد/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩.

٤١. التشريعات البابلية/ عبد الحكيم الذنون / دار علاء الدين، دمشق،١٩٩٢.

٤٢. تهافت الفلاسفة ط ٧/ الإمام الغزالي / ت. د. سليمان دُنيا / دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢

٤٣. الحديث النبوي والتاريخ/ د.أحمد جمال العمري/ دار المعارف القاهرة١٩٩٠.

٤٤. الحصان العربي وخيول العالم/ ترجمة وإعداد محمد غسان سبانو/ نادي برس لندن، جنيف، توزيع دار الكتاب العربي، دمشق والقاهرة، دون تاريخ.

٤٥. حياة الحيوان الكبرى / كمال الدين الدميري/ دار الألباب دمشق ١٩٨٨.

٤٦. حمورابي البابلي أعصره/ تعريب محمد وحيد خياطة، دار المنارة اللاذقية ١٩٩٠.

٤٧. الخصائص العامة للإسلام / د. يوسف القرضاوي /مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٩.

٤٨. الخلفاء الراشدون / عبد الوهاب النجار/ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٠.

٤٩. الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام/ د. أميمة الجلاهمة، مكتبة زهراء الشرق القاهرة ١٩٧٠

٥٠. الخلفية التاريخية لمحاكمة روجيه غارودي /د. صالح زهر الدين / المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت ١٩٩٩.

٥١. دولة الرسول في المدينة/ د. محمد ممدوح العربي/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨.

٥٢. دمشق، تراثها، ومعالمها التاريخية،/ د. عبد القادر ريحاوي/ دار البشائر ١٩٩٦.

٥٣. رسالة الغفران لأبي العلاء المعري دار صادر بيروت دون تاريخ.

٥٤. رمسيس الثاني – فرعون المجد والانتصار/ ت. د. أحمد زهير أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٧.

٥٥. رحلة بايرون إلى مصر والحجاز ج ١-٢/ت. عبد الرحمن عبد الله الشيخ/ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥.

٥٦. رحلة إلى بابل القديمة/ د.إفلين كلنكل/ت.د. زهدي الداوودي/ دار الجليل ، دمشق ١٩٨٤.

٥٧. السيرة النبرية وأوهام المستشرقين/ عبد المتعال محمد الجبري/ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٨.

٥٨. السنة قبل التدوين / الدكتور: محمد عجاج الخطيب/ مكتبة وهبة، ١٩٩٨.

٥٩. سفر نامة / ناصر خسرو علوي/ت: د. يحيى خشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣.

٦٠. سوريا الحضارة ماذا أعطت للغرب/ د. عفيف بهنسي، إصدار خاص، دمشق ١٩٨٨.

٦١. شبهات حول التغريب في غزو الفكر الإسلامي/أنور الجندي/ المكتب الإسلامي دمشق ١٩٧٨.

٦٢. الشاهنامة الفردوسي الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠.

٦٣. شعر العقيدة في صدر الإسلام،/إعداد أيهم عباس حمودي القيسي/، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦.

٦٤. صبح الأعشى في صناعة الانشى/ أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ج ١٤/ وزارة الثقافة، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، دون تاريخ.

٦٥. صناعة الكتابة / أبي جعفر النحاس/ ت. بدر أحمد ضيف دار العلوم العربية، بيروت ١٩٩٠.

٦٦. صلوات وحكايات وأساطير حثية / قاسم طوير/ تعريب قاسم طوير، إصدار خاص دمشق ١٩٨٦.

٦٧. الصراع المائي بين العرب وإسرائيل/ د. رفعت سيد أحمد، دار الهدى القاهرة ١٩٩٣.

٦٨. طبقات الحفاظ / الإمام السيوطي، ت: على محمد عمر، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٩٤.

٦٩. طبائع الاستبداد / عبد الرحمن الكواكبي/ الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٣.

٧٠. ظاهرة الخلق والتكوين ما دون المستوى العلمي/ جمعة طحيني، دار يعرب دمشق ٢٠٠٣.

٧١. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية /ابن قيم الجوزية/ دار الكتب العلمية بيروت عن نسخة ط ١٩٥٣.

٧٢. فتح الخلاق في مكارم الأخلاق أحمد سعيد الديجوري دمشق ١٩٩١.

٧٣. فتح القدير / الإمام الشويكاني، أحمد عبد السلام دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٤.

٧٤. فتوح البلدان/ الإمام البلاذري رضوان محمد رضوان دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩١.

٧٥. فجر الإسلام /أحمد أمين / دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٥.

٧٦. الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر بيروت.

٧٧. الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة/روز ماري صايغ/ت. خالد عايد مؤسسة الأبحاث العربية بيروت ١٩٨٠.

٧٨. فقه السيرة / محمد الغزالي / دار الدعوة ، الإسكندرية ٢٠٠٠.

٧٩. الفكر التاريخي في الإسلام/ عبد اللطيف شرارة/ دار الأندلس بيروت ١٩٨٣.

٨٠. الفكر التوراتي والحرب النووي/ المبشرون الإنجيليون على طريق القيامة الذرية ت. عبد الهادي عبلة، الكندي، حمص١٩٨٨.

٨١. الفهرست لابن النديم ١-٢/ د. شعبان خليفة/وليد محمد العوزة _ العربي، القاهرة ١٩٩١.

٨٢. في التاريخ العباسي والفاطمي.د. أحمد مختار العبادي شباب الجامعة الإسكندرية

.١٩٩٣

٨٣. في الشعوبية /إسماعيل العربي/ منشورات خاصة، دمشق ١٩٧٩.

٨٤. في الشعر الجاهلي / طه حسين/ منشورات النهار القاهرة – الدقي، ١٩٩٦.

٨٥. القواعد الكلية للفقه الإسلامي- نشأتها- رجالاتها- آثارها/ د.أحمد محمد الحصري، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة١٩٩٣.

٨٦. قصة الحضارة ج ١ - ٤٠/ ول ديورانت / ت. محمد بدران ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، الطبعة الثالثة ١٩٦٨.

٨٧. القبيلة الثالثة عشر ويهود العالم، آرثر ليستر/ت. أحمد نجيب هاشم،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٤.

٨٨. القوش، دراسة انثر بيولوجية، اجتماعية ثقافية المهندس البحري حبيب يوسف تومي بغداد ٢٠٠١

٨٩. قاموس الأمثال والحكم اللاتينية حارث سليمان الفاروقي

٩٠. قاموس المورد ، إنكليزي عربيي/ منير بعلبكي / دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٥.

٩١. قصة الفلسفة الطبعة السادسة/ ول ديورانت/ مكتبة المعارف بيروت، دون تاريخ.

٩٢. قصة الديانات / سليمان مظهر، الوطن العربي، بيروت ١٩٨٤.

٩٣. القوى الفاعلة في القرن الحادي والعشرين د.خير الدين عبد الرحمن/ دار إشراق، عمان ١٩٩٦.

٩٤. العبادات في الأديان السماوية /عبد الرزاق رحيم الموجي دار الأوائل دمشق ٢٠٠١.

٩٥. العودة إلى القرآن - إعادة تقييم الحديث / تأليف، قاسم أحمد، تقديم دكتور حسن حنفي، مدبولي الصغير القاهرة ١٩٩٧.

٩٦. العواصم العربية في الفترة العثمانية تأليف اندريه ريمون، ت: قاسم طوير

٩٧. العروة الوثقى/ السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبدو، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣

٩٨. عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة/أبي الحسن بن هذيل، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩٩. عالم صوفيا رواية في عالم الفلسفة/ت. أحمد لطقي ١٩٩٨ دار يعرب بدمشق.

١٠٠. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم تاريخ ابن خلدون دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٦.

١٠١. الغجر ورحلة الضياع،المدني المنارة بيروت ٢٠٠١.

١٠٢. الكامل في التاريخ ابن الأثير إحياء التراث بيروت ١٩٩٦.

١٠٣. كتاب غريب القرآن/ عبد الله بن عباس، تحقيق. د. أحمد بلوط، مكتبة الزهراء القاهرة١٩٩٣

١٠٤. كتاب الأصنام، هشام بن السائب الكلبي د. محمد عبد القادر أحمد،مكتبة النهضة المصرية،١٩٩٣.

١٠٥. كتاب النزاع والتخاصم في ما بين بني أمية وبني هاشم/ تأليف تقي الدين المقريزي، ت.د. حسين مؤنس، المعارف القاهرة ١٩٨٨

١٠٦. كتاب معالم الكتابة ومغانم الإصابة/ القاضي عبد الرحيم بن على القرشي/ ت.محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت١٩٨٨.

١٠٧. كتاب مكارم الأخلاق/ الإمام أبي بكر بن أبي الدنيا/ ت. ياسين محمد السواس دار البشائر دمشق ١٩٩٩.

١٠٨. كتاب الفوائد/ الإمام ابن قيم الجوزية/ دار مكتبة الحياة، بيروت دون تاريخ .

١٠٩. كتاب نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢

١١٠. كتاب كشف الخفاء ومزيل الالتباس عم اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ج ١-٢/ المقدسي، دار زاهر القدسي القاهرة دون تاريخ

١١١. كيف يُتلقى القرآن – آداب التلاوة، وأحكام التجويد/ عامر السيد عثمان/ دار ابن كثير، دمشق ١٩٨٥.

١١٢. لسان العرب ط الثالثة، العلامة ابن منظور/ ت أمين محمد عبد الوهاب دار إحياء التراث العربي بيروت .

١١٣. لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ج١-٨/د. علي الوردي، دار كوفان للنشر لندن ١٩٩٢

١١٤. لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم/الأمير شكيب أرسلان/ دار مكتبة الحياة، بيروت، دون

١١٥. مدخل إلى اللغة العبرية/ د. محمود أحمد مراغي، دار العلوم العربية بيروت١٩٩٠

١١٦. المدخل إلى التاريخ العربي/ إسماعيل العربي/ دار الفكر دمشق ١٩٨٢.

١١٧. مجمع الزوائد، ج ١٠ ، باب ما جاء في فضل العرب – للحافظ الهيثمي، تحقيق الدرويش، دار الفكر بيروت، ١٩٩٦.

١١٨. الملل والنحل للإمام الشهرستاني ١-٣/ تحقيق، أ.د. أحمد فهمي محمد دار الكتب العلمية بيروت .

١١٩. مقدمة ابن خلدون ج٣ ت د. ع وافي القاهرة.

١٢٠. معجم فقه ابن حزم الظاهري المجلد الأول/لجنة موسوعة الفلسفة الإسلامية جامعة دمشق، ١٩٦٦.

١٢١. معجم الأدباء / ياقوت الحموي / دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩١.

١٢٢. مختصر دراسة التاريخ ١-٤ /أرنولد تونبي/ت. فؤاد محمد شبل جامعة الدول العربية، ١٩٦٠.

١٢٣. مختصر تفسير الطبري ١-٢/ للتيجيبي، محمد حسن أبر العزم الزيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٨٠.

١٢٤. المستشرقون والقرآن الكريم/د. إسماعيل عبد العال/ رابطة العالم الإسلامي مكة المكرمةعدد ١٠٤، ١٩٩٠.

١٢٥. مقالة في المعرفة، مقدمة لدراسة العقيدة الإسلامية/ د. عدنان زرزور/ مكتبة الفتح، دمشق.

١٢٦. موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين/ ت. محمد غريب جودة/ الهيئة العامة للكتاب القاهرة ١٩٩٥.

١٢٧. ملاحظات حول السينما الصهيونية/ عز الدين المناصرة/ دار يعرب، دمشق ١٩٨٩.

١٢٨. موسيقا الشعر / د. إبراهيم أنيس/ دار القلم، بيروت ١٩٨٧.

١٢٩. مفهوم النص- دراسة في علوم القرآن/ د. نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي بيروت ١٩٩٦.

١٣٠. المفسدون في الأرض بقلم س. ناجي الطبعة الثالثة العربي للإعلان، والنشر، دمشق ١٩٩٤.

١٣١. معجم الأساطير/ ت: حنا عبود، دار الكندي دمشق ١٩٨٩.

١٣٢. من معالم الإسلام/ بقلم محمد فريد وجدي/ جمعها د. محمد رجب البيومي /

الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٤.

١٣٣. المأثورات مرسي، دار الثقافة القاهرة، ١٩٨١الشفاهية/ ترجمة وتقديم الدكتور أحمد

١٣٤. من الأسطورة إلى التوحيد – التحريف من الموسوية إلى اليهودية/وليد مدفعي/توزيع دار يعرب ٢٠٠٤.

١٣٥. مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب / ابن الجوزي / ت. زينب إبراهيم القاروط، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧.

١٣٦. من معالم النظام السياسي في الدولة الإسلامية/تأليف د. جابر محمد دياب، مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٢.

١٣٧. المصطلحات العلمية والفنية وكيف واجهها العرب المحدثون/ د.ضاهي عبد الباقي/ ،مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٢

١٣٨. نقض مطاعن القرآن الكريم/ بقلم محمد أحمد عرفة تعليق محمد رشيد رضى صاحب المنار/ مكتبة الزهراء، القاهرة ١٩٨٦.

١٣٩. النشاط الصهيوني في العراق/ صادق حسن السوداني/ العراق ، وزارة الثقافة، ١١٩٨٠.

١٤٠. نظم القرآن/ من تراث الجاحظ، ت.د. سعد عبد العظيم محمد مكتبة الزهراء القاهرة ١٩٩٥.

١٤١. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، لمؤلفه أبو القاسم هبة الله بن سلامة/ت. أحمد مصطفى الحسن، دار ابن هانئ دمشق ٢٠٠٠٥.

١٤٢. هل مات المسيح على الصليب / سليم الجابي /المؤلف، دمشق ٢٠٠٠.

١٤٣. هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى/ ابن قيم الجوزية، منشورات مكتبة الحياة بيروت، دون تاريخ.

١٤٤. الوفيات ١-٢ /محمد بن رافع السلامي الدمشقي/ت. عبد الجبار زكار، وزارة الثقافة دمشق، ١٩٨٢.

١٤٥. اليهود المصريون / بين المصرية والصهيونية، أسرار العقل الصهيوني/ سهام نصار/ دار الوحدة بيروت ١٩٨٠.

١٤٦. اليهود وبنو إسرائيل في القرآن الكريم / منصور إبراهيم، مركز الذاكرة والتراث الفلسطيني، بيروت ٢٠٠١.

١٤٧. اليونانيون في مصر ١٨٠٥-١٩٧٨م / سيد عشماوي دار ع

صدر للمؤلف

١- أناشيد لها تاريخ (مجموعة الأناشيد الوطنية والقومية العربية والعالمية بما فيها الأهازيج الفلسطينية ١٩٠٨- ١٩٧٨) دار يعرب بدمشق ٢٠٠٥.

٢- الحرب على اللسان العربي ـ طبعة أولى دار الرقيم بغداد ٢٠٠٥.

٣- الحرب على اللسان العربي ـ طبعة ثانية دار الرقيم بغداد ٢٠٠٦.

٤- الحرب على العرب ـ طبعة ثالثة دار يعرب بدمشق ٢٠٠٥.

٥- الحرب على العرب ـ طبعة رابعة دار يعرب بدمشق ٢٠٠٧.

٦- الحرب على العرب واللسان العربي طبعة خامسة عالم الكتاب الحديث، اربد الأردن ٢٠٠٦.

٧- الحرب على العرب واللسان العربي طبعة سادسة د. محمد بلعيدوني، تلمسان الجزائر ٢٠٠٨.

٨- الحرب على العرب واللسان العربي طبعة سابعة دار العرّاب بدمشق ٢٠١٦.

٩- المسلمون الأعراب من القمة إلى أدنى مستوى، ط١دار يعرب بدمشق ٢٠٠٨.

١٠- المسلمون الأعراب من القمة إلى أدنى، مستوى ط٢دار يعرب بدمشق ٢٠١٠.

١١- المسلمون الأعراب ط٣ دار العرّاب بدمشق، ٢٠١٦.

١٢- تكثير الأقلية تقليل الأكثرية في الوطن العربي (الأكراد والأمازيغ نموذجاً).

١٣- تكثير الأقلية تقليل الأكثرية في الوطن العربي (الأكراد والأمازيغ نموذجاً، دار نينوى بدمشق ٢٠١٦.

١٤- الوقت العربي أو بلسان عربي مبين، دار يعرب بدمشق شباط ٢٠١٣.

١٥- الوقت العربي أو بلسان عربي مبين، دار نينوى بدمشق ٢٠١٦.

١٦- معاني الحروف العربية دراسة علميّة، دار العرّاب بدمشق ٢٠١٦.

١٧- ماهيّة الفكر دار العراب ٢٠١٦.

١٨- أسماء الأنبياء دلالاتها ومعانيها. دار العراب بدمشق ٢٠١٦.

١٩- أسماء السور في القرآن الكريم دلالاتها ومعانيها ، تحت الطبع.

هذا ويتردد الآن كلامٌ كثيرٌ منقول عن مستشرقين يهود مغرضين يقول: إن القرآن الكريم ما هو إِلَّا نقل أو تكرار لما ورد في توراتهم من حيث التشريع أو القصص! وتبع كل ذلك الكذب، وعن جهالة مطبقة لبعض الباحثين العرب والمسلمين من الذين تواتروا علىٰ دراسة الآثار والأوابد والحضارات القديمة، والذين نشطوا في كتابة القصص الديني بشكلٍ خاص وخاصة قصص الأنبياء المعدة للأطفال العرب والمسلمين، وكانت هذه الدراسات وهذه الكتب توراتية المنبع، يهودية المصب كذلك اتبعوها بمسلسلات تلفزيونية وأفلام سينمائية أيدت ما ورد في التوراة اليهودية من أكاذيب وافتراءات هدفت أولاً لتشويه قصص الأنبياء والإساءة إلىٰ الدين الحنيف والعرب، وهدفت ثانياً إلىٰ التثبيت وبشكل غير مباشر لمزاعم وجود اليهود قبل العرب ومع العرب علىٰ أرض العرب!(٢١٦) واشتط بعضهم وممن لهم وللأسف أسماء بارزة وهم عرب فمسلمين للأسف ممن أتحفوا العرب وأطفال العرب وأطفال المسلمين بكل ذلك الوهم، حتىٰ صار العامةُ والخاصةُ العرب، في نهاية القرن العشرين، يرددون ذلك الكذب وكأنه حقيقة، ثم نقل هذا التشويه كله باحثون من أنحاء العالم واستشهدوا به علىٰ صحة ما جاء في التوراة وقالوا لنا: يداك أوكتا وفوك نفخ!.

والواقع: أن كثيراً من الكتّاب والمصنفين العرب والمسلمين الأقدمين وخاصة كتاب السير والقصص والتاريخ ممن تأثروا بالفهم الخاطىٰء للحديث الشريف والصحيح، الذي يقول عن الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام أنه قال: «بلغوا عني الآية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

---

(٢١٦) اليهود في الماضي غرباء عن العرب وعن الأرض العربية كما هم اليوم. وإذا شئنا أن نفهم ذلك فعلينا بدراسة الفترة الفارسية لاستعمار الوطن العربي وسفر غدرا من التوراة اليهودية، أو علىٰ الأصح إعادة ترجمة توراة اليهود ترجمة صحيحة إلىٰ العربية. وقد عجبت من واضعي قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك ورفاقه حيث أرجعوا كل كلمة إلىٰ ما يُسمىٰ خطأً اللغة العبرية، إذ أنه ليس في تاريخ اللغات لغة تسمىٰ العبرية وإنما هي العربية الكنعانية.

فانكبَّ كثير منهم علىٰ توراة اليهود، ينقل منها نصوصاً وأحداثاً وتواريخ، وقصص أنبياء وأسماء ما أنزل الله بها من سلطان! وبدون أي تحفظ، زدْ علىٰ ذلك ما تعمدته الشعوبية القديمة الحديثة وما قام به اليهود أنفسهم من دس افتراءاتهم التوراتية وأضاليلهم التلمودية.

ففي كتاب المعارف الذي دُسّ علىٰ ابن قتيبة المتوفىٰ ٢٧٦هـ نُقلت نصوص كاملة عن التوراة بقضها وقضيضها، حتىٰ أن الكتاب يذكر أن الذبيح هو إسحاق، وليس إسماعيل كما هو واضحٌ في القرآن الكريم.

وفي كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي من أنساب وأسماء وأعمار وقصص توراتية محضة، مثل فرضية سام وحام وغيرها من الأساطير التي أنكرها الإسلام أصلاً، ولا يخلو تاريخ الطبري من منقولات برمتها عن التوراة خاصةً ما كان منها لفترة ما قبل الإسلام حيث لم تتوفر لديهم المصادر! فلم يتحرجوا من النقل عن التوراة! التي قال عنها رب العالمين: إن اليهود قد كتبوها بأيديهم، ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ** ﴾ (البقرة ٧٩).

وفي العصر الحديث.. صدر كتاب قصص الأنبياء لعبد الوهاب لنجار[٢١٧] مطلع القرن العشرين، والذي توالت طبعاته رغم اعتراض الأزهر علىٰ هذا الكتاب وأمثاله، وهذا الكتاب يذكر ويكرر ويؤكد صراحة حق اليهود في أرض فلسطين، كان ذلك وإلىٰ الآن تحت

---

(٢١٧) الشيخ النجار وكما يظهر من كتابه المذكور هو رائد إدخال اليهوديات إلىٰ الفكر الإسلامي في العصر الحديث وهو من أكثر الكتب سوءاً ونكاية وإني هنا أنصح بعدم قراءة هذا الكتاب. إلَّا عن تسلح بالوعي والفكر الثاقب ولمن يقدر علىٰ فرز الغث من السمين وحبة الحنظلة عن حبة الزوان.

أنظار الرقابات العربية للكتب، كذلك ما سمي بإنجيل برنابا(٢١٨) الذي دسَّ به اليهود ألفاظاً

---

(٢١٨) هذا الكتاب، واضحٌ كيف فبركه اليهود، مثل ما فبركوا الكثير من الكتب، من مثل كتاب تنبؤات داموس وغيره، وذلك يلاحظ من أسلوب طرحه، وطباعته، ونشره، وترجمته، كانت هذه الكتب عبارة عن طعم لاصطياد، العقول العربية الغبية، مطلع القرن العشرين، حيث يدَّعي الناشر الأول؛ أنه عثر عليه بالصادفة، أو أنه تم اكتشاف المخطوط بطريقة دراماتيكية، ثم يقدمه للأغبياء من القراء، بطريقة مشوقة، بوليسية، و اليهود قد استغلوا كون المسلمين، يؤمنون بأنّ السيد المسيح ، كان قد بشّر برسولٍ، يأتي من بعده أسمه أحمد، وهذا الأمر مذكور في القرآن الكريم، وأنّ النصارىٰ يتغاضون عن ذلك أو لا يعترفون به، وقد استثمر اليهود هذه النقطة، بين الطرفين، وأعملوا ذكاءهم، ذكاء الثعلب الماكر؛ فوضعوا كتاباً أسموه إنجيل برنابا، حمَّلوه خرافات التوراة! وشحنوه بأكاذيب التلمود! ورصعوه بمفاهيم سياسية حديثة! ما أنزل الله بها من سلطان؛ وأكدوا فيه علىٰ أنّ فلسطين أرضاً لليهود وأنها من حق اليهود، وأن الرب جعلها لليهود، وأن أسمها أرض إسرائيل، وأن إسرائيل، أخذ هذا الوعد من الرب، وقدموا هذا الكتاب النادر، إلىٰ القراء البسطاء، مسلمين ومسيحيين ! علىٰ أساس أن هذا الإنجيل فيه تلميح لما هو موجود في ذاكرة المسلمين، وفعلاً كان الكثيرون من المسلمين، السطحيين البسطاء، قد فرحوا به! وأن البعض بل الكثيرون من المتشددين من الأخوة المسيحيين، انتقدوه أو سينتقدوه حتماً، وفعلاً بات هذا الكتاب محوراً ومطلباً، لعدد كبير من الناس العرب، مسلمين، ومسيحيين، ودار حوله نقاش، وحوار بيزنطي طويل، ولم، ولن ينتهي، ولفترة طويلة.

الحقيقة أن هذا الكتاب والكتب المثيلة، وخاصة كتب التنبؤات بكل أشكالها !! قد خدمت اليهود، وقامت بالدعاية، والإعلام لهم، وجميع هذه الكتب، كانت قد قامت بنفس المهمة، (وهي التأكيد علىٰ الألفاظ، والمفاهيم، التي تؤكد الكذب، والافتراء، عن علاقة لليهود بالأرض العربية، فلسطين وبلاد الشام، والهراء الذي يربط بين اليهود، والسيد المسيح، ويذكرون أكبر كذبة في التاريخ وهي القول بأن بيت المقدس (إيلياء) والقول بأنها (أورشليم) وشكَّل هذا الكتاب، مع غيره من الكُتُب، في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، التي أشرف علىٰ نشر طبعاتها العربية رجالات النهضة العربية، (قدم لطبعة إنجيل برنابا الأولىٰ، محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وتلميذ محمد عبده !) شكلت هذه الكتب أهم طريق، أو أهم أسلوب، تم فيه التمهيد لقدوم اليهود إلىٰ فلسطين، وهكذا قام اليهود، بالاصطياد في الماء العكر.

وعبارات أكدت أن أرض فلسطين لليهود، ويسميها أرض إسرائيل وأنحاء إسرائيل! ويضيف الباحث الأستاذ محمد قاسم محمد في مقدمته تلك فيقول: (هذا عدا عن ما تقوم به بعض الجامعات ومراكز الأبحاث الأجنبية الخاضعة للنفوذ اليهودي ومنذ وقتٍ طويل من إعطاء منح دراسية، وأنواع من الإغراءات والتسهيلات والدعم المفتوح لمن يقومون بإجراء تلك الأبحاث، وذلك لتأكيد قدم التاريخ اليهودي[٢١٩]؛ وتأثير الحضارة اليهودية علىٰ الحضارات العربية القديمة التي انتشرت في أرض العرب علىٰ امتداد الزمن، وتقوم هذه

قال لي رجل دين مسيحي، تعرفت عليه مرة، وهو يحاورني، فقال هل تعلم أن كتاب إنجيل برنابا، هو ضد الإسلام، أكثر مما هو ضد المسيحيين، قلت نعم أعرف ذلك ! فقال مندهشاً تعرف ! قلت نعم؛ وأكثر من ذلك، فأنا أعرف أنّ اليهود عادة يمولوّن طباعته، ويعملون علىٰ توزيعه بالمجان! علىٰ العرب مسلمين ومسيحيين؛ قال وكيف عرفت ذلك ؟ قلت ألا تلاحظ كيف يؤكد الكتاب علىٰ ألفاظٍ محددة مثل أرض إسرائيل، وشعب إسرائيل، بدل أرض فلسطين وبلاد الشام، وكيف يجعلون السيد المسيح يخاطب اليهود مباشرة ! إنهم يربطون بين السيد المسيح واليهود! ويؤكدون علىٰ ذلك، علماً أن السيد المسيح كان قبل اليهود بآلاف السنين ! إن السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، بعث لبني إسرائيل، ولا علاقة لليهود بالسيد المسيح مطلقاً وأبداً، بل هي كذبة يهودية، كذبها اليهود، وجندوا لها الكتب، والكتّاب، وفتحت الكِتَابَ وأشرت إلىٰ تلك المواضع وتناقضاتها الواضحة، فمد رجل الدين المسيحي، مد يده وصافحني، وقال الواقع أنا أُدَرِّسُ مادة اللاهوت في جامعة كامبردج منذ مدة والحقيقة، إنني قرأت هذا الكتاب أكثر من مرة، ولم يخطر في بالي ما تقوله، وأظن أنه صواب، وسألني سؤال جميل بقي في ذاكرتي، قال لي وهو يصافحني،:ويده في يدي، إذا كان لديك مئة دولار، وأنا كان لدي مئة دولار، وتبادلنا فمن الذي يربح أكثر؟ فقلت علىٰ الفور أبداً، ما أحد سيربح، فقال صحيح؛ ولكن إذا كان لديك فكرة، وأنا لديّ فكرة، وتبادلنا الأفكار فمن الذي سيربح؟ فقلت علىٰ الفور نحن الاثنين سنربح معاً؛ فقال لي نعم، وشكرني وذهب.

(٢١٩) التاريخ اليهودي لايرقىٰ إلىٰ ما قبل القرن الرابع قبل الميلاد حيث بدأت تتشكل العقيدة اليهودية، وهي عبارة عن حامية عسكرية فارسية أسكنها الفرس حول هضاب إيلياء (بيت المقدس) المسماة فيهودة واللفظ العربي الجودي.

الأبحاث الحديثة باختلاق الأكاذيب والادعاءات عن وجود حضارة قديمةً لليهود في المنطقة وبالتالي تتحدث عن وجود قديم لدولة أو دولتين لليهود أو أكثر!).

والواقع أن اليهود وعلماء اليهود والباحثين اليهود والاختصاصيين اليهود والمعاهد والمراكز الاستشراقية الغربية التي رضعت الحليب التلمودي تقوم وتتولىٰ منذ زمنٍ كتابات التاريخ القديم، حيث دوَّنوا ما يسمّىٰ بعلم الآثار لما قبل الميلاد، وقاموا بنبش آثاره وتدوينه وهم يعلمون ويعرفون سلفاً أنه لا يوجد لهم في بلاد العرب، لا فوق الثرىٰ ولا تحت الثرىٰ لهم أي أثر، لكنهم وبإشرافهم علىٰ كتابة ما يسمّىٰ بالتاريخ القديم، وما يسمّىٰ بعلم الآثار أمكنهم تأويل المعطيات، وأمكنهم تحويل المفاهيم قلب الحقائق وأمكنهم أن ينشروا زيفهم وبطلانهم، وأمكنهم تزوير التاريخ!.

إنهم لا يسمحون لغير اليهود للعمل بالآثار، في البت أو تقرير الدلائل والبراهين الآثارية الدامغة، البراهين التي تبرهن عليها الحفريات الآثارية، والمدن والأهرامات، والحصون والقلاع، والأوابد التاريخية المكتشفة والمنتشرة علىٰ بطاح الأرض العربية، والكنوز والرقم واللقىٰ، التي لا تزال وستبقىٰ تنبثق من الأعماق العربية، من أرض الحضارات، مما يبرهنُ علىٰ انتفاء علاقة اليهود ببلاد العرب أبداً ونهائياً. ولكن التأويل النهائي والترجمة النهائية والتقرير النهائي سيكون لليهود؛ ووفق حدود ورؤيا التوراة !.

ولكن يقول المثل: (إذا أردت أن تكذب فأبعد شهودك). وهكذا عمد اليهود إلىٰ الافتراء والادعاء بوجود قديمٍ لهم مزعوم علىٰ أرض فلسطين العربية مستعينين بما يُسَمَّىٰ علم الآثار والتاريخ القديم، والذي باتَ يمكن من خلاله ادعاء أي شيءٍ، وتزييف أي شيءٍ ليقولوا أخيراً: (قال علماء الآثار) و(أجمع علماء الآثار) و(اتفق علماء الآثار) علماً أنه لا يمكن لأحدٍ التثبت من أيٍّ حقيقةٍ لدىٰ ما يُسَمَّىٰ علم الآثار؛ لأن علماء اليهود بالنتيجة هم فقط الذين سيكون بإمكانهم قراءة وتحليل الرقم الأثرية وترجمة اللغات القديمة،

والبت في معطيات ما قبل التاريخ، وذلك بعد نقل هذه اللقىٰ والرقم إلىٰ مخابر أوربة وأمريكا! ليقوموا بتحليلها وإعطائنا النتيجة، وعنهم فقط، يأخذُ العالم بأسره، بجامعاته ومعاهده ومراكز أبحاثه مقولات علماء الآثار اليهود، ويبنون ما شاء لهم البناء، فكراً وثقافةً وفلسفات، أفكاراً قيمة !.

ويعاود جهابذة الفكر العرب، وأعلام الثقافة العربية ضخّ كل ذلك في الفكر والأدب والثقافة العربية الحديثة، كل ذلك اعتماداً علىٰ معطيات كاذبة وادعاءات باطلة، لتدخل الكتب العلمية والأدبية والتاريخية والموسوعات العربية الكبيرة والمشهورة والمناهج التعليمية، ويتم ذلك أحياناً عن طريق الترجمة إلىٰ اللغة العربية التي يقوم بها أناسٌ متخصصون، ممن لا يدركون أبعاد ما ترمي إليه هذه الدراسات أو الأبحاث من مخاطر كارثية علىٰ العرب، وأحياناً أخرىٰ عن طريق قيام كتاب وباحثين عرب، من عرب الجلد والعظم، بمحاكاة الأبحاث والمواضيع الأجنبية، بطريقة أوتوماتيكية، ببغائية، عن قصدٍ أو عن غير قصد، الله أعلمُ، إلىٰ درجة أن العديد من المفكرين والكتاب والأدباء والباحثين العرب، صاروا يحملون منهاجاً وتصوراً، لا يبعد كثيراً عن ما يُريدهُ اليهود أنفسهم للتاريخ القديم والتاريخ الحديث علىٰ حدٍّ سواء، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ أن امتلأت سماؤنا بالأكاذيب التي تكاد تخنق حقيقتنا الساطعة.

فمثلاً عندما كتب اليهودي (ول ديورنت) كتابه الشهير الذائع الصيت (قصة الحضارة)[220] ذا المجلدات العديدة والفخمة والذي يتضمن قصة حياة البشرية المجتمعية

---

(٢٢٠) قصة الحضارة، ول ديورانت، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية؛ المجلد الأول ج ٢، ص ٣٢١ وما بعدها، يربط الكاتب بين اليهود وفلسطين ويؤكد أنها الأرض الموعودة، وإبراهيم فيقول: إن فلسطين هي أرض اليهود الموعودة منذ اقدم الدهور! ويزعم أنّ اليهود هم شعب إبراهيم وأن الله قد وعدهم الأرض هذه بعد إخراج الكنعانيين منها، ص٢٢٤، وأنهم قد عادوا إليها الآن بعد ثمانية عشر قرناً، من النفي والعذاب والتشريد(٣٢٢) كما زعم الكاتب أن مسقط رأس اليهود هو العراق،ص٢٢٤، وأن عدد كبير منهم قد أقام في مصر ١٦٥٠ ق م وأنهم أخرجوا منها قسراً، بعد

والحضارية، منذ بداية الخليقة إلىٰ العصر الحاضر لم يخطر ببال أحدٍ أن اليهود قد أعادوا، وبهذا الكتاب انتظام ذاكرة الفكر البشري العام، علىٰ المسطرة التوراتية ووفق الرؤية التلمودية؛ الأمر الذي، أفسح المجال واسعاً، في التاريخ القديم والحضارة القديمة، لوجود اليهود! فحجز لمزاعمهم مكاناً واسعاً، لوجود دولة لهم، قديمة في الزمن، بل لدول! وأفاض في إدِّعائهم، عن وجود سبيٍ حدث لهم في التاريخ!! ومن علىٰ الأرض العربية فلسطين!! وأكّد علىٰ دورهم الحضاري!! القديم الجديد؛ وخاصةً في الأندلس!! الذين كان لهم الدور البارز، لا للعرب، والذين عانوا وكانت لهم مذابح التطهير العرقي؛ لا للعرب المسلمين..، وبالمقابل مسح العرب، والمسلمين، من التاريخ وقزّم دورهم، وقلل من أهميتهم، هذا عدا عن المغالطات التاريخية، والألفاظ التوراتية، والمسميات اليهودية، التي حَمَّلها زوراً وبهتاناً، للتاريخ والجغرافيا، بدلاً وعوضاً، عن الحقائق العربية، والألفاظ الصحيحة العربية، والمسميات العربية، وذلك في ظل غياب إرادة عربية، أو سيادة عربية، أو مصلحة أو وعي وطني عربي، لدىٰ العرب، فرداً أو مجتمعاً، والغريب في الأمر: أن العديد من دور النشر العربية، تبارت في طباعة وتسويق هذا الكتاب، وأن المثقفين العرب (النخبة!) يمتازون باطلاعهم علىٰ قصة الحضارة، ودراستها دراسةً ملية، وافية، والباحثون والدارسون يوثقون أبحاثهم ودراستهم عنها! ونضيف أن الباحثين العرب باتوا يضربون عرض الحائط[221] بالمراجع العربية والإسلامية عن التاريخ والحضارات العربية وقد أسقطوا

أن تكاثر عددهم عام ٢٢٠ ق.م، كما زعم الكاتب أنهم أخرجوا منها بقيادة موسىٰ ص ٢٣٦، وقد أنكر نبوة موسىٰ عليه الصلاة والسلام، وزعم أنه كان كاهناً مصرياً، خرج للتبشير بين اليهود المخرجين، لقد أصر الكاتب علىٰ إبراز صيغة شعب الله المختار لليهود وقال إن اليهود أنقىٰ الأجناس!! فهل هذا الأدعاء الباطل، هل من الممكن أن يصبح صحيحاً!! في ظل غياب أصحاب الحق الأساسيين إن الغائبين خاسرين دائماً.

(٢٢١) قصة الحضارة ج٢ ط١ بدران الجامعة العربية ص ٣٢٠ وما بعدها.

حتىٰ الأسماء والألفاظ العربية للحضارات والمدن العربية، وحمّلوا دراساتهم وأبحاثهم ألفاظاً ومفاهيم واسماء يهودية توراتية تلمودية لا أساس لها وما أنزل الله فيها من سلطان[٢٢٢].

فمثلاً: هل يعقوب هو إسرائيل؟ مَعَ أنَّ القرآن الكريم يقول غير ذلك؛ وهل اليهود هم بنو إسرائيل؟

وهل القدس وبيت المقدس هي (أورشليم)؟ مع أن الاسم غير عربي؛ وهو لفظ غريب تماماً عن منطقتنا العربية، ولا ندري من أين، ولا متىٰ، ولا كيف عُرِّبَ، مع أن لفظه بلغةِ اليهود شيء مختلف؛ (يوروشلايم) فكيف عُرِّب؟ ومن الذي قدمه إلىٰ الثقافة العربية المعاصرة؟ ثم هل فعلاً كان قد حصل لليهود سبيٌ من بيت المقدس، وكان اسمه القديم الأزلي إيلياء، وكما جاء في العهدة العمرية (هذا ما عاهد عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أهالي إيليـــاء، (إيلياء ـ إيل ياء ـ بيت إيل ـ بيت الله) إلىٰ (باب الله ـ باب إيل ـ بابل)، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (آل عمران ٩٦)، وقال تعالىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ (٣٦ النور) فهل حصل ذلك وكما يدعون؟ ويزعمون فعلاً؛ أم أن القصة التوراتية قصة مختلقة برمتها؟ ولا يوجد عليها أي دليل، وليس لها أي وثيقة تاريخية سوىٰ توراة اليهود؛ وأغلب الظن أن هذا الإدعاء قد دُس في التوراة، رغم الانحراف والتحريف القديمين للتوراة، (لم تكن هذه الادعاءات موجودة في كتاب اليهود في زمن الرسول الأعظم ﷺ، الذي كان قد أمر زيد بتعلم لغة يهود، وقال أنه تعلم السريانية في عشرة أيام، وذلك في الحديث الصحيح، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا الخلفاء الأمويين، لا نعتقد ذلك؛ لأنه ليس

---

(٢٢٢) حتىٰ أنهم اقنعونا أنّ قطعة فخار أو حجراً عليها بعض الرسوم أو النقوش تعادل كل التاريخ والكتب العربية بما فيها القرآن الكريم ذاته. وهذا شيء مؤسف بل قاتل حقاً.

من المعقول أن يدعي اليهود أن فلسطين أرض لهم، وقد ثبت أن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ اطلع علىٰ توراتهم من مبدأ اعرف عدوك، لا نعتقد أنه اطلع علىٰ زعمهم هذا وإلَّا لكانت النتائج مختلفة!! إِلَّا أنّ هذا الإدعاء، أن بيت المقدس هو ما سمي بـ (أورشليم) هذاالإدعاء قد دس بعد انصرام القرن الميلادي الرابع عشر، عندما بدأ المخطط اليهودي يتبلور ضد العرب، عندما عقد اليهود العزم أول مرة علىٰ تنفيذ نهاية لشتاتهم، والخلاص من لعنة الله، ثم من لعنة الأمم كافة لليهود، وقرروا بداية الهجوم علىٰ العرب، عندما كان العرب في دور الثبات، وما زالوا!، وأنها مجرد وهم وادعاء وزعم يهودي لا يستند إلىٰ أي دليل وحشدوا له فرق الكتَّاب والباحثين والمترجمين، وأصبح علىٰ العرب فقط تصديقه ليس إِلَّا ؛ تقول كتب التاريخ العربي: وتزعم اليهود، وتدعي اليهود، وقالت اليهود، أن سبياً قد حصل لهم، لماذا لم يكن العرب يثقون باليهود؟ لماذا لا يثق العرب باليهود؟ في معجم الأدباء لياقوت الحموي ص ٤٩٩ج١، كان قد أظهر بعض اليهود كتاباً، وادعىٰ أنه كتابٌ من رسول الله ﷺ، بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وأنه خط علي بن أبي طالب ﷺ، فعرضه رئيس الرؤساء علىٰ أبي بكر الخطيب فقال: هذا كتابٌ مزور[٢٢٣] فقيل له من أين لك ذلك فقال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية

(٢٢٣) وكذلك تم افتراء وتزوير ما سميّ بالصحيفة! (أو الاتفاق أو الموادعة) التي قِيل بأن الرسول ﷺ قد وقعها مع أهالي المدينة، بما فيهم اليهود؛؛ إن هذا الادعاء باطل حتماً، وهو غير صحيح مطلقاً، لأن الرسول الأعظم، والذي كان متصلاً مع الله ﷻ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب ٥٦) وكان معه القرآن الكريم، وهو دستور الكون ودستور العالمين، وبالتالي فهو لم يكن بحاجة لأن يكتب لليهود كتاباً آخر؛ لينظم معهم العلاقة، إنّ علاقة الرسول ﷺ مع كل الأطراف كان ناظمها كتابٌ من الله ﷻ لا كتاباً بين الرسول وبين اليهود! فالرسول الذي كان مؤيداً من الله ﷻ لم يكن ﷺ يحتاج لتأييد اليهود أبداً... وإلا لما كان رسولاً ولما كان نبياً مؤيداً، إن الكلام عن موادعة أو صحيفة أو اتفاق بين الرسول الأعظم وغيره ممن كان في المدينة، وهو كلام مفترىٰ، وفيه نظر، كذلك هو غير منطقي، ولا ينسجم مع طبيعة الأمور! فالرسول الأعظم

أسلم يوم الفتح؛ وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق، في سنة خمس فاستحسن ذلك منه، ويقول ياقوت الحموي في الجزء الثالث ص ٥٥٣، عن أحد الأعلام، ولهذا الشيخ ابن محمد مع اليهود لعنهم الله و غيرهم من أولي المذاهب المرفوضة، من أهل الإسلام مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة؛ ويقول في ص ٤٤ ج٤، وهو يتحدث عن ابن عساكر أنه عمل مجلس في الصديق ثمّ قطعها [إملاء مجلس في ذم اليهود وتخليدهم في النار..] وللجاحظ كتاب الرد علىٰ اليهود.

الذي كان عند دخوله إلىٰ المدينة، كان قد أرخىٰ زمام ناقته، لا يثنيها به كان لا يمر بدار في المدينة، من دور الأنصار إِلَّا قالوا: هلمَ يا رسول الله إلىٰ العدد، والعدة، والمنعة، فيقول خلوا سبيلها فإنها مأمورة، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ موضع مسجده اليوم، كذلك فإن الرسول الأعظم كان قد سماها المدينة وكان اسمها يثرب، ومعنىٰ كل هذا، أن الرسول الأعظم كان، هو الآمر الناهي في المدينة، وكان سكان المدينة جميعهم خاضعين لسلطته، ولا حاجة لأن يكتب عليه الصلاة والسلام، كتاب موادعة لأيٍ من الأطراف، و الإسلام الذي كان قد سبق في دخوله إلىٰ المدينة، سبق وصول الرسول إليها بعشر سنين.. كان مجتمع المدينة قد تهيّأ لوصول الرسول الأعظم، وكان وعد الله الحق، و قد تفشىٰ الإسلام في المدينة كلها، تمهيداً لوصول الرسول الأعظم صلىٰ الله عليه وسلم، ناهيك عن أنّ اليهود لم يكونوا طرفاً مؤثراً في المدينة أصلاً، فاليهود ليسوا من سكان المدينة أصلاً، وقد حلوا ضيوفاً علىٰ المدينة قبل مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام بحوالي مائة وخمسين سنة، قدموا من اليمن، وسكنوا أطراف المدينة في القرىٰ ولم يكن مسموحاً لهم السكن في المدينة بين العرب، وهناك فرق شاسع بين مفهوم اليهود وبين مفهوم الذين هادوا من العرب، ومعروفٌ موقف أهل المدينة عندما سألهم الرسول ﷺ سأل الأنصار عن موضوع أن يعطوا بعض القبائل الأخرىٰ قسماً من ثمار المدينة، لضمان عدم اعتدائهم علىٰ المدينة أو لضمان وقوفهم علىٰ الحياد وكان أهل المدينة في حينه، في موقفٍ صعب أثناء الحصار في الخندق والأحزاب؛ فأجاب سعد بن معاذ ﷺ زعيم الأنصار، قوله المشهور: لا والله لا نعطيهم شيئاً، لقد كانوا قبلاً لا يأخذون منا شيئاً، أو قال نواة تمرة، أبعد ما أعزنا الله بالإسلام وبك يا رسول الله! فكيف ينسجم هذا الكلام مع خبر الصحيفة أو ماسميَّ بدستور المدينة، التي أبرزها اليهود في خرا سان زمن البويهيين، مدعين أنهم وجدوها في غمدٍ لسيف أحد صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عن صحابة رسول الله.

سيرة ابن هشام مسرحيّة ولدت ميّتة

إنها سيرة ولدت عقيمة وغير منتجة وغير بناءة، لذلك فإنها تجدي نفعاً طوال السنين بل أسهمت في لقد أسهمت (سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق) أسهمت في اخماد الأجيال جزوة النضال والكفاح لدى المسلمين، ويذكر علي الجارم وعبد السلام هارون في مقدمتها عند تحقيقهما لسيرة ابن هشام عن ابن إسحاق، كيف أنّ هذه السيرة كانت قد اشتملت وانطوت علىٰ الكثير الكثير من الخلط؛ عندما ركَّزت، وأكدت، وكَذَبَتْ، فأظهرت مثلاً سلبيةَ شخصية الصحابي الجليل سيدنا (أبي سفيان بن حرب) وكذلك فعلت في شخصيات أولاده، الصحابة الكرام، أبطال الفتح العظيم، (زياد بن أبىٰ سفيان ـ ابن أبيه، وهذه عند العرب، كناية بطولية مجيدة، وليست كما أُوِّلت، وفُهمت عند البعض؛) و(زياد بن أبي سفيان)، و(معاوية بن أبي سفيان)، وذرية أبي سفيان التابعين الأبطال والغر الميامين، والكثير من الشخصيات العربية، مثل تشويهها لشخصية الوليد بن المغيرة، الذي قال عن القرآن الكريم عندما سمعه في وقت مبكر قولته المشهورة، (إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر وإنّ أسفله لمغدق، وما هو من قول البشر، فقيل له أصبت؟ فقال لا ولكنني أقول ما أجده في نفسي..) وهو القائل عن القرآن الكريم: إنه والله ليس هو بالشعر: لقد عرفنا الشعر هزجه ومديده وطويله، وما هذا الذي سمعناه بشعر...) بينما ركزت السيرة، سيرة ابن هشام، وسلطت الأضواء علىٰ عم الرسول ﷺ العباس بن عبد المطلب، وابنه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، الذي أصبح حبر الأمة ﵁ وكانت قد رويت عنه، وأضيفت له الأحاديث الكثيرة والأخبار، وكان ﵁ قد ولد في مكة

عام الحصار، وكان عمره عندما توفي الرسول الأعظم ﷺ والله أعلم، إحدىٰ عشرة سنة، والسبب طبعاً هو أن السيرة النبوية، أصلاً، كان قد كتبها ابن إسحاق (١٠٠ــ ١٥٢هـ) للمنصور أبو جعفر، عندما كان في الحيرة؛ حيث تقرب بها ابن إسحاق من العباسيين، وابن إسحاق الذي عرف عنه تشيعه، كان مَوْلىٰ، وكان جده قد أُسِرَ في الأسر الأول، من عين تمر، إلىٰ المدينة المنورة، وكان يقال عنه أنه كان يحمل عن اليهود، والنصارىٰ ويسميهم في كتبه أهل العلم الأول، وأصحاب الحديث كانوا يضعفونه، ويتهمونه، ويروىٰ أن هشاماً الأموي، عندما كان والياً علىٰ المدينة، كان قد رقق له رأسه، وضربه أسواطاً، ونهاه عن الجلوس في مؤخرة المسجد، قرب النساء؛ مات ابن إسحاق في حران، شمال الجزيرة الفراتية سنة ١٥٢هـ وكان المروّجَ لسيرة ابن إسحاق بطلٌ آخر من أبطال الشعوبية، اسمه ابن هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي، وكان ابن هشام قد صنف للمأمون! ولجعفر بن يحيىٰ البرمكي السيرة النبوية والمبتدأ والخبر،وكتب المغازي، ولابن هشام هذا، كتاب (أخبار العباس بن عبد المطلب) وكتاب (الموؤدات) وكتاب (خطبة علي رضي الله عنه) وكتاب (قيس عيلان) وكتاب (ألقاب قيس عيلان) وكتاب (المثالب) وكتاب (النواقل) وكتاب (إدعاء معاوية زياداً)! وكتاب (أخبار زياد بن أبيه)!! وكتاب (المشاجرات) وكتاب (المعاتبات) وكتاب (المشاغبات) وكتاب (حديث آدم وولده) وهذا منسوخ من توراة اليهود وكتاب (رفع عيسىٰ عليه السلام) وهذا منسوخ من إنجيل النصارىٰ) وكتاب (المسوخ من بني إسرائيل) وهذا فيه حشدٌ للخرافات والأقاويل والأوهام وكتاب (أخذ كسرىٰ رهن العرب) وكتاب (أخبار مسيلمة الكذاب) وغيرها من الكتب[٢٢٤] التي تكاد

(٢٢٤)وهذه العناوين لابن هشام موجودة ومرتبة في كتاب الفهرست لابن النديم، وفي كتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي.

تفصح عن نفسها من خلال عناوينها فهل كانت هذه الكتب، وغيرها، تشكل خطةً شاملة لسحق وتدمير الحقيقة العربية، أو الإسلام؟ هل كانت هذه الكتب مرسومةً لهدف بعينه، أم كانت ترمي إلىٰ تمويت وإماتة الشموخ العربي، والقضاء عليه في مهده واستمرارية انحلاله وهزيمته عبر القرون؛ هل خدمت هذه الكتب، وأمثالها المسلمين في شيء؟ كم هو حجم الدمار الذي سببته، وألحقته هذه الكتب وأمثالها بالعرب والمسلمين عموماً، والإنسانية جمعاء؟ ألم يكن من المفروض علىٰ العرب المسلمين أولاً أن يتأكدوا من مصادر علمهم ؟ وأن ينتبهوا وأن يمحصوا وأن يتبينوا عن من، وممن يأخذون علمهم؟ وهل تعشش تلك المقولات، التي قالها ابن إسحاق، وروج لها ابن هشام، قبل ١٣٠٠سنة، وأعاد افتراءها، وتلفيقها الطبري بشكل أكثر تنظيماً، قبل ١٠٠٠ سنة تقريباً، ثمّ البلاذرىٰ، الذي كان يعتبر نفسه من آل البيت! وأنه صاحب الحق المضيَّع في السلطة والحكم؛ الذي قام في عصره، بدوره وذلك بشحن الذاكرة العربية والإسلامية بالمفتريات والتلفيقات وأعاد ضخها قبل نحو ٥٥٠سنة، ثم تلقف كل ذلك الشعوبية الحديثة والمستشرقون وتلامذتهم من العرب غير الأصلاء، وبالتالي فهل تعشش هذه المقولات الآن في رؤوس طلبة العلم والدين في العصر الحديث؟! وما هي الصورة الموجودة الآن في رؤوس المعلمين والطلاب من خريجي كليات الشريعة والمعاهد الشرعية العامة والأهلية في جميع البلاد الإسلامية؟؛ بله الصورة الموجودة في رؤوس عامة المسلمين العرب، وخاصتهم، هل هي صورة صحيحة وصادقة، أم أنها صورة مشوهة وسالبة؛ أليس الإسلام ديناً للعالمين؟ ألم يُنزَّل الإسلام لكل الأمم؟ أليست كل شعوب الأرض معنيةً بالإسلام ؟ ألم يبلّغ الرسول ﷺ الإسلام إلىٰ أقيال اليمن وملك البحرين وهرقل والحكام في بلاد الشام

والمقوقس في مصر والنجاشي في الحبشة وكسرىٰ الفرس وقيصر الروم؟ ولماذا تُبْتَسر السيرة النبوية العطرة، وذلك إلىٰ أضيق الحدود؟ لماذا تم حصرها في نطاق مكة والمدينة ؟ لماذا تمَّ فيها تصوير الدين الرباني العظيم، والرسالة الشاملة، والتي هي أساساً للعالمين، لماذا تمّ تصويرها في حيِّز الإرهاصات الأولىٰ لبعثته ﷺ؟ لماذا تمّ إظهارها علىٰ أنها قضية تتعلق بقريش، وبعض قبائل العرب؟ ونُصِّبتْ فيها قريش وقبائل العرب وحدهم؛ في مواجهة الدين الحنيف، وبالتالي تمّ تصوير قريش والقبائل العربية فقط بصورة سلبية وكافرة، وبقيت السيرة تدور وتدور، وتروي العنت، والحمق، والسطحية، والجهالة العربية، وتقص القصص عن المقاومة، أو المؤامرات التي أبداها العرب من قريش، وباقي قبائل العرب! ولاسيما عند الحديث عن حروب الردة، التي ظلت ترويها الشعوبية، وبتشفٍ منقطع النظير؛ بينما لم تتحدث السيرة أو السيّر التي تناقلتها الناس عن القرابين البشرية التي كانت تقدم علىٰ المذابح أمام الآلهة في الشرق والغرب، أو في الشمال أو في الجنوب عند غير العرب، وفي حين لم يُظهر كُتَّاب السيرة أحوال باقي شعوب الأرض؛ ولا ردود أفعالها بذلك الإسهاب والتفصيل؛ ولا يروي مواقفها من الإسلام، مثلاً لم ينسَ ابن هشام التأكيد علىٰ أوثان العرب في الجاهلية، وأنواعها؛ ولكنه لم يتطرق إلىٰ أنواع العبادات التي كانت منتشرة في حينه في أصقاع الأرض، ولم يحدثنا أبن الكلبي ولا الطبري ولا حمزة الأصفهاني عن السخف الذي كان منتشراً في العالم لدىٰ الفرس والروم، وباقي شعوب الأرض، ولم يحدثنا كتَّاب السيرة عن عادات وتقاليد الروم، ولا عن عادات وتقاليد الفرس، ولا عن عادات الهند، ولا اليونان، التي كانت، ولا شك، في تخلفها أحط من الانحطاط نفسه، مثلاً تذكر السيّر الغزو وعادات الثأر التي كانت متواجدة بين القبائل،

ولكن هل كانت هذه العادات وقفاً علىٰ العرب؟ ألم تكن عادات الشعوب القديمة قاطبة؟ ألم تكن سنة الحياة لدىٰ جميع الأقوام السابقة، فلماذا تروىٰ علىٰ أنها فقط اختصاص عربي؟ ومن الثابت أنه لم يكن في ذلك الوقت، لدىٰ الروم والفرس، أية مدنيَّة أو حضارة، ولكن تلك الكتب الشعوبية كانت قد عرضت صورة سوداء قاتمة للعرب، في عصر صدر الإسلام والعصر الذي سبقه؛ وقدموا العرب علىٰ أنهم مجرد بداة ! ولم تبقَ سلبية في العالم، ولا حالة انحطاط، إِلَّا ولصَقوها أو اتهموا بها العرب، في حين أغفلت السير وأغفل القصاص تصوير باقي المناطق في العالم؛ التي كانت حقيقةً أقل بكثير من البداوة! وأسوأ بكثير من حالة البدائية، فهل كان هذا العمل مقصوداً؟ وبالتالي ألم يكن من الممكن تقديم التاريخ العظيم، لعصر الرسول الأعظم وسيرته الرائعة والعطرة، والإرهاصات الأولىٰ لمبدأ الرسالة والوحي والبلاغ وسيرة الخلفاء المهديين الراشدين من بعده وعصر الفتوحات الإسلامية الميمونة، وانتشار الإسلام، ألا يمكن تقديمها بشكلٍ وبطريقة صحيحة وصادقة وتحفظ للعرب وللمسلمين عزهم ومجدهم وسؤددهم ؟

ولكن اشتمال السيرة النبوية والمغازي وغيرها من الكتب، علىٰ هكذا أخطاء فادحة وشيوع هذه الأخطاء وانتشارها وعشعشتها في الفكر العربي، وفي الذاكرة العربية والعقل العربي والتراث الإسلامي، قد ولَّدَ مع الزمن وبالاً وطامةً كبرىٰ، أدت إلىٰ انحرافٍ في التصور الصحيح، بل وعطلت وخربت ولقرون طويلة المُثال في العقل العربي والمسلم؛ وأساءت كثيراً للشخصية العربية، وللتاريخ الإسلامي؛ عندما حَشَتْهُ بالأخطاء السلبية غير الصحيحة، وحمَّلت عليه أثقالاً وأعباء أجهضت مسيرته، وأوهنته وأضنته وشوهت الشخصيات العربية وأساءت إليها، وعرضتها بطريقة مدروسة سلبياً، كان غرضها الهبوط

بالعرب إلىٰ أسفل سافلين، بل كان غرضها جعل القارئ والمستمع العربي، وغير العربي، في كل زمان، يشمئز من الإنسان العربي، بل جعلته يحمل للعربي كراهيةً ورفضاً مسبقاً! كان ذلك بسبب الافتراء والتزوير والتحامل والرغبة في التخريب، كان ابن إسحاق وابن هشام والطبري وحمزة الأصفهاني، ومن قبلهم الواقدي وتلميذه وكاتبه ابن سعد، صاحب كتاب الطبقات الكبرىٰ، إن هذه الطبقات مع كثرة مادتها العلمية، ضمت الغث والسمين، وخلطت الحق بالباطل، والصحيح من الروايات بالزائف الذي من أجله كان يتعفف العلماء من القراءة فيها وفي أمثالها من الكتب المليئة بالإسرائيليات، كالعرائس، أو بالأخبار الواردة بدون تحقيق كما في كتاب الأغاني للأصفهاني، ولذلك كان المستشرقون يبادرون إلىٰ هذه الكتب ويترجمونها أو ينقلون عنها الفقرات الكثيرة، وينتقون منها الشواهد ويترجمونها ليقدموها بشكل مدروس، وقد قدموها إلىٰ شعوبهم طوال القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر، رسموا فيها ومن خلالها صورة للعرب وللإسلام! وقد حقق الهدف! حيث شوهت صورة العرب والمسلمين في العقل الأوربي طوال تلك القرون، فهل فهم العرب ما يجري حولهم؟!)[٢٢٥] ثم تبعهم كتَّاب، موتورون، ممن كانت لديهم عقدة أنهم من آل البيت، الذين أمضوا حياتهم في شن الهجوم تلو الهجوم علىٰ العرب، من أمثال البلاذري[٢٢٦] صاحب (أنساب الأشراف) الذي قامت الجامعة العبرية في القدس بطباعته

(٢٢٥) نقلاً عن كتاب السيرة النبوية وأوهام المستشرقين لعبد المتعال محمد الجبري، ص، ٥٣ مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٨م.

(٢٢٦) أحمد بن يحيىٰ البلاذري الحسيني توفي ٨٨٦هـ في القاهرة فاطمي الهوىٰ، متشيعاً، وكان تلميذاً عند ابن خلدون، وكاتباً بين يديه، يعتبر نفسه من الأشراف الذين فقدوا حقاً لهم، أو أن الأمويين قد سلبوه حقه في الحكم، لذلك كان هو، وغيره ممن يدّعون أنهم من آل البيت؛ يعتبرون أنفسهم، خصوماً شخصيين للأمويين، ومن والاهم من العرب؛ يقودون الهجوم، إثر الهجوم، علىٰ الأمويين، ثم علىٰ العباسيين، أولاد عمهم؛ ثم إن البعض منهم كان علىٰ استعداد للتعاون مع الشيطان من

عام ١٩٢٦م وغيرهم من الشعوبيين الذين كانوا ينتقمون من العرب بطريقة غير مباشرة؛ لأن أبا سفيان ﵁ مثلاً، كان أحد زعماء العرب وقريش البارزين، وهو من أعمام الرسول الأعظم ﷺ، مثل ما كان العباس ﵁ وقد أسلما معاً عام الفتح، ومن قبل كانا قد خرجا معاً إلىٰ معركة أُحد؛ فالعباس ﵁ لم يكن من المهاجرين، وكان أبو سفيان صهراً للرسول عليه الصلاة والسلام، فالرسول الأعظم، كان قد تزوج ابنة أبي سفيان، الصحابية الجليلة أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله تعالىٰ عنها، وكان قد خطبها النجاشي إلىٰ الرسول الأعظم ﷺ، حيث كانت مهاجرة إلىٰ الحبشة، وعندما سمع أبو سفيان بالخبر، قال قولته المشهورة (ذاك الفحل لا يُجْدَعُ أنفه!) وثبت أن أبو سفيان كان قد زار المدينة المنورة للتفاوض مع الرسول الأعظم ﷺ، ودخل بيت الرسول الأعظم ﷺ، عند ابنته أم حبيبة، وعندما فتحت مكة المكرمة، قال عليه الصلاة والسلام: «من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن» والرسول الأعظم، ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم ٤)، وكان هذا تكريماً وتشريفاً لأبي سفيان بن حرب، وأبو سفيان هو الذي قاد الحملة علىٰ الأوثان في الجزيرة العربية بعد الفتح؛ وقد هدم بيده الكثير منها،

أجل تحقيق أوهامه في الاستيلاء علىٰ السلطة، وقد استغلت الكثير من الجهات هذه النزعة عند بعض دعاة الانتساب إلىٰ آل البيت، راجع كتاب (الدولة الإسماعيلية في مصياف) وإلىٰ الآن فإن البعض منهم، كان لا يوفر طاقة من أجل إبراز هذا العداء حتىٰ ولو أدىٰ ذلك إلىٰ الإساءة إلىٰ الحق الذي في كتاب الله تعالىٰ، الإسلامي العربي، والمنطق الصحيح، والعقل، والفهم، لذلك فلا غرو أن يقوم اليهود! في الجامعة العبرية في القدس عام ١٩٢٦ بطباعة كتاب البلاذري الكبير بمجلداته الكثيرة، وكان هذا الكتاب أول مطبوعات تلك الجامعة، من الكتب العربية، إن هذا الكتاب يحمل في طياته أكاذيب وترهات وموضوعات، ما أنزل الله بها من سلطان، ولكنه يشتمل علىٰ إساءة بالغة للعرب، والتاريخ العربي، والشخصيات العربية، ولذلك فإن الجامعة العبرية لم تألو جهداً ! للعمل والسعي إلىٰ طباعته وأمثاله، وليكون باكورة أعمالها في الجامعة المذكورة، من الكتب العربية، لقد كانت خيارات الجامعة اليهودية، خيارات موفقة !! .

كما فقد عينه في معركة اليرموك من فتوح الشام، مستبسلاً في سبيل الله، عندما كان برفقة زوجه هند بنت عتبة؛ يقاتل في سبيل الله، وأبو سفيان بن حربٍ، كان قد قدم أولاده جميعاً للمعركة، للفتح لنشر دين الله، إن أبا سفيان هذه الشخصية العربية من سادات قريش، فهل كان ابن إسحاق، وغيره من كتاب السِّيَر والمغازي، أمناء فعلاً في روايتهم لمبتدأِ الخبر؟

والواقع فإن الروايات العديدة للسيرة النبوية المعظمة، في جميع المصادر المتوفرة، وكلها ترجع إلىٰ رواية ابن إسحاق، لأن ابن إسحاق كان أول من جمع السيرة النبوية ورواها وكان شعوبياً حاقداً، كارهاً للعرب، لذلك فإن رواياته تحتاج إلىٰ مراجعة، وإلىٰ إعادة تحقيقٍ، وإعادة تدقيق، ومقابلتها مع صريح القرآن الكريم، وبالصحيح من الحديث، والمأثور من الأقوال والأشعار والأنساب والمشهور من سنن الأوائل وحكمة الحكماء، لإزالة التناقضات غير المنطقية عند جمعها، للأضداد من الصفات والمواقف، للكثير من عظماء الشخصيات العربية، التي كان الله ﷻ قد هيأها وأعدها لقبول رسالته، فلم تكن، ولم تجرِ الأمور، ولا التحولات، مصادفة من غير ميعاد، قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (الأنعام ١٢٤)، بل، إن العصر الأول للإسلام تلاقت فيه السماء مع الأرض، في زمان محدد، ومكان محدد، فكانت الشخصيات في صدر الإسلام، جميعها مرسومةً منذ الأزل لتكون معدناً، ومادة حاملة للإسلام، وأمثلة تُحتذىٰ، وشهداء(٢٢٧) .

---

(٢٢٧) وبالتالي فهل صحيحٌ قول بأن الزواج كان عند العرب علىٰ عشرة أنواع؟ وهل صحيح ما قيل أن العرب كانت تعرف ما سميَ بزواج الاستبضاع كما روي عن السيدة عائشة في صحيح البخاري؟ إذا كان هذا الخبر صحيحاً فليقل لنا مروِّجوه، أيٌّ من الصحابة الكرام أو من رجالات العرب عامة كان ناتجاً عن هكذا زواج؟! وهل فعلاً كانت العرب في ما سميّ بالجاهلية تأكل الحمر الأهلية، وتمارس ما سميّ بزواج المتعة، وأن الرسول ﷺ كان قد حرم ذلك في المدينة؟ فمن الذي كان يأكل لحم الحمير؟ ومن الذي كان يعمل الفاحشة ويرتكب الزنىٰ من العرب؟ هل صحيح أن وأد البنات كانت عادة

إن السيرة النبوية الشريفة والمشرفة، تحتاج إلىٰ عناية العلماء، العلماء لا البسطاء السطحيين، وذلك لإضاءة معانيها العالمية والكونية، وهي تحتاج إلىٰ خبراء في غاية الفهم والإتقان، لإبراز قيمها الشمولية، ودلالاتها الواسعة بطريقة إبداعية خلاقة، تناسب مقام رسالة رب العالمين، والوحي الإلهي، والرسول الكريم، الأمر الذي لم يتم إلىٰ الآن؛ بل عهد به إلىٰ كتّاب شعبيين سطحيين، ما كان منهم إِلّا أن أجهضوا علىٰ الدوام عملية تحقيق الهدف الأسمىٰ والمطلوب (إن هذا الأمر الجليل، والعظيم لهوَ أكبر بكثير من طاقات خريجي المعاهد الشرعية، وكليات الشريعة، في الدول العربية والإسلامية !) فالرسول العربي، محمد ﷺ، كان لجميع الناس، إن الروايات والسير الشعبية السطحية بما فيها من

عربية؟ وأنّ الآية الكريمة التي نزلت من السماء وكانت تختص بالعرب وحدهم، وأن العرب كانوا مجرمين وليس لديهم رحمة إلىٰ هذه الدرجة؟ إلىٰ درجة أن الروايات تلصق هذه التهمة بسيدنا عمر بن الخطاب!!؟ ويرويها العلماء دعاة العلم! إذا كان هذا صحيحاً فأيٌ من الصحابة الكرام، أو الشخصيات العربية المعروفة، كانت له أخت أو ابنة كانت قد جُمعت فعلاً؟ وهل صحيحٌ أن سيدنا عمر بن الخطاب كان قبل إسلامه يصنع في الصباح صنماً من التمر ثمّ يأكله في المساء؟ هل صحيحٌ أن يهودياً كان في مكة، يضع القذارة والأوساخ عند باب الرسول الأعظم ﷺ؟ هل كان المشركون من العرب يفعلون ذلك؟ وهكذا تتصور السيرة المعظمة أهكذا تطرح طرحاً مثالياً؟ هل توفي الرسول الأعظم في المدينة، وكان عليه دينٌ ليهودي؟ وكيف يستوي هذا الخبر مع الخبر الذي يقول أن الأموال جمعت من الصدقات، عند الرسول الأعظم ﷺ، فوضعها في مسجد المدينة وكانت كومة كبيرة، فجمع الناس وقال لهم أعبُ لكم عباً أم أعد لكم عداً ؟.

وهل صحيحٌ أن يوم عاشوراء كان يَجْهَلِهُ الرسولُ عليه الصلاة والسلام، ؟! بحيث لم يكن عليه الصلاة والسلام، يعرف عنه شيئاً! وذلك كما جاء في بعض الأحاديث الموضوعة؛ أنه حتىٰ إذا قَدِمَ إلىٰ المدينة، ووجد اليهود يحتفلون، فسأل عنه اليهود، فقالوا له هذا يومٌ نجىٰ اللهُ به موسىٰ من فرعون، فقال عليه الصلاة والسلام نحن أحق به من اليهود، فطلب من المسلمين صيامه؛! هل يستقي الرسول أخباره، من اليهود، أم من الله فأين أصحاب العقول؟ ؟ ثم أنه ورد في القرآن الكريم لفظ (ميكال) ولفظ (ملك الموت،) فكيف يرد في الأحاديث الصحيحة أو نقبل منهم، لفظ ميكائيل، ولفظ عزرائيل ؟

تناقضات لم يعد يقبلها العقل ولا المنطق السليم، هذه الأعمال لم تعد أوهامها تنفق ههنا؛ لأن الحق بات بيّن، ولم يعد يخفىٰ علىٰ أحد، واتباعه أولىٰ من اتباع الأخطاء الشائعة المخالفة للحق المبين، والله تعالىٰ أعلم.

التجني على العصر الأموي

هذا ويؤخذ علىٰ جميع من كتبوا وصنفوا في العصر العباسي، يؤخذ عليهم تجنيهم علىٰ الأمويين، والدولة الأموية[٢٢٨]، والانتقاص منها والإساءة إليها، ومن منجزاتها ومن خلفاء بني أمية ورجالاتها العرب الميامين، كما يؤخذ علىٰ الكتّاب الذين عاشوا في العصر العباسي،

(٢٢٨) وحكىٰ صالح بن حسان فقال: كان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ﷺ صديقاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك، يأتي لزيارته يلعبان الشطرنج، فأتاه الحاجب يوماً فقال له: إن بالباب رجلاً سيداً من أخوالك من ثقيف، قدم غازياً، وقد أحب أن يسلم عليك، فقال الوليد دعه ساعة حتىٰ نفرغ من دستنا، فقال عبد الله بن جعفر: وما عليك من ذلك إذا حضر، إئذن له، فقال الوليد: لما علمت أنّ اللعب متجهاً عليك أردت أن تفسده، فقال عبد الله: فاطلب منديلاً وضعه عليها حتىٰ يدخل الرجل فيسلم عليك، ففعل، ثم أذن له، فدخل رجلٌ مشمرٌ له هيئة حسنة وعليه عمامة فاخرة، وبين عينيه أثر السجود، وقد خضب لحيته بالحناء، فقال الرجل: أصلح الله الأمير إني قدمت غازياً فكرهت أن أجاوزك حتىٰ أقضي حقك، فقال الوليد حياك الله، وبارك بك، ثم سكت عنه ساعة، فلما أنس به أقبل عليه الوليد وقال: يا خال هل جمعت القرآن؟ فقال الرجل لا، قد كانت شغلتنا عنه شواغل، فقال الوليد : فهل حفظت من سنة رسول الله ﷺ، ومغازيه وأحاديثه شيئاً؟، فقال الرجل: لا كانت أموالنا تشغلنا عن ذلك فقال الوليد: فأحاديث العرب وآدابها وأشعارها ؟ فقال الرجل لا كنت عن ذلك في شغل، فقال الوليد: فأحاديث العجم وآدابها؟ فقال الرجل : ذلك شيءٌ ما طلبته، فقال الوليد : هل عرفت من أقوال الشعراء والحكماء وسير الملوك ما تسوس به قومك؟ فقال الرجل لا ، إن ذلك لشيء لم أكن أبحث عنه، قال فاستدار الوليد ودفع المنديل وقال شاهك! فقال عبد الله سبحان الله، فقال الوليد: لا والله ما معنا في هذا البيت إنسان يُستحىٰ منه! فلما خرج الرجل قال الوليد: أما علمت أن الجهّال كالأنعام، لا يستحىٰ منهم! لاحظ أولاً كيف كانت علاقة بني هاشم بالأمويين جيدة، وثانياً كيف كانت شخصية الوليد بن يزيد الأموي، نبيلة وعظيمة. راجع كتاب (النهج المسلوك في سياسة الملوك) للإمام عبد الرحمن بن عبد الله الشيرازي، ت: د. محمد أحمد ربيع، مؤسسة بحسون بيروت ١٩٩٤. وكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ١٢٠-١٢٢ دار الكتب العلمية بيروت.

محاباتهم للعباسيين وممالأتهم للدولة العباسية، ومراعاتهم لها وتغاضيهم عن مخالفاتها الدينية والدنيوية، إنّ الخلفاء العباسيين كانوا يحظرون علىٰ الكتَّاب والمصنفين في كل المجالات، من المفسرين، إلىٰ الفقهاء، إلىٰ الأدباء، إلىٰ الشعراء، إلىٰ كتَّاب التاريخ، كان الجميع يعرف الدرس جيداً، كان يُحَظَّرُ عليهم جميعاً ذكر الأمويين بخير!، أو الإشارة إليهم، أو ذكر مناقبهم العظيمة، أو الحديث عن منجزاتهم الرائعة، وذلك إخماداً لذكرهم، والواقع لو استمر ذكر الأمويين لخمل ومات ذكر العباسيين! الذين ليس لهم شِيء يذكر[٢٢٩]، إِلَّا أنهم، أي العباسيين، عاشوا في عصرهم، يستثمرون ثمار الزراعة التي زرعها الأمويون ليس إِلَّا، وهذا هو السبب الذي ضيِّع الكثير الكثير من الآثار الرائعة والعظيمة، لبني أمية الأمجاد. حتىٰ أن الحياة الأدبية، والشعراء في العصر الأموي أغفلت تماما وتم تجاوزهاً.

وللمقارنة بين كتابي الطبري في التاريخ والتفسير، وكتاب البخاري، في جمعه للحديث الصحيح، (والبخاري ١٩٤-٢٥٢هـ، والطبري ٢٢٥- ٣١٠هـ، وقد وجدا في عصر واحد تقريباً) فقد كان البخاري رحمه الله ١٩٤ هجرية، لايضع حديثاً في كتابه أبداً إذا كان الحديث يتعارض مع آي القرآن الكريم، ولا يضع حديثاً إِلَّا ضمن شروط الصحة، الصعبة والمعروفة، التي كان قد وضعها تطلباً للأمانة، وتحرياً للصدق، وكان لا يسجل في كتابه، إِلَّا أحاديث الثقاة المعروفين والمشهورين بدءاً من الصحابي، إلىٰ التابعي، إلىٰ تابعي التابعي، وكان رحمه الله يدقق في الأزمان والأماكن ويتحرىٰ الدقة والصحة، في كل ما يصنّفه، وإلا بعد أن يصلي لله تعالىٰ ويستخير الله ﷻ، عند كتابة كل حديث تحية

---

(٢٢٩) لأن الدولة العباسية هي صناعة أعجمية وقدمت من خرسان لهدم الدولة العربية وقد فعلت!.

عربية للإمام البخاري العربي الأول.

لقد كان الإمام البخاري بحق أباً للتاريخ الإنساني عامةً، فقبل البخاري، كان التاريخ البشري عبارة عن أساطير وحكايات وادعاءات، وخرافات وأخبار آتية من الماضي لا ضابط لها، ولا يمكن بشكلٍ عام التفريق بين ما هو صادق من تلك الأخبار، وبين ما هو غير صحيح منها، بين ما حدث فعلاً وبين ما لم يحدث، بين ما قيل وبين وما لم يقل، إن عبقرية الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ تكمن في كونه أول من أشار إلىٰ ضرورة وضع ضوابط وشروط ومقاييس وموازين، أو مسطرة نعرف من خلالها كيف نفرق بين ما حدث فعلاً وبين ما لم يحدث، أو بين ما قيل، وبين وما لم يقل، إن هذه الفكرة غيرت وجه التاريخ والحياة العقلية البشرية، وأثرت تأثيراُ بالغاً في الحضارة الإنسانية والفكر البشري، ودفعته نحو الكمال، قبل أن يكتشف البخاري، أو قبل أن يشير البخاري أول مرة إلىٰ ما سميّ علم مصطلح الحديث، وفي ما بعد علم مصطلح التاريخ[٢٣٠]، كان الفكر البشري يسبح في الأوهام والأساطير، لم يكن الفكر البشري بنّاءً، لم يكن الفكر البشري قادراً علىٰ الوقوف، لم يكن هناك ذاكرة بشرية حقيقية، ولم يكن هناك وعيُ أو انتباه، أو يقظة لضرورة التحقق من التاريخ، لأن الوعي والمعرفة والعلم هو الحامل الحقيقي للذاكرة وبالتالي فإن البخاري هو أول من أشار في العالم، وأول من نبه، وأول من وضع شروطاً ومقياساً و قاعدةً لصحة الأخبار الآتية من الماضي؛ وهنا تكمن أهمية عمل وإنجاز الإمام البخاري رحمه الله تعالىٰ، وفضله علىٰ الفكر البشري عامة، الأمر الذي لم يتنبه إليه العرب، ولم يلتفتوا

(٢٣٠) كما يشير إلىٰ ذلك د. أسد رستم في مقدمة كتابه مصطلح التاريخ، طبع العصرية – صيدا لبنان.

إليه مطلقاً، ولم يتابعوه فيه، إذ كان من المفروض أن يقوم علماء العرب والمسلمون، بمتابعة هذا الإنجاز العلمي للإمام البخاري، وعدم الاكتفاء بتمضية وقتهم وتأمل كتابه الثمين والذي كان قد سماه الجامع الصحيح (ما صح عند البخاري من حديث رسول الله ﷺ) وقد صُحِفَ اسم الكتاب، فصار يدعىٰ صحيح البخاري! وهذا فيه تجنٍ علىٰ مراد الإمام البخاري رحمه الله، إن من المهم بمكان الانتباه إلىٰ اسمه أو عنوانه الأساسي، الذي وضعه البخاري نفسه؛ كان البخاري عالماً بحق ويحترم علمه، ويعمل لله تعالىٰ، لا لمنصب أو لجاه أو لعارض دنيوي، لأن هذا الكتاب النفيس، بالمقاييس العلمية، الذي كان بدايةً عبارة عن تطبيقات قام بها الإمام البخاري لتجسيد نظريته العظيمة في التاريخ.

لكن الذي حصل هو أن علماء العرب والمسلمين، وقفوا عند كتاب البخاري (الصحيح)، أو الذي عُرف بالصحيح، والذي كان أساساً عبارة عن تطبيق لنظريته الرائعة في التأريخ، وكفىٰ الله المؤمنين القتال! لقد زرع لنا البخاري شجرة عظيمة، كان من المفروض، والمطلوب من علماء وعقلاء العرب والمسلمين، العناية بتلك الشجرة (النظرية)، بتشذيبها وتقليمها وسقايتها وتهوية أرضها (تطويرها)، ولكننا أغفلنا العناية بهذه الشجرة، واكتفينا بقطف الثمار؛ بحفظ واستظهار الأحاديث وعنعناتها ورواتها؛ واختلفنا في تحديد معلو لها وتضعيفها، دون إعمال العقل أو المنطق أو الفهم أو حتىٰ محاولة مطابقة تلك للأحاديث، أو التحقق من مطابقة تلك الأحاديث الواردة في كتب الأحاديث، جميع كتب الأحاديث، أياً كان رواتها، وأياً كان ناقلها، وأياً كان كاتبها وناسخها؛ إن التعويل في الشريعة أساساً، يجب أن يكون علىٰ القرآن الكريم فحسب، وأن القرآن الكريم هو الإمام المبين للمسلمين، لا غير؛ قال تعالىٰ ﴿ وَكُلَّ شَىۡءٍ أَحۡصَيۡنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ

مُّبِينٍ ﴾ (يس ١٢)، وهو القرآن الكريم، وقال تعالىٰ ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ﴾ (الأحقاف ١٢)، وهو أيضاً القرآن الكريم، الكتاب الكوني العربي المبين، وأنّ دور الحديث الشريف في حياة المسلمين والعرب دور تثقيفي توثيقي، وأنّ العودة يجب أن تكون للقرآن الكريم أولاً، ونسي علماء العرب المسلمين أنّ الاحتمال واردٌ؛ لأن يكون البخاري رحمه الله تعالىٰ، أو غيره من الذين اشتغلوا في جمع الأحاديث الشريفة قد نسيّ أو وهمَ، في حديثٍ من الأحاديث؛ أو قد دس عليه البعض حديثاً ما؛ إن حدوث مثل هذا الأمر لا يخرم روعة وعظمة منجزات الإمام البخاري وغيره من الأئمة العظماء رحمهم الله تعالىٰ، وأن الهدف الأساسي من تدوين السنة الشريفة، كان الدعوة إلىٰ العلم والعقل والتفكير و التأكيد علىٰ أن رسول الله ﷺ كان الأسوة الحسنة لكل مؤمن علىٰ مر الزمان، في حياته وسلوكه، أقواله وأفعاله المثال العربي، إلىٰ أن يرث الله الأرض وما عليها وهو سيد العرب والعجم، بل إن الرسول ﷺ كانت مهمته والأنبياء جميعهم تعريف الخلق بالحق علىٰ قدر ما تطيقه عقولهم، وهذه المعرفة قوامها الاستدلال بآيات الله في الكون، وإدراك الصفات الجميلة التي يتصف بها الأنبياء من البشر، ونلفت الانتباه إلىٰ أن الصحابة الكرام كانوا قد رووا الأحاديث، وكذلك فعل التابعون بإحسان، فقط .. كانوا يروون الأحاديث رواية ولا يكتبون، ولا يقبلون بأن يكتب عنهم أحد، وقد كتب الحديث أول ما كتب بعد وفاة آخر تابعي بزمن. وهناك فرق بين رواية الحديث وبين تدوين الحديث؛ فقولنا روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه هو غير قولنا دَوَّنّ ابن ماجة رحمه الله تعالىٰ، والله تعالىٰ أعلم[٢٣١].

٢٣١ – ومن الجدير بالذكر، هنا أن سيدنا أبا هريرة رضي الله عنه المفترىٰ عليه، وسيدنا أبا موسىٰ الأشعري، المفترىٰ عليه أيضاً، كانا في حياتهما، التي امتدت إلىٰ الفترة الأمويّة، من أشد الصحابة حرصاً علىٰ الدين الحنيف، العربي القويم، في مواجهة ما كان يواجهه من هجمات من اليهود ومن الشعوبية التي أخذت منذ ذلك الوقت تخطط لغزو الدين العربي الحنيف

والانقضاض عليه والتي بدأت تعمل علىٰ تخريبه، وقد رويا، (سيدنا أبو موسىٰ الأشعري، وسيدنا أبو هريرة رضي الله عنهما)، ما سمعاه من أحاديث رسول الله ﷺ ما يؤكد تلازم حب العرب والإيمان، وليس مصادفة، أن نجد أن جلَّ الأحاديث التي تؤكد علىٰ ضرورة التزام وتلازم حب واحترام العرب، واللسان العربي، كانت من مرويات الصحابيين الجليلين سيدنا أبو موسىٰ الأشعري، وسيدنا أبو هريرة وكذلك كانا رضي الله عنهما، قد وقفا من اليهود ومن الأعاجم والشعوبية المبكرة مواقف حاسمة وشديدة، لاهوادة فيها! وكانا يحذران العرب والمسلمين من خطورة اليهود والشعوبية، فسيدنا أبو موسىٰ الأشعري كان قائداً عظيماً من قادة الفتوحات الإسلامية العظيمة، باتجاه بلاد الفرس، وكان هناك يهدم، وبلا هوادة، بيوت عبادة النار ومعابد الأوثان الزردشتية والمنوية، بحيث لم يبق لهم أياً منها، وكذلك كان سيدنا أبو موسىٰ الأشعري، وفي عهد سيدنا عمر بن الخطاب، وأثناء الفتوحات الإسلامية، هو الذي هدم آخر معقل من معاقل الأكاسرة الفرس، وأسر قادتهم، وأرسلهم إلىٰ المدينة المنورة، مكبلين، وكان سيدنا أبو موسىٰ الأشعري ﷺ يبرز ويؤكد علىٰ حب العرب واللسان العربي، وكان يُنكر علىٰ اليهود وعلىٰ الفرس والأعاجم عاداتهم وتقاليدهم المنحرفة عن الدين وكان يحذر منها، ويدعو إلىٰ نبذها، ويستنكرها ويحاربها، وكذلك فعل سيدنا أبو هريرة ﷺ الذي كان يجاهد المشركين علىٰ الجبهة الأخرىٰ، في الثغور، علىٰ الجبهة الرومية البيزنطية، وكان ﷺ أيضاً شديد الحرص علىٰ نقاء الإسلام من البدع الدخيلة عليه، التي أخذت تفد من هنا وهناك؛ من العقائد السابقة التي كانت سائدة في بلاد الشام، قبل قدوم الفتح والتحرير العروبي الإسلامي لبلاد العرب، وكان يحاربها ويواجه أصحابها بشكل حازم وبطريقة لاهوادة فيها أيضاً، الأمر الذي جعل اليهود والفرس، في ذلك الوقت، وكل الشراذم التي انبثقت عنهم وعن عقائدهم القديمة، ومن كان قد انبثق في عقائده، عن تلك الجهات، جعلهم جميعاً، يناصبون هذين الصحابيين بالذات العداوة، ويضعون سيدنا أبا هريرة وسيدنا أبا موسىٰ الأشعري علىٰ القائمة السوداء، وأظهروا لهم العداء الشديد، وأخذوا يسيؤون إليهم، بطرق شتىٰ، كان من أبرزها أنهم وضعوا علىٰ لسانهم أحاديث كثيرة، ونسبوها إليهما وإن كل صحابة رسول الله ﷺ أجلاء وكلهم عظماء، وكلهم نجوم في سماء الإسلام، وكلهم عدول، ولكن اليهود والشعوبية التاريخية، كانت قد أبرزت ألد الخصام، لسيدنا أبي هريرة وسيدنا أبي موسىٰ الأشعري، وكانت قمة هذا العداء وضع الأحاديث المفتراة، ونسبتها وروايتها، زوراً وبهتاناً، علىٰ لسان أكابر من الصحابة الكرام، سيدنا أبي هريرة وسيدنا أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنهما، وكذلك نسبوا إليهما مواقف حاشا وكلا أن يكونا قد وقفاها أو أن يكونا قد اتخذاها، كان ذلك إمعانا من اليهود والشعوبية في الإساءة إلىٰ الشخصيات الإسلامية العظيمة، التي كانت قد تنبهت وبشكلٍ مبكر إلىٰ مرامي اليهود والشعوبية، وكانت تحذر منها، مما حدا بالشعوبية واليهود ليصبُّوا جام غضبهم علىٰ هاتين الشخصيتين العظيمتين والجليلتين، وذلك إمعاناً بأذاهم.

وفي العصر الحديث، برز بعضٌ من دعاة العلم والمعرفة، ممن لا يمتلكون أدنىٰ حدود العلم أو المعرفة، ممن تسلقوا مجال الكتابة، من غير دراية أو إلمام بالموضوع الذي سيكتبون فيه، وممن ليس لديهم أي هدفٍ نبيل أو سامٍ؛ اللهم إلَّا هدف الإساءة للعرب والإسلام، وأخذوا يسيؤون في كتاباتهم إلىٰ الصحابة الأجلاء سيدنا، أبي موسىٰ الأشعري وأبي هريرة ﷺ يفترون عليهما، ويلصقون بهم التهم، من غير دراية، يقلدون ويكررون وهم لا يعلمون، أنهم بذلك إنما يقلدون المخربين، يهدمون ولا يبنون.

إن من الملاحظ وبشكلٍ جلي وواضح أن الذين تعرضوا للهجوم اليهودي الشعوبي الشرس، من الصحابة

لقد آن الأوان ليعلم المسلمون أن صحة الأحاديث وموثوقيتها، لن تصل إلىٰ موثوقية وصحة آيات القرآن العظيم أبداً، فالقرآن الكريم الذي في اللوح المحفوظ، قد أنزله الله ﷻ علىٰ نبيّه ﷺ، وقد استمر نزوله منجماً علىٰ الرسول العربي ﷺ ثلاثة وعشرين عاماً، وقد تكفل الله ﷻ بحفظه وتأويله بينما نجد أنّ الإمام البخاري رحمه الله كان قد عاش نيفاً وخمسين عاماً، (١٩٦-٢٥٢هـ) وأنه استغرق في كتابة ما جمعه من الأحاديث ستة عشر عاماً متواصلاً، وكان مجموع ما جمعه وانتقاه وسطره من الأحاديث النبوية الشريفة خمسة آلاف حديث تقريباً من أصل عشرات الآلاف مما سمعه من الأحاديث الشريفة؛ ولكن هل كانت جميع هذه الأحاديث الباقية، في جميع كتب الصحاح، وفي جميع كتب المسانيد صحيحة إلىٰ درجة صحة القرآن الكريم، بحيث أصبحت هذه الأحاديث، في بعض الحالات، وعند البعض؛ يمكن لها أن تنسخ آياتٍ محكماتٍ من القرآن الكريم؛ إنّ هذا لا يجوز قطعاً، إنّ اتباع الحق أحق، إن الحق المبين بيّن، ولا يخفىٰ علىٰ أحد، واتباعه أولىٰ من اتباع الأخطاء الشائعة، والمخالفة للقرآن العظيم، ويقول المثل: إثبات الضدين معاً في حال أقبح ما يأتي من المحال، ولذلك فقد تساءل البعض، أننا إذا أردنا التحقق من صحة بيتٍ واحدٍ من أبيات قصيدة من قصائد الشعر العربي، والتحقق من نسبته إلىٰ صاحبه، فإن ذلك سيتطلب منّا وقتاً طويلاً للتمحيص والتدقيق وسماع الآراء والمقارنة، للنفي والإثبات وقد لا يكون الأمر غاية في الأهمية! ولكن الأحاديث النبوية في غاية الأهمية؛ ولذلك يجب إعطاؤها الوقت الكافي لدراستها دراسة متأنيةً، فإذا أردنا توثيق حديثٍ

الكرام ومن الأبطال العرب الصناديد، كانوا من الذين قد شاركوا في الفتوحات الإسلامية، أو من الذين أبرزوا مواقفهم في الكشف والتصدي لليهود والشعوبية!!.

واحدٍ من أحاديث رسول الله ﷺ، والتحقق من صحة المتن والسند وعدالة الراوي؛ فضلاً عن إسلامه، وبلوغه، وأُعطينا من أجل ذلك يوماً كاملاً من الزمن، ليله ونهاره، فمن أجل تحقيق خمسة آلاف حديث فإننا نحتاج إلىٰ وقتٍ كبير ولا شك؛ فما بال المحققين والرواة، والكتاب والوعاظ في هذه الأيام، يطلقون العنان لأهوائهم، في النقل والتنقل بين الكتب؛ ولقد نسي هؤلاء، أو تناسوا، أنهم بسبب هذا الوهم الذي توهموه، قد وقعوا وأوقعوا المسلمين في شر مما منه فروا، ولسان حالهم يقول إنما اتبعنا إماماً، أو سلكنا مسلك عالمٍ أعلم منا، أوإن كان هذا الإمام أو هذا العالم ينقل بالأساس عن كتب اليهود؛ ومن عجيب تأثير هذا الوهم علىٰ أصحابه، أنه يصدهم عن المنطق، وعن العدل، والله المستعان.

إن الأحاديث المطلوب التمسك بها، والتي سنقول عنها، أو سنطلق عليها مفهوم السنة النبوية الشريفة، أو التي ستعرف بالسنة الشريفة، أو لفظ السنة، هي الأحاديث التي تتضمن أوامر ونواهٍ، لا الأخبار ولا الإستثناءات السياسية، لأن الله ﷻ قال في القرآن العظيم، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ (الحشر ٧)، ولكن بماذا آتانا الرسول العربي الكريم، إنه آتانا بالقرآن العظيم، وبالدين الصحيح القويم، وبالشريعة السمحة، وآتانا بالأوامر، أوامر رب العالمين، ونهانا عن نواهيه، وكان لنا ﷺ، البشير و النذير والهدىٰ والرحمة، إن هذه الآية الكريمة، هذا هو فهمها العربي، وليس لها أي مدلولٍ آخر، لأن هذا ما دل عليه القرآن الكريم، وهذا ما أشار به علينا كتاب الله، ونحن يجب علينا أن نتمسك أولاً بكتاب الله، لا بغيره، وهذا واضح، ويجب عدم الخروج عن ما حدده لنا رب العالمين بحجة أن السنة النبوية هي المصدر الثاني للشريعة؛ ورحم الله سيدنا أبا بكرٍ عندما قال قوله الرائع والعظيم لما توفي الرسول الأعظم حيث قال: «أيها الناس من كان يعبد

محمداً فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ الله حيٌ لا يموت» فأيُ كلامٍ أوضح من هذا الكلام؟

فإذا كان رب العالمين قد قال لنا في سورة الإسراء ١٠٩-١١١﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ ﴾ فهل ترانا نحتاج مثلاً إلىٰ بيانٍ لكيفية الصلاة بعد هذا البيان؟(٢٣٢).

(٢٣٢) ورد في كتاب (صفة صلاة النبي صلىٰ الله عليه وسلم) من التكبير إلىٰ التسليم كأنك تراها !! تأليف الأستاذ محمد ناصر الدين الألباني، والذي رد عليه الأستاذ عبد القادر أرناؤوط؛ ورد في الكتاب المذكور، الطبعة الرابعة عشر ١٩٨٧، الصفحة ٧٨، وتحت عنوان، الجهر والإسرار في القراءة، في صلاة الليل، كتب ما يلي: وأما في صلاة الليل فكان تارة يسر وتارة يجهر، وكان إذا قرأ وهو في البيت يسمع قراءته من في الحجرة. وكان ربما رفع صوته أكثر من ذلك، حتىٰ يسمعه من كان علىٰ عريشه (أي خارج الحجرة) وبذلك أمر أبا بكر وعمر! رضي الله عنهما، وذلك حينما (خرج ليلة فإذا هو بأبي بكر ﷺ يصلي ويخفض صوته، ومر بعمر بن الخطاب ﷺ وهو يرفع صوته، فلما اجتمعا عند النبي ﷺ قال يا أبا بكر مررت بك وأنت تصلي تخفض من صوتك قال أسمعت من ناجيتُ يا رسول الله، وقال لعمر مررت بك وأنت تصلي رافعاً صوتك؟ فقال: يا رسول الله أوقظ الوسنان، وأطرد الشيطان، فقال النبيُ ﷺ: يا أبا بكر ارفع من صوتك شيئاً وقال لعمر اخفض من صوتك شيئاً) رواه أبو داوود والحاكم وصححه ووافقه الذبي! ومؤلف الكتاب العتيد لم يورد الآية الكريمة ولم يأتِ عليها أبداً؛ وواضح أنّ الآية الكريمة أعلاه تغني كل الغنىٰ عن هذا الحديث وأمثاله، وواضحٌ عدم الجدوىٰ وعدم الأهمية وعدم الصدق والصحة، في هذا الحديث، ومدىٰ الركاكة فيه، ومع ذلك فإن البعض يورده! وإني لأتساءل عن أهمية أمثال هذه الأحاديث، وما الجدوىٰ من نشرها إذا كان القرآن الكريم معنا وهو واضح كل الوضوح ما الجدوىٰ من نشرها إلّا في كونها تقف حاجزاً بين الناس وكتاب الله العظيم! فلماذا لا ندع الناس يتواردون إلىٰ كتاب الله العظيم مباشرة، لماذا لا ندع الناس ينهلون من كتاب الله مباشرة، وبدون تدخل من أولئك أصحاب الأهواء، وأشير إذا كانت الآية الكريمة من سورة الإسراء مكية فهل كان سيدنا أبو بكرٍ الصديق، وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأرضاهما، هل كانا لا يفهمان من المرة

والجاهلون الواهمون يحتجون بحجج، كانت مجرد خيالات، تخيلوها، ما أنزل الله بها من سلطان، لقد اخترعوا أقوالاً وأملوا أراءً ليست، ولم تكن منطقية، بحيث أثقلوا علىٰ الأفهام، وسطحوا العقول، وهي لم تكن إِلَّا عبارة عن ردود افعال، ودفوعٍ، كانت وبالاً علىٰ الدعوة الصحيحة الأساسية.

لقد ورد عن سيدنا أبي ذرٍ الغفاري ﵁ أنه قال ما معناه: «كنا نصلي قبل دعوة الرسول ﷺ ثلاث سنوات، وكنا نتوجه إلىٰ الكعبة، ...»[٢٣٣] وكان أبو ذرٍ ﵁ ممن عرفوا بالأحناف والأحناف هم العرب الأميون الذين بقيت أم القرىٰ قبلتهم، واستمروا في عبادة الله ﷻ علىٰ منهج أبيهم إبراهيم الخليل ﷺ كانت صلاتهم وقوفاً وخشوعاً بين يدي الله ﷻ إن الصلاة التي يصليها المسلمون الآن، هي صلاة الأحناف نفسها، وكذلك صلاة الأنبياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين، هي صلاة سيدنا محمد ﷺ نفسها، وهو في غار حراء، قبل التكليف، قال تعالىٰ: ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (البقرة١٢٥) وقال تعالىٰ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص ٢٤)، وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ (الحج ٢٧)، وهذه الآية الكريمة تنبيك وبدون جدال أنّ الحج أمرٌ قديمٌ، وأنّ شعوب الأرض قاطبةً، كانت تحج إلىٰ البيت العتيق؛ هذا من جهة أولىٰ، ومن جهة ثانيةً فإنّ الآذان مع الإقامة والصلاة، ولا شك، قديمٌ أيضاً قِدَمَ الصلاة

الأولىٰ؛ أم أنّ واضع هذا الحديث وأمثاله والمروج له ولأمثاله، كان شعوبياً من الدرجة الأولىٰ، إنّ القرآن الكريم عربي، ومن المفروض أن يُفهم بدون واسطة، ومباشرة.

[٢٣٣] هذا الحديث سمعته من الأستاذ عدنان شيخو، إذاعة دمشق، حديث رمضان،١٤٢٥هـ.

والحج، فالآذان كان في زمن سيدنا إبراهيم، وكذلك الإقامة، قال تعالىٰ: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ (إبراهيم ٤٠) وقد علَّمَ الله ﷻ لسيدنا إبراهيم أولاً، الآذان، ثم الإقامة، والله أعلم، وكان الناس المؤمنون يؤذنون للحج، ويؤذنون ويقيمون عند كل صلاة، فمن أين جلبوا لنا الحديث الذي يروي أن أحدهم قد شارك رسول الله ﷺ الرؤية، وأنه علمَ النبي ﷺ، كيفية الآذان؟! !.

إن القرآن الكريم يصرح بأنّ الآذان والنداء الأزلي الله أكبر، الله أكبر، كان أول شكلٍ من أشكال النداء والدعوة إلىٰ الحج والدعوة إلىٰ الصلاة، ثم انحرفت الأساليب الأولىٰ، كما انحرفت القبلة الأولىٰ، شيئاً فشيئاً، من النداء العظيم إلىٰ نفخةٍ في قرن؛ ثم إلىٰ صرخةٍ في بوقٍ، عند البعض، ثم إلىٰ نقرةٍ في الناقوسٍ عند البعض الآخر، وقال تعالىٰ : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (آل عمران ٤٣)، إن القنوت والخشوع والركوع والسجود لله تعالىٰ، إنما هو أمرٌ من الله قديم جداً، نفذه وأداه الأنبياء وأممهم من المؤمنين السابقين جميعاً، وليس كما يظن البعض من أنَّ الصلاة الإسلامية، تكليف جديد! تلقاه الرسول ﷺ أثناء رحلة الإسراء والمعراج؛ إن هذا التصور وهمٌ، وخلطٌ مرده إلىٰ السِّيَر، والأقوال الشعبية، والقرآن العربيُّ المبين واضحٌ وجليٌ، وفيه تحديد أوقات الصلاة وعددها، ولم يكن هذا الأمر وقفاً علىٰ الأحاديث؛ بحيث أصبح الموضوع عند البعض حجةً يستغلونها، ليدخلوا علىٰ المسلمين أموراً لم تكن أساساً من أساس الدين.

لا أظن أنّ ذلك هو الذي طُبِّقَ من مراد الإمام البخاري، عند جمعه للحديث رحمه الله تعالىٰ، ويحتج الجاهلون فيقولون أن الله ﷻ قد قال: ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ

مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ (الحشر ٧).

إن ما عدا ذلك من الأحاديث، مثل أحاديث: (فضائل الأعمال، وأحاديث الترغيب والترهيب، وأحاديث أخبار الغيب الماضي والمستقبل علىٰ الرغم من أهميتها في التراث) جميعها غير مطلوب الأخذ بها علىٰ أنها أحاديث نبوية[٢٣٤] وليست سنة ملزمة، لأن الله ﷻ قال: ما آتاكم، يعني من الدين والشريعة، أو من الأوامر، وقال ما نهاكم عنه، يعني مما نحن عليه من الأخطاء، فالأحاديث المطلوب التمسك بها، من ضمن تلك الأحاديث الواردة في كتب الصحاح، أو ما أطلق عليها كتب الصحاح، والتي وصلت إلينا، ما هو مطلوب منها هو الأحاديث التي تتضمن أوامر ونواهي من الرسول ﷺ للمؤمنين، وبشرط أن لا تكون متعارضة مع القرآن الكريم، أو متناقضة معه، و أن لا تكون تكراراً لما ورد في القرآن الكريم، فكل حديث فيه تكرار لما في القرآن الكريم هو حديث غير ملزم وغير مطلوب اعتماده كائناً من كان راويه، لأن القرآن أولىٰ بالأخذ به والاعتماد عليه، والله أعلم.

إذاً فالأحاديث المطلوب التمسك بها، من ضمن الأحاديث الواصلة إلينا في السنة الشريفة، هي تلك الأحاديث التي فيها أمرٌ ونهي، والله أعلم، وما عداها من الأحاديث هي غير مطلوبة، كأحاديث نبوية ومقدسة، وهي غير ملزمة أبدا كأحاديث تشريع نبويةً،

---

(٢٣٤) إن أهمية تلك الأحاديث البالغة تكمن في كونها تعطينا صورة صادقة عن الناس الذين عاشوا في فترة تدوين تلك الأحاديث، وما قبلها، كيف كانوا يفكرون وكيف كانوا يحلمون، ونحن نستطيع أن نستفيد من تلك الأحاديث والكتب فائدة عظيمة إذا نظرنا إليها كشواهد تاريخية؛

ويجب عدم الاعتماد عليها أو الاعتقاد بها أو بصحتها، أو الإيمان بها، إن الإيمان أولاً بالله تعالىٰ وبما جاء في القرآن الكريم، وما أَمَرَنَا به الرسول العربي الأمي الأعظم نفذناه، وما نهانا عنه انتهينا، وما عدا ذلك فلسنا ملزمين بالأخذ بها مثل الأحاديث التي فيها إخبار عن الغيب! أكان الإخبار عن الأزل أم عن الأبد لأن هذه الأحاديث برمتها موضوعة، وكذلك جميع الأحاديث التي فيها ثناء وتزكية لأشخاص أو لشعوب أو لقبائل، فهي أحاديث سياسية موضوعة، ليس لها أساس من الصحة والرسول عليه الصلاة السلام لم يزكِ أحداً، ولم يطرِ أحداً أبداً، وهي الأحاديث غير عربية، ولا مبينة، ولا تتناسب واللسان العربي المبين علىٰ الإطلاق، فهي لا حاجة لنا بها علىٰ الإطلاق وذلك بوجود القرآن الكريم، إنها أحاديث غريبة وشاذة، والله تعالىٰ أعلم، ولكن الأعمىٰ لا يقود عميان.

العاقل يدافع

إن العاقل يدافع عن الشيء الهام والعظيم والمقدس فعلاً، وهو لا يدافع عن الأشياء الفارغة، أو الأشياء التي ليس لها قيمة، وليست مقدسة فعلاً، ولا هي هامة في الحقيقةً، حتىٰ ولو كانت هذه الأشياء بحوزته، ومعه وملكه وقريبة منه وتعيش معه، وقد اعتاد عليها، فإذا اكتشف عدم جدواها وعدم وجود قيمة لها وعدم أهميتها، إذا أدرك أو لمجرد أن يدرك الحقيقة، رجع عن خطئه، وأعاد تقويم ما حوله علىٰ الصحيح.

إن العاقل يدافع عن دينه وعرضه وشرفه وكرامته، وعن أرضه وعن ماله، وعن أهله وولده، عن كل هذه الأمور الهامة، والتي يجب أن تكون هامة، والتي إن كانت مجتمعة، تشكل مفهوم الوطن أو الوطنية.

أما الجاهل والأحمق فيتمسك بأشياء فارغة خالية من كل مضمون، ويدافع عنها بشراسة؛ فهو لا يدافع عن القيم، أو المبادئ، أو المثل العليا، إن الجاهل لا يستطيع ولن

يستطيع أن يدافع عن الأمور المقدسة حقيقةً، لأنه لا يستطيع أن يتحسسها، ولا يستطيع التعرف عليها، ولا هو يعيها، ولا يستطيع تمييزها، لذلك تراه يدافع عن أشياء ليس لها أصل أو معنىٰ حقيقي، إنه يدافع، أو هو يهاجم، لمجرد الدفاع والهجوم، أو هو يدافع عن الأشياء أو الأفكار، لمجرد وجودها عنده أو معه! بالمصادفة! ودون التأكد من أهميتها أو ضرورتها، فقط لأنه وجدها معه أو عنده، حتىٰ ولو كانت صندوقاً فارغاً، فهو غير مستعد ولا يجرؤ علىٰ فتحه خزفاً من هول الحقيقة، أو إدراك الحقيقة، إنه طوطمي إن صح التعبير، فعلىٰ العرب المسلمين، أن لا يتحرجوا من وجود بعض الأحاديث غير الصحيحة، إذا وجدت في الكتب المسماة بالصحاح، بل يجب عليهم ببساطة وشجاعة العمل علىٰ شطب تلك الأحاديث إن وجدت في تلك الكتب، فهذه الكتب ليست مقدسة، ولا يوجد لدىٰ المسلمين أي كتاب مقدس غير القرآن الكريم، يجب العمل وبشجاعة علىٰ تنقية تلك الكتب من بعض الأحاديث غير المنطقية، والمتناقضة والتي تتعارض مع القرآن الكريم، كما يجب علىٰ علماء نقد الحديث، أو محققي كتب الحديث! عدم الإذعان لأولئك الجهلة، من الذين لا يعرفون كيف يكون الإدراك، إدراك مصلحة الأمة؛ والذين لا يعرفون كيفية العمل بشجاعة لالتزام الحقيقة، إن كل كتاب وكل كلام، يجب أن يكون خاضعاً للنقاش والرد، ما عدا كتاب الله ﷻ، فكل حديث من الأحاديث التي في الصحاح، إذا خرج عن دائرة الأمر والنهي، فهو حديث مردود ومشكوك فيه، وهو غير عربي ولا هو بحديث رسول الله ﷺ إن عبارة أحاديث فضائل الأعمال، أو عبارة أحاديث الترغيب والترهيب التي قد تطلق علىٰ أحاديث لم تثبت عن رسول الله ﷺ غير علمية وهي غير مقبولة أصلاً، وقد وجدت تاريخياً كمسوغات توفيقية لتمرير وتلفيق أحاديث موضوعة وضعيفة، لم

يقلها الرسول الأعظم ﷺ وكذلك قولهم: إن أحاديث تنسخ أحاديث، هذه العبارة، كانت قد وجدت بدهاء ومكرٍ شديدين من أجل حل أشكال التناقض الموجود في تلك الأحاديث الموضوعة والمدسوسة والتي نسبت إلىٰ الرسول العربي الأمي، رسول الهدىٰ والمرحمة ﷺ وهو منها براء وحاشا وكلا أن يقول الرسول الأعظم كلاماً متناقضاً، قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم ٣-٤) ولكن وبمرور الزمن، وكما يحدث في كل تراث ديني مقدس، فقد تكونت حول كتب الصحاح هالة مهيبة مبالغٌ بها، فصار أي تحفظ علىٰ عبارة وردت فيها، أو رد لسند أو حديث فيها، أو التشكيك بصدوره عن النبي العربي ﷺ مهما أقام صاحبه علىٰ رأيه، من الدلائل العلمية والبراهين العقلية[٢٣٥] والحقيقة أنه علىٰ الرغم من الدقة الفائقة التي أتبعها الأئمة من علماء السلف في انتخاب الحديث الصحيح، واجتهادهم في تحري السند؛ فإنه لم تخل تلك الكتب رغم أهميتها البالغة من عدد من الروايات المنتقدة طبقاً للقواعد التي وضعوها لنقد الحديث الشريف.

فالإسلام ليس دولة للمساكين، ولا هو تجمعٌ للدراويش، الإسلام الأساس، إرادة الله في الأرض، ومدده و تجليات قوته و تجليات عزته، فكيف تحول إلىٰ ما هو عليه المسلمون الآن، من ضعفٍ وخمول؟([٢٣٦]).

([٢٣٥]) انظر كتاب، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، سامر اسلمبولي، دار الأوائل، دمشق٢٠٠٢.

وكتاب العودة إلىٰ القرآن إعادة تقويم الحديث، تأليف قاسم أحمد، مكتبة مدبولي الصغير القاهرة١٩٩٧.

[٢٣٦]) – حقائق تاريخية يجب أن تصحح، إن سيدنا عمرو بن العاص، كان قد توفي قبل سيدنا معاوية بن أبي سفيان بخمس سنوات، وذلك علىٰ عكس ما تروي الأخبار الشعبية.. من أن سيدنا عمرو بن العاص، كان قد بايع يزيد بالخلافة بعد موت أبيه وتحت تهديد السلاح!..وكذلك فإن قطع المسافة ذهاباً وإياباً بين مدينة دمشق وكربلاء، تتطلب أكثر من عشرة أيام،

علىٰ الجواد السريع، وبالتالي كيف تكون دمشق هي المسؤولة عما حدث في كربلاء! إذا كانت الأحداث من بدايتها إلىٰ نهايتها، قامت فجأة، في كربلاء، ولم تستغرق سوىٰ بضع ساعات! كيف سمعت دمشق بالخبر وكيف اتخذت القرار وأصدرت الأوامر، علماً أنه في ذلك الوقت لم يكن هناك لا طائرة ولا سيارة ولا هاتف ولاموبايل، ولا حتىٰ حمام الزاجل،فكيف استطاع الطبري وغيره من المؤرخين الشعوبيين تمرير مثل هذا الادعاء والافتراء.